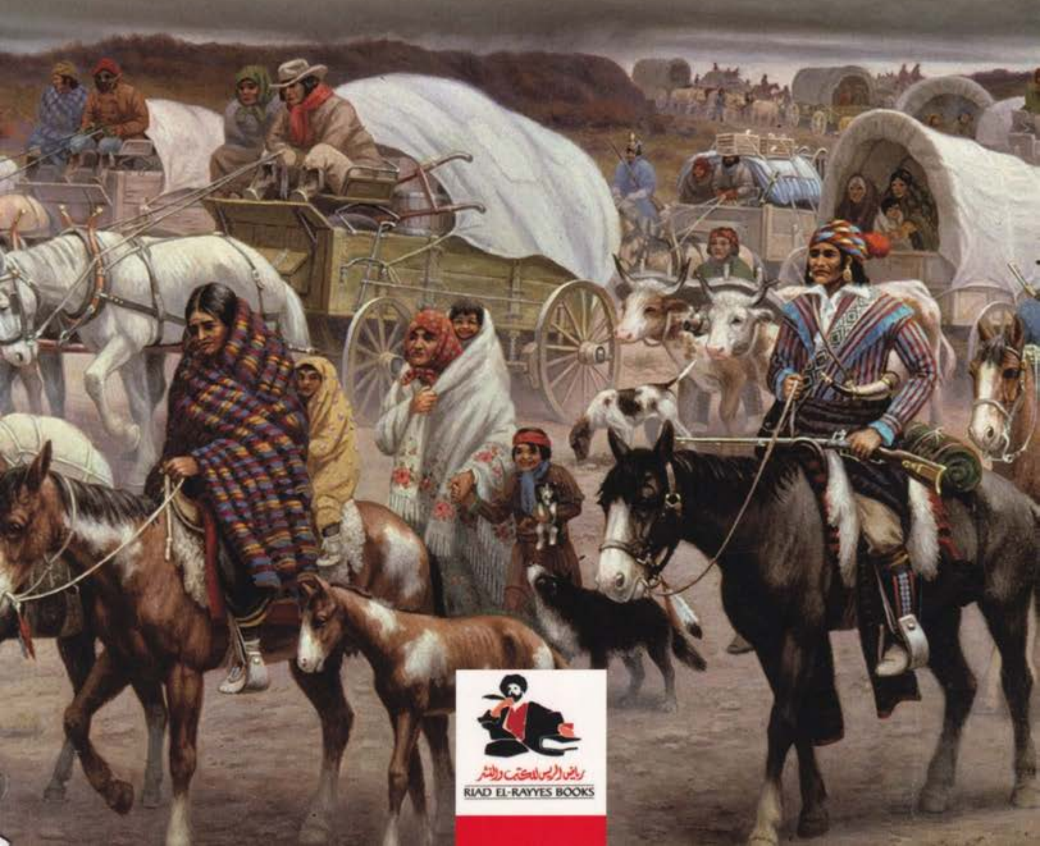
منير العَكش

مكتبة

دولة فلسطينية للهنود الحمر



رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS



منيـر العَكش

دولة فلسطينية للهنـود الحمـر

An Indian Canaan

في البند السادس من أول معاهدة مع «الهنود الحمر» دعوة والتزام واضح بانشاء دولة هندية مستقلة، يكون لها ممثلون في الكونغرس إذا شاءت. جورج واشنطن الذي حرض الهنود على توقيع المعاهدة هو الذي دمر هذه الدولة فوق رؤوسهم، وسمم الزعيم الهندي الذي وقعها. بعد سبع سنوات، في معاهدة أخرى مع الشيروكي، دعوة والتزام مماثل بإنشاء دولة مستقلة وإرسال ممثلين عنها إلى الكونغرس، إذا شاءت. لكن الولايات المتحدة تناهشت كل شبر من بلادهم وأبادت معظمهم.

نادرة هي المعاهدات الأميركية الهندية التي لا تنص على إنشاء دولة، أو على احترام حدود وسيادة واستقلال هذا الشعب الهندي أو ذاك. وكأن دعوة الهنود إلى إنشاء الدولة هي كلمة السر اللازمة لافتراس ما بقي من بلادهم وأشلائهم. ومن المفارقات ذات الدلالة أن الإسم الوحيد المطروح لهذه الدولة الهندية هو: «كنعان».. وهو الإسم الشائع لفلسطين القديمة.

بعد لهاث مئتي سنة وراء جزرة الدولة وجد الهنود أنفسهم في معازل هي معسكرات موت بطيء أو شكل آخر من أشكال الإبادة، فهم اليوم الأشد فقراً وجوعاً والأسوأ مرضاً ومسكناً وكساء وتعليماً بين كل الجماعات التي تعيش في بلادهم المنهوبة. وصارت لقمة عيشهم وقفاً على كرم غزاة بلادهم.

هذا الكتاب الفتح هو أول عمل بالعربية وغير العربية يلم بقضية الدولة الهندية ورحلتها من الحلم إلى الكابوس. وهذا ما جعل بحث المؤلف عن مادة هذا الكتاب في أوراق ووثائق عشرة أجيال من البشر أشبه بحفريات علماء الآثار. المؤلف، وهو أبرز الباحثين العرب في الدراسات الأميركية، يكشف في هذا الكتاب أن استحالة قيام هذه الدولة تكمن في «فكرة أميركا» نفسها. إنه يشخص بمنهجية صارمة وتوثيق دقيق وباء الاستيطان، وفواجع الترحيل، وخطر الاستعمار الداخلي، وشراك المعاهدات التي لم تحترم أميركا واحدة منها. ثم يبين في النهاية كيف إن «فكرة أميركا» المنسوخة عن فكرة إسرائيل الأسطورية لا تتعارض مع قيام هذه الدولة وحسب بل تتعارض أيضاً مع وجود أهل الأرض وأصحابها على وجه هذه الأرض.

رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS

ISBN 978-9953-21-613-3
9 789953 216133 >

دولة فلسطينية
للهنود الحمر

An Indian Canaan

Munir Akash

First Published in September 2015

BEIRUT - LEBANON
elrayyes@sodetel.net.lb - www.elrayyes-books.com
www.elrayyesbooks.com

ISBN 978 - 9953 - 21 - 613 - 3

الطبعة الأولى: أيلول (سبتمبر) ٢٠١٥

منيـر العَكـش

دولة فلسطينية للهنـود الحمـر

An Indian Canaan

رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS

المحتويات

فاتحة هندية

ليس أمامنا سوى أن نقاوم أو ننتظر الإبادة

من خطبة لزعيم المقاومة الهندية في أول القرن التاسع عشر

تِكومْسِه

مكتبة
t.me/soramnqraa

على ضفة نهر تومبيغ بي Tombigbee وقف الزعيم الثائر تكومسه Tecomse أمام عدد كبير من شعبي شكتاو Choctaws وشيكاساو Chicasaws وزعمائهم يبين لهم خطر التمزق والاستكانة وخداع الذات، ويدعوهم إلى الوحدة والمقاومة.

لأننا إذا اتحدنا جميعاً فإننا سنصبح أقوى من [الغزاة] البيض، أما إذا تفرقنا فإننا لن نستطيع مقاومتهم بل إنهم سيهزموننا ويسرقون أوطاننا ونتناثر كأوراق الخريف في الريح العاتية. أليست لدينا شجاعة كافية للدفاع عن أوطاننا واستعادة استقلالنا كما كان؟ إلى متى سنبقى نعاني من طغيان هؤلاء الغرباء واستعبادهم؟ هل كتب على بني جنسنا أن لا يتخلصوا من ثالوث الحماقة والاستكانة والجبن؟ ألا تكفينا عبرة الماضي؟ انظروا، أين شعوب الناراغنست Narragansett، والموهوك Mohawk، والپوكانوكت Pocanokets وغيرها من شعوبنا وأممنا القوية؟ لقد تلاشت أمام جشع البيض وطغيانهم كما يتلاشى الثلج تحت أشعة شمس الصيف. انظروا إلى ما كان ذات يوم وطنَهم الجميل، ماذا ترون الآن؟ لا شيء سوى

الدمار الذي أنزله به ذوو الوجوه الشاحبة. كذلك سيكون مصيركم يا شعب الشكتاو وشعب الشيكاساو إذا لم نتحد ونقاوم. انظروا إلى أشجار غاباتكم الشاهقة التي لهوتم تحت أغصانها الوارفة أطفالاً، ولعبتم في فيئها فتياناً، وترتاحون اليوم عند جذوعها الظليلة بعد عناء الصيد ـ كلها سوف تُحتَطبُ وتُقَطَّع ليُسَوِّروا بها الأراضي التي لا يستحي الغرباء البيض من الزعم أنها أراضيهم. وغداً سيشقون الطرقات فوق قبور آبائكم ويدرسونها إلى الأبد.

يا إخوتي، أبناء شكتاو وشيكاساو، إن إبادة شعوبنا تدق أبوابنا ما لم تجمعنا قضية واحدة ضد عدونا المشترك. إياكم والاعتقاد بأنكم في منجاة من هذا المصير لأنكم مسالمون. إياكم والاستهتار بهذا الخطر الداهم، أو إنكار مصيرنا المشترك. كل أبناء شعوبنا مهددون بأن يكونوا عما قريب مثل أوراق الخريف وقطع الغيم المتناثرة أمام الريح الهوجاء. أنتم أيضاً ستتطايرون من بلادكم ودياركم كما تتطاير أوراق الأشجار في عواصف الشتاء. إياكم والنوم قريري العين على سلام كاذب وآمال خادعة خُلَّب. إن أرضنا الواسعة تفلت من أيدينا يوماً بعد يوم، وإن الغرباء البيض يزدادون جشعاً ونهماً وقسوة وطغياناً وغطرسة. كلما تجدد النزاع بينهم وبين شعوبنا وأريق الدم، علينا نحن وحدنا أن نكفّر عن ذلك بحق وبباطل على حساب حياة أعظم زعمائنا ومساحات كبيرة يغتصبونها من بلادنا.

قبل مجيء أصحاب الوجوه الشاحبة إلينا، كنا ننعم بالسعادة وبالحرية المطلقة. لم نكن نعاني من عوز أو طغيان، فكيف هي الحال الآن؟ العوز والطغيان في كل مكان. هل نملك من أمرنا شيئاً؟ ألسنا محكومين في الصغيرة والكبيرة؟ هل نجرؤ على الحركة من غير أن يأذنوا لنا؟ ألسنا نُجَرَّدُ يومياً من الثمالة القليلة الباقية من حرياتنا؟ ألا يلبطوننا ويركلوننا كما يفعلون بالمستعبدين السود؟ متى سيربطوننا على الأعمدة ليجلدونا ويُسَخِّرونا للعمل في مزارعهم؟ هل ننتظر تلك اللحظة؟ هل نتحد ونقاوم أم نستكين وننتظر ذلك الخزي والعار؟ أليست لنا عيون ترى ما يفعلونه ويخططون له منذ سنوات وسنوات؟ أليس ذلك كافياً لمعرفة ما سيحمله

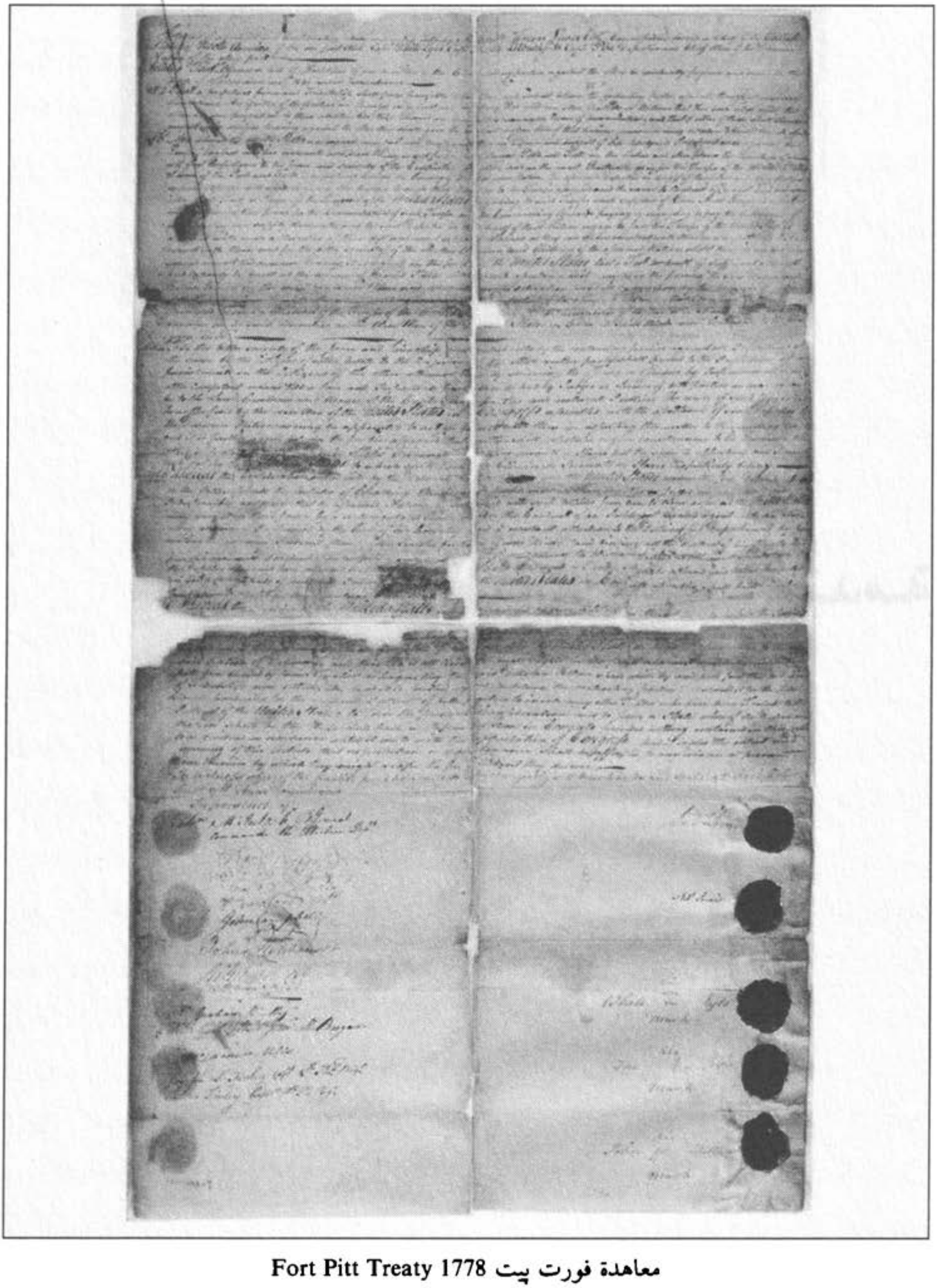
إلينا المستقبل؟ ألن نُطردَ عما قريب من بلادنا بعيداً عن قبور أجدادنا؟ ألن تُنسف عظام موتانا وتتحول قبورنا إلى مزارع لهم؟ هل ننتظر باستهتار أن تزداد أعدادهم ونفقد الأمل في المقاومة نهائياً؟ هل ننتظر أن نبادَ ولا نفعل شيئاً لإنقاذ بني جنسنا؟ هل يجب أن نتخلى عن ديارنا وأوطاننا التي وهبنا إياها «الروح الأعظم» [اسم الله عندهم]، وأن نتخلى عن كل ما هو عزيز ومقدس دون أن نقاوم؟ أعلم أنكم ستقولون معي: لا، أبداً، أبداً. وإذاً، دعونا نتحد. باتحادنا نهزمهم جميعاً، ونعيدهم حيث أتوا، وهو ما نستطيعه الآن. ليس أمامنا سوى أن نقاوم أو ننتظر الإبادة! ماذا تختارون؟ إنني أعلم بماذا ستجيبون، لهذا أستصرخكم يا أبطال شكتاو وأبطال شيكاساو أن تتبنوا القضية العادلة لتحرير بني جنسنا من الغزاة الماكرين الطغاة الذين لا يعرفون الرحمة. فإما أن يتوقف سلب البيض ونهبهم لبلادنا، أو إننا نحن أهل هذه البلاد سنُمحى من الوجود وسيُزال جنسنا من على وجه الأرض.

يا أبناء شكتاو وشيكاساو، لقد تحملتم طويلاً أبشع أنواع السلب والقهر على أيدي الأميركيين المتغطرسين فكفوا عن السذاجة وخداع النفس. إذا كان بينكم من يعتقد أن حقوقه لن يسلبها منه الماكرون أصحاب الوجوه الشاحبة، عاجلاً أو آجلاً، فإن جهله يستحق الشفقة، لأنه لا يعلم شيئاً عن هذا العدو. وإذا كان بينكم الليلة من بلغ به الجنون أن يستهين بالقوة المتنامية للبيض بيننا فليعلم أية مهلكة مخيفة سينزلونها ببني جنسنا إذا ما بلغ به استهتاره الاجرامي حد مساعدة العدو في خططه ضد بلادنا جميعاً. لهذا أدعوكم للإنصات إلى صوت الواجب، صوت الشرف، صوت الطبيعة، صوت بلادنا المهددة. دعونا نشكل جسداً واحداً، وعلى قلب رجل واحد، لندافع عن بلادنا وبيوتنا ومزارعنا وحرياتنا وقبور آبائنا. هيا، أسرعوا قبل أن تجدوا أنفسكم عزلاً منفردين، تحت رحمة عدو لا يرحم(*).

(أيلول/ سبتمبر ١٨١١)

(*) راجع سياق الخطبة ومرجعها في فصل المعاهدات

مقدمة



معاهدة فورت بيت Fort Pitt Treaty 1778

أول معاهدة عقدتها الولايات المتحدة مع الهنود، وفيها بند خاص عن إنشاء الدولة state الهندية وعن حقها في الانضمام إلى الولايات المتحدة وأن يكون لها ممثلون في الكونغرس

من الأرشيف الوطني National Archive

دولة كنعان الهندية

An Indian Canaan

الحلم بالدولة [الهندية] تحول إلى كابوس.

ـ المبشر توماس جونسون **Thomas Johnson**

الوثيقة المنشورة في الصفحة الأولى من هذه المقدمة هي أول معاهدة عقدتها الولايات المتحدة مع سكان أميركا الأصليين، وبالتحديد مع هنود الدولاوير Delawares الذين كانوا يعيشون يومها في منطقة واسعة من أوهايو Ohio داخل فيدرالية الأمم الست Six Nations، أو ما يعرف بفيدرالية الأركوا Iroquois Confederacy، وتحت حمايتها بعد أن شردهم المستوطنون من بلادهم في الشرق قبل نحو أربعين سنة [١]

في البند السادس من هذه المعاهدة (Fort Pitt, 1778) دعوة واضحة لإنشاء دولة State هندية تضم شعب الدولاوير وغيره من الشعوب الهندية، ويكون لها الحق في أن تنضم إلى اتحاد الولايات الثلاث عشرة، وأن يكون لها ممثلون في الكونغرس كما هو حال كل الولايات الباقية.

«to form a state whereof the Delaware nation shall be the head, and have a representation in Congress»

أما علاقة جورج واشنطن بهذه المعاهدة فظلت ملتبسة حتى سبعينيات القرن الماضي عندما اكتشف الباحث الهندي غريغوري شاف Gregory Schaaf أوراق جورج مورغن George Morgan أول مدير للإدارة الهندية بالمصادفة في سقيفة بيت أحد أحفاده، وفيها نجد مراسلاته مع جورج واشنطن وتوماس جفرسون وغيرهما ممن يوصفون بالآباء المؤسسين للولايات المتحدة.

أهمية هذه الأوراق أنها توثق دعوة واشنطن للهنود بأن تكون لهم دولتهم التي ستحترم حكومةُ الولايات المتحدة استقلالها وسيادتهم عليها وحقهم في أن يضموها إلى الاتحاد الأميركي ويجعلوها الولاية الرابعة عشرة كما نصت على ذلك فعلاً المادة السادسة من المعاهدة المذكورة[٢].

يومها، كان زعماء الدولاوير يحسنون الظن بمورغن، فهو سخي الهدايا، معسول الحديث، كثير الوعود، ويتحلى بكل مواهب المصيدة[٣]. لقد هيأ للمفاوضين كل ما يلزم لنجاح مهمتهم، وكان كمن يخدر فتاةً بريئة ويُعدّها جاهزة لحفلة الاغتصاب. ومع ذلك فقد بزه المفاوضون في مواهبه، حتى إنه غضب واضطر إلى وصف تفاوضهم بأنه «أُديرَ بقذارة ونذالة» «so improperly or villainously conducted»[٤]. فباستثناء بند إنشاء الدولة، كانت معظم البنود الأخرى ملفقة حتى إن كِلِمَند Kelelemund، رئيس مجلس زعماء هنود الدولاوير فوجئ بالنص النهائي للمعاهدة وقال:

> لقد راجعت موادها فوجدتها ملفقة تلفيقاً... إنني أتذكر جيداً أنني ألغيت كل ما هو سيئ فيها. كل ما فهمته [من المفاوضين] هو رغبتهم في أن أرشد جيشهم إلى أن يخرج من حدود بلادنا[٥].

لكنهم جعلوها معاهدة تحالف عسكري بين الدولاوير والولايات المتحدة[٦]. وهذا ما أكده مورغن نفسه في رسالة مفصلة إلى الكونغرس[٧].

كل ما كان الجنرال جورج واشنطن يريده من هذه المعاهدة ووعدِها السخي بإنشاء

ولاية [دولة] هندية هو تجنيد الدولاوير في حربه على أولياء نعمتهم الأقوياء فيدرالية هنود الأمم الست Six Nations Confederacy واستخدام أراضيهم في بناء حصون وقلاع لجيشه قبل زحفه عليهم[٨]. أما عن «الدولة الموعودة»، فكانت أولى ثمارها (بعد أسبوعين من توقيع المعاهدة) تسميم وايت آيز White Eyes الزعيم الهندي الذي أدار المفاوضات ووقّع المعاهدة باسم شعب الدولاوير والذي أمضى سحابة حياته في خدمة الغزاة، وكان الأكثر حماسة لعقد المعاهدة[٩]. سممه بجراثيم الجدري واحد من جنود الجنرال مكنتوش McIntosh الذي كان يدير المفاوضات عن الجانب الأميركي[١٠].

منذ اليوم التالي للمعاهدة، راح الدولاوير يخسرون الأرض التي آوتهم فيها فيدرالية الأمم الست أمام زحف ميليشيات المستوطن البريطاني توماس پن Thomas Penn (ابن وليم پن مؤسس مستعمرة پنسلڤانيا). ولما حاولوا المقاومة طردتهم جيوش واشنطن من أجزاء كبيرة من «دولتهم الموعودة». ثم إن واشنطن أرسل إليهم رسالة «ترطيب خواطر»، دعاهم فيها إلى وقف مقاومتهم وإرسال ١٢ زعيماً منهم إلى فيلادلفيا لعقد معاهدة سلام على أساس مبادئ العدل والإنسانية، تؤكد احترام الولايات المتحدة لاستقلالهم وسيادتهم على أراضيهم. ولما استجابوا كان أول ما طَلَبَه المفاوضون منهم هو «مراعاة الوقائع الأرض» والاعتراف بشرعية المستوطنات التي ملأت بلادهم ووصلت إلى ضفاف نهر أوهايو. ومع ذلك ففيما كانت المفاوضات حامية في فيلادلفيا كانت جيوش واشنطن بقيادة أنطوني واين Anthony Wayne تطهر «دولة الهنود» الموعودة من أهلها وتقضم منها أرضاً تشكل ثلثي مساحة ولاية أوهايو الحالية (أوهايو تعني النهر العظيم بلغة الإركوا)[١١].

وما إن حلّ عام ١٨٣٣، حتى كان الدولاوير قد طردوا نهائياً من أراضي «دولتهم» الموؤودة وألقيَ بهم بعيداً على حدود ولايتي كنساس وميزوري وفقاً لمعاهدة احتيالية جديدة اجترَّتْ ما ورد في معاهدة فورت پيت الأولى من كذب ونفاق:

إن الوطن الجديد ما بين كنساس ونهر الميزوري ستعطيه الولايات المتحدة لشعب الدولاوير **وستضمنه لهم إلى الأبد ليكون وطنهم الدائم**. إن حكومة الولايات المتحدة تتعهد هنا لأمة الدولاوير المذكورة بأن يكون هذا الوطن آمناً مسالماً لا يعكر صفوه شيء. . . [إلخ هذه المخدرات][١٢].

بعد الحرب الأهلية تدفق مستوطنو شعب الله إلى هذا الوطن الجديد الدائم إلى الأبد، وجرفوا في زحفهم المقدس ما بقي من شعب الدولاوير إلى وطن خالد آخر، ثم إلى وطن خالد آخر، إلى أن انتهت رحلة الدولة الموعودة بهؤلاء الأشقياء في معازل، هي معسكرات موت بطيء يصفها الجنرال شيرمن William T. Sherman بأنها «قطع من الأرض يحدق بها اللصوص من كل جانب» بينما، يصفها عالم الإنسانيات روبرت ترنرت Robert A.Trennert بأنها شكل آخر من أشكال الإبادة[١٣].

□ □ □

نادرة هي الشعوب الهندية التي لم يكرمها شعب الله بالدعوة إلى إنشاء «دولة خالدة» أو «وطن أبدي» قبل أن يبيدها ويستولي على بلادها. كأن هذا الوعد بالدولة أو الوطن كان كلمةَ السر اللازمة لافتراس ما بقي من بلادها وأشلائها.

مَن يقرأ ثَبَت المعاهدات مع الشعوب الهندية يعجب لهذا الحرص الأميركي على إنشاء «الوطن» الهندي لهذا الشعب، و«الدولة الهندية» لذاك. ففي قراءة عشوائية لخمس وعشرين معاهدة بين ١٧٧٨ و١٨٣٠ لم أجد سوى أربع منها فقط لا تذكر الدولة أو الوطن. أما المعاهدات الواحدة والعشرين الباقية، فإنها حين لا تذكر الدولة أو الوطن، تنص حرفياً على احترام الولايات المتحدة حدود وسيادة واستقلال الشعب الهندي المُعاهِد في الأراضي Territory أو البلاد Country التي يعيش فيها، أو يُنقل إليها.

في ١٧٨٥، مثلاً، أي بعد سبع سنوات على معاهدة الدولاوير الأولى، نقرأ في المادة ١٢ من معاهدة هوپ وِل Hopewell دعوة كريمة مماثلة لشعب الشيروكي Cherokee تنص على حقهم في أن يرسلوا ممثلين عنهم إلى الكونغرس إذا ما قرروا الانضمام إلى الاتحاد(١٤).

«they shall have the right to send a deputy of their choice, whenever they think fit, to Congress».

□ □ □

بعد ابتلاع لويزيانا (١٨٠٣) والإلحاح على إنهاء وجود الهنود في شرق الميسيسيپي ليخلو وجه «إسرائيل الله الجديدة God's new Israel» لشعب الله الإنكليزي وحده، تعززت لدى الرئيس الثالث جفرسون Jefferson فكرة ترحيل من بقي منهم إلى الغرب حيث (سَـ!) تقام لهم دولة يعيشون فيها إلى الأبد(١٥).

جفرسون (قبل العنصري الفاجر ليبرمان بقرنين) هو أول من نصب فخ «تبادل الأراضي»... للهنود، ولجأ إلى كل المغريات الممكنة لترحيل هنود الشرق من بلاد آبائهم بالحسنى إلى «وطن بديل دائم» وراء نهر الميسيسيپي... وإلا! كذلك فعل الرئيس الرابع جيمس ماديسون James Madison من بعده(١٦). وقد أثبتت الأيام أن جفرسون وخليفته ماديسون ما كانا يريدان من الوعد بالوطن البديل الدائم سوى تهجير بقايا هنود الشرق من بلادهم إلى منفى موقت temporary asylum وراء الميسيسيپي. ولهذا ظل هذا الوطن البديل الموعود مجرد صفير في الهواء برغم كل دروس الأخلاق التي ألقاها الرئيسان وحزبهما الذي كان يسمى يومها الحزب الجمهوري الديموقراطي Democratic-Republican Party.

خدعة «تبادل الأراضي» كانت السياسة المحببة للرئيس الخامس مونرو Monroe. فباسم الوطن البديل الدائم اقتلع عدداً من الشعوب الهندية من بلادها وهجّرها بعيداً إلى ما كان يسميه أيضاً بالمنافي الموقتة(١٧). وتدلنا رسائل الرئيس وعدد من وثائق المرحلة على أن مونرو كان يتجنب ذكر الدولة state والتمثيل في

الكونغرس، وأن كل ما يعنيه بالوطن الدائم Permanent country «الذي سيكون أبدياً لهم ولذراريهم، ولن يزعجهم فيه البيض ولا ينقصون من استقلالهم وسيادتهم عليه» مجرد شظايا قبلية مبعثرة ذات إدارة محلية محدودة جداً(١٨).

□ □ □

بعد أقل من نصف قرن على وعد واشنطن وعلى معاهدته (معاهدة فورت پيت Fort Pitt، ١٧٧٨ مع الدولاوير) التي نصت على حق الدولة الهندية المستقلة في أن تكون الولاية ١٤ (إذا رغبت في الانضمام إلى الولايات [الثلاث عشرة] المتحدة) وأن يكون لها ممثلون في مجلس الكونغرس كما هو حال كل ولاية أميركية، تقدم الرئيس السابع أندرو جاكسون Andrew Jackson بمشروع دولة مستقلة للهنود أكثر تفصيلاً و«إنسانية» ونفاقاً. ففي رسالته السنوية السابعة إلى الكونغرس كتب الرئيس جاكسون:

> ليس هناك من يتنكر الآن لما تمليه الأخلاق على حكومة الولايات المتحدة من واجب الحماية والحفاظ على البقايا القليلة المبعثرة من هذا الجنس داخل حدودنا. وللقيام بهذا الواجب فإن أرضاً واسعة في الغرب خُصصت لإقامتهم فيها إلى الأبد. وقد قُسِّمت إلى مناطق ووُزِّعت بينهم. إن كثيراً منهم رحل إليها، وإن آخرين منهم يستعدون الآن للرحيل... **كما أعطيناهم وعد كونغرس الولايات المتحدة بأن يكون هذا الوطن المخصص لإقامة هؤلاء الناس آمناً ومضموناً لهم إلى الأبد.[!] لقد خُصص لهم وطن إلى الغرب من ميزوري وأركنساس؛ وطن لا تقتحمه مستوطنات البيض ولا تقام فيه كيانات سياسية غير الكيان الذي يقيمه الهنود لأنفسهم**(19).

الرئيس أندرو جاكسون كان النجم الساطع في سماء هذه «الدولة ـ إلى الأبد». وكانت معه عصابة ممن يسمَّون أصدقاء الهنود، أبرزهم جون كالهون John Calahoun نائبه، والمبشر إسحق مَكّوي Isaac McCoy الذي نذر عشرين سنة من

حياته (بالتنسيق مع إدارة ثلاثة رؤساء؛ مونرو، آدامس، وجاكسون) لمسح أراضي هذه الدولة وراء الميسيسيبي، وتسويق فكرتها للهنود. كانت إدارة جاكسون تعلم أن أفضل من يُعلّق هذه الجزرة أمام عيني الحمار ويزين طريق الترحيل أمام الهنود بالأيقونات وأجنحة الملائكة هم المبشرون، خاصة أن لنائبه جون كالهون تجربة ناجحة معهم في تسويق حملة الإبادة الثقافية باسم «تمدين الهنود» حين كان وزيراً للحرب أيام الرئيس مونرو[٢٠].

□ □ □

عند تكليفه من قبل إدارة الرئيس مونرو بمسح أراضي الدولة الموعودة للهنود، اقترح مَكّوي أرضاً في الجرود Rocky Mountains، بعيداً جداً عن حدود الولايات المتحدة حيث توجد صحراء واسعة عرضها ما بين خمسمئة وستمئة ميل. أما عمقها فلم تكن لدى مَكّوي وسيلة متاحة لمعرفة امتداد هذه الصحراء وراء الجبال ولا ما قد يكون فيها من أرض غير جرداء... وهذا يعني أنها بعيدة عن سكاكين مستوطني ذلك الزمان ولا تُغريهم وتشبع جشعهم. أما بالنسبة إلى الرسميين، فقد كانت هذه المناطق [وراء الميسيسيبي] بلا اسم وجزءاً من عالم الغيب. لهذا لم تعنهم تفاصيلها. كل ما كان يعنيهم هو أنها ستقتلع الوجود الهندي من وجوههم وتُخلي لهم وجه الأرض كلها في شرق الميسيسيبي[٢١]. كذلك طلب مَكّوي من وزير الحرب تهيئة كل ما يلزم للحكومة الهندية، على أن يُعَيِّن الرئيسُ [الأميركي] لها، لاحقاً، حاكماً [أبيض] ووزيراً وقاضيين يقيمون في مدينة مركزية تصبح نواة للعاصمة الهندية[٢٢].

في أواخر أغسطس/ آب ١٨٢٨، انطلقت بعثة مَكّوي الاستكشافية الأولى برفقة ممثلي بعض الشعوب الهندية ومترجمين وحمالين. فأمضت خمسين يوماً تستكشف أرض الدولة على ضفاف نهر ماريه ديسين Marais des cygnes [أي في بلاد مأهولة أصلاً، هي بلاد هنود الأوساج Osages]. وكان وزير الحرب قد أعلم

مَكّوي بأن الكونغرس خصص ١٥ ألف دولار لهذه البعثة وعينه على رأسها[٢٣]. ثم انطلقت البعثة الثانية مع الكابتن جورج كنرلي George Kennerly ومَسَّاحين وجراح ومترجمين و٢١ ممثلاً عن الشعوب الهندية المرشحة للتهجير بعيداً عن بلادها باسم الوطن الخالد. وكانت تعليمات الكونغرس ووزارة الحرب لمَكّوي أن يستكشف في أبعد مناطق ممكنة عن [ما صار يسمى] الولايات الأميركية[٢٤].

وفي الفترة الرئاسية الأولى لأندرو جاكسون، تولى مَكّوي عدداً من المناصب في وزارة الحرب، وزاد تنسيق جهود التهجير إلى الوطن الخالد مع الحكومة الفيدرالية والكونغرس[٢٥]. فحين فرض الجيش بقيادة جيمس غاردنر James Gardener على هنود أوهايو توقيع أربع معاهدات تجبرهم على الهجرة إلى «وطن الهنود الخالد»، تولى مَكّوي أمرهم فحدد لهم منطقة من هذا الوطن مساحتها ستة أميال مربعة جنوب معزل أوتاوا حيث مركز الحكومة الهندية المنتظرة لكل الشعوب المهجّرة. ولم يكن مفاجئاً أن يُرَحَّل هؤلاء الأشقياء في فوضى ورعونة وإدارة سيئة أودت بمعظمهم إلى الموت جوعاً وقهراً[٢٦].

□ □ □

كان مَكّوي يعد نفسه ليكون الحاكمَ الفعلي في هذه الدولة أو الولاية الهندية التي سمّاها «كنعان الهندية Indian Canaan». لكنه لم يكد ينتهي من بناء بيته الأبيض وكنيسته حتى زحف مستوطنو شعب الله إلى دولته. وكان أول ما فعلوه أن نشروا وباء الجدري بين هؤلاء الأشقياء. هنا يصف المؤرخ غرانت فورمان Grant Foreman كيف أن مَكّوي ارتاع لمنظر أكثر من ثلاثة آلاف جثة ظلت مرمية في العراء. ولم يتردد قطّ في اتهام المستوطنين بنشر هذا الوباء عمداً عبر التبغ والملابس الملوثة بجراثيم الجدري. بل إن أحد أعضاء البعثة Henry L. Ellsworth قال: «إن هذه العصابات تتحكم بكل شيء. إنهم لن يتورعوا عن قتل أي إنسان ينافسهم على الأرض». أدهى ما في الأمر أن مجلس الشيوخ رفض

إقرار قانون تلقيح الهنود، بل توجه السناتور ألكسندر بَكنر Alexander Buckner باللوم إلى مَكّوي قائلاً: «ليس لك حق بإنقاذ الهنود، إن موتهم جميعاً نعمة لبلادنا»[٢٧].

«دولة كنعان الهندية» المستقلة، كما عرضها مَكّوي وسمّاها كانت أشبه بحصان طروادة استيطاني في أراضي شعوب هندية أخرى غرب الميسيسيپي. إذ سرعان ما اتضح أن حلم الدولة في الغرب لم يكن سوى كابوس لا يختلف عن كوابيس الشرق، ولا بد من أن يصبح هذا «الوطن الأبدي» للهنود جزءاً من الولايات المتحدة [كما يقول]. . . يبدأ بمستوطنة على غرار مستوطنات الغزاة، ثم يتحول إلى ولاية يسميها «كنعان الهندية Indian Canaan»[٢٨]، وسيبقى دائماً وأبداً مرتعاً للتمدين والتبشير لينعم الهنود بالروح الأميركية ويُفْتَنوا بعصر الأنوار الذي تجسده الولايات المتحدة. أما القوانين والوظائف اللازمة لإدارة حياة الهنود فستُعدها لهم الحكومة الفيدرالية. بذلك سيبقون في هذا الوطن إلى الأبد دون أن يجبرهم أحد على الرحيل أو البيع إلا [!] بعد موافقتهم[٢٩]. ومع ذلك تبقى السيطرة الكاملة على هذه «الدولة المستقلة، [دولة كنعان الهندية]» للرئيس الأميركي ووزير الحرب![٣٠]

معظم هذه الأفكار عن دولة كنعان الهندية يعرضها مَكّوي في كتيبٍ بليغِ العنوان هو: «ملاحظات إجرائية حول الإصلاح الهندي: **كيف يتقبلون استعمارهم بسرور**». ثم يُفصح عن وسيلة هذا الإصلاح في فصل خاص بعنوان: «الخطة الإجرائية الوحيدة لإصلاح الهنود هي استعمارهم».[٣١] ومع ذلك فقبل أن يبدأ هذا الإصلاح المنشود تبخرت دولة كنعان الهندية ولم يبق فيها مَن يمكن استعماره وإصلاحه، فقد انتهت أرواح أهلها بين سكاكين المستوطنين أو في أعماق الغابات ومغاور الجبال.

□ □ □

حتى خطة مَكّوي لاستعمار الهنود في دولتهم الموعودة «كنعان» لم تكن مغرية لشعب الله في ذلك العصر الجاكسوني، عصر التهجير البطولي بامتياز. فهي لا تزال تشكل خطراً على نقاوة هذا الشعب المختار الذي يعبد ذاته. كل ما كان الرئيس جاكسون وأحبابُه المستوطنون يعنيهم من فكرة الدولة ـ باستعمار أو دون استعمار ـ هو تطهير شرق الميسيسيبي من الكنعانيين الهنود باقتلاع هؤلاء الأشقياء الذين ما زالوا صامدين في بلادهم وترحيلهم بعيداً إلى بلاد إخوان لهم على الضفة الأخرى من النهر. أما الباقي فتتعهده سكاكينهم الطويلة لاحقاً حين تينع رؤوسهم ورؤوس إخوانهم هناك ويحين قطافها. بل إن وزارة الحرب نفسها كانت تعلم أن فكرة الدولة الهندية، «كنعان الهندية»، (كما عبر عن ذلك المفوض إدوين جيمس Edwin James لمَكّوي) «مشروع طوباوي. لأن زوال الهنود أمر حتمي، وكل ما نستطيع أن نفعله لهم هو أن نحفر لهم قبوراً»[٣٢].

مشروع طوباوي، ولكن يمكن تسويقه للمغفلين. فقد كانت خطط ترحيل هنود الجنوب صلاةَ الإدارة الجاكسونية وعبادتَها. فوزير الحرب الذي يصف «الدولة الهندية» بأنها مشروع طوباوي هو الذي أوفد المفوض جون مايسون James Mason ليقول لشعب الشيروكي:

> هناك [في وطنكم] يا شعب الشيروكي سيكون الوطن لكم، ولكم وحدكم. وهناك يا شعب الشيروكي ستكون لكم مؤسساتكم الخاصة، وستنعمون بالأمان والرفاه، وسيكون **لكم الحق في إرسال ممثلين عنكم إلى مجلس الممثلين [في الكونغرس]، وبذلك ستصبحون عضواً في الاتحاد** [الولايات المتحدة] مع كامل الحقوق... الخ[٣٣].

شعوب هندية كثيرة أعيد ترحيلها أكثر من مرة بنفس المبررات العاطفية والإنسانية وغواية «الوطن الخالد إلى الأبد»[٣٤]. لقد سيقوا كالقطعان من «وطن خالد إلى الأبد» إلى «وطن خالد إلى الأبد» إلى أن ألقي بهم في المنطقة التي تشكل الآن

حدود ولاية أوكلاهوما، وقيل لهم: «هذا وطنكم الخالد». وعندما توالى زحف المستوطنين من أبناء شعب الله إلى هذا الوطن الخالد، وأصبحت أوكلاهوما الولاية السادسة والأربعين ابتلعت هذا «الوطن الخالد» فقتلت أو طردت من فيه إلى الأبد[٣٥]. وللمزيد من السادية والإيلام فإن هذا الولاية ما زالت تحتفظ باسمها الهندي «أوكلا ـ هوما» الذي يعني «بلاد الهنود» (بلغة هنود شكتاو Choctaw)[٣٦].

□ □ □

لم يكد هنود الشرق يصحون من سكرة «الدولة» و«الوطن الخالد إلى الأبد» حتى وجدوا أنفسهم في «معسكرات اعتقال» concentration camps[٣٧] وموت بطيء تسمى «المعازل» reservations. فبعد لهاث قرنين وراء جزرة الدولة، نجدهم اليوم الأشد فقراً وجوعاً ومرضاً والأسوأ مسكناً وكساء وتعليماً بين كل الجماعات العرقية في الولايات المتحدة[٣٨]. فمنذ المرحلة الجاكسونية وغواية «الدولة الهندية» أعادت الولاياتُ المتحدة صياغةَ سياستها الهندية بما يستدرج من لم يمت بالسيف منهم رويداً رويداً إلى التخلي عن أوطانهم ليموتوا جوعاً وقهراً في هذه البؤر الاستعمارية المذررة والمتناثرة في طول هذه البلاد وعرضها. ثم إن الجشع إلى ثروات أراضي معازلهم الغنية أدى إلى مسخ هذه الأمم الهندية من أمم في حالة الأسر إلى قطعان من الماشية في حظائر مغلقة[٣٩]؛ ماشية تطعمهم لحمها وشحمها وتنفخ كروشهم.

في سياق الصياغة الجديدة لبنى ووظائف الحكومات الهندية بما يُرضي وحشية الجشع طُرحت أشكال من التنمية لهنود المعازل راعت هذا التناقض الفاحش بين كنوز أرضهم وخواء بطونهم، وأعدت كل الأخلاق والقوانين والوسائل اللازمة لسحق هؤلاء الذين ظلوا أكثر من مئتي سنة يلهثون وراء سراب «الدولة الهندية». أما لماذا، فجوابه في هذا الشكل الشاذ من «تنمية اللاتنمية» أو «تنمية الاهتراء والاضمحلال» التي رعتها السلطة الهندية العليا المعروفة باسم مكتب الشؤون

الهندية Bureau of Indian Affairs؛ سلطة كانت وما زالت من أفتك أسلحة الغزاة في خلق هذه المعازل وتحويلها إلى ما يشبه مزارع المواشي، وكانت وما زالت المسؤول المباشر عن نهب ثروات هذه المعازل وشقاء أهلها وتعزيز استعمارها[٤٠].

أما الولايات المتحدة [دولة الاحتلال] فإنها ما زالت، حتى هذه اللحظة، تتخفى وراء هذه «السلطة» التي تسعفها بكل ما يلزمها لنهب ما بقي من أرض الهنود، والقضاء بذلك على البقية الباقية من أكثر من خمسمئة أمة وشعب كانوا يعيشون في حدود ما صار يسمى الولايات المتحدة قبل وصول الآلهة[٤١]. وهذا ما زاد من شقاء الهنود وفقرهم وعزز من استعمارهم وحَصَرَ قوتهم ولقمة عيشهم بما يتصدق عليهم به غزاة بلادهم ولصوص ثرواتهم.

□ □ □

فاجعة هؤلاء الكنعانيين بدولتهم الموعودة تكمن أولاً وأخيراً في حسن ظنهم، بل في توهمهم بأن شعب الله يفهم لغة غير لغة القوة، وفي أنه سيردّ لهم ما سلبه منهم طائعاً طيّب النفس دون قتال أو مقاومة. وفاجعتهم الأقسى كانت في جهلهم بأن فكرة أميركا المنسوخة من فكرة إسرائيل الأسطورية تتناقض جذرياً مع وجود كيان غير كيانهم في أرض كنعان، وتتعارض فطرياً مع وجود بشر غير شعب الله، أي إنها في تناقض جوهري ومقدس مع وجودهم نفسه. لهذا كانت إبادة هؤلاء الكنعانيين الحمر مقصودة لذاتها ـ إبادة وجودية من الأرض والعقل والذاكرة الإنسانية، إبادة بمعنى العبادة، فأرض ما يسمى الولايات المتحدة ما زالت بعد أربعة قرون من غزوها واستيطانها شبه خاوية وتتسع لأكثر من مليار إنسان إضافي. يكفي أن نذكر أن مساحة ثلاث من الولايات الخمسين (داكوتا الجنوبية ووايومنغ ومونتانا) أكبر من مساحة أربع دول أوروبية (فرنسا وهولاندا وبلجيكا والنمسا) مجتمعة. ومع ذلك فإن عدد السكان في هذه الولايات الأميركية الثلاث مجتمعة

أقل من عدد الفلسطينيين في الضفة الغربية[٤٢]. ترى ماذا لو ضاقت الأرض على شعب الله؟ هل لنا أن نتخيل أي دولة كان سيتركها للهنود الحمر لو أن مساحة أميركا كانت مثل مساحة فلسطين؟

□ □ □

انطلقت رحلة هذا الكتاب خريف عام ٢٠٠٥ حين نشرتُ دراسة في مجلة «الكرمل» أشرتُ في أحد مراجعها (حاشية ٤٦) إلى أن روبرت ووكر Robert Walker حاكم كنساس لا يمانع في أن ينشئ الهنودُ لأنفسهم دولة. وقد كان هذا مفاجئاً لي، ومثيراً لألف سؤال وسؤال عما إذا كان ذلك زلة لسان أو أنها كانت سياسة لم تلق عناية الدارسين. فإذا كان «الإذن الكريم» بإنشائها حاصلاً، فلماذا لم تنشأ؟ وإذا نشأت فمتى وكيف وما هو مصيرها، ولماذا انتهى الهنود إلى ما انتهوا إليه؟

ومن يومها صار موضوع «الدولة للهنود الحمر» تحدياً يفتك بصبري وبصري، إذ لم أعثر حتى الساعة في أي لغة أعرفها على مرجع أولي يُعتمد عليه، ما يجعل عملي هذا، بكل تواضع، أول مرجع يحيط بنكبة هذه الدولة ويتقصى تفاصيلها. لهذا كان عليّ العودة إلى المعاهدات، ووثائق الكونغرس، ومحفوظات مكتب الشؤون الهندية، والأرشيف الوطني، ومكتبات بعض الجامعات العريقة، وأوراق واشنطن وجنرالات حربه ورسائله ورسائلهم، وسجلات شركة ڤرجينيا الاستعمارية، وسجلات مفوضي الشؤون الهندية والمنظمات التاريخية المختلفة، وبطون الكتب القديمة وغيرها لالتقاط جملة من هنا وجملة من هناك من بين أكوام هائلة من الورق.

وليس سراً أن البحث عن الجملة المفيدة في جبل من أوراق عشرة أجيال من البشر يحتاج إلى مساعدة عدد من ذوي الكفاءة كبعض الأصدقاء الذين أعانوني على فك مغاليق كتابتها القديمة والسقيمة. وهنا أخص بالذكر الزميلين الدكتورة

مارغريت باربر Margaret Barber وباتريك باون Patrick Bowen. كذلك أحب أن أتقدم بالشكر والعرفان للباحث والناشط الهندي غريغوري شاف Gregory Schaaf الذي أرشدني إلى مواقع كثير من الوثائق المفيدة، وخاصة ما يتعلق منها بعلاقة جورج واشنطن بمعاهدة فورت پيت، وللصديق الهندي مايكل هولي إيغل Michael Holley Eagle الذي أفدت كثيراً من حماسته للكتاب ومراجعته بعض المعلومات الخاصة بالشعوب الهندية، وللباحث الصديق زياد منى الذي راجع فصل «فتح كنعان» وأغناني بكثير من النصائح والإرشادات القيمة. كذلك أتقدم بجزيل الشكر للسيدة جين فتزجرالد Jane Fitzgerald قَيّمة الأرشيف الوطني National Archive التي منحتني من وقتها وخبرتها ما سيرى القارئ فضله أثناء قراءة الكتاب. ولا أنسى الاعتراف للقيّمين على المنظمات التاريخية والجمعيات الفلسفية، ومكتبات الجامعات التي زودتني بما أحتاج إليه من كنوزها مباشرة أو عبر البريد الإلكتروني. وأخص بالذكر منها الجمعية التاريخية في أوكلاهوما بأوكلاهوما سيتي Oklahoma City، ومكتبة جامعة أوكلاهوما (في نورمن Norman)، والجمعية التاريخية الرسمية لولاية كنساس (توپكا Topeka)، ومركز السجلات الاتحادية في Fort Worth بتكساس.

منير العكش
واشنطن ١٥/ ١١/ ٢٠١٤

ملاحظات سريعة:

أولاً: حاولت في هذه المقدمة أن التقط صورة خاطفة لسراب الدولة الذي انتهى بالهنود إلى ما انتهوا إليه، وكان واحداً من أدهى أسلحة إبادتهم. أما لماذا فعلوا ذلك بهم وكيف، فجوابه في صفحات هذا الكتاب.

ثانياً: في الحواشي شواهد وشروحات وأدلة ونقد وتعليقات كثيرة ومستفيضة، فضلت أن أعزلها عن نص الكتاب لتبسيطه وتيسير قراءته. وهي بمجملها كتاب رديف، وربما كانت أغنى للباحث والقارئ المتعمق.

ثالثاً: عنوان الكتاب مستمد من الاسم الوحيد المطروح للدولة الهندية في عهد الرؤساء مونرو، آدامس، وجاكسون وهو «Indian Canaan [دولة أو ولاية] كنعان الهندية» الاسم التاريخي الشائع لفلسطين.

رابعاً: لكي تتضح حقيقة «الهنود الحمر» الذين انتهوا إلى ما انتهوا إليه من تشويه جسدي وثقافي وتاريخي وأخلاقي، وحتى يتبين القارئ هول الفاجعة التي أنزلها بهم الغزاة وبطلان كل افتراءاتهم فإنني كتبت عنهم فصلاً حاولت فيه نفض الغبار عن حقيقتهم بعنوان «أولاد الأرض العذراء». وقد كان من المفترض أن يكون هذا الفصلَ الأول من الكتاب، لكنني بعد مراجعتي الأخيرة فضلت أن أنقله إلى آخر الكتاب وأجعله ملحقاً حتى لا أصرف القارئ عن صلب الموضوع.

خامساً: إن هذا العمل هو متابعة واستمرار لأعمال سبقته، فهي بمجملها عمل متكامل. وبالتالي هناك بعض الأفكار والاصطلاحات قد يلتبس فهم سياقها في هذا الكتاب دون قراءة تلك الأعمال مع اعتذاري وحرصي على توضيح ما ينبغي توضيحه وتفادي ما يجب تفاديه.

سادساً: أحب التنبيه إلى أن وصف الهنود بالقبائل افتراء خبيث وحديث نسبياً، وأن وصف الشعوب والأمم ـ كما أعتمده ـ هو الأصح. هذا ما يعترف به دستور الولايات المتحدة وقوانين الاتحاد (المادة التاسعة من الاتحاد والمادة الأولى والسادسة من الدستور الأميركي)، وتوثقه كل المعاهدات المعقودة بين الولايات المتحدة وبين هذه الشعوب والأمم، وتؤكده اتفاقيات الولايات المتحدة مع الدول الأوروبية كاتفاقية شراء لويزيانا، وتكشف عنه القضايا المرفوعة لدى المحاكم الأميركية من قبل هذه الشعوب، فضلاً عن اعتراف العروش الأوروبية وغير ذلك من كتب المؤلفين القدامى.

الهوامش

(١) Hermann Wellenreuther, «White Eyes and the Delawares' Vision of an Indian State,» *Pennsylvania History*, Vol. 68, No. 2 (Spring 2001), pp. 141, 142, 143; Charles J. Kappler, *Indian Affairs: Laws And Treaties*, Vol. II, Treaties. Treaty with The Delawares, Sept. 24, 1829. | 7 Stat., 327. | Proclamation, Mar. 24, 1831. (Washington: Government Printing Office, 1904.), pp.304-305.

(٢) Gregory Schaaf, «From the Great Law of Peace to the Constitution of the United States: A Revision of America's Democratic Roots,» *American Indian Law Review*, Vol. 14, No. 2 (1988/1989), p. 236

(٣) Reuben Gold Thwaites and Louise Phelps Kellogg, *Frontier Defense On The Upper Ohio, 1777-1778* (Madison: Wisconsin Historical Society, 1912) pp. 136-138.

(٤) Louise Phelps Kellogg, (ed.), *Frontier Advance on the Upper Ohio, 1778-1779* (Madison, Wisconsin., 1916), p. 217; Randolph C. Downes, «George Morgan, Indian Agent Extraordinary, 1776-1779,» *Pennsylvania History*, Vol. 1, No. 4 (October, 1934), pp. 202-216.

لا يزال في سجلات كونغرس المستعمرات Continental Congress بين مجموعة أوراق منوعة miscellaneous بمكتبة الكونغرس وثيقة تروي تفاصيل مفاوضات هذه المعاهدة على مدى خمسة أيام (١٢ ـ ١٧) سبتمبر/ أيلول ١٧٨٨. انظر النص الكامل في:

David I. Bushnell, Jr. «The Virginia Frontier in History: 1778,» *The Virginia Magazine of History and Biography*, Vol. 24, No. 2 (Apr., 1916), pp. 168-179.

(٥) Louise Phelps Kellogg, (ed.), *Frontier Advance on the Upper Ohio*, op, cit., p. 203.

(٦) Ibid.

(٧) George Morgan to Members of Congress, May 12, 1784, *Letters of George Morgan* (Library of Congress).

(٨) Ibid., and David I. Bushnell, Jr. «The Virginia Frontier in History: 1778, *The Virginia Magazine of History and Biography*, Vol. 24, No. 1 (Jan., 1916),pp. 44-55; Randolph C. Downes, «George Morgan, Indian Agent,» op cit. pp. 202-216.

(٩) Hermann Wellenreuther, «White Eyes and the Delawares' Vision of an Indian State,» op. cit, pp. 140-141, 154;

هنا يذكر الكاتب أن الزعيم وايت آيز كان يدعو إلى الاقتلاع الكامل من الحياة الهندية وتقاليدها وثقافتها ودينها والدخول في دين الرجل الأبيض (المذهب المورافي Moravian) برغم معارضة شعبه وبقية الزعماء، حتى إن بعضهم هاجر وبنى قرى بعيدة لنفسه حين وصل المبشرون المورافيون بدعوة من وايت آيز.

Ibid., p. 156.

(١٠) Louise Phelps Kellogg, (ed.), *Frontier Advance on the Upper Ohio*, op.cit. p.215.

(١١) Carlos B. Embry, *America's Concentration Camps: The Facts About Our Indian Reservations* (David McKay Co. 1956). p.7-8

(١٢) Charles J. Kappler, *Indian Affairs: Laws And Treaties*, Vol. II, Treaties. Treaty with The Delawares, Sept. 24, 1829. | 7 Stat., 327. | Proclamation, Mar. 24, 1831. (Washington: Government Printing Office, 1904.), pp.304-305.

(١٣) Forbes Parkhill, *The Last of the Indian Wars* (Collier Books; (1961), p. 32.; Robert A.Trennert Jr. *Alternative to Extinction: Federal Indian Policy and the Beginnings of the Reservation System, 1846-51*, (Temple Univ Press, 1975).

(١٤) Ibid., Treaty With The Cherokee, 1785. Nov. 28, 1785. | 7 Stat., 18. Vol.2, PP.8-11.

(١٥) Paul Leicester Ford, *The works of Thomas Jefferson, Correspondence 1793-1798*, (New York, G.P. Putnam's Sons, 1904-05) Vol. viii, pp. 241-249.

(١٦) Ronald N. Satz, *American Indian Policy in the Jacksonian Era*, (Lincoln, University of Nebraska Press [1974, ©1975), pp. 4-5.

(١٧) James D. Richardson, *A Compilation of the Messages and Papers of the Presidents, 1789-1897: By James D. Richardson* (V.10) (New York: Bureau of National Literature, ©1897), pp.234-237.

(١٨) Joseph Gales, William Winston Seaton, *Register of Debates in Congress*, Vol. 1. (Washington, Gates and Seaton, 1825) Appendix. pp. 57-59.

(١٩) Andrew Jackson, John F. Brown, William White, *Messages of Gen. Andrew Jackson: with a short sketch of his life*, (Concord, N.H., J.F. Brown and W. White, 1837), See «Seventh Annual Message, December 2, 1835,» pp. 311-354.

(٢٠) *Statutes at Large of the United States of America*, (Boston, Charles C. Little and James Brown, 1846), III, 516-517.

(٢١) Isaac McCoy, *Remarks on the Practicability of Indian Reform: Embracing their Colonization*, (Boston: Printed by Lincoln & Edmands, 1827), pp. 32-36; George A. Schultz, *An Indian Canaan, Isaac McCoy and the Vision of an Indian State*, op. cit. p. 100.

(٢٢) Ibid.

(٢٣) Lela Barnes, (editor), «Journal of Isaac McCoy, 1828,» *Kansas Historical Quarterly*, (August 1936),Vol. 5, no. 3, pages 227 to 277.

(٢٤) McCoy to [Johnston] Lykins, Nov. 18, 1828, *McCoy Correspondence*; McCoy, *History of Baptist Indian Missions: Embracing Remarks on the Former and Present Condition of the Aboriginal Tribes and Their Settlement Within the Indian Territory,*

and TheirFuture Prospects, (Washington: Wm. M. Morrison, 1840), pp. 345-358.

(٢٥) George A. Schultz, *An Indian Canaan, Isaac McCoy and the Vision of an Indian State*, (University of Oklahoma Press, © 1972), p. 135.

(٢٦) Ibid., p. 159.

(٢٧) Letters of the Indian Missions, pp. 236-237, cited in George A. Schultz, *An Indian Canaan*, pp. op. cit., 152-153, 161.

(٢٨) George A. Schultz, *An Indian Canaan, Isaac McCoy and the Vision of an Indian State*, (University of Oklahoma Press, © 1972).

(٢٩) Isaac McCoy, *Remarks on the Practicability of Indian Reform: Embracing their Colonization*, (Boston: Printed by Lincoln & Edmands, 1827), pp. 17, 40-42.

(٣٠) Ibid, chapter 4, «The only feasible plan for reforming the Indians, is that of colonizing them.» pp. 25-32.

ليس هناك مَن كشف الحقيقة الاستعمارية لمشروع دولة كنعان الهندية أفضل من المؤرخ إيموري ليونس Emory Lyons في كتابه عن مَكّوي وخطته لاستعمار الهنود، وذلك في كتاب خاص انظر:

Emory J. Lyons, Isaac McCoy: *His Plan and Work for Indian Colonization. History Series No. 1. Fort Hays Kansas State College Studies*, (Topeka, Kansas State Printing Plant, 1945), p. 25.

(٣١) Isaac McCoy, *Remarks on the Practicability of Indian Reform: Embracing their Colonization*, op. cit. pp. 20-24.

(٣٢) George A, Schultz, *An Indian Canaan*, op. cit., 184.

(٣٣) Executive Documents, 25th Congress, 2d Session, Vol. v. No. 82, p.5; No.99, pp. 33-35.

(٣٤) من هذه الشعوب هنود الشاوني Shawnee وبوتاواتومي Patawatomi وليني لونايه Lenni Lenape ووياندوت Wyandot وبيوريا Peoria، وساك وفوكس Sac and Fox، وكيكابو Kickapoo.

(٣٥) John W. Morris and Edwin C. McReynolds, *Historical Atlas of Oklahoma* (University of Oklahoma Press, 1966), see map 76.

(٣٦) Muriel H. Wright, *Chronicles of Oklahoma, Contributions of the Indian people to Oklahoma*, (Digital Library, Oklahoma State), Volume 14, No. 2. June, 1936. Page 156.

(٣٧) Carlos B. Embry, *America's Concentration Camps: The Facts About Our Indian Reservations, op. cit.*

(٣٨) Ibid., op. cit., p. ix.

(٣٩) D'Arcy McNickle et al, *Captives within a free society, federal policy and the American Indian* (historical review prepared for the American Indian Policy Review Commission) by D'Arcy McNickle et al. (Washington D. C., United States Government Printing Office, 1977), pp. 47-82.

(٤٠) Gary Anders, «The Internal Colonization of Cherokee Native Americans,» *Development and Change* 10 (1979), pp. 41-55 and «Theories of Underdevelopment and the American Indian,» *Journal of Economic Issues* 40 (1980), pp. 681-701.
وهي تعني ارتهان قرار هذه السلطة لمستعمري أرضها بعد تدمير كل مقاومتهم وإخضاعهم ثم استدراجهم من فخ إلى آخر إلى أن أوقعت من بقي على قيد الحياة منهم في هذه المعازل.

(٤١) Alvin M. Josephy Jr., *500 Nations: An Illustrated History of North American Indians,* (Knopf; 1994).

(٤٢) مساحة الولايات الثلاث (ساوث داكوتا، وايومنغ، مونتانا) هي ٨٣٣٨٩٥ كلم٢. وعدد سكانها هذا العام مليونان و٣٦٧٢٢١ نسمة. أما مساحة الدول الأوروبية الأربع (فرنسا وهولندا وبلجيكا والنمسا) فهي ٧٩٦٥٨٠ كلم٢، بينما يبلغ عدد سكانها أكثر من مئة مليون نسمة. لهذا كانت إبادة الكنعانيين الهنود مقصودة لذاتها. وهنا لابد من التنبيه إلى أن هذا الإلحاح على «يهودية دولة إسرائيل» كما يردده غزاة فلسطين اليوم ليس إلا استحضاراً حديثا وقديماً، عبرانياً وأميركياً، لتناقض فكرة إسرائيل المبدئي والجوهري والمقدس مع أي شكل من أشكال (الدولة) الفلسطينية بل مع الوجود الفلسطيني نفسه. ومن يدّعي أنه سيشتار العسل من ناب هذه الأفعى، بجهل كان أو بخبث، إنما يهيئ لنهاية فلسطينية لا تختلف عن نهاية الهنود الحمر.

ميتافيزيقا «داء الكلب»

The Metaphysics of Rabies

(في الدين والفلسفة)

NEW ENGLISH CANAAN

OR

NEW CANAAN.

Containing an Abſtract of New England,

Compoſed in three Bookes.

The firſt Booke ſetting forth the originall of the Natives, their Manners and Cuſtomes, together with their tractable Nature and Love towards the Engliſh.

The ſecond Booke ſetting forth the naturall Indowments of the Country, and what ſtaple Commodities it yealdeth.

The third Booke ſetting forth, what people are planted there, their proſperity, what remarkable accidents have happened ſince the firſt planting of it, together with their Tenents and practiſe of their Church.

Written by Thomas Morton of Cliffords Inne gent, *upon tenne yeares knowledge and experiment of the Country.*

Printed at AMSTERDAM,

By JACOB FREDERICK STAM.

In the Yeare 1637.

غلاف كتاب «كنعان الإنكليزية الجديدة أو كنعان الجديدة» (١٦٣٧) كما سمى المستعمرون الإنكليز الأوائل أميركا

مكتبة جون آدامس John Adams الخاصة (بوسطن، المكتبة العامة)

١

الميكياڤيللية الدينية وتقديس الجريمة

لتكن إسرائيل المرآة التي نرى فيها وجوهنا

ـ صاموئيل فيشر Samuel Fisher

كل هذه الأميركا خلقت من نطفة سرطانية قوامها مئة وخمسة مستوطنين وتسعة وثلاثون بَحَّاراً (انظر أسماءهم في الحاشية ١)، وهي اليوم أكبر إمبراطورية استيطانية في التاريخ الإنساني، مستوطنة هائلة تضم ثلاثمئة مليون مستوطن.

هذه النطفة السرطانية الأولى التي تعرف بمستعمرة جيمستاون Jamestown كانت عند إنشائها أصغرَ من باحة مدرسة للأطفال، وهي اليوم، بعد أن تفشت في جسد القارة، تبسط وَرَمها على عشرة مليارات كيلومتر مربع، كلها كانت بلاد قوم آخرين قبل أن تسمى الولايات المتحدة الأميركية.

مع تجذر هذه النطفة السرطانية في رحم العالم الجديد اكتمل جنين المرحلة العبرية للاستيطان الإنكليزي (بدايةً من خليج مساتشوستس عام ١٦٢٠)، ودبت الحمية في أنبياء «شركة ڤرجينيا Virginia Company الاستعمارية فراحوا يؤدلجون «فكرة أميركا»، مستعينين بما كتبه العبرانيون القدامى عن كنعان والكنعانيين، ويحضون شعب الله الإنكليزي على «الخروج» إلى أرض الميعاد، أرض كنعان الجديدة.

من أبرز هؤلاء «الأنبياء بالمزاد» واعظ إنكليزي يدعى روبرت غراي Robert Gray استأجرته «شركة ڤرجينيا» الاستعمارية Virginia Company لفترة وجيزة (١٦٠٩)، وجعلت من مواعظه أسفاراً مقدسة تحاكي أسفار العهد القديم. ثم لم يلبث أن اختفى في زحام هذه الميكياڤيللية الدينية، ولم يعد له ذكر. سِفرُ روبرت غراي الخالد «لِنجاح ڤرجينيا وازدهارها» *A Good Speed to Virginia*، استهلّه بفقرة من سفر يشوع (١٧ : ١٤) تُذكّر المؤمنين بأن يهوه هو الذي فوّض إلى شعبه المختار [القديم] وأعانه على أن يستولي على بلاد الكنعانيين ويطردهم من ديارهم. وفيه ألحَّ على أن الإنكليز شعب الله الجديد هم أيضاً كالإسرائيليين في العهد القديم، جعلهم أمة عظيمة يحتاج اقتصادها إلى مزيد من الأرض. ولهذا وهبها ڤرجينيا كما وهب كنعان [الفلسطينية] للإسرائيليين، وجعل العالم الجديد كله «كنعان إنكليزية»[٢].

ومن قبل أن يولد عرّاب «ثروة الأمم» بقرن كامل، كان داء الجشع يفتك بقدس أقداس الجزيرة البريطانية: أسفار العهد القديم بخاصة، وأساطير العبرانيين التي يرضعها الإنكليز مع الحليب بعامة. وكانت «شركة فرجينيا» التي تجسد أنموذجاً فظاً للميكياڤيللية الدينية لا تتورع عن توظيف يهوه وتوراته وأساطيره المقدسة لنفخ الكروش في لندن وتعميق مغارة التاج، بل وطبخ هذا الإله العجيب ـ عند الحاجة ـ في «شوربة الدجاج»[٣]!

على أرض الواقع، لم تعرف هذه المستعمرة الدائمة الأولى (جيمستاون) تنظيمات دينية مؤمنة فعلاً كما حصل بعد ذلك في ميريلاند أو خليج مساتشوستس، ولم تتطلع إلى يوتوبيا كما هو الحال في پنسلفانيا، بل ولم يكن لدى مستوطنيها مجرد الرغبة الباهتة في صنع الخير كما حصل في جورجيا. كانت مستعمرة جيمستاون صورة عن الشركة التي أسستها عملاً تجارياً [مركنتلياً] خالصاً، وكانت جعجعة هؤلاء الوعاظ مجرد «تجارة ربانية»[٤]. فكل أفكارهم وحججهم في هذه المرحلة كانت استثماراً مبتذلاً للكتاب المقدس تمحورت حول «خروج» الإسرائيليين إلى

بلاد كنعان وحول تأكيد يهوه لبني إسرائيل أنهم سوف يطردون الكنعانيين من بلادهم، وأن يهوه نفسه هو «الذي أعطى الإنكليز أرضهم الموعودة في العالم الجديد». لهذا صار حال الهنود كحال أعداء بني إسرائيل، ويجب أن يلقوا مصير أعداء بني إسرائيل، فالإنكليز هم الآن شعب الله(٥).

أما مستوطنو جيمستاون فقد رموا بتقاهم الوظائفي في مياه المحيط ونسوه بمجرد أن رست سفنهم على شواطئ الهنود في العالم الجديد. لم يعد يهوه ووصاياه وكتابه المقدس يعنيان لقديسيهم ورعاعِهم وفقاعاتهم النبوية إلا بقدر ما يبرران لهم جشعهم ودمويتهم وزحفهم في الأرض ويصنعان من كل واحد منهم جلاداً مقدساً.

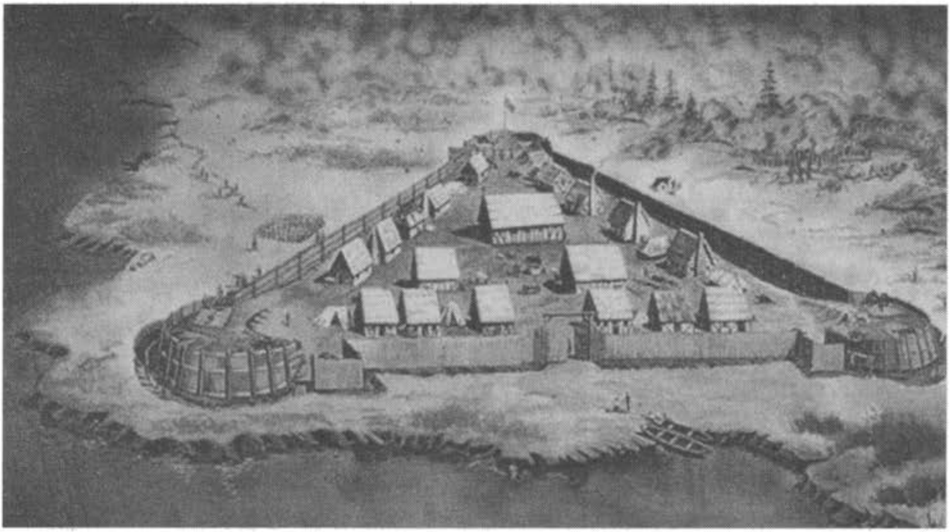
هذا الاغتصاب الإنكليزي لكل ما تبرع به يهوه لبني إسرائيل قصة قديمة نُسجت أساطيرها منذ القرن الأول لدخولهم في المسيحية(٦)، لكن غزو العالم الجديد ونجاحهم النسبي في زراعة خليتهم الاستيطانية الأولى في جيمستاون زاد من سعار هذه الحمى، وأدى بوعاظ الشركة إلى الزعم أن احتلال ڤرجينيا هو امتثال لأمر الله وتفويض منه. ثم إنهم عززوا هذا التفويض الإلهي بمبدأ «الأرض الخواء» vacuum domicilium الذي يعطي الحق لشعب الله المتحضر بأن يسطو على أراضي المتوحشين ويتحكم بحرياتهم وأرزاقهم ومفاتيح حياتهم وموتهم. وفيما كان قديسو «الميكياڤللية الدينية» يزعمون أن الهنود من أصل كنعاني ويضعون كل المغامرة الاستعمارية في إطار القصص التوراتية، لم يتردد روبرت جونسون Robert Johnson أحد أبرز دجالي «شركة ڤرجينيا» (١٦٠٩) في إرجاع نسبهم إلى أهل بابل الملعونة(٧) وفي إصدار فتوى بهدر دم «هذه البهائم السائبة» واستعمار بلادهم:

> فما دام الهنود متوحشين لا يؤمنون بالمسيح ولا يعرفون المدنية فإن عليهم أن يقبلوا باستعمار الإنكليز لأراضيهم، ويسمحوا لهم بأن يروضوهم ويمدنوهم، أما الذين ينكرون منهم على الإنكليز هذا



موقع المستعمرة الإنكليزية الدائمة الأولى «جيمستاون Jamestown»
كما يبدو من الفضاء تحت الحرف A

الحق فإنهم إنما يتبعون خطوات الشيطان ولا جدال في أن للإنكليز الحق في أن يغزوا هؤلاء البهائم السائبة ويضعوا السيوف في رقابهم(٨) .



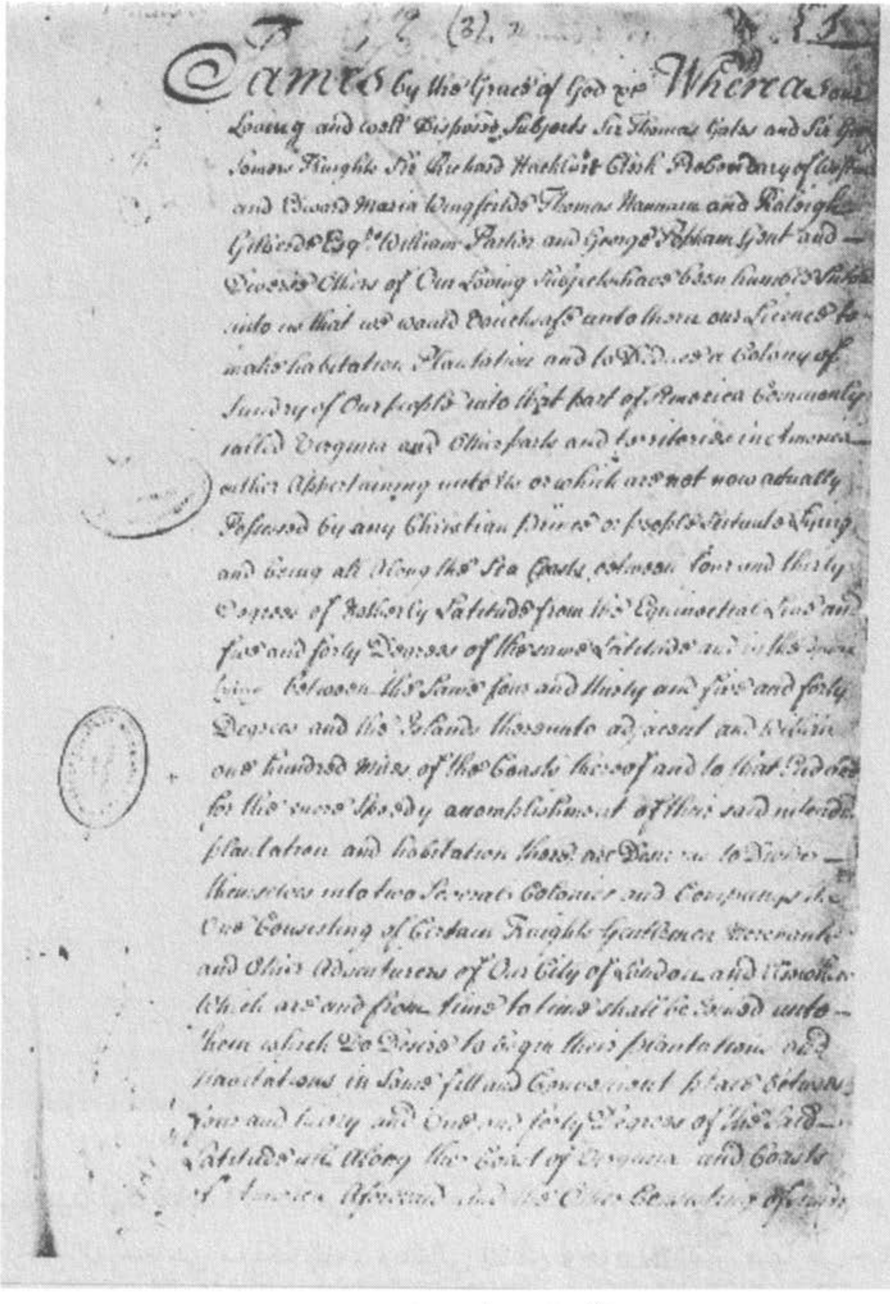
ورسم تصويري للمستعمرة (عن دائرة المعارف البريطانية)

ولكي يضعوا السيوف في رقاب هذه «البهائم السائبة»، وينامو قريري العين، مرتاحي الضمير، طامعين برضا الله وثوابه، فقد ألحّ قديسو «التجارة الإلهية» على أن يهتديَ [المستوطنون] الإنكليز بهدى الإسرائيليين الذين أنزلوا لعنة الله وغضبه على الكنعانيين...

«إن على مستعمري ڤرجينيا أن يصدعوا لأمر الله ويبيدوا هؤلاء الوثنيين[٩]. فالله هو الذي أنزل لعنته على الهنود وهو الذي أمر بقتلهم وتصفيتهم كما فعل بنو إسرائيل في بلعام»[١٠]، و «كما فعل داود بالكنعانيين»[١١].

حتى جون لوك John Locke في رسالته عن «التسامح!» برر هذه الإبادة بدعوى أن أرض الميعاد هي مملكة الله، وبالتالي إن أي وجود للوثنيين فيها هو خيانة عظمىٰ an act of high treason[١٢].

نالت هذه الإبادة الوحشية قدسيتها من وصية يزعم العبرانيون بدو الصحراء أن


James by the Grace of God &c Whereas Our
Loving and well Disposed Subjects Sir Thomas Gates and Sir Geo
Somers Knights Sir Richard Hackluit Clerk Prebendary of Westm
and Edward Maria Wingfield Thomas Hanham and Raleigh
Gilbert Esq. William Parker and George Popham Gent and
Divers Others of Our Loving Subjects have been humble Suitors
unto us that we would Vouchsafe unto them our Licence to
make habitation Plantation and to Deduce a Colony of
Sundry of Our People into that part of America Commonly
called Virginia and Other parts and territories in America
either Appertaining unto Us or which are not now actually
Possessed by any Christian Prince or People Situate Lying
and being all Along the Sea Coasts between four and thirty
Degrees of Northerly Latitude from the Equinoctial Line and
five and forty Degrees of the same Latitude and in the main
Land between the same four and thirty and five and forty
Degrees and the Islands thereunto adjacent and within
one hundred Miles of the Coasts thereof and to that End
for the more Speedy accomplishment of their said intended
Plantation and habitation there are Desirous to Divide
themselves into two Several Colonies and Companys the
One Consisting of Certain Knights Gentlemen Merchants
and Other Adventurers of Our City of London and Elsewhere
Which are and from time to time shall be Joined unto
them which Do Desire to begin their Plantations and
habitations in Some fitt and Convenient place between
four and thirty and One and forty Degrees of the said
Latitude all Along the Coast of Virginia and Coasts
of America Aforesaid And the Other Consisting of

ترخيص الملك جيمس الأول لشركة ڤرجينيا اللندنية بإنشاء مستعمرة جيمستاون ١٦٠٦
(مكتبة الكونغرس قسم الوثائق Manuscript Division, Library of Congress).
انظر أسماء مستوطني هذه المستعمرة الأولى في الحاشية رقم ١.

ربهم الدموي الحاقد على كل حضارات ذلك الزمان وضعها على لسان موسى، وأمرهم فيها بإبادة الكنعانيين، وجعلها وصية من وصاياه[١٣]. وهذا ما جعل من إبادة السكان الأصليين سُنّةً مقدسة مَجَّدَ الغزاةُ الأوروبيون بها ربهم كلما اشتهوا أن يكنعنوا شعباً من الشعوب. هكذا شبّه الفيلسوف الإنكليزي ماثيو تندال Mathew Tendal ما جرى للكنعانيين بما فعله الإسبان في العالم الجديد ووصف المذابح التي ارتكبها الإسرائيليون والإسبان معاً بالبربرية ومعاداة الإنسانية[١٤]، ثم قال:

> من المؤكد أن الإسبان ـ وهم يبيدون ملايين الهنود ـ كانوا يستمدون شرعية هذه الإبادة وأخلاقها مما فعله العبرانيون بالكنعانيين[١٥].

منذ كولومبس وهَوَسُه القيامي بتحرير «أورشليم»[١٦] كانت وحشية الإبادات الدموية في العالم الجديد تستمد شرعيتها وأخلاقها من سُنّة إبادة الكنعانيين كما يصورها العهد القديم. اللاهوتيون الإسبان نافسوا الإنكليز في الادعاء أنّ إسبانيا هي «إسرائيل الله الجديدة»، بل بلغ بهم التأسرل أن زعموا أن وصية البابا لملك إسبانيا بغزو العالم الجديد لا تختلف عن وصية موسى ليشوع بغزو كنعان وإبادة أهلها[١٧]. أما الطبيعيون الألمان، وفي مقدمتهم جوهَن إدلمن Johann Christian Edelmann فكانوا أكثر تجذراً في نقدهم للسابقة العبرية في الاستعمار والإبادة، بل إنهم طالبوا بتنقية المسيحية من لوثة هذه العناصر التوراتية التي لطخت العهد الجديد بالدم[١٨]. فكما وصف إدلمن العهد القديم بأنه أضغاث وأوهام، وصف موسى [العهد القديم] بأنه إنسان شيطاني، لأنه أمر بقتل النساء والأطفال وإبادة الأمم والشعوب[١٩].

ڤولتير، أحد ألمع التنويريين الفرنسيين، وضع إصبعه على الجرح القديم الجديد وأسس لفهم ما يعنيه الدين لبدو الصحراء الذين ينامون ويصحون على حلم نهب وتدمير حضارات الأمم المحيطة بهم حين ركز على البعد البدوي الهمجي لهذه

الوصية الدموية بإبادة الكنعانيين ووصفها بالجريمة المقدسة أو بالأضاحي. كذلك لم يتردد في وصف هؤلاء العبرانيين البدو بأنهم متوحشون جهلة، بل إنه أشار إلى أن هذه الوصية الدموية تعبير عما يختلج فعلاً في نفوس بدو الصحراء من حقد مزمن للحضارات التي تحيط بهم عبّروا عنه بالعنف المقدس:

> إن هذه الحروب الإبادية التي يمجدها العهد القديم هي حروب بدو متوحشين لا علم لهم ولا ثقافة ولا صناعة ولا تاريخ يعيشون على النهب والسلب rapine يشنونها دائماً على أمم متحضرة متعلمة تجارية وصناعية تعيش في بلادها منذ أقدم الأزمان[٢٠].

وهنا يسرد فولتير قصة من العالم الجديد في إشارة ذكية إلى وحشية الوصية بإبادة الكنعانيين وفي اتهام غير مباشر للبدو الإسرائيليين بأنهم لا يختلفون عن أكلة لحوم البشر، مستشهداً بموعظة من العالم الجديد يردد فيها الواعظ وصية موسى بالإبادة فيقول:

> أَبِدْ سكان أرض كنعان ولا تشفق عليهم... اقطع حناجرهم اذبحهم جميعاً رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً وبهائم، ليتمجد الرب بذلك.

ثم يتابع ڤولتير: «عندها يصرخ واحد من الحضور في وجه الكاهن: لكن هذه وصايا لأكلة لحوم البشر وليست وصايا لقوم مؤمنين»[٢١].

٢

«عهد الله» مع أميركا

نحن الأميركيون هم الشعب المختار بامتياز،
نحن إسرائيل هذا الزمان،
ونحن الذين نحمل تابوت العهد
ـ هرمان ميلڤيل **Herman Melville**

برغم أن جيمستاون هي أول مستعمرة إنكليزية دائمة في العالم الجديد، فإن التاريخ الرسمي للولايات المتحدة ينأى بنفسه عنها، ويراوغ في ذكرها، ويفضل أن يستهل أمجاد «الفتح» بهجرة ما يسمى الحجاج والقديسين من الپيوريتانس (المتطهرين) إلى مستعمرتي بليموث Plymouth وخليج مساتشوستس Massachusetts Bay (١٦٢٠ ـ ١٦٣٠). فمن لاهوت هؤلاء الپيوريتانس[٢٢]، وعلى متن السفن التي حملت مستوطني هاتين المستعمرتين، ولدت «فكرة أميركا» المستمدة من فكرة إسرائيل الأسطورية؛ فكرة احتلال أرض الغير، واستبدال شعب بشعب، واستبدال ثقافة بثقافة وتاريخ بتاريخ. هنا، وبهَديٍ من أساطير الإسرائيليين القدامى، بلور القديسون الپيوريتانس أيديولوجية «الوجود للموت»، أو «حقّ التضحية بالآخر»؛ أيديولوجية واضحة وثابتة ودائمة لجريمة طقسية مقدسة ritual crime اسمها الاستيطان:

- الاستيطان في الأرض.

- والاستيطان في العقل.
- والاستيطان في الذاكرة.

فوق ثبج المحيط، وقبل أن تصل سفنهم إلى «كنعان الإنكليزية» الجديدة لفّق مستوطنو هاتين المستعمرتين عهدين مع الله[٢٣] كتبهما قديسا الاستعمار البريطاني للعالم الجديد وليم برادفورد William Bradford وجون وينثروب John Winthrop؛ قديسان هما بالنسبة إلى الإمبراطورية الأميركية (أكبر وأقدم وأدمى مستعمرة استيطانية على وجه الأرض) أشبه بروموس وروملوس إنكليزيين يرضعان من أثداء ذئبة مقدسة هي فكرة إسرائيل الأسطورية.

في هذين العهدين، على ظهر السفينة ماي فلور عام Mayflower عام ١٦٢٠، ثم على ظهر السفينة أرابيللا Arabella عام ١٦٣٠،[وفي استعارة صريحة للمعنى الإسرائيلي لبريطانيا]،

- بلور المستوطنون الإنكليز البيوريتانس المعنى الإسرائيلي لأميركا،
- وصاغوا نظرتها لنفسها والعالم،
- وهندسوا لأنفسهم وللعالم مسيرة جديدة للتاريخ[٢٤].

وفي هذين العهدين مع الله أرسوا الحجر الأساس لفكرة أميركا؛ فكرة احتلال أرض الغير واستبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة وتاريخ بتاريخ،

ومن «فكرة أميركا» دبجوا كل الأخلاق اللازمة:

- لاستيطان الأرض.
- واستيطان العقل.
- واستيطان الذاكرة.

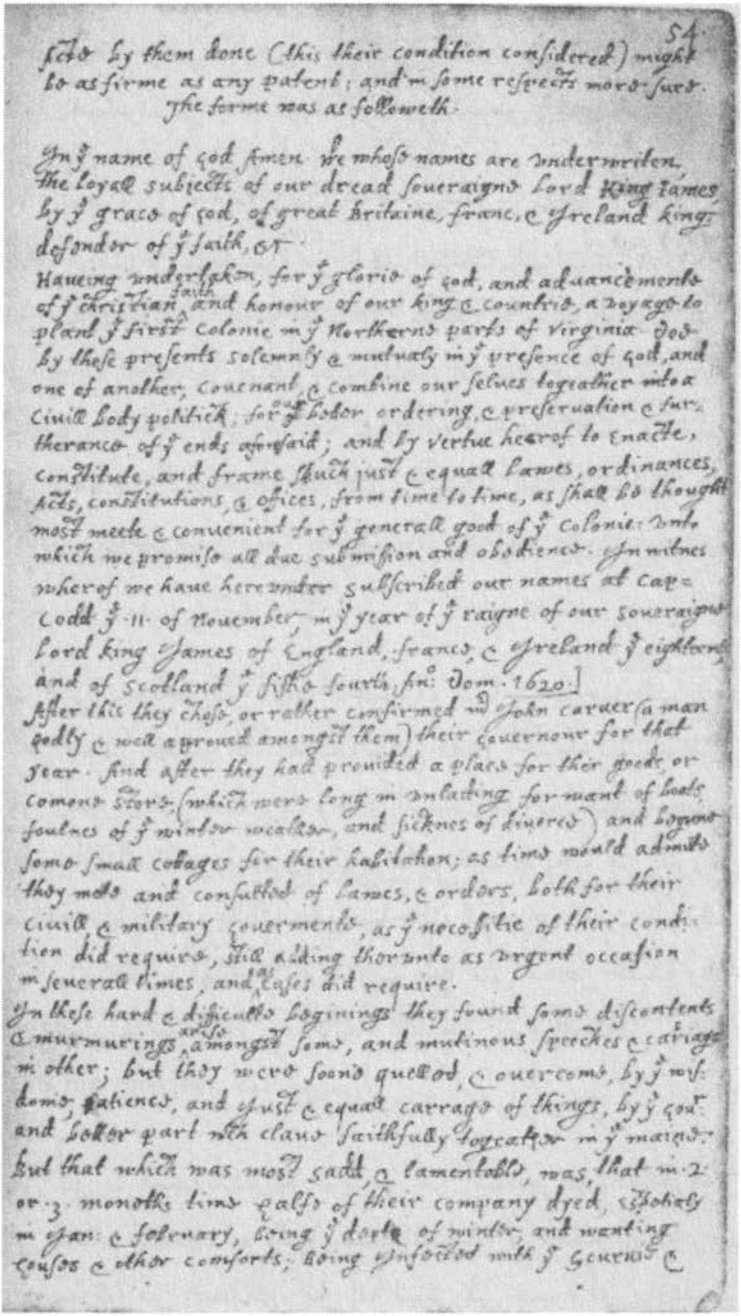
بذلك هيأوا لخلاياهم السرطانية الأولى على شواطئ الأطلسي كل ما يلزمها لأن

تفتك بجسد الأرض وأهل الأرض، وتقضي بذلك على أكثر من خمسمئة أمة وشعب كانوا يعيشون في هذه المنطقة التي تسمى اليوم الولايات المتحدة الأميركية[٢٥].

منذ أن بدأت حركتهم التنظيمية في عهد الملكة إليزابيث (١٥٥٨ ـ ١٦٠٣) وعودتهم من منافيهم إلى بريطانيا متسلحين بأخلاق العنف الدموي من «ترسانة» التجربة العبرانية مع الكنعانيين، ظن اليوريتانس أنفسهم جيشاً أرسله الله لمحاربة «الشر» وشياطين «الشر». وفي التعبئة لهذه الحرب على الشر والشياطين دعوا مؤمنيهم إلى السلاح والاستعداد والتراص، ذلك أن الله (رب الجنود) بجبروته يجدد إيمان الذين يختارهم، ويمنّ عليهم بأن يجعلهم جنوده في حربه الكونية على الشياطين[٢٦].

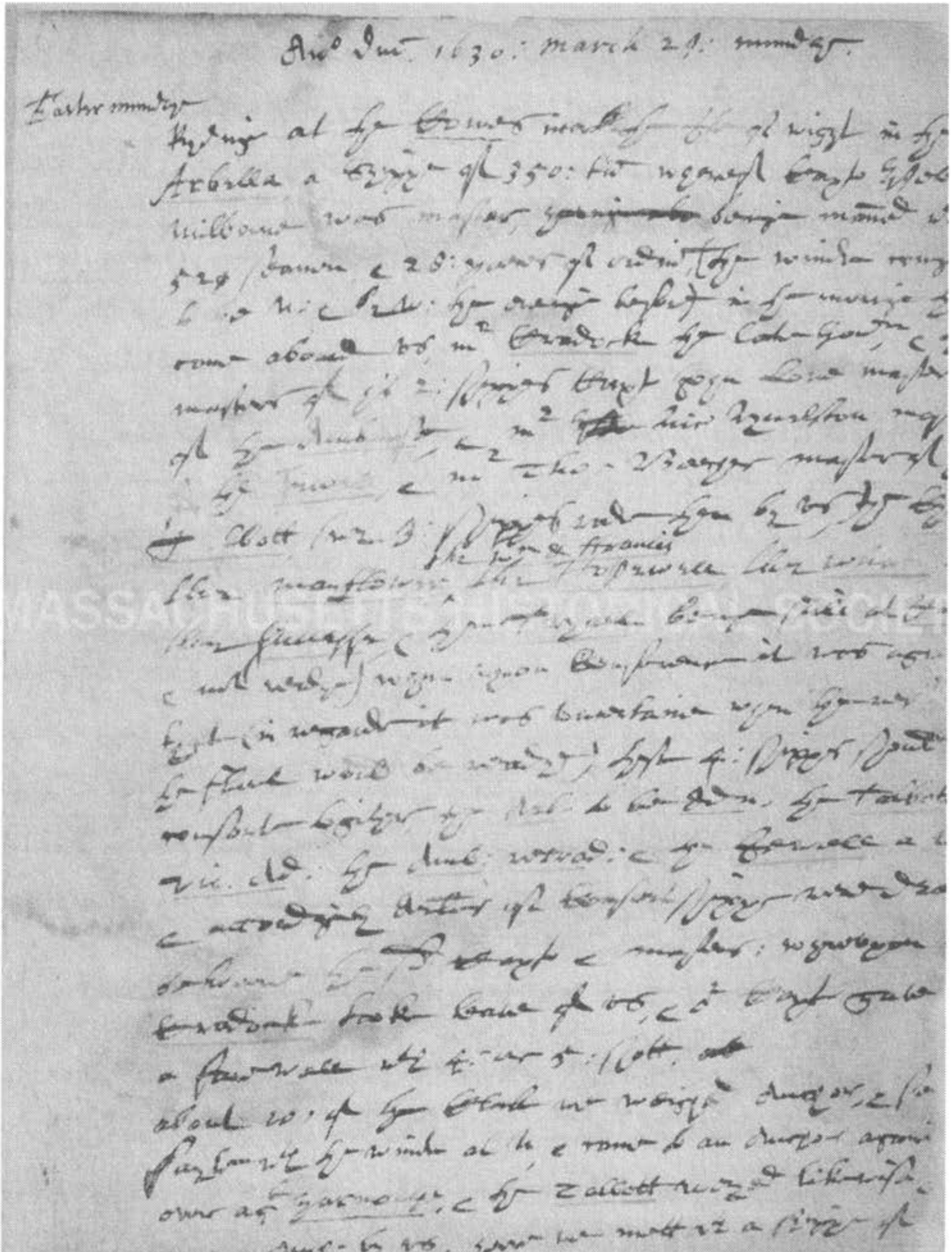
هذه الحرب التي يقودها الله (رب الجنود)، كما يراها صاحب العهد جون وينثروب، هي أساس اختيار الله لشعبه، وهي معيار اختياره للمستوطنين. السيد المسيح ـ في زعم وينثروب ـ يريد رجالاً أشداء ينفرون للقتال، ويحاربون في سبيله، ويرفض أولئك الذين يُبحرون إلى العالم الجديد بحثاً عن الثروة والأمان. إن إعادة صياغة هذا العالم بالقتال في ساحات الحروب كانت الهدف الأسمى للمستوطنين اليوريتانس. لهذا كان وينثروب يلح على فحص عقيدة وقناعات كل من يريد أن يتجند لمستوطنته. . . «لإبقاء الثعبان خارج الجنة»[٢٧] keeping the serpent out of the garden، كما يقول.

وعلى نقيض كل ما دبجه التاريخ الرسمي من أساطير فإن «هجرة» وينثروب وحوارييه إلى العالم الجديد لم تكن بسبب الطغيان أو القمع أو الحرية الدينية، فقد تمت بمباركة من الملك. بل إنه ليس في سيرة أي واحد من هؤلاء المهاجرين ما يدل على أنه عوقب أو اعتقل أو عذب لأسباب دينية. لهذا كان لا بد لوينثروب من ترشيد هذه المغامرة وتلفيق الأخلاق اللازمة لها. وبالطبع لم


54
lecte by them done (this their condition considered) might
be as firme as any patent; and in some respects more sure.
The forme was as followeth.

In ye name of God Amen. We whose names are underwriten,
the loyall subjects of our dread soveraigne Lord King James,
by ye grace of God, of great Britaine, franc, & Ireland king,
defender of ye faith, &c.
Haveing undertaken, for ye glorie of God, and advancemente
of ye christian faith, and honour of our king & countrie, a voyage to
plant ye first colonie in ye Northerne parts of Virginia. doe
by these presents solemnly & mutualy in ye presence of God, and
one of another, covenant, & combine our selves togeather into a
civill body politick; for our better ordering, & preservation & fur-
therance of ye ends aforesaid; and by vertue hearof to enacte,
constitute, and frame such just & equall lawes, ordinances,
acts, constitutions, & offices, from time to time, as shall be thought
most meete & convenient for ye generall good of ye Colonie: unto
which we promise all due submission and obedience. In witnes
wherof we have hereunder subscribed our names at Cap-
Codd ye .11. of November, in ye year of ye raigne of our soveraigne
Lord King James of England, france, & Ireland ye eighteenth
and of Scotland ye fiftie fourth. An: Dom. 1620.]
After this they chose, or rather confirmed Mr John Carver (a man
godly & well approved amongst them) their Governour for that
year. And after they had provided a place for their goods, or
comone store, (which were long in unlading for want of boats,
foulnes of ye winter weather, and sicknes of diverce) and begune
some small cottages for their habitation; as time would admitte
they mette and consulted of lawes, & orders, both for their
civill & military Governmente, as ye necessitie of their condi-
tion did require, still adding thereunto as urgent occasion
in severall times, and as cases did require.
In these hard & difficulte beginings they found some discontents
& murmurings arise amongst some, and mutinous speeches & carriags
in other; but they were soone quelled, & overcome, by ye wis-
dome, patience, and just & equall carrage of things, by ye Govr
and better part wch clave faithfully togeather in ye maine.
But that which was most sadd, & lamentable, was, that in .2.
or .3. monethes time halfe of their company dyed, espetialy
in Jan: & February, being ye depth of winter, and wanting
houses & other comforts; being infected with ye scurvie &

عهد المستوطنين البيوريتانس مع الله على متن السفينة مايفلور عام ١٦٢٠
(محفوظات ولاية مساتشوستس Commonwealth of Massachusetts).



Ano Dni 1630: march 29: munday.

الصفحة الأولى من عهد المستوطنين البيوريتانس مع الله على متن السفينة أرابيللا عام ١٦٣٠
محفوظات الجمعية التاريخية لولاية مساتشوستس Massachusetts Historical Society .

يكن على وينثروب سوى استحضار المعنى الإسرائيلي لفكرة الهجرة والاستيطان، والتركيز على أسطورة «الخروج» العبراني حتى «يخرج» معه المؤمنون من شعب الله الإنكليزي إلى أرض الميعاد، أرض الحرب على الشياطين، أرض كنعان [الأميركية] كما خرج العبرانيون مع موسى من أرض مصر إلى أرض كنعان [الفلسطينية][٢٨].

ودفعاً لتهمة اغتصاب بلاد الهنود، يقول:

> إن هذه البلاد ليست ملكاً لأحد، فهؤلاء الوحوش يهيمون فوق أراض شاسعة ليست لديهم صكوك بملكيتها.
>
> وإن هنالك متسعاً هائلاً من الأرض لهم ولنا.
>
> وإن الله أهلكهم بالأوبئة كما أهلك المصريين، ما جعل كثيراً من الأراضي خاوية على عروشها.
>
> وإن الله هو الذي جعلنا الوارثين الصالحين لهم[٢٩].

أما لماذا ستنجح مستوطنته في ما أخفقت فيه المستوطنات السابقة، فيرى أن ليس من الإنصاف مقارنة تلك المستوطنات بمشروعه الرباني.

> لأن هدفهم كان دنيوياً، ولم يكن دينياً.
>
> ولأنهم وضعوا النفع نصب أعينهم وليس خدمة الدين.
>
> ولأنهم جاؤوا برجال أجلاف قساة القلوب كانوا من حثالة المجتمع.
>
> ولأنهم لم يقيموا حكومة مناسبة.
>
> ولأن الفواجع التي عاشتها مستوطناتهم في ڤرجينيا علمتنا كيف نتجنب أخطاءها[٣٠].
>
> ولأن يد الله ستكون معنا كما كانت مع العبرانيين.

ولأن الله هو الذي ناداني، وفوض إليّ بناء هذه المستوطنة(٣١).

حياة وينثروب الاستيطانية وأعماله وحروبه كلها تشير إلى أنه كان يتبنى ما يمكن تسميته اللاهوت العسكري. منذ البداية كان هدفه إنشاء مستوطنة (نواة دولة) تتخذ من [فكرة] إسرائيل الأسطورية مثلاً أعلى. وهو هدفٌ لا يتحقق إلا بطقس العنف المميت الذي برع أنبياء العهد القديم في تأسيسه وتصويره. وفعلاً فإنه كان مؤمناً بأن مسيرته الپيوريتانية نحو الغرب [أميركا] هي مسيرةُ رسالةٍ إلهية هدفها إنشاء صهيون جديدة بأيدي قديسين أحياء visible saints من أتباعه. صحيح أن «هؤلاء القديسين قد لا يجلسون على يمين عرش الله! لكنهم بالتأكيد سيشيعون السلام في أرجاء صهيون» [الأميركية]. ولكي تعيش هذه المستوطنة [الصهيونية] في ظل الشريعة فقد أقام لها وينثروب عهداً مع الله يرعى دينها ودنياها(٣٢).

ولا ينسى وينثروب أن يُذكِّر هؤلاء القديسين بأنهم كبني إسرائيل شعب مختار وأن عليهم أن يواجهوا عواقب فردانيتهم واستثنائهم واصطفاء الله لهم. وهي عواقب هائلة. ثم إنه ـ بلغة يتردد صداها بعد ذلك في معظم صفحات التاريخ الأميركي ـ يطمئنهم إلى أن إله إسرائيل لن يخذلهم بل سيحارب معهم:

> سنجد إله إسرائيل بيننا عندما يتمكن العشرة منا من مقاومة الألف من أعدائنا، وعندما يجعلنا فخراً ومجداً... لأننا سنكون «مدينة على جبل» تشرئب إلينا عيون الناس جميعا(٣٣).

مع تلفيق المعنى الإسرائيلي لأميركا، كان لا بد للمستوطنين الپيوريتانس من أن يخترعوا لصهيونهم الأميركية تاريخاً مقدساً، ولا سيما أنهم يعتبرون خروجهم إلى أرض كنعان [الأميركية] علامة على نهاية التاريخ. فالاستيطان في رأي وينثروب ليس واقعة من وقائع تاريخ عالمنا الفاني، بل هو كرْمٌ على درب خلاص الإنسانية. كذلك فإن صحبه الذين هاجروا معه، مثلاً، ليسوا مجرد بشر، أو مجرد مستوطنين، بل هم وكلاء عن الله وصفوةٌ مختارة ذات رسالة فريدة فرضها

الله عليهم وجعل مصير البشرية مرتهناً بها. لهذا فكل تاريخ العالم بالنسبة إلى وينثروب ورفاقه كان مجرد مقدمات لحدث كوني هائل هو تأسيس صهيون [إنكليزية في أرض كنعان الأميركية]. وفي تأسيس هذا التصور كان لا بد للمستوطنين من أن يتماهوا مع عبرانيي العهد القديم وينبشوا جذوراً توراتية لكل تفصيل من تفاصيل حياتهم مع استثناء واحد، هو أنهم ليسوا مثل العبرانيين في «مرحلة الوعد» بالأرض المقدسة، بل هم في «مرحلة إنجاز الله لهذا الوعد». وهذا ما جعلهم يمحون الفروق بين أرض الميعاد [أميركا المنهوبة] ومملكة الله[٣٤].

انطلاقاً من هذا التاريخ المقدس الذي عمّدوه بدماء الهنود، صار إيمانهم بفجر القيامة القريب من أقوى حوافز الاستيطان[٣٥]، وصار وصولهم إلى العالم الجديد واستيطانهم في أرض هؤلاء الكنعانيين الهنود علامة من علامات نزول أورشليم الجديدة من السماء. هذا ما أعلنه وليم هبرد William Hubbard في خطاب انتخاب حاكم مستعمرة مساتشوستس (١٦٧٦) حيث أعطى الهجرة إلى كنعان [الأميركية] معنى الخلاص وجعلها لازمة لنزول أورشليم من السماء[٣٦]. وفي احتفال السنة الأربعين لاستيطان نيو إنكلاند شبّه صاموئيل دانفورث Samuel Danforth استيطان أميركا بالهجرة القيامية الكبرى The Great Migration إلى السماء الجديدة والأرض الجديدة[٣٧].

جوناثان إدواردس Jonathan Edwards مؤسس حركة اليقظة الكبرى Great Awakening قفز بفكرة التاريخ المقدس لصهيون الأميركية مرتبة أعلى حين طهّره نهائياً من تفاهة التاريخ الطبيعي لعالمنا الفاني وألحقه بتاريخ السماء. إن اكتشاف أميركا، كما يراه إدواردس، ليس مجرد واقعة تاريخية، بل هو كشف عن «حقيقة ربانية» تماماً كما يكشف المفسر الملهم عن المعاني الغامضة في الكتاب المقدس. إنه فجر القيامة[٣٨].

ومن كتابات هذا الأفّاك شاعت الدراسات السحرية عن اكتشاف أميركا في «نبوات» العهد القديم وانتشرت كالغازات السامة في جسد «الوطنية الأميركية». ففي تلك الفترة التي سبقت «الثورة» الأميركية أعلن إدواردس أنه اكتشف أميركا في الفقرات القيامية من سفر أشعيا (٦٦ : ١٩) التي تتحدث عن وصول بني إسرائيل [العبرانيين ثم الإنكليز] إلى الجزر البعيدة [أميركا]. هذا «الاكتشاف» المزوّر ليس إلا تدويراً recycling لخرافات الإنكليز عن أصولهم الإسرائيلية وعن أن العرش البريطاني هو عرش داود(٣٩)، فالإنكليز، على طرفي المحيط يتعلمون منذ طفولتهم أن مسيرة التاريخ بين إصبعين من أصابع إله العهد القديم يُقلِّبها على هوى مصالحهم الاستعمارية، وأنه في هذه المسيرة القيامية يحارب إلى جانب القديسين الإنكليز لإلحاق الهزيمة بقوى الشيطان في كل مستعمرة حَلّوا فيها(٤٠).

على أرض الواقع، ظن المستوطنون أيام الثورة أن إله العهد القديم (رب الجنود) ـ كما طمأنهم وينثروب ـ هو الذي يقود حروبهم ضد الهنود، وضد فرعون بريطانيا. في تلك الفترة، أوغل الساسة قبل الوعاظ في تأجيج المشاعر باستحضار أرواح بني إسرائيل وترداد آيات تَحرُّرِهم من عبودية فرعون. بل إن كل النجوم الليبرالية تبنت رموز التوراة لتعبئة المستوطنين وإقناعهم بأن قضية أميركا كقضية إسرائيل هي قضية السماء(٤١). فعندما أحيا توماس جفرسون Thomas Jefferson طقس «يوم الصوم»، (١٧٧٤) مثلاً، لاحظ بكثير من الاستعبار «براكين» الحماسة التي فارت في نفوس الحاضرين، ما دعاه إلى استثمار هذه الرموز المقدسة في كل مناسبة شعبية، بدءاً من خطب التعبئة للثورة وانتهاءً بخطابه التدشيني لفترة رئاسته الثانية. أطرف ما في الأمر أن كثيراً من عامة المستوطنين كانوا يتهمون جفرسون في دينه. فعندما بلغ نبأُ انتخابه عجائزَ نيوإنكلاند، مثلاً، طمرن كتبهن المقدسة في حدائقهن خوفاً عليها من جلاوزته الذين قد يصادرونها بمجرد أن يصل هذا الرئيس «الملحد» إلى عتبة البيت الأبيض. لهذا فليس في أميركا ليبرالي أبلغ من توماس جفرسون في التعبير عن المعنى الإسرائيلي لأميركا وعن مصير

أميركا الإسرائيلية حين اقترح على الكونغرس خروج بني إسرائيل من أرض مصر ووصولهم إلى أرض كنعان كأفضل ما يُمَثل أميركا وانتصاراتها، وحين اقترح عليهم أيضاً أن يتضمن الختم الرسمي للولايات المتحدة مشهدَ بني إسرائيل في التيه وقد سار الرب أمامهم في سحابة عظيمة في النهار وعمود من النار في الليل، ليهديهم[٤٢].

حتى توماس پاين Thomas Paine رسول الليبرالية وحركة الأنوار، وصاحب «عصر العقل *The Age of Reason*» الذي تحدى به الكنيسة والكتاب المقدس حَفِظَ هذا الدرس جيداً أيام الثورة ـ درس الحشيش الخالد على مدى الأزمنة والأمكنة ـ فلم يتردد في حشد اللغة التوراتية في خطبه، ولم ينس تذكير المستوطنين الثوار برعاية الله للمسيرة الأميركية وباختياره لهم كما اختار بني إسرائيل من قبل[٤٣].

معظم قادة الثورة، مثل جورج واشنطن وألكسندر هاملتون Alexander Hamilton وصاموئيل آدامس Samuel Adams وداڤيد همفريس David Humphreys وإلياس بودينو Elias Boudinot استجابوا لهذا الإغواء، فأثقلوا خطبهم ودعواتهم للاتحاد بعبارات العهدين الأولين مع الله وبرموز المستوطنين الأوائل بدءاً من «الاختيار الإلهي» للأمة الأميركية وانتهاءً بالمعنى الإسرائيلي لأميركا[٤٤]. فالثورة في النهاية آية من آيات الله *magnalia Die* كتبها على هذه البقعة من الأرض [أرض الهنود] منذ الأزل. . . وإلى أبد الآبدين. وانتصار هذه الثورة ليس محطة زمنية عابرة بل إنه ولادة جديدة للعالم[٤٥].

أما الخطب السياسية التي نشرت منها مئات الطبعات وتحولت إلى «معلقات» وطنية فحدث عن إسرائيليتها ولا حرج. إنها تصور إسرائيل في كل تفصيل من تفاصيل الثورة تصويراً تحسب معه أن رمم بني إسرائيل اكتست لحماً وشحماً وراحت تدب فوق الأرض الأميركية، وأن انتصار هذه الثورة آية دامغة على أن «رب الجنود» يقف مع [المستوطنين] شعبه المختار الجديد الذي جبَّ اختيار

العبرانيين وجبّ اختيار الإنكليز أنفسهم.

من هذه الخطب التي تحولت إلى كتب مقدسة مثلاً:

- «الولايات الأميركية تضطلع بدور بني إسرائيل في البرية» لنيكولاس ستريت Nicholas Street[٤٦]؛
- «جمهورية بني إسرائيل هي المثل الأعلى للولايات المتحدة لصاموئيل لانغدون Samuel Langdon[٤٧]؛
- «الخصال والسمات المتشابهة بين شعب الولايات المتحدة وبني إسرائيل القدامى» لآبيِل أبوت Abiel Abbot[٤٨].

في عام ١٧٨٣، عندما طلب الحاكم جوناتن ترمبل Johnathan Trumbull من صديقه عزرا ستايلس Ezra Stiles أن يلقي خطبة تدشينه حاكماً لولاية كونتكت أطلق الخطيب العلّامة رئيس جامعة يال Yale العنان لهوسه التوراتي وراح يتحدث عن النعم التي أفاضها الله على ما سماه «إسرائيل الله الأميركية God's American Israel». خطبته التي طبعت بعد ذلك وشغلت أكثر من مئة صفحة ترسم للإنسانية ملامح مستقبلها فتقول إن هذه الإسرائيل الأميركية التي أبحرت [من بريطانيا] ثلاثة آلاف ميل ستمسك بيديها مصيرَ أوروبا والعالم[٤٩].

كذلك كان تشكيل الحكومة «الدستورية» خطوة نحو تحقيق عالمية «عهد أميركا» مع الله، وبداية سلسلة من الجهود لتأسيس نواة لحكومة العالم[٥٠]. أما عندما أُرسِلت مسودة الدستور إلى مجالس الولايات لمناقشته وتعديله فقد ارتفعت حرارة «المعنى الإسرائيلي لأميركا» وتمدد أخطبوط التقمص العبراني من التجسيد إلى التجريد. فصاموئيل لانغدون Samuel Langon (رئيس جامعة هارفرد)، مثلاً، حض على تعديل الدستور وفقاً لشريعة الإسرائيليين. ثم إنه في خطابه أمام المحكمة العليا لتدشين الانتخابات التشريعية لفق حزمة من الأدلة على أن التاريخ

الأميركي هو تاريخ رباني، وصاغ وصايا توراتية لتحسين ما وهبه الله لإسرائيلهم الجديدة(٥١).

هكذا انكشف الغيب لعيون أنبياء الاستيطان فرأوا مصير هذه الإسرائيل الأميركية التي تمسك بخيوط إرادة الله. نبوات كانت ولا تزال جوهر «ميتافيزيقا داء الكلب» التي تأسست عليها كل الأخلاق اللازمة لإبادة أكثر من خمسمئة أمة وشعب كانوا يعيشون في هذه المنطقة التي تسمى اليوم الولايات المتحدة. وبالتأكيد فلو أن هذه الميتافيزيقا كانت في زمن الثورة رجلاً لكانت جورج واشنطن؛ جورج واشنطن قائد الثورة الذي اختاره الله ليكون لهذه الإسرائيل الأميركية موسى تارةً، وجدعون ويشوع تارةً، ويكون في أحيان قليلة هو السيد المسيح(٥٢).

خطب وأعمال أدبية وسياسية تحسبها قِطعاً من التوراة نزلت على قلب أنبياء الاستيطان الذين يقودون الإسرائيليين الجدد في أرض كنعان الإنكليزية. إن مستوطن هذه الأرض كما يقول المؤرخ وعالم الأديان سكاڤن بِركوڤتش Scavan Bercovitch

> يجسد كل معاني «الخروج» العبراني ومعه مسيرة إبراهيم، وسفينة نوح، وتيه بني إسرائيل، وثورة لوثر وكالڤن على البابوية. وعلى غرار تجسد الألوهة في السيد المسيح فقد كانت ثورة هذا المستوطن البيوريتاني مِفْصلاً في تاريخ البشرية. لقد سجل اكتشافُ أميركا عصراً جديداً للبشرية مَهَرَته الثورة بخاتمها كما مهر السيد المسيح عصر الإيمان الجديد بتأكيده مرجعية «العهد القديم»... هذه تماماً حقيقة العلاقة بين إسرائيل القديمة [في بلاد الكنعانيين] وإسرائيل الجديدة [فى بلاد الهنود الحمر]. أما وقد حقق المستوطنون عهدهم الذي عاهدوه مع الله فإن كل آيات الله تجلت فيهم وفي ثورتهم إلى أبد الآبدين(٥٣).

وليكتمل هذا التماهي بين بني إسرائيل العبرانيين وبني إسرائيل من المستوطنين الإنكليز كان لا بد من أن يصبح جورج واشنطن موسى عصره، وأن يتسنّم مهمة المخلص ورسالة المخلص. لهذا، مثلاً، يحتفي تيموثي دوايت Timothy Dwight رئيس جامعة Yale[٥٤] بانتصار «ثورة» الجنرال واشنطن وبتدمير كل أمل بدولة مستقلة للهنود، وذلك بلغة قيامية مسكونة بالأحلام العبرانية فيقول:

> إنه نسغ الشجرة الرائعة التي ستعانق أغصانها العليا وجه السماء. . .
> شجرة الزيتون [أميركا] التي سيُطـعّمها الله باليهودي الذي اقتُطِعَ منها[٥٥].

ولكي تكتملَ رحلة «الخروج» البيوريتاني الإنكليزي إلى أرض الميعاد الجديدة [أميركا]، و يُتَوَّجَ التماهي بين الإسرائيلي التوراتي والإسرائيلي البيوريتاني، ويتعمّدَ هذا النصر الإلهي بدم هنود الإركوا وتدمير دولتهم، فقد كتب ملحمة من أحد عشر كتاباً بعنوان «فتح كنعان *The Conquest of Canaan.*»[٥٦]. هنا أيضاً، وأيضاً، تقضي إرادة الله بأن يتجلى الجنرال جورج واشنطن في أرض كنعان الجديدة تارة بهيئة موسى الذي قاد العبرانيين من مصر (كما سنرى في الفصل المقبل)، وتارة بهيئة يشوع الذي خلف موسى في قيادة شعب الله، ثم ليُبعثَ بعدها [دون أن يُصلب] مسيحاً مخلصاً للبشرية![٥٧] بل أن يصبح أيضاً ما «يشبه الإله imperfect god»[٥٨]، ثم ليتأله apotheosis بعد ذلك في كثير من الأعمال الفنية ويتربع على عرش الأوليمپ الأميركي (كما سنرى لاحقاً).

٣

الدولة و«الكلب الذي لا ينبح في الليل»
ـ توماس هوبس وفلسفة «التوحش» ـ

مكتبة
t.me/soramnqraa

«وصلنا إلى هذه الأرض مثل الذئاب التي يقتلها الجوع ولم نجد لأمراضنا علاجاً سوى أن نتمزق ونرتكب الجرائم ويقتل بعضنا بعضاً، ونُهلك الحرث والنسل بوحشية لا عين رأت ولا أذن سمعت»

ـ المستوطن الكاهن وليم سيموندس 1609

«مشكلة هنود أميركا مع أعمال هوبس مماثلة للمشكلة مع الكلب الذي لا ينبح في الليل»

ـ المؤرخ الإنكليزي نويل مالكولم

كل أدبيات «العهد مع يهوه» التي حالت دون تعايش شعب الله الإنكليزي مع الكنعانيين الهنود والاعتراف لهم بدولة أو بكيان سياسي في بلادهم وبلاد آبائهم اكتشفها الفيلسوف الإنكليزي توماس هوبس Thomas Hobbes في قانون الطبيعة law of nature.

بجرة قلم، وتزوير متعمد للواقع الاجتماعي والسياسي الأميركي حَكَم فيلسوف

الواقعية الكلاسيكية classical realism على كل الشعوب والأمم الهندية بأن طبيعتهم لا تسمح لهم بإنشاء دولة أو بحكم أنفسهم فهم حُكماً مجرد «وجود للموت». بذلك أصبحت دولة هؤلاء الهنود الأشقياء أمام استحالتين قدريتين مُحكمتين: في الطبيعة، وفي ما بعد الطبيعة؛ استحالة قضاها «قدرُ الله» الذي استرخصه كهنة النفاق، واستحالة قضاها قدر «القانون الطبيعي» الذي استرخصه فيلسوف «التوحش». وللأسف فقد ظلت فكرة هوبس المتعسفة عن غياب الحكومة عند هؤلاء «المتوحشين» دعامة مركزية لمعظم تصورات العالم الغربي عنهم وعن كل الشعوب المرشحة لغزو شعب الله. أما كيف قضي الأمر وسقطت كل أمم وشعوب أميركا إلى أسفل السلم الحضاري وتناقضت طبيعتها مع فكرة «الدولة»، فالجواب حاضر في سجلات شركة ڤرجينيا Virginia Company الاستعمارية التي كان هوبس واحداً من كروشها أيام تأسيس مستوطنة جيمستاون أول خلية سرطان إنكليزية دائمة في جسد العالم الجديد.

لم تكتف شركة ڤرجينيا الاستعمارية بتجنيد الميكياڤيللية الدينية لتجارتها الاستعمارية، بل مدت أذرعها إلى حرم الفلسفة، وتركت لهوبس سيد الفلسفة السياسية الإنكليزية أن يكتشف لها القانون الطبيعي للاستيطان ونهب أرض الغير ويكتشف لبريطانيا «القانون الطبيعي» لارتقائها إلى مرتبة «الإمبراطورية»، وذلك بميكياڤيللية عرقية أبرز ما في شمولها وإطلاقها «عبادةُ الذات»؛ المرض المزمن عند كل الشعوب المختارة. بذلك أكدت العبقرية الإنكليزية في صراعها المرير مع «روما» الكاثوليكية أن ليس من الضرورة أن يكون لكل ميكياڤيللي أمير من مديتشي.

□ □ □

قبل النظر في تأثير شركة ڤرجينيا الاستعمارية على فلسفة هوبس، ونظرته إلى الشعوب الهندية وعجزها عن حكم نفسها، أرى من المفيد التعريف بمحاور الأدب اللاهوتي الهائل الذي كُتب معظمه في لندن بتأثير مباشر من هذه الشركة،

وكان مقدمة طبيعية لكل ما كتبه هوبس عن العالم الجديد، ولا سيما في ما يتصل بأوهام «العهد» وفلسفته للتوحش التي كان لها آثار فاجعة في تبرير الغزو الاستيطاني.

أبداً لم تعلن الشركة أن هدف الاستيطان الأول هو نهب الأرض والنفع والاستثمار، بل كانت تزعم أن ذلك يأتي ـ إذا ما أتى ـ هبةً من الله وجزاءً على إيمان المستوطنين وتضحياتهم. لهذا كان على الأدب الديني أن يُلبس كل أخلاق الجشع بلباس التقوى(٥٩). وفي هذا المسعى سخّرَت كروشُ الشركة الاستعمارية كل سيكولوجيا الجشع لكي تسقي الكاهن والفيلسوف من كأس واحدة وتجندهما معاً لصيد المستثمرين وتجنيد المستوطنين ونهب الأرض من الهنود. وفعلاً، كانت هذه الكأس من أفتك أسلحة الشركة في صيد المغفلين وفي إخفاءِ أنياب جشعها. ففي النفاق للشركة أو للملك أو للأصدقاء أو للأعداء لا يجد كهنة النفاق أرخص من ربّهم: إنه حاجب على بابهم جاهز لكل المهمات؛ ومستعد دائماً لمباركة القتل والجريمة والتدمير. وهذا ما فعله سيد الفلسفة السياسية الإنكليزية توماس هوبس Thomas Hobbes بقانون الطبيعة law of nature الذي أنكر على الأمم الهندية في العالم الجديد معرفتها بالحكم وحقها في دولة واستثناها من عائلة الأمم.

نظرة سريعة على هذا الأدب الديني المعجون بالنفاق تكشف عن كون يتلبس فيه الاستيطان وجرائمه بإرادة السماء، وتتجلى فيه «ثروة الأمم» بأبهى معالم «مدينة الله» وأسمى معانيها. تفنن أدب هذه الميكيافيللية الدينية في تزيين المستعمرة بأيقونات الأديرة وتصوير المستوطنين بجبة الرهبان.

- أول محاور هذا الأدب الديني النفاقي وأقوى مبرراته وحججه وأكذبها هو العزم على تنصير الهنود(٦٠). وللمزيد من اللؤم والإيلام فإن معظم الأشقياء الهنود الذين نصَّروهم لاحقاً جندوهم للتجسس أو للحرب على شعوبهم

وأقرب الناس إليهم ثم ـ حين أدوا قسطهم للعلى ولم يبق لوجودهم فائدة لشعب الله ـ قتلوهم شر قتلة وألحقوهم بأهلهم[٦١].

- ولأن شركة ڤرجينيا الاستعمارية شركة إنكليزية أنشأها التاج فهي إذن ليست مسيحية فقط. إنها شركة بروتستانتية إنكليزية لا تستطيع أن تغفل عداء لندن لروما وحبرها الأعظم. يكفي أن ينشئها التاج ويرعاها لتكون بحكم الضرورة تابعة للكنيسة الإنكليزية Church of England (كعبة البروتستانتية). لهذا كان المحور الثاني لهذا الأدب هو الحرب المقدسة على الكثلكة وعلى الپيوريتانية. وفعلاً فقد كان من وصايا التاج للشركة ولحكام المستعمرة «الحفاظ والذب عن الدين الصحيح [البروتستانتية] والدعوة إليه والتأكد من أن يكون وعظ الكنائس منسجماً مع هداه، وفقاً للدين الذي يقام في عالمنا الإنكليزي»[٦٢].

- أما المحور الثالث فهو التعلل بعناية الله God's Providence، والقول بأن الأحداث لا تعمل وفق السبب والمسبب والعلة والمعلول والحوافز والحاجات، أو أن للإنسان فيها يداً. لا فهذه كلها عوامل ثانوية لا قيمة لها لأنها أصلاً بين أصابع يهوه الذي يقلبها كيف يشاء ضد منطق الأشياء وقوانين الأشياء[٦٣]. بهذه «العناية الإلهية» تسلح الكهنة المنافقون ليزعموا أن كل ما جرى ويجري في الزمان منذ بداية الخليقة إلى «الآن» كان من أجل استيطان العالم الجديد في إطار يسميه الإنسان «المغفل» بالتاريخ. العناية الإلهية هي التي رعت استعمار ڤرجينيا وهيأته في الزمان والمكان الملائم لشعب الله الإنكليزي. فقد أبقى الله هذه القارة الأميركية خافية عن العيون دهوراً طويلة ثم كشف عنها في اللحظة المناسبة لشعبه. لهذا كان لا بد من فهم الاستيطان وتفسيره في إطار الخلاص البشري[٦٤]. ومن هذا المنظور صاغ الكهنة، ولا سيما في نيو إنكلاند، فلسفة للتاريخ كانت نتيجة طبيعية وحتمية لوهم رعاية «العناية الإلهية» لاستيطان شعب الله الإنكليزي أرض كنعان الجديدة.

ولعل أفضل من يمثل هذه الفلسفة الكاهن صاموئيل بوركاس Samuel

Purchas[٦٥] معاصر هوبس. فقد طغى عليه مفهوم الرعاية الإلهية حتى إنه لم يستطع أن يستهل الحديث عن الزحف الأوروبي إلى العالم الجديد دون تضمين الرواية التوراتية للتاريخ. ففي تفسيره لاستعمار ڤرجينيا، مثلاً، راكَمَ كل حوادث التاريخ الخرافي في سفر التكوين مروراً، بعد ذلك، ببرج بابل وغير ذلك من أبراج «البلبلة» الخرافية في «العهد القديم» ليخلص إلى القول إن الاستعمار الانكليزي «الحالي» ليس إلا تنفيذاً لخطة وضعها الله وأرادها وهيأ لها بعنايته[٦٦].

بهذا الأدب الكهنوتي المنافق كانت كروش شركة ڤرجينيا المؤمنة حريصة على أن لا تنتفخ إلا بمنفاخ «عناية الله»، وفي إطار فلسفة تاريخية، مركزيتُها ووسواسُها الأول «عبادةُ الذات»، ذلك الداء الذي لا يشفى منه «شعب الله» أبداً. فإذا أراد المغامرون أن يهاجروا ويستوطنوا، أو أراد المستثمرون أن يتبرعوا ويسهموا فعليهم أن يكونوا على يقين بأنهم سينالون ثواب الدنيا والآخرة لأن فلسفة العناية الإلهية للتاريخ تحتم نجاحهم. ولقد حشش مستوطنو ڤرجينيا بهذه الفلسفة التي تقول لهم «إنهم حين ينظرون إلى السماء سيجدون وعد الله حقاً، وعندما ينظرون إلى الأرض سيجدون بركاته ونعمه»[٦٧].

وبما أن العناية الإلهية هي التي تنادي شعب الله لاستيطان العالم الجديد، فإن كهنة النفاق وجدوا في قصة «ابراهيم» التوراتية سابقة صالحة[٦٨]. لقد مضى المستوطنون إلى مستعمرة ڤرجينيا تماماً كما مضى [المستوطن الأول] إبراهيم بعد صفقة مع يهوه وعهد التزم فيه ابراهيم أمام يهوه والتزم يهوه فيه أمام إبراهيم an engagement to Jehovah and of Jehovah to him. مضى إبراهيم بعد أن وعده الله بأنه سيصبح أمة عظيمة وأن الله [وهذا بيت القصيد] سيعطيه أشياء كثيرة ومفيدة من هذا العالم وسيورثه كل ما يملكه الوثنيون[٦٩].

لم يكن استيطان شعب الله الإنكليزي للعالم الجديد، كما يقول جون رولف John Rolfe (عاشق پوكاهونتاس)، «مجرد حدث في الطبيعة. لا، فهذا لا يليق بالمقام، إن الإنكليز شعب خاص اختاره الله واصطفاه ليتملك الأرض [أرض

الآخرين][٧٠]. وإذن فإن استعمار فرجينيا كاستعمار الحجاج والقديسين لما صار يسمى نيوإنكلاند New England ليس عملاً تجارياً، بل «صفقة» بين الله وشعبه باركها الروح القدس[٧١].

إنه العهد الذي لم يشأ التاريخ الرسمي أن يذكره. ولست أدري لماذا لم يُوْلِهِ التبجيل الذي أولاه لعهد القديسَيْن وليم برادفورد William Bradford وجون وينثروب Jhon Winthrop مع الله. كل ظني أن ذلك الإهمال اعتراف ضمني بميكيافيللية الكهنة الذين افتروه، وتشديد على أن بيوريتانية الحجاج والقديسين الذين استعمروا نيو إنكلاند امتازت بأنها هي التي استلهمت فكرة إسرائيل في صناعة فكرة أميركا؛ فكرة احتلال أرض الغير واستبدال شعب بشعب، وثقافة وتاريخ بثقافة وتاريخ.

مأساة هذا الوهم المتواضع بالصفقة مع الله ـ كما افتراه كهنة النفاق والمركنتلية الدينية ـ أنه أعمى كروش الشركة عن رؤية الأسباب الحقيقية لما عاناه المستوطنون من هزائم ومجاعات وموت مجاني. فبدلاً من أن يلوموا أنفسهم ألقوا باللوم على الله[٧٢]. هل كان هؤلاء المستوطنون الحمقى الذين ماتوا من الجوع أو نبشوا القبور ليأكلوا جثثها الطازجة يعتقدون فعلاً بأن ما أصابهم كان عقاباً من الله لخيانتهم ما عاهدوه عليه كما يزعم الكهنة المنافقون[٧٣]؟

في النفاق للشركة أو للأمير أو للسلطان أو للأصدقاء أو للأعداء لا يجد كهنة النفاق أرخص من ربهم. هذا ما فعله سيد الفلسفة السياسية الإنكليزية توماس هوبس Thomas Hobbes بأهم أعمدة فلسفته قانون الطبيعة، والحرية، والدين، والسلطة Dominion.

مجمل هذه الفلسفة يمكن قراءتها بسرعة في صفحة غلاف كتابه «عن المواطن *De Cive*» (١٦٤٢)[٧٤]. هذه الصفحة تتضمن ثلاثة تكوينات تلخص كتابه كله، ولا سيما أنه كان يصر دائماً على إنتاج كتبه والتحكم برسوم أغلفتها. لهذا فإن معظم



Thomas Hobbes, De Cive, Title page of the Latin edition (1642) engraved by Jean Mathieu (Matheus), Bibliotheque Nationale de France.

غلاف كتاب الفيلسوف توماس هوبس «عن المواطن» (١٦٤٢)
لوحة للفنان الفرنسي جان ماتيو (المصدر: المكتبة الوطنية الفرنسية).

تلامذة هوبس ودارسيه يرون أن رسوم صفحات أغلفته لم تكن بهدف جمالي، بل كان لها هدف تعليمي وتوضيحي[٧٥]. وفعلاً إن صفحة غلاف *De Cive* لاقت دراسات أكاديمية تحليلية كثيرة[٧٦] سأحاول هنا عرض أبرز ما يعنينا من نقاطها، لأنها توفر علينا كثيراً من الكلام.

في القسم الأعلى من صفحة الغلاف لوحة مستقلة يفصلها عما تحتها شريط مكتوب عليه كلمة RELIGION (دين). إنها مشهد قيامي بامتياز، يلتمس معظم عناصره من هلوسات يوحنا البطمي John of Patmos في «سفر الرؤيا (أو القيامة)» الذي يشكل تاريخ المستقبل لكل أبله بروتستانتي «مختار».

في أعلى المشهد، وقريباً من السماء نرى السيد المسيح حاملاً صليبه مشرفاً على هذا المشهد القيامي المخيف ونلمح على يساره بين طيات السحب وجوه ملائكة صغيرة شاخصة إليه. تحتها تمتلئ الأرض بكائنات شيطانية ذات قرون تعصر بين براثنها أهل الخطيئة، فيما تحف الملائكة بالمؤمنين في الطرف الآخر من الأرض وتقودهم إلى ملكوت السماء. مشهد ساديّ ثنوي مانوي حاد التناقض يمثل الثواب والعقاب العادل لأصحاب النعيم وأصحاب الجحيم في مملكة الله، ويعطي قارئ كتاب «عن المواطن *De Cive*» لهوبس فكرة واضحة عن قوانين تلك المملكة ووصاياها Laws and Commandments of that Kingdom التي هي موضوع الباب الثالث Of Religion منه[٧٧].

القسم الأدنى من صفحة الغلاف يضم مشهدين يعبران أيضاً عن ثنوية حادة بين عالمين متناقضين يفصل بينهما في الوسط ما يشبه الراية الكشفية، وقد كتب عليها عنوان الكتاب باللاتينية[٧٨]، وفقرة من سفر الأمثال (٨: ١٥) باللاتينية عن الحق الإلهي للملك: «بإذني يملك الملوك، وبإذني يعدل الأمراء».

على يمين عنوان الكتاب، تحت رسم الشيطان ذي القرون، وفوق قاعدة حجرية منقوش عليها كلمة LIBIRTAS (حرية، ويقصد بها حرية الغابات والسَفَاري

البشري) تنتصب أمازون amazon[٧٩] خنثى (لا هي بذكر ولا أنثى) وحشية مسلحة شبه عارية ليس عليها إلا سترة قصيرة جداً من الريش وإسواران على ساعديها من الريش أيضاً. أما عالم الغابة البكر وراءها فيفسر ما يقصده هوبس بالحرية: هنا مخلوقات بشرية شبه عارية تخوض ما يصطلح عليه هوبس «حرب كل إنسان على كل إنسان War of every man against every man» أو «حرب الكل على الكل War of all against all». إنها مخلوقات في طور التوحش لم تعرف الزراعة ولا الحكومة ولا البيوت ولا السلام ولا الأمان و«تعيش في خوفٍ حياةً وحشيةً، معدمة، مقرفة، فظة، قصيرة». (وعلى يمينها) شخصان من أكلة لحوم البشر وفوقهما أضلاع بشرية تشوى (وهذا هو موضوع الباب الأول Of Liberty من الكتاب)[٨٠].

على الطرف الآخر من عنوان الكتاب، وتحت ذلك الحشد السماوي الجليل المقدس، نجد قاعدة حجرية مكتوباً عليها كلمة IMPERIUM (السلطة) تنتصب فوقها بأبهة رومانية امرأة تحمل سيف السلطة بشمالها وميزان العدالة بيمينها، ونرى وراءها مزارعين يحصدون غلال الحقول التي تمتد إلى الأفق البعيد حيث نرى معالم مدينة؛ رمز الحضارة. (وهذا هو موضوع الباب الثاني Of Dominion من الكتاب)[٨١].

ماذا أراد هوبس بهذا الركام البصري من التناقضات الحادة بين المتحضرين الأوروبيين والمتوحشين الهنود أن يقدم لقارئ فلسفته؟

القسم الأدنى الذي تتقدمه الخنثى المتوحشة هو صورة دقيقة عن مفهوم هوبس عن الطور الوحشي [الهندي] للطبيعة (موضوع الباب الأول Of Liberty من كتابه عن المواطن De Cive). أما القسم المقابل الذي تتقدمه المرأة الجليلة بحلتها الرومانية فيمثل المجتمع المدني المتحضر (موضوع الباب الثاني Of Dominion). هاتان المرأتان في رأي كينش هوكسترا Kinch Hoekestra أستاذ فلسفة الأخلاق

والتاريخ في جامعة بيركلي هما رمزان تقليديان للتضاد بين العالم المتمدن (أوروبا) والعالم المتوحش (أميركا قبل وصول الآلهة)[٨٢]. أما مشهد الصيد وأكل لحوم البشر وغياب الزراعة على صفحة الغلاف فهو استعادة وتدوير recycling لأدب كهنة النفاق ولرمز أميركا [قبل وصول البيض] كما شاع في الخرائط الاستعمارية لذلك الزمان حيث كان لكل بقعة من الأرض رمزها البشري[٨٣].

كل ما يمكن الخلاصة إليه من هذه النمطيات البصرية التي استمدها هوبس وفنان غلافه Jean Mathieu من أطالس وخرائط ذلك الزمان أنها هي والفلسفة التي تمثلها ليست سوى أطلس سياسي لبريطانيا القرن السابع عشر، بريطانيا الشركات الاستعمارية الاستيطانية، وفي مقدمتها شركة ڤرجينيا[٨٤].

هذا التشخيص أو الشخصنة للأمم الأميركية [الهندية] بأمازون خنثى من أكلة لحوم البشر (في الوقت الذي يعلم هوبس من تقارير شركته الاستعمارية أن المستوطنين الذين أرسلتهم شركته هم الذين عاشوا فترة على أكل لحوم البشر ونبش قبور الهنود لأكل جثثها الطازجة) هو تزوير لئيم لصورة بشر كانوا أكثر حضارة وإنسانية من المستوطنين الإنكليز (كما سنرى في ملحق «أولاد الأرض العذراء»). وقد اتخذه هوبس حجة للبرهنة على فانطازيا استعمارية جشعة تحت مسمى التوحش state of nature[٨٥] أو طور التوحش.

ما هو أكثر لؤماً ادعاؤه أن المجتمع الأمومي مجتمع متوحش بالطبيعة، وهو ما تعتبره المؤرخة كارين كوبرمن Karen Ordahl Kupperman تحاملاً لا أخلاقياً على المرأة تحوّل إلى معيار استعماري للتمييز بين المجتمعات المتوحشة والمجتمعات المتحضرة[٨٦]. وللأسف ما زال عالمنا يعاني من هذا التمييز الظالم اللاأخلاقي واللاإنساني منذ الغزو البدوي العبراني لكنعان وتأسيس طاغوت الذكورة في السماء والأرض على أنقاض البانتيون الكنعاني الذي يقدس المرأة (للاختصار، انظر الحاشية ٨٧).

لم تتخذ أميركا في فلسفة هوبس وفي النصوص الاستعمارية صورة خنثى شيطانية متوحشة إلا لتبرير الغزو الاستيطاني المتوحش[٨٨]. أميركا في هذه الفانطازيا.

> امرأة تفطر صباحاً ببضعة أطفال وبعدد من الرجال. إنها صورة مخيفة للأخطار الوحشية والفوضى التي تملأ العالم الجديد سرعان ما تحولت إلى مبررات أخلاقية للغزو والاستيطان[٨٩].

وفعلاً فقد أشار هوبس في أعماله إلى عدد من مثل هذه الخرافات الأمازونية (مجتمعات أمومية محاربة) نقلاً عن مؤلفين قدامى وجعلها مثلاً على علاقة المجتمع الأمومي بالوحشية ودعماً لفانطازيا فكرته عن طور «التوحش» state of nature[٩٠].

ما يعنينا هنا هو أن هذه الفانطازيا الهوبسية صارت معياراً استعمارياً للتمييز بين المجتمعات المتوحشة والمجتمعات المتحضرة، كما هي، منذ الغزو البدوي العبراني لكنعان، مادة لاجترار اللاهوتيين على اختلاف أديانهم، ومسلَّمةً يمضغها كثير من علماء (وعالمات) الاجتماع والأنثروبولوجيين المعاصرين[٩١].

أبداً لم يتخلف هوبس عن كهنة النفاق في شركة ڤرجينيا الاستعمارية وعن معاصريه الاستعماريين في منح الحق لشعب الله الأبيض في غزو كنعان الأميركية. فزرع المستوطنات [الخلايا السرطانية] بالنسبة إليه هو من المعالم المميزة للحضارات القديمة... هذه المستوطنات هي «مجموعة من الرجال يُرسَلون من قبل الدولة، أو بإمرة حاكم أو قائد ليستوطنوا بلداً أجنبياً خالياً من السكان، أو أفرغه المستوطنون من السكان بواسطة الحرب»[٩٢]. أليست هذه هي الركيزة الأساسية الأولى في فكرة أميركا التي اقتبسها المستوطنون البيوريتانس من فكرة إسرائيل الأسطورية، فكرة احتلال أرض الغير، واستبدال شعب بشعب وثقافة وتاريخ بثقافة وتاريخ؟

كان هوبس على علم تام بتفاصيل ما عاشته الخلية السرطانية التي زرعتها شركة

ڤرجينيا الاستعمارية وبخطط سياسة الاستعمار البريطاني في العالم الجديد[٩٣]، لكنه أصر على أن يكون كصورة ذلك المخلوق «الذي لا يرى ولا يسمع ولا يقول». فمنذ تخرجه من أكسفورد ١٦٠٨ إلى أن مات ١٦٧٩ أمضى سنوات عمره في خدمة كروش لندن وصقورهم الاستعماريين في شركة ڤرجينيا ومجلس العموم وبلاط صاحب الجلالة. في تلك السنة التقطه أحد أعظم كروش شركة ڤرجينيا الاستعمارية لورد كَڤَنديش Cavandish (أمير ديڤونشاير Earl of Devonshire) ووظفه معلماً لأكبر أولاده وليم William. وما إن انتُخِب التلميذ النجيب في مجلس العموم حتى أصبح هوبس سكرتيره الخاص. وهناك وثيقة قانونية في سجلات الشركة الاستعمارية كتبتها أرملة كَڤَنديش عام ١٦٣٩ تعترف فيها بأن هوبس كان سكرتيراً لزوجها وأنه عمل في خدمته أكثر من عشرين سنة[٩٤]. بل إن هوبس نفسه في رثائه لكَڤَنديش لا يترك مجالاً للشك في أن علاقته بالمرحوم كانت علاقة «كُلني يا مولاي»[٩٥].

ثم إن سجلات الشركة تفضح المستور من هذه العلاقة التجارية، ففي محضر اجتماع إدارة الشركة يوم يونيو/ حزيران ١٦٢٢ نقرأ أن «اللورد كَڤَنديش تنازل عن واحد من سهامه في أراضي [مستعمرة جيمستاون] ڤرجينيا للسيد هوبس بعد أن أذن بذلك مدققو الحسابات ووافق عليه مجلس إدارة الشركة[٩٦]. ومن يومها صار عمل هوبس في شركة ڤرجينيا الاستعمارية شغله الشاغل، فقد ورد ذكره أكثر من ٣٧ مرة حضر فيها اجتماعات الإدارة خلال السنتين التاليتين، إضافة إلى ذكره عدة مرات في اجتماعات إدارة شركة سومر الاستعمارية Somer Island Company لبرمودا[٩٧]. وقد كان تصويته في مجلس الإدارة دائماً موافقاً لتصويت كَڤَنديش أو لمصلحته مباشرة حتى شاع بين أعضاء المجلس أن صوت هوبس موجود دائماً في جيب كَڤَنديش[٩٨]. أكثر ما يلفت النظر في عمله هذا هو أنه تولى بنفسه إرشاد مستوطني المستعمرات والنصح لهم وإصدار التعليمات اللازمة لاستيطانهم والإجابة عن رسائلهم واستفساراتهم.

هنا تذكر السجلات:

> أن إدارة الشركة رغبت في تعيين من يكتب الإجابات لإرسالها للمستوطنين... ومن أجل ذلك فقد عَيَّن مجلسُ الإدارة السيدَ النائب العام [John Ferrar] والسيدَ هوبس اللذين أبديا رغبة في كتابة هذه الأجوبة، وعرضها على مجلس الإدارة(٩٩).

هذا يعني أن الأمر الذي أصدرته الشركة بإبادة الهنود بعد بضعة أشهر قد خُطَّ بيراعة الفيلسوف هوبس الذي يتهمهم بالتوحش وبحرب الكل على الكل وبتناقض فكرة الحكم والحكومة والدولة مع صميم طبيعتهم. ولهذا سياق لاحق. ما يهمنا هنا أن هوبس (دون الخوض في اصطلاحات الحرب الأهلية الإنكليزية يومها) دخل عالم السياسة والفلسفة من باب التجارة. وسأكتفي بتفصيل ذلك في الحاشية حتى لا نضل عن سياق البحث(١٠٠).

صحيح أن شركة ڤرجينيا أولاً وأخيراً، شركة استعمارية تجارية لم تُعنَ بالمسائل النظرية إلا في ما يخص تجارتها، إلا أن هناك إجماعاً بين المؤرخين على أن إدارتها كانت معنية بأمرين: أحدهما سياسي، وهو أن تتحول المستعمرة شيئاً فشيئاً إلى كيان سياسي [دولة] جمهورية (أي ضد التاج)، والثاني أن يقام هذا الكيان على أساس بيوريتاني قيامي، وهو ما اصطلح له صاموئيل لانغدون لاحقاً (١٧٨٣) عبارة ذات دلالة هي «جمهورية الإسرائيليين أنموذجاً للولايات المتحدة»(١٠١)، ما يقتضي اقتلاع أي شكل من أشكال الكيان السياسي الهندي. وهذا بالضبط ما جهد فيلسوفنا في التنظير له تحت مظلة طور «التوحش» state of nature ودعاه إلى الاعتماد على الخيال وتجاهل كل الحقائق التي يعرفها عن الهنود في تقارير الشركة وفي كتب المعاصرين من أبناء مدينته لندن(١٠٢).

صحيح أن بعض دارسي هوبس يذهبون إلى أن تجاهله الحقائق الكثيرة التي يعرفها يعود إلى كراهيته للاعتماد على الملاحظة والاختبار في التنظير الفلسفي،

لكن من الواضح أنه تجاهل ما بين يديه من حقائق لأنها تنسف كل قواعد صرحه الفانطازي، وتتناقض مع دعوة الشركة إلى إنشاء كيان سياسي في العالم الجديد يقتضي وضع مبررات «طبيعية» تضاف إلى المبررات اللاهوتية لنسف كل أمل في كيان سياسي هندي. إنه يقول مثلاً إن «المتوحشين في أماكن كثيرة من أميركا، لا يعرفون الحكومة أبداً باستثناء حكومة العوائل الصغيرة»، وهو يعلم من تقارير الشركة ومن كتابات معاصره وابن بلده پوركاس Purchas أن حكومات كثير من هذه المجتمعات الهندية لا تختلف أبداً عن طراز الحكومة الذي يدعو إليه[١٠٣].

وليؤكد هذه الحالة الشاذة التي فاقت شذوذ كهنة النفاق، فقد تجاهل معرفته المباشرة عن الهنود الأميركيين وتفوقهم الأخلاقي والإنساني والحضاري على المستوطنين من خلال التقارير الرسمية التي كانت تصل بانتظام إلى شركة ڤرجينيا الاستعمارية. لقد طمس عليها وأخفاها لعلمه بأن حقائقها تدحض كل فانطازيا التوحش state of nature[١٠٤]. هنا يرى Srinivas Aravamudan عميد الإنسانيات في جامعة دوك Duke أن «صمت هوبس المريب عن [ما يعرفه من] تطور البنية السياسية لدى الهنود هو عملية طمس effacement مخزية»[١٠٥]، أدت به إلى اختراع طبيعة وحياة وبشر لا وجود لهم إلا في مخيلته. إنه بهذا الركام من الفانطازيا والصور الذهنية المجردة حَكَمَ على المجتمعات الهندية بأنها، بالطبيعة، عاجزة عن حكم نفسها أو عن «سياسة الملك» [بالاصطلاح الخلدوني] ولا تستطيع تنظيم مجتمع سياسي أو تشكيل دولة.

هكذا نَجّرَ هوبس للأمم والشعوب الهندية قفص الفوضى anarchy والتوحش state of nature وحشرهم فيه، لا لينكر عليهم الدولة وحسب، بل ليجعل بنية الدولة منافية لطبيعتهم أيضاً[١٠٦].

وعلى الرغم من أن معاصره هوغو غروتيوس Hugo Grotius أحد أبرز واضعي أسس القانون الدولي اعترف بسيادة حكام الهنود على البلدان الهندية التي كتب

عنها (وعلى الرغم من أن دستور الولايات المتحدة بعد أكثر من قرن من موت هوبس يعترف باستقلال وسيادة الشعوب الهندية)، فإن هوبس ـ دون تحفظ ـ اختزل المجتمعات الهندية إلى عصابات من القراصنة يعيشون في طور التوحش state of nature. وبالتالي فليس لهذه المجتمعات سيادةٌ على بلادها أو استقلال، ذلك الاستقلالُ والسيادة اللذان جعلهما هوبس حكراً على الدول الأوروبية التي لا ينطبق إلا عليها وحدها مفهوم الدولة ذات السيادة، وجعلهما مبرراً شرعياً لغزو المجتمعات «المتوحشة» واستعمارها[١٠٧].

أميركا الفيلسوف الاستعماري الآخر جون لوك John Locke ذات طبيعة مماثلة لطبيعة هوبس، وإن كانت لا تعيش تلك الحرب الهوبسية: «حرب الكل على الكل». أميركا لوك هي أرض الوعد الرائع الذي ينتظر استيطان شعب الله الإنكليزي. ففيما يحتاج متوحشو هوبس إلى من يُخضعهم لسلطة عامة تخيفهم وتحميهم من أنفسهم ليستمتعوا بعد ذلك بثمار الحضارة [البيضاء] يتكرم لوك فيسمح لطبيعة هؤلاء المتوحشين بأن تنتج، مع تقدم الزمن، نوعاً من القيم:

> هنا سيظل الإنسان يكدح ويمزج عرقه بتراب الأرض ليخلق لنفسه ملكية [معيار الحضارة]. ومن هذه العملية البطيئة التي يسيطر فيها الإنسان على الطبيعة ويروض وحشيتها يبرز المجتمع [المفقود حالياً] وتبرز الحكومة [التي لا تعرفها المجتمعات الهندية][١٠٨].

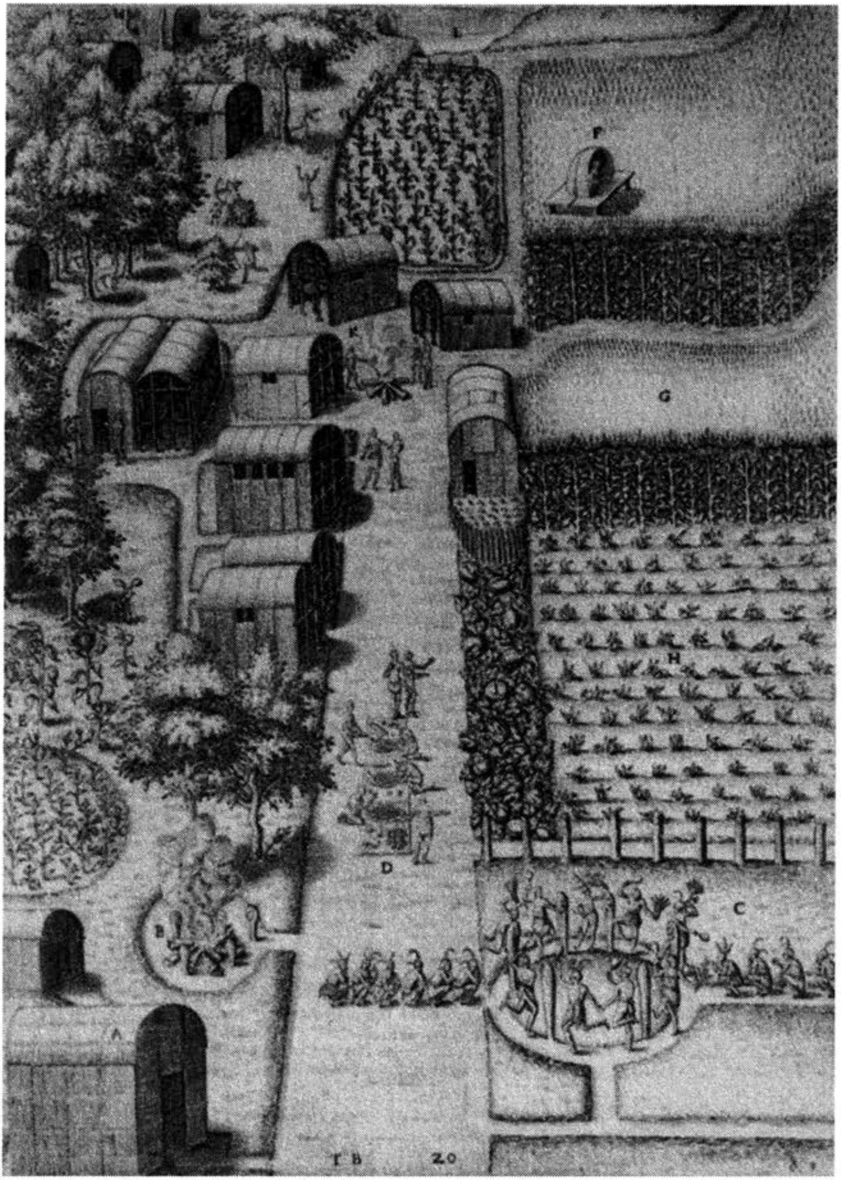
النظرتان كلتاهما ـ نظرة هوبس وجون لوك ـ هما من خرافات الإنكليز المؤدلجة في الفلسفة السياسية. كلتا النظرتين حول عمل قانون الطبيعة law of nature غير قابلتين للتحقق، لا لأنهما منسوجتان من مصادفات تاريخية نادرة وعارضة، بل لأنهما أولا وأخيراً روايات خيالية تجاهلت الواقع. وهذا ما يسمح لنا بأن نسأل أسئلة عن أصل، وبنية، وغاية، وأساس، وشرعية «الدولة» دون أن نجد لها جواباً شافياً في مراجعة سجلات التاريخ فقط لا غير. هل المجتمع سابق على الدولة

فعلاً، أم أن مفاهيم «المجتمع» و«الحكومة» متكامنة ببعضها ومتماهية؟ هل الطبيعة من دون حكومة هي فعلاً في حال حرب دائمة كما يزعم هوبس عن أميركا ومجتمعاتها، أم أنها مادة خام واعدة تنتظر استيطان شعب الله الإنكليزي كما يفضل لوك؟ ثم لماذا كانت أميركا نبعاً ثراً لخرافات فلسفة السياسة الإنكليزية في القرن السابع عشر؟ بهذا الوسواس بأميركا وبالخرافات الفلسفية، هل أراد فلاسفة السياسة (هوبس ولوك مثلاً) أن يهربوا من التاريخ أم أن يخترعوه؟[١٠٩]

الوسواس بأميركا من خلال تاريخ تنجيمي مؤدلج، عند هوبس ولوك، لا يمكن تفسيره وتخليله إلا في سياق النزعة الإمبراطورية للاستعمار الاستيطاني الإنكليزي. «ولا شك في أن تاريخ مستعمرتي ڤرجينيا وبرمودا يلقي حزمة من الضوء على مدلولات هذه النزعة في فلسفة هوبس السياسية». فكل الفلسفة السياسية الإنكليزية قبل هوبس كانت تعمل في حيز الدولة (الجزيرة البريطانية). مع هوبس بدأت هذه الفلسفة السياسية تتطلع نحو الإمبراطورية وترسي قواعدها الفلسفية ما وراء حدود الدولة الوطنية، خاصة أن الإطار الهوبسي يعتبر تشكل الدولة والنشاط الإمبراطوري أمراً واحداً[١١٠].

إن لروايته لمفهومي السلطة والخضوع أهميةً كبيرة في كتابيه «عن المواطن *De Cive*» و«تنين البحر *Leviathan*»، ما يعني أنه يتعمد التنظير للجسر الذي ستعبره بريطانيا من «السلطة الوطنية» إلى «السلطة الإمبراطورية». إنه يُجهد كثيراً من طاقته في التنظير لتحديد التطبيقات السياسية التي ستصنع التحول الأيديولوجي من وطن إنكليزي إلى إمبراطورية بريطانية، ولا شك في أن دارس كتابه «تنين البحر *Leviathan*» يدرك أن هوبس كان على صلة وثيقة بالنيات الإمبراطورية البريطانية في البحار والمحيطات، وأنه هو الذي صاغ لتلك النيات فلسفة التحول من أمة إنكليزية إلى إمبراطورية بريطانية[١١١].

وفي غمرة استعار هذا الكَلَب، يبدو أن دراما استعمار أميركا كانت، لهوبس،



جانب من قرية سيكوتا الهندية في ڤرجينيا عام ١٥٨٨، كما رسمها المستوطن جون وايت John Whitē ثم حفرها تيودور دوبري Theodor de Bry ونشرت في كتاب توماس هاريوت Thomas Hariot عن ڤرجينيا. *True Report of the New Found Land of Virginia*.

ولست أدري كيف عميت عيون هوبس عن رؤية هذا النمط الزراعي المتقدم على عصره، ثم تجرأ وأنكر معرفة الهنود بالزراعة.



صورة عجوز هندي ألغونكيني من ڤرجينيا عام ١٥٨٨، كما رسمها المستوطن جون وايت John White
ثم حفرها تيودور دوبري Theodor de Bry ونشرت في كتاب توماس هاريوت Thomas Hariot عن
ڤرجينيا. *True Report of the New Found Land of Virginia*
الهندي العجوز يقف على صخرة مرتفعة تطل على قريته المحاطة بحقول الذرة الخصبة.
وتبدو خلفها بساتين الأشجار المثمرة المصفوفة هندسياً.

مناسبة لتدريب خياله على الشطح والتنظير الأسطوري، فكل سجلات شركة ڤرجينيا الاستعمارية وشقيقتها شركة برمودا تؤكد أنه كان يعلم عن هنود شمال أميركا حقائق مناقضة تماماً لما ورد في كتبه، خاصة أنه كان أحد كروش هاتين الشركتين وعضواً في مجلس إدارتهما. ولا شك في أنه قابل معاصره وابن مدينته الرحالة والرياضي الفلكي توماس هاريوت Thomas Harriot وقرأ كتابه المرجعي عن ڤرجينيا[١١٢]. فقد سافر هاريوت مع بعثة Raleigh (عام ١٥٨٥) إلى روانوك Roanoke (المستعمرة الإنكليزية الأولى الفاشلة)، بصفته خبيراً في الرياضيات، واطلع على أحوال هنود الألغونكين هناك، ثم عاد واشتغل عند أمير Northhumberland في لندن من ١٦٠٧ إلى ١٦٢١[١١٣]. يومها كان كل عدد

سكان لندن لا يزيد على مئتي ألف نسمة ومن المضحك (مع كل اهتمام هوبس بأميركا) إنكار معرفته بهاريوت وكتابه[١١٤].

كتاب هاريوت بحقائقه ورسومه الحية المذهلة للمستوطن الرسام جون وايت John White عن الحياة في ڤرجينيا يدحض كل فانطازيا هوبس عن التوحش state of narure وعن الصروح النظرية التي بناها على هذا الرمل الفلسفي. ولا شك في أن علاقته التجارية بالشركتين الاستعماريتين ڤرجينيا وبرمودا كان لها أثر كبير في هذا التزوير. هنا يرى المؤرخ الإنكليزي نويل مالكولم Noel Robert Malcolm (في إشارة مهينة إلى طمس هوبس المتعمد للحقائق التي يعرفها عن الهنود) أن «مشكلة هنود أميركا مع أعمال هوبس مماثلة تماماً للمشكلة مع الكلب الذي لم ينبح في الليل the dog that did not bark in the night»[١١٥] لأنه يبقى أدهى وأخطر من أخيه النبّاح، إنه يريد أن يعضك قبل أن تستمتع برؤية طلعته البهية في الظلام.

معظم الرحالة الإنكليز إلى شمال أميركا في القرنين السادس والسابع عشر أشاروا إلى أن البلاد مسكونة بكثافة[١١٦] وأن لديها بنى سياسية ودستورية معقدة وأحلافاً بين أممها وشعوبها لم تعرفها أوروبا[١١٧]. ومعظم أعمال هؤلاء الرحالة الرواد جمعها الكاهن صاموئيل پوركاس Samuel Purchas معاصر هوبس ومواطنه وابن مدينته في مجلدات كتابه *Hakluytus Posthumus* (١٦٢٥) الأربعة. ثم إن هناك ما يقطع الشك باليقين، وأعني كتاب «التاريخ العام لڤرجينيا General History of Virginia» لجون سميث John Smith مؤسس مستعمرة ڤرجينيا لحساب شركة ڤرجينيا التي كان هوبس أحد مديريها، وفيه إشارات كثيرة إلى النظم السياسية والأجهزة العسكرية والحقول الزراعية والحياة الاجتماعية، وفيه نص واضح يعترف فيه بأن المجتمعات الهندية في ڤرجينيا منظمة جداً وأنها تتضمن نظام دول صغيرة متحالفة، وأنها لا تحارب إلا دفاعاً عن النساء والأطفال، وغير ذلك من الحقائق التي تحيل نظرية هوبس عن التوحش state of nature فعلاً إلى هلوسات مدمن المخدرات[١١٨].

هاريوت، مثلاً، يتحدث عن نظام سياسي وزعيم يحكم ما يزيد على ١٨ مدينة مختلفة. أما جون سميث فيضيف إلى ذلك وجود قضاة ونظام قضائي. ثم إنه ذكر في شهادة تنسف كل فانطازيا هوبس عن غياب الحكومة وتنافيها مع الطبيعة الهندية المتوحشة يقول فيها إن هناك إمبراطوراً حاكماً على عدد من الملوك والحكام يتمتع كل منهم في منطقته بنظام مستقل[١١٩]. كذلك فإن هذه الشهادات تسخر من نظرية فيلسوفنا حول «حرب الكل على الكل»[١٢٠] ولا أدري كيف تستقيم فانطازيا الفيلسوف مع هذه الشهادة الحية عن ثقافة الحرب عند الهنود:

> بين هنود السهول الذين أعرفهم جيداً، يعتبر لمس العدو من أشنع أنواع التعبير عن العدوانية. أن تقوم بضرب العدو دون أن تؤذيه عمل من أعمال الفروسية. إن من مظاهر الشجاعة وتقاليدها أن يمضي الرجل إلى الحرب وليس في يده سلاح يؤذي عدوه من بعيد، فحمل الرمح أكثر شجاعة من حمل السهم، وحمل البلطة القصيرة أولى من حمل الرمح. أما أعظم مظاهر الشجاعة، فأن تسعى إلى الهيجا من دون سلاح[١٢١].

ومن المفارقات أن هذه الحرب الهوبسية، «حرب الكل على الكل» كانت تدور في العالم الجديد فعلاً، ولكن بين المستوطنين أنفسهم، بشهادة سميث مؤسس المستعمرة وتقريره المرفوع لشركة ڤرجينيا. فحين كانت مستعمرة جيمستاون على وشك الانهيار واللحاق بأختها وسابقتها مستعمرة روانوك Roanoke بسبب تنازع السلطة بين المستوطنين، كتب سميث تقريراً للشركة يشتكي فيه شخصياً من أنه ليس هناك أصعب من إنشاء كيان سياسي بين مثل هؤلاء الناس [المستوطنين] الذين يتصرفون بطيش ولا مسؤولية[١٢٢]. أما إذا لم يقرأ هوبس تقرير سميث، فلا بد أنه سمع موعظة الكاهن المستوطن وليم سيموندس William Symonds أمام مديري شركته في كنيسة White Chapel بلندن يقول فيها:

> وصلنا إلى هذه الأرض مثل الذئاب والأسود والنمور التي يقتلها الجوع، ولم نجد لأمراضنا من علاج سوى أن نتمزق ونرتكب الجرائم ويقتل بعضنا بعضاً ونهلك الحرث والنسل بوحشية لا عين رأت ولا أذن سمعت[١٢٣].

إضافة إلى هذه الشهادات العرقية والاجتماعية المعاصرة التي تجاهلها هوبس وطمس عليها، هناك تفاصيل حضارية طريفة وثَّقَتْها هذه المصادر، منها مثلاً طقوس الجنائز الملكية ومواقع الدفن، والقرى «المخططة بأناقة وجمال لا تعرفه الحدائق العامة في لندن»[١٢٤]، (وانظر الصورتين)، إضافة إلى أنظمة زراعية شديدة التعقيد تحدثتُ عنها في ملحق «أولاد الأرض العذراء». ولا شك في أن هوبس اطلع على كل هذا الشهادات الحية عن فرجينيا وشاهد بعينيه رسوم جون وايت *John White* وحفريات دوبري *Debry* في كتاب هاريوت الذي طبع في لندن ونشر في السنوات التي كان يعد فيها نفسه لدخول سوق الفلسفة[١٢٥].

فهل تجاهل هوبس هذه المصادر الأصلية التي طبعت في لندن في أيامه أم أنه لم يقرأها وفضل الاعتماد على شطحات خياله؟ أيهما أسوأ؟ هل هناك تلميذُ فلسفة في جامعة أكسفورد التي تخرج منها عام ١٦٠٨ يرتكب ما ارتكبه هوبس وينجح في امتحانه؟ هل هذا منهج فيلسوف محترم أقلق الدنيا بالحديث عن البربرية والتوحش وعن ما يلزمنا لدخول مملكة الله[١٢٦]؟ هل هذا ما أراد أن يعلمنا في علم الأخلاق[١٢٧]؟

على مدى قرون طويلة حاول فلاسفة الأخلاق أن يوضحوا العلاقة بين الأخلاق والمصلحة الشخصية المعقولة rational self-interest. وقد أولوا عناية خاصة لاحتمال أن تكون هناك حالات يدرك الإنسان ببصيرته أن التزام الأخلاق سيضر بمصلحته الخاصة، وبالتالي فهي تقتضي منه أن يتصرف تصرفات لا أخلاقية كأن يكذب أو ينافق أو يغش أو يسرق. ولست أدري ما إذا كان هوبس الذي يفلسف

الطبيعة البشرية من منطلق المصلحة الخاصة يدرك أن كل ما كتبه عن «التوحش» هو مثال جيد على هذه العلاقة الشاذة مع الأخلاق.

□ □ □

اليوم الذي شارك فيه هوبس فعلياً في مجلس إدارة هذه الشركة الاستعمارية كان ذا دلالة خاصة، فقبل ذلك بثلاثة أيام وصلت الأخبار من ڤرجينيا عن مقتل ٣٤٠ مستوطناً إنكليزياً على أيدي المقاومة الهندية التي طفح كيلها من جشع شعب الله ووحشيته. بعد شهرين (آب ١٦٢٢) أمر مديرو الشركة (وهوبس من بينهم) حاكمَ المستعمرة بإعلان الحرب على الهنود دون رحمة. ثم إنهم بعد شهرين أيضاً (أكتوبر/ ت١) أمروه بإبادة الهنود كلياً والاحتفاظ بالأطفال للخدمة وأعمال السخرة[١٢٨].

ما هو أدهى من الأمر بالإبادة هو كشفُ سجلات الشركة عن عبقرية فلسفة «التوحش»، حين طلبت من حاكم المستعمرة تنظيم مسرحية «مفاوضات سلام» جرى فيها ـ تحت جنح السلام ـ تسميم الملوك والزعماء الهنود الذين عصر هوبس كل خلايا دماغه لاقتلاعهم من الوجود. هنا تقول سجلات الشركة ما يأتي:

> في ٢٢ يوم أيار/ مايو، أُرسِلَ الكابتن تَكر Tucker مع ١٢ رجلاً للبحث عن بعض رجالنا الإنكليز الذين احتجزهم الهنود، ولعقد سلام مع الملك العظيم أپرشَنزيون Aprochanzion. وقد استطاع المترجم والهندي الذي أرسل معه أن يحضراهم ويحضرا الملك ليتكلم مع الكابتن.
>
> بعد عدد من الخطابات البديعة بدأ احتفال السلام بشرب الأنخاب. وشرب الكابتن والمترجم من قربة بينما شرب الملك من قربة أخرى. بذلك سقط الملك أپرشَنزيون صريعاً وسقط معه ملك

> شسكاكه Cheskacke وأولادهما وكل من كان معهما من حاشية. أما عددهم فلا نعرف تماماً، لكن من المعتقد أنهم نحو ٢٠٠ رجل ماتوا مسمّمين.
>
> ثم إننا قتلنا خمسين آخرين، وأحضرنا معنا بعض رؤوسهم المقطوعة ولا شك لدينا الآن في أن ما جرى سيثير رعبا شديدا في قلوب هؤلاء الكفار[١٢٩]..

هذا ما تقوله سجلات شركة ڤرجينيا الاستعمارية بالحرف عن هذه المذبحة باسم مفاوضات السلام التي انتهت بإبادة شعب كونوي وتدمير مدنه التي تقوم اليوم فوق إحداها مدينة واشنطن[١٣٠] العاصمة الخالدة لفلسفة التوحش. ومن يقرأ نهاية الرسالة، يتأكد أن المستوطنين كانوا عازمين بعد حصاد التبغ على إعمال السيف «put them to the sword» في هؤلاء الذين ظنوا خيراً بنيات المستوطنين، فمضى ملوكهم وزعماؤهم للتفاوض على السلام، لكنهم لم يجدوا عند شعب الله غير الموت الزؤام.

ما يعنينا هنا هو أن فيلسوفنا هوبس كان هو المكلف رسمياً من قبل مجلس إدارة هذه الشركة «بإرشاد مستوطني المستعمرات والنصح لهم وإصدار التعليمات اللازمة لاستيطانهم والإجابة عن رسائلهم واستفساراتهم»[١٣١]. أي إن هذا الأمر بإبادة الهنود، واستعبادهم، وتسميم ملوكهم وحكامهم، وتدمير حكوماتهم، إن لم يكن قد دُبِّجَ بيراعة هوبس الفلسفية، فإنه (بحكم وجوده في إدارة الشركة) أُرسِل بموافقته وبعلمه بأن للهنود حكومات وملوكاً تُكذِّب كل تلفيقه عنهم في فلسفة التوحش. لهذا لست أدري هنا أيهما أجدر بوصف «الكلب الذي لا ينبح في الليل»، أهي فلسفة التوحش الهوبسية أم هي وحشية كل فلسفة الاستعمار الاستيطاني؟

الهوامش

(١) أسماء مستوطني المستعمرة الإنكليزية الدائمة الأولى جيمستاون، وهي الخلية السرطانية التي زرعها الإنكليز في جسد العالم الجديد، فتفشت وتحولت اليوم إلى ما يسمى الولايات المتحدة الأميركية:

مجلس استشاري: Master Edward Maria Wingfield, Captaine Bartholomew Gosnoll, Captaine John Smyth, Captaine John Ratliffe, Captaine John Martin, Captaine George Kendall.

قس: Master Robert Hunt

رجال:

Master George Percie, Anthony Gosnoll, Captaine Gabriell Archer, Robert Ford, William Bruster, Dru Pickhouse, John Brookes, Thomas Sands, John Robinson, Ustis Clovill, Kellam Throgmorton, Nathaniell Powell, Robert Behethland, Jeremy Alicock, Thomas Studley, Richard Crofts, Nicholas Houlgrave, Thomas Webbe, John Waler, William Tanker, Francis Snarsbrough, Edward Brookes, Richard Dixon, John Martin, George Martin, Anthony Gosnold, Thomas Wotton,

أطباء: Thomas Gore, Francis Midwinter

نجارون:

William Laxon, Edward Pising, Thomas Emry, Robert Small, Anas Todkill, John Capper

حداد: James Read

نوتي: Jonas Profit

حلاق: Thomas Couper

عمارون: John Herd, William Garret, Edward Brinto

خياط: William Love

طبال: Nicholas Skot

عمال:

John Laydon, William Cassen, George Cassen, Thomas Cassen, William Rods, William White, Ould Edward, Henry Tavin, George Golding, John Dods, William Johnson, William Unger, William Wickinson, Surgeon

أولاد للخدمة:

Samuell Collier, Nathaniel Peacock, James Brumfield, Richard Mutton

عن وثائق محفوظات ولاية فرجينيا، مستعمرة جيمستاون.

Historic Jameston, Preservation Virginia, Richmond, VA.

(٢) Robert Gray, *A good Speed to Virginia* (Printed by Felix Kyngston for Welliam Welbie and are to be sold at his shop at the sign of the Greyhound in Pauls Church-yard, 1609) pp. 5, 8-9.

(٣) See Gregory Vaughn McNamara, «Public Preaching and the Establishment of Virginia, ca. 1609,» *International Journal of Humanities and Social Science,* Vol. 1, No. 6; June 2011.

في كُرّاس ملكي إنكليزي نادر، وصف الدوق هنري دوق لانكستر اللهَ بأنه حساء يمكن وصفه في العلاجات الروحية، ويمكن طبخه بسلق ديك مخصي في قِدر خزفية. وهذا ما شجع عدداً من متنوري ذلك الزمان على السخرية من هذا الابتذال للذات الإلهية فقالوا إن الإله الذي يتصوره الدوق ومعه كثير من العامة هو عبارة عن «شوربة دجاج»! انظر:

A. R. Myers (ed.,) *English Historical Documents 1327-1485,* (Oxford University Press, 1969), p. 813.

(٤) Andrew Fitzmaurice, *Humanism and America: An Intellectual History of English Colonisation*, 1500-1625. (Cambridge: Cambridge University Press), pp. 58-101; Perry Miller, *Errand into Wilderness,* (Harvard University Press, 2000), p.100

في عام ١٦٠٦ منح التاج «شركة ڤرجينيا» حق الاستيطان في ڤرجينيا بالقرب من خليج تشِسابيك Chesapeake بهدف خلق فرص عمل للعاطلين، وإيجاد طريق إلى الشرق، واستغلال ثروات العالم الجديد في الإنتاج الصناعي، وزيادة ثروة الإنكليز وسلطتهم. وقد اشترى المستثمرون سهاماً لتمويل المستوطنة، أنفق جزء منها على شراء الزاد واليد العاملة وكان ثمن السهم ١٢ باونداً و١٠ شلنات. ولتشجيع شراء السهام نظمت الشركة في عام ١٦٠٩ حملة دينية استخدمت فيها وعاظ الكنائس الذين لم يتركوا تفصيلاً في أسطورة أرض الميعاد التوراتية لم يؤنكلزوه، ثم نشرت الشركة أكثر هذه المواعظ طنطنة وحماسة ووزعتها على نطاق واسع. هكذا بلغ عدد المساهمين ١٧٠٠ مشارك، على رأسهم وزير الحرب Lord de la Warr (ممثلاً ظل الله الجالس على عرش إنكلترا، اسكتلندا، فرنسا وإيرلندا، حامي حمى الدين Defender of the Faith الملك جيمس الأول).

(٥) تكرر هذا التمثيل بالعبرانيين في كل المواعظ، وخاصة منها المذكورة أدناه وكان من أبرز وعاظ «شركة فرجينيا» وتجارتها الربانية، إضافة إلى روبرت غراي ثلاث «قلنسوات كهنوتية» أنغلو ـ عبرانية استأجرتهم الشركة وتكفلت بنشر مواعظهم، وهي:

* Daniel Price, *Saul's Prohibition Staide. Or The apprehension, and Examination of Savle. And the Indictement of all that perfecute Christ, with a reproofe of thofe that traduce the Honourable Plantation of* (London 1609);
* William Symonds, *Virginea Britannia. A Sermon Preached At White Chappel, In The presence of many the Adventurers, and Planters for Virginia by Reverend William Symonds* (London 1609);
* William Crashaw, *A Sermon Preached in London Before the Right Honorable the*

Lord Lawarre, Lord Gouernour and Captaine Generall of Virginea, and Others of His Maiesties Counsell for that Kingdome, and the Rest of the Aduenturers in that Plantation: At the Said Lord Generall His Leaue Taking of England His Natiue Countrey, and Departure for Virginea, Febr. 21. 1609. (London: William Welby 1609/10).

مع اكتشاف العالم الجديد شهدت إنكلترا ولادة حقل معرفي جديد يعنى بالدراسات الإنسانية Studia humanitatis واكبه إحياء للأعمال اليونانية والرومانية في الخطابة والتاريخ والشعر وفلسفة الأخلاق.

See Oskar Kristller, *Renaissance Thought and its Sources*, (Columbia University Press, 1979), pp. 21-23.

ولدعم هذا التوجه المعرفي، تبنى الإنكليز نظاماً تعليمياً ينسجم مع الدراسات الإنسانية، وطوروا التقاليد القروسطية للدراسات الكلاسيكية يومها كانت معظم الإنسانيات الإنكليزية ترى أن المسألة الأخلاقية ليست مطلقة بل مشروطة بالمصلحة العامة ولم تتخلف الكنيسة الإنكليزية عن هذه الرؤية الميكيافيللية التي تسعد المؤمنين في الدنيا والآخرة، فراحت تربي الوعاظ وتحضهم على استخدام أدوات الدراسات الإنسانية، ولا سيما الخطاب الكلاسيكي الذي يتضمن فلسفة أخلاقية شيشرونية Ciceronian لجعل مواعظهم مؤثرة ومقنعة.

See John W Malley «Content and Rhetorical Forms in Sixteen Century Preaching,» in James Murphy (ed.,) *Renaissance Eloquence: Studies in the Theory and Practice of Renaissance Rhetoric*, (University of California Press, 1983), pp. 242-244.

إصلاح لغة المواعظ وأفكارها ومصادرها كان له أهمية كبيرة في تطوير «الميكيافيللية الدينية» التي صارت الوسيلة المفضلة للدعاية لمستعمرات العالم الجديد وتسويق التاج لتجارته الاستعمارية. ولهذه الميكيافيللية الدينية التي شجع عليها التاج ما يفضحها، ويكشف عن أن استثمار الدين إنما فرضه تراجع الدعم الشعبي للحركة الاستعمارية بعد الإخفاقات الكثيرة التي مني بها أيام الملكة إليزابيت. فالرسائل الملكية التي تعود إلى أول رحلة استعمارية لا تأتي على سيرة الدين لا من قريب ولا من بعيد. وهي رسائل ترخيص منحتها الملكة لهمفري جلبرت Humphry Gilbert (قائد أول حملة استعمارية إنكليزية إلى العالم الجديد، ١٥٧٨) تتفق كلها على أن الهدف هو الاحتلال والاستغلال انظر:

Kennith R. Andrews, *Trade, Plunder and Settlement: Maritime Enterprise and the Genesis of the British Empire, 1480-1630*, (Cambridge University Press, 1984), p. 51.

وإذن فإن ما فَرَضَ الميكيافيللية الدينية في عصر جيمس هو تراجع الحماسة للحملات الاستعمارية بعد الفشل الذريع الذي منيت به هذه الحملات في العصر الإليزابيتي، والتي شاع بين العامة أن السبب الأول لفشلها هو أنها كانت للنهب ولم تكن لوجه الله. وهذا ما دعا وعاظ «التجارة الربانية» إلى إخراج يهوه من القمقم واستحضار فكرة إسرائيل الأسطورية من الكتاب المقدس لشحنهما معاً إلى «كنعان الإنكليزية الجديدة». انظر:

Andrew Fitzmaurice, *Humanism and America*, op. cit., p. 12.

وفعلاً، فلتجنيد أكبر عدد ممكن من المستعمرين أَوْلى الوعاظُ أهمية كبيرة للعامة والفقراء والبسطاء المتعلمين وغير المتعلمين. فالواعظ جون راستل John Rastell، مثلاً، أعلن رغبته في الوصول إلى الطبقات الدنيا [الجاهلة] التي ليس لها من المعرفة والعلم سوى القدرة على فهم الإنكليزية.
men of meane estate, whiche nothynge but englyshe can understand

ثم بلغت حملة تجنيد هؤلاء الفقراء ذروتها عندما أمر بلاط الملك جيمس بتوزيع نسخ من كتاب الكابتن ريتشارد ويتبورن Richrad Whitbourne الدعائي للاستعمار وفوائده.
A D I S C O V R S E AND DISCOVERY OF NEVV-FOUND-LAND, WITH many reasons to prooue how worthy and bene- ficiall a Plantation may there be made, after a far better manner than now it is.

على كل كنائس المملكة انظر:
Gillian T. Cell., *New Foundland Discovered, English Attempts at Colonisation, 1610-1630* (London 1982) p. 101.

لهذا (ربما) أنتج الإنكليز أعمالاً أدبية وفنية وتاريخية في ترويج الاستعمار وتزيينه والتشجيع عليه وإبراز فضائله ومحاسنه في الدنيا والآخرة أكثر من كل القوى الأوروبية المنافسة. بعضها كتبه مؤلفون لم تطأ أقدامهم أرض العالم الجديد. انظر في ذلك.
Andrew Fitzmaurice, *Humanism and America*, op. cit., p.9

(٦) See E. Raymonds, *Jacob's Pillar: Stone of Destiny* (Artisan Publisher, 2009); Richard Brothers, A Revealed Knowledge of the Prophecies and Times (1794) *[Encyclopaedia Judaica*. 1971. Vol.4, p1381]; Colonel [John] Garnier, *Israel in Britain: A Brief Statement of the Evidences in Proof of the Israelitish Origin of the British Race* (London, Robert Banks and Son, 1890); David Baron *The History of the Ten Lost Tribes*, (CreateSpace Independent Publishing Platform 16, 2012).

(٧) Alfred A Cave, «Canaanites in a Promised Land: The American Indian and the Providential Theory of Empire,» *American Indian Quarterly*, Vol. 12, No. 4 (Autumn, 1988), p. 284.

(٨) Peter Force, ed., *Tracts and Other Papers Relating Principally to the Origin, Settlement, and Progress of the Colonies in North America*, (Gloucester, 1963) I, No. VI, 7, 11, 12, 13, 15.

(٩) Robert Gray, op. cit., 9-10.

(١٠) William Symonds,, op. cit.,

(١١) Robert Gray, op. cit., 9-10.

والنص الأصلي عنده هو:
«It is God's ordinance to bring a curse upon them and to kill them as the children of Israel did Balam.»

(١٢) John Locke, *A Letter Concerning Toleration,* (Yale University Press, 2003 [1689]), p. 240.

(١٣) نجد هذه الوصية وتفاصيل دمويتها في سفر التثنية ٢٠: ١٦ و ١٧. ونظراً إلى أننا اليوم نعيشها ونشهد من يتبنونها وينفذونها أتمنى على القارئ أن يقرأها مع تفاصيلها الدموية أي من الفقرة ١٠ إلى الفقرة ٢٠. وأرجو أن لا تغشه كلمة «التحريم» في النص فهي تعني الأمر «الإلهي» بـ «الإبادة» (وإفناء كل نفس حية Completely /utterly destroy them) قرباناً أو نذراً لربهم. ومنذ القرن الثاني، استنكر كثير من اللاهوتيين وحشية هذه الوصية.

Heikki Raisanen, «Marcion» In *A Companion to Second-Century Christian «Heretics»* ed. Antti Marjanen and Petri Luomanen (Leiden; Boston: Brill, 2008), 108-109.

ثم تكثفت الدراسات المستهجنة لهذه الوصية مع نهاية القرن السابع عشر عندما بدأ بعض المفكرين العقلانيين يطعنون في أخلاقية العهد القديم وقدسيته جملة وتفصيلاً، وذلك انطلاقاً من وحشية الغزو الإسرائيلي لكنعان وإبادة الكنعانيين كما يروي كتبة العهد القديم ذلك انظر:

Frank E. Manuel, *The Broken Staff: Judaism through Christian Eyes.* (Harvard University Press, 1992), 178-187.

ففي إنكلترا نفسها تناول الفيلسوف الإنكليزي ماثيو تِندال Tendal وحشية هذه الوصية التوراتية بإبادة الكنعانيين في كتابه.

Matthew Tendal, *Christianity as Old as the Creation, or the Gospel as a Republication of Religion of Nature,* (London, 1730), p. 84

الذي صار إنجيل الطبيعيين في عصره وفيه أشار باستهجان إلى أن الكنعانيين أبيدوا برغم أنهم لم يعتدوا على الإسرائيليين ولم يتناولوهم بأذى. لقد أبادوهم بوحشية ليس لها مبرر.

Ibid.,p. 254.

كل هؤلاء الطبيعيين التنويريين سخروا من الدعاوى الأخلاقية أو الأساس الأخلاقي لاجتياح كنعان كذلك استهجنوا الادعاءات الدينية التي تزعم أنهم قتلوا لأنهم وثنيون. وهنا يتساءل تندال: لماذا إذن قتلوا الأطفال الرضع الذين لا علاقة لهم بالوثنية أو غير الوثنية؟

bid., p. 254.

أقسى نقدهم للعهد القديم تركز على مسألة الإبادة، بل إنهم وصفوا الإسرائيليين بالغزاة المتوحشين الذين أسسوا الحجج الدينية والأخلاقية للقوى الاستعمارية الأوروبية وبرروا لها حملات الإبادة واستخدام العنف المميت كما يقول تود إندلمن أستاذ التاريخ اليهودي في جامعة ميشيغن

Todd M. Endelman, *The Jews of Georgian England, 1714-1830: Tradition and Change in a Liberal Society, (University of Michigan Press, 1999)*, pp. 96-97.

(١٤) Laura M. Stevens, *The Poor Indians: British Missionaries, Native Americans, and Colonial Sensibility (Early American Studies)*, (Philadelphia: University of Pennsylvania, 2004), 123-30; and Colin Haydon, *Anti-Catholicism in Eighteenth-Century England, C. 1714-80: A Political and Social Study,* (Studies in Imperialism), (Manchester: Manchester University, 1993), 136.

والأدهى من ذلك أن تندال وكثيراً من الطبيعيين الإنكليز لم ينسوا بروتستانتيتهم. لهذا أعموا عيونهم عما فعله الغزو البريطاني بسكان العالم الجديد تأسياً بسنة العبرانيين في إبادة الكنعانيين بينما وجهوا سهام نقدهم إلى الإسبان الكاثوليك.

(١٥) Matthew Tendal, *Christianity as Old as the Creation,* op cit., p. 239.

لم يقتصر الأمر على الإسبان، فالفيلسوف السياسي الإنكليزي هنري سان جون فيسكونت بولينغبروك Viscount Henry St. John Bolingbroke هو الذي وصف ما فعله العبرانيون بالكنعانيين بالسُّنّة أو بالسابقة التي تأسى بها جيوش البداة الهون Huns والقوط Goths والفندال Vendal في اجتياحاتهم ومذابحهم الوحشية. وقال إن هؤلاء السفاحين لم يكونوا أسوأ من يشوع Joshua [الذي نفذ وصية موسى بإبادة الكنعانيين]. كلهم في خانة واحدة من العطش إلى الدم.

Viscount Henry St. John Bolingbroke, *The Philosophical Works of the Late Right Honorable Henry St. John, Lord Viscount Bolingbroke,* (London [s. n.] 1754) Thomas Jefferson Library Collection (Library of Congress), 5: 376.

(١٦) See Carol Delaney, *Columbus and the Quest for Jerusalem: How Religion Drove the Voyages that Led to America* (Free Press, 2012), pp. 19-42, 236-244.

(١٧) Luis N Rivera, *A Violent Evangelism: The Political and Religious Conquest of the Americas* (Westminster John Knox Press; 1st edition, 1992), pp. 236-237

نقد الطبيعيين لسابقة إبادة الكنعانيين لم يقتصر على الإسبان بل شمل الإنكليز الذين لم يتورعوا عن وضع اليد على نصوص التوراة ورجالها وأحداثها. فغزو كنعان الفلسطينية كان المصدر الشرعي الأسمى لغزو كنعان الأميركية. إنه الأساس الذي بنى عليه البيوريتانس صرح لاهوتهم الاستعماري الذي ربط التوسع في الأرض بنقاء العرق الإنكليزي واستثنائيته واختيار الله له دون بقية الشعوب والأمم. فالأكاديمي الكندي بول ستيفنس Paul Stevens يلخص هذا التأسرل البريطاني في كلمتين هما طغيان «التفكير اللاوي Leviticus Thinking» نسبة إلى سفر اللاويين (أو الأحبار في الترجمة اليسوعية)، ثم يعمم ذلك على كل القوى الاستعمارية في القرن السابع عشر.

Paul Stevens, 'Leviticus Thinking' and the Rhetoric of Early Modern Colonialism,» *Criticism,* Vol. 35, No. 3, The Politics of Literature in Early Modern English culture (summer, 1993), pp. 441-461.

(١٨) Rudiger Otto «Johann Christian Edelmann's Criticism of the Bible and its Relation to Spinoza,» in *Disguised and overt Spinozism around 1700 : Papers Presented at the International Colloquium, Held at Rotterdam, 5-8 October,* (Leiden ; New York : E.J. Brill, 1996), pp. 171-191.

(١٩) Ofri Ilany, «From Divine Commandment to Political Act: The Eighteenth-Century Polemic on the Extermination of the Canaanites,» *Journal of the History of Ideas,* Volume 73, Number 3 (July 2012) pp. 437-461.

(٢٠) Voltaire, «Philosophical Dictionary,» *The Complete Romances of Voltaire* (New York, Walter J. Black, 1927), 378; *Political Writings,* ed. David Williams (Cambridge:

Cambridge University Press, 1994), 23. Cited by Ofri Ilany, «From Divine Commandment to Political Act, op.cit, p. 447.

(٢١) Ibid.

(٢٢) Nicholas Street, *The American States Acting over the Part of the Children of Israel in the Wilderness and thereby Impeding Their Entrance into Canaan's Rest* (New Haven, Conn., Thomas and Samuel Green, 1777). 1.

لاهوت البيوريتانس هو لاهوت كالفني Calvinist. ويمكن اختصاره بخمس نقاط كما جاء في مجمع دورت Synod of Dort (Dordrecht) الذي عقد في السنتين اللتين سبقتا إقلاع سفينة وينثروب وقديسيه إلى العالم الجديد (١٦١٨ ـ ١٦١٩):

١ ـ أن نعمة «الاختيار» الإلهي، لهم ولبني إسرائيل من قبل، تمت قبل خلق العالم.

٢ ـ أن المسيح لن يخلص إلا المختارين [هم ومن على دينهم].

٣ ـ أن سقوط آدم جعل الإنسان في حال فساد وعجز، وإن قوى الإنسان وملكاته الطبيعية لا تسمح له بالخلاص.

٤ ـ أن الولادة من جديد (في الإيمان) هي رحمة من الله، وليست عملاً يقرره الإنسان بنفسه.

٥ ـ أن خطايا القديسين مغفورة لأن الله يحفظهم ولا يحرمهم نعمه مهما ارتكبوا أو أخطأوا.

انظر:

David N. Steele, Curtis C. Thomas, S. Lance Quinn, *The Five Points of Calvinism: Defined, Defended, and Documented,* (P & R Publishing; 2 edition 2004).

(٢٣) العهد الأول كتبه وليم برادفورد William Bradford عام ١٦٢٠(حاكم مستعمرة بليموث لاحقاً) على متن السفينة ماي فلور Mayflower، ويعرف بعهد أو ميثاق ماي فلور *Mayflower* Compact. والعهد الثاني كتبه جون وينثروب John Winthrop عام ١٦٣٠، (حاكم مستعمرة خليج مساتشوستس لاحقاً)، ويعرف بعنوان *A Modell of Christian Charity*.

(٢٤) See Scavan Bercovitch, «The Typology of American Mission,» *American Quarterly,* Vol. 30, Summer 1978), pp.135-155

(٢٥) حيكت شبكة المعنى الإسرائيلي لبريطانيا من عناصر مختلفة كثيرة، بعضها عرقي قديم نشأ عن أوهام الأصل العبراني للإنكليز British Israelism وبعضها تنافسي مع الأصل البطرسي لكنيسة روما ثم تعزز ذلك بعد تبنيهم حركة الإصلاح حيث صار بإمكان أي إنسان أن يقرأ الكتاب المقدس ويُخلِّصَ نفسه (دونما حاجة إلى مسيح أو كنيسة) بأقل كلفة ممكنة.

John Dryden, Religio Laici, 1682, in *The Poetical Works of John Dryden,* Edited by W. D. Christie (Globe Edition, London, 1904), p. 200.

وهذا ما دعا بنجامين رودیارد Benjamin Rudyard إلى التعليق ساخراً إن أعداءنا سيقولون إننا اخترنا دين [البروتستانتية] لأنه أرخص الدينين [في مقارنة مع الكاثوليكية].

J. A Manning (editor), *Memoirs of Benjamin Rudyard,* (London, 1841), p. 137.

كانوا يعتقدون أن ترجمة الكتاب المقدس العهد القديم والجديد إلى الإنكليزية سيشجع العامة على قراءته والتحرر من احتكار الكنيسة له. لكن الكثيرين ممن قرأوه كانوا غير متعلمين. كذلك لم

يكن كثير من الكهنة يتمتعون بحس نقدي أو تاريخي، ولهذا أخذوا بظاهر الكلام ونزعوا إلى فهمه حرفياً. بذلك صارت إسرائيل والكلاسيكيات العبرية أساس وعيهم لأنفسهم والعالم.
See «The Protestant Nation» in Christopher Hill, *The Collected Essays of Christopher Hill: Writing and Revolution in 17th Century England,* (University of Massachusetts Press,1985) Vol.II.
ومن ذلك أن علاقة الله مع إنكلترا لا تختلف أبداً عن علاقته مع إسرائيل، وأن إله العبرانيين صار إنكليزياً.
Barrington Raymond White, *The English separatist tradition: from the Marian Martyrs to the Pilgrim Fathers,* (Oxford University Press, 1971), 30-32.
وهو اعتقاد قديم أملاه الإيمان الخرافي بالأصول العبرية للإنكليز فهناك وثائق تثبت أن الإنكليز منذ القرن الرابع عشر كانوا فعلاً يعتقدون بأن الله رجل إنكليزي، وأنهم هم الشعب المختار.
Delloyd J. Guth, John W. McKenna, (editors), *Tudor Rule and Revolution: Essays for G R Elton from His American Friends,* (Cambridge University Press), pp. 25-44; Wallace T MacCaffrey. «The Anjou match and the making of Elizabethan foreign policy», in Peter Clark, A. G. R. Smith, (editors), *The English Commonwealth, 1547-1640* (Leicester University Press, 1979), p. 69.
الملك شارل الثاني مثلاً كان على قناعة بأنه يجلس على عرش داود وأن الإنكليز، لا اليهود هم شعب الله حقاً.
«The Protestant Nation» in Christopher Hill, *The Collected Essays of Christopher Hill. op. cit.;* M. McKeon, *Politics and Poetry in Restoration England,* (Harvard University Press, 1975)pp. 63,68.
كذلك كان مفهوم «الشعب المختار» يتردد في خطب البرلمان الإنكليزي، كما نجد ذلك في كثير من خطب الأسقف رسل Bishop Russell في برلمان إدوارد الخامس مردداً أن إنكلترا هي إسرائيل وأن الملك هو موسى وهارون معاً.
Stanley B. Chrimes, *English Constitutional Ideas in the Fifteenth Century* (Cambridge University Press, 1936), pp. 172-173
ثم أصبحت هذه الادعاءات أكثر شيوعاً بعد تأسيس المستوطنات الإنكليزية في العالم الجديد وبلورة المعنى الإسرائيلي لأميركا الذي لم يفارق التاريخ الأميركي لحظة واحدة. حتى إن جورج هيكس George Hickes، الفقية اللغوي (١٦٨١)، قال ساخراً إن البيوريتانس خدروا العامة والخاصة بالاختيار الإلهي، فصار من هب ودب [من المستوطنين] يعتقد أنه إسرائيلي وأن الله اختاره واصطفاه لنفسه.
George Hickes, *Peculium Dei: a discourse about the Jews, as the peculiar people of God,* (London: Kettilby, 1681),pp. 21-22.
من هذا المعنى الإسرائيلي لأميركا وضع المستوطنون الأوائل فكرة إسرائيل الأسطورية نصب أعينهم وجعلوها مثلهم الأعلى ثم نسجوا منها فكرة أميركا نفسها ولكي ينسجموا مع أنفسهم فقد

استولوا أول ما استولوا على كل ما نسبه الإسرائيليون القدامى إلى أنفسهم في كتبهم المقدسة، بدءاً من «الاختيار الإلهي» لهم دون العالمين، وانتهاءً بحقهم في تقرير حياة وموت شعوب البلاد التي أرادوا غزوها. منهم استعاروا لأنفسهم «عبادة الذات» و«تقديس الجريمة» وطبيعة «الجلاد المقدس»، ومثلهم جعلوا من أنفسهم استثناءً وجودياً يحتكر لنفسه الاضطلاع بإرادة الله ويختص وحده بتنفيذها. بذلك صار استيطان أرض الآخرين وعقولهم وذاكرتهم عملاً مشروعاً لا يُسألون عنه ولا يحاسبون لأنهم فوق أخلاق البشر وأعراف البشر وقوانين البشر، وصارت معاملة الشعوب التي يغزونها لا تخضع للقوانين الأخلاقية أو الإنسانية بل يحكمها ما لفقه العبرانيون عن «تجربتهم» مع الكنعانيين.

للمزيد من التفاصيل راجع منير العكش: «حق التضحية بالآخر: أميركا والإبادات الجماعية»، (منشورات رياض الريس ٢٠٠٢)، و«تلمود العم سام: الأساطير العبرية التي تأسست عليها أميركا، (منشورات الريس ٢٠٠٤).

(٢٦) Loren Baritz, *City on a Hill: A History of Ideas and Myths in America,* (Wiley, 1964), pp. 5-6.

(٢٧) Allyn B. Forbes, ed., *Winthrop Papers* (5 vols., Boston, 1929-1947), Vol. I, p. 159).

(٢٨) قدم وينثروب ثماني حجج على أن هجرته:

١ ـ عمل مشروع من أجل الرب.

٢ ـ [وانطلاقاً من المفهوم القيامي] فإن تأسيس كنيسة بروتسانتية في العالم الجديد سيشكل حاجزاً منيعاً في وجه المسيح الدجال.

٣ ـ أن الرفاه في بريطانيا زائل قريباً.

٤ ـ أن المعلمين ورجال الدين في بريطانيا فسدوا وأنهم يحقنون الأجيال بأمراضهم وعاهاتهم ومفاسدهم.

٥ ـ أن المستوى الاجتماعي الحالي لم يعد مضموناً.

٦ ـ أن الله أعطى كل الأرض للإنسان ومن الغباء البقاء في مكان واحد عندما تكون هناك أرض متاحة.

٧ ـ ليس هناك من عمل يسعد الله أعظم من المساهمة في كنيسة وليدة والهجرة مساهمة ممتازة.

٨ ـ أن مساهمة أهل التقى والثراء ستشجع العامة.

Loren Baritz, *City on a Hill,* op. cit., pp.9-10

(٢٩) Winthrop Papers, op. cit., II, p. 117

(٣٠) Ibid., II, pp. 117,137

(٣١) Ibid., II, pp 136, 137, 161

(٣٢) Ibid., II, p. 170

(٣٣) Ibid., II, p. 295.

(٣٤) Scavan Bercovitch, «The Typology of America's Mission,» *America Quarterly*, Vol. 30, No. 2 (Summer, 1978), p.136; Loren Baritz, *City on a Hill,* op. cit., pp.17-18; Winthrop Papers, op. cit., II, p. 382

(٣٥) Scavan Bercovitch, «The Typology of America's Mission», op. cit., p. 138.

(٣٦) David E. Smith, «Millennarian Scholarship in America,» *American Quarterly*, 17 (1965). 537. See also 530, 541-542.

يعتقد إدواردس أنه اكتشف أميركا في الكتاب المقدس، وخاصة في الفقرات القيامية من سفر أشعيا (٦٦ : ١٩) التي تتحدث عن وصول بني إسرائيل إلى الجزر البعيدة. بل كان يعتقد أن العصر الذهبي للمستوطنين الأوائل هو فجر العصر الألفي القيامي. أما الإحيائيون من أتباعه فربطوا بين الخلاص الفردي والإخلاص لفكرة أميركا أو ما يسمونه المشروع الأميركي American Enterprise الذي يشكل العهد الإسرائيلي في زمن يشوع ونحميا أساساً لطقوسه. إن الله يقود شعبه الجديد إلى الحرية كما قاد شعبه [الإسرائيلي] القديم في زمن يشوع ونحميا من الأسر إلى أرض كنعان. انظر:

Scavan Bercovitch, «The Typology of America's Mission», op. cit., pp.140 -141.

(٣٧) bid., 153.

«نيو إنكلاند» هي المنطقة التي تضم اليوم ست ولايات هي مساتشوستس ومِيْن، ونيو همبشر، وڤيرمونت، ورود آيلاند، وكونتكت.

(٣٨) Ibid., 140.

(٣٩) انظر واحداً من هذه الكتب السحرية التي تعج بها اليوم مكتبات بريطانيا والولايات المتحدة، ومعظم مؤلفيها ادعوا النبوة:

Herbert W. Armstrong, *The United States and Britain in Prophecy*, (1st Books Library 2002).

(٤٠) هذا التصور المقدس للتاريخ البريطاني تعود جذوره إلى القرن السادس عشر عندما نشر جون فوكس ملحمته «كتاب الشهداء» ووُضع في كل كنيسة من كنائس بريطانيا ثم أصبح للبروتستانت الإنكليز أهم كتاب بعد الكتاب المقدس. انظر:

Winthrop S. Hudson, *Religion in America*, (New York, Mcmillan Publishing, 1992) p. 24.

وعن هذا الفوكس، انظر:

William Haller, *The Elect Nation: The Meaning and Relevance of Foxe's Book of Martyrs*, (New York, Harper and Row Publishers, 1963).

(٤١) David Auslin. *The Millennium* (Elizabethtown, N. J., 1794), p.415; David Ramsay, *History of the American Revolution* (Lexington. Kentucky: Downing and Phillips, 1815), 1:243.

(٤٢) Irving L. Thompson, «Great Seal of the United States,» *Encyclopedia America*, xiii (1967), p.362; Daniel L. Dreisbach, *Thomas Jefferson and the Wall of Separation Between Church and State*, (New York University, 2002), p.18.;

كذلك تضمن خطابه التدشيني الثاني إشارة واضحة إلى أن «الذي قاد آباء هذا البلد [المستوطنين الأوائل] إلى العالم الجديد هو الذي قاد بني إسرائيل إلى أرض كنعان».

Albert. E. Bergh, ed., *The Writing of Thomas Jefferson,* (Washington, D. C., The Thomas Jefferson Memorial Association of the United States, 1907), Vol.X, p.217.

(٤٣) Gordon Wood, The Creation of the American Republic, 1776-1789 (Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1969). 107-108,414; *Thomas Jefferson, Writings,* P. L. Ford, ed. (New York, 1892-99), 1: 11; Thomas Paine, *Common Sense*, N. F. Adkins, ed. (New York: Liberal Arts Press, 1953), 27, 3, 23.

تركيز الساسة والوعاظ على المعاني الإسرائيلية هو الذي حشد المستوطنين للثورة على البريطانيين. وكان من أسباب نجاحهم اقتناعُ هؤلاء المستوطنين برعاية الله لشعبه المختار، تلك الرعاية التي لازمت هذا الشعب على مدى تاريخه في أرض كنعان الجديدة.

Conrad Cherry, God's *New Israel, Religious Interpretation of American Destiny,* (Chapel Hill, The University of North Carolina Press, 1998), pp. 8, 61.

كل ساسة الثورة وقوّادها ووعاظها تسلحوا بأيديولوجية قديسي الاستيطان الأوائل وأفكارهم البيوريتانية وعهودهم مع الله. فالحكومة التي تريدها الثورة ليست إلا تجديداً وتطويراً للعهد الذي أبرمه هؤلاء القديسون على سفن الهجرة. وما الثورة نفسها إلا كفّارة لتصحيح الانحراف عن مسيرة ذلك العهد. لهذا كانت استجابة المستوطنين حماسية ملتهبة هزلت أمامها كل دعوات عصر العقل ومنطق توم باين Thomas Paine أو جون لوك John Locke.

Ibid., 61-62.

(٤٤) لهذا شبههم المؤرخ دافيد رامزي David Ramsey بمجموعة من الشوفينيين Black Regiment في زمن حرب «الاستقلال» كانوا يعتمدون على التوراة وأساطير فكرة إسرائيل لتعبئة المستوطنين وإقناعهم بأن قضيتهم كقضية بني إسرائيل هي قضية السماء. انظر:

David Ramsay, *History of the American Revolution,* op., cit.

(٤٥) Wesley Frank Craven, *The Legend of the Founding Fathers* (New York: New York University Press, 1956), 71. Robert Rantoul, quoted in Rush Welter, *The Mind of America, 1820-1860* (New York: Columbia University Press, 1975), p.49

(٤٦) Nicholas Street, *The American States Acting over the Part of the Children of Israel in the Wilderness and thereby Impeding Their Entrance into Canaan's Rest* (New Haven, Conn., Thomas and Samuel Green, 1777).

(٤٧) Samuel Langdon's *The Republic of the Israelites an Example to the United States* (Exeter, New Hampshire, 1788).

(٤٨) Abiel Abbot's *Traits of Resemblance in the People of the United States of America to Ancient Israel* (Haverhill, Mass., 1799). See also: Samuel Cooper, *A Sermon Preached Before John Hancock* (New York, 1780); Chandler Robbins, A Sermon Preached at Plymouth (Boston, 1794).

(٤٩) Edmund S Morgan, *The Gentle Puritan: A Life of Ezra Stiles 1727-1795*, (New Haven, Connecticut, Yale University Press, 1962), pp. 454-455.

(٥٠) Conrad Cherry, *God's New Israel,* op., cit., p.61.

(٥١) Ibid.,

(٥٢) James H. Smylie, «American Clergymen and the Constitution of the United States of America, 1780-1796,» (Dissertation, Princeton Theological Seminary, Princeton, NJ) pp. 342-252

(٥٣) Scavan Bercovitch, «The Typology of America's Mission», op. cit., p. 154.

(٥٤) تيموثي دوايت Timothy Dwight، رئيس جامعة يال Yale. شاعر وسياسي بيوريتاني أصولي. هو حفيد جوناثان إدواردس (مؤسس حركة اليقظة الكبرى) وزعيم الحركة الشوفينية «الفوج الأسود The Black Regiment»، وأحد أبرز من وقعوا على «إعلان الاستقلال». انظر:

Charles E. Cuningham, *Timothy Dwight, 1752-1817.* (New York: Macmillan Company, 1942).

(٥٥) Timothy Dwight, *A Discourse on the National Fast* (New York, J. Symoure, 1812) pp. 54, 55, 56.

(٥٦) Timothy Dwight, *The Conquest of Canaan, A Poem in Eleven Books,* (Hartford: Elisha Babcock.1785), 1:2-3, 755-57; 10-466, 524-30.

(٥٧) William A. Bryan, *George Washington in American Literature, 1775-1865,* (New york, Columbia University Press, 1952), pp. 51-85.

(٥٨) Henry Wiencek, *An Imperfect God: George Washington, His Slaves, and the Creation of America,* (Farrar, Straus and Giroux, 2004).

(٥٩) هناك مواعظ ترسم لنا صورة هذه الميكيافيللية الدينية بوضوح كموعظة وليم كراشو William Crashaw التي ألقيت في لندن (١٦١٠). وموعظة ألكسندر ويتايكر Alexander Whitaker التي ألقيت في مستعمرة فرجينيا [جيمستاون Jamestown] وأرسل نصها إلى لندن. موعظة ويتايكر ومحورها المستمد من سفر الجامعة «ألقِ خبزَك على وجه المياه» casting your bread upon waters (الجامعة ١١: ١)، تبرر لماذا لا يجد المستوطنون ما وعدهم ربهم حقاً، فيقول بعد تحليل تقنيات عمل الله: إن الله لا يجازي المؤمنين على أعمالهم فوراً. لكن دعوني أؤكد لكم بكل ثقة أن جزاءكم الأوفى والهائل مؤكد بعون الله، وفي وقت أقصر مما تتصورون. كونوا على ثقة بأنكم في النهاية ستنالون الثروة والمجد كما تنالون نعيم الآخرة».

Alexander Whitaker, *Good News from Virginia sent to the Counsell and Company of Virginia, resident in England, 1613*, (Imprinted by Felix Kyngston for William Welby, 1613), pp. 29, 32-33, 44.

وفي سنة ١٦٢٢ عندما كانت الشركة والمستعمرة كلتاهما على شفا الانهيار لم يتردد جون دون John Donne من اجترار هذا النفاق الاحتيالي بأن الله قرر أن يمطر الذهب على الشركة والمستوطنين

John Donne, «A Sermon upon the eighth verse of the first chapter of the Acts of the Apostles,» *Works,* ed. Henry Alford (London, 1836), VI, 231-232, 235.

(٦٠) في الرخصة الملكية Charter لشركة ڤرجينيا الاستعمارية، عام ١٦٠٦، يعلن الملك جيمس الأول أنه يرخص لهذه الشركة «لما ستوليه إياه من مجد عندما تعرض المسيحية على هؤلاء الناس الذين ما زالوا يعيشون في الظلمات والجهل المطبق بالعرفان المسيحي وبعبادة الله».

Alexander Brown, *The Genesis of the United States* (Boston, 1890), 53.

وعندما عادت سفينة فينيكس من ڤرجينيا عام ١٦٠٨ محملة بعجائب وثروات ومغريات الاستيطان والاستثمار في استعمار العالم الجديد من بينها كتاب *A True Relation* للكابتن جون سميث John Smith مؤسس المستعمرة، أسرعت الشركة إلى طبعه مع استهلال يؤكد «أن الجزء الأعظم والأصعب [من التبشير] قد أنجز وأن ما بقي عمل مشَرِّف سينتهي إلى تمجيد الله بإقامة الدين الحق بين الكافرين.. الخراف الضالة... الخ».

Edwin Arber and A. G. Bradley, eds., John Smith, *Works,* (Edinburgh, I9I0), 4.

«ويا لذلك من شرف عظيم ومجد مقيم لملكنا.. بهذا العمل المفرح» كما أعلن ذلك أحد ميكياڤيلليّي الشركة في قداس خاص بكنيسة Paul's Cross عام ١٦٠٩.

Alexander Brown, *The Genesis,* p. 256.

ثم تُوِّج هذا «الفتح المبين» في حفلة زواج الأميرة إليزابيت من الأمير پالاتين Palatine في حرم البلاط الملكي حيث عُرِضَت مجموعة من الهنود المتنصرين الذين أعلنوا أمام الحضور المؤمن رفضهم لديانتهم الأولى وجليل احترامهم للملك المعظم.

Ibid., p. 605.

وهذا ما حقق للشركة الاستعمارية حلمها ومبتغى إيمانها عندما اندفع عدد من التجار إلى شراء مزيد من الأسهم فيها. وقد مضى على هؤلاء المستثمرين زمن طويل قبل أن يدركوا أن كل ما قيل عن عزم الشركة على تنصير الهنود كان شركاً نسجه لهم كهنة مكيافيلليون سخرتهم الشركة لاصطيادهم أو خداعهم عن حقيقة الشقاء والمجاعة والموت الذي تعيشه المستعمرة.

Wesley Frank Craven, *Dissolution of the Virginia Company* (New York, I932), 2I4.

ولكن الكابتن سميث انتقم من هؤلاء عندما كتب للشركة: «لقد أدهشنا ما فعله رجال عقلاء كان بإمكانهم أن يهلكوا أنفسهم ويهلكونا معهم بمثل تلك العبثيات والمستحيلات متخفين وراء الدين فيما كل هدفهم هو الربح العاجل... ولا شيء سوى الربح العاجل. لست ساذجاً لأصدق أن حافزاً آخر غير الثروة يجمع رأيهم».

John Smith, *Works,* pp. 928, 212.

ولكي أكون منصفاً فلا بد من الاعتراف بأن المستوطنين ليسوا بالضرورة، جميعاً، على شاكلة مديري الشركة وكروشها الذين رموهم لأقدارهم بعيداً عن وطنهم آلاف الكيلومترات. بل يمكن القول إن معظم الكهنة الذين رافقوا المستوطنين ـ على عكس الكهنة الميكياڤيلليين في لندن ـ كانوا أكثر تقى وخوفاً، كما يشهد على ذلك الكابتن سميث نفسه. Ibid., 945.

ثم بلغت الكهانة الميكياڤيللية درجة مؤذية من النفاق واللؤم والافتراء على الله حين ضاق وجه الأرض على هؤلاء المستوطنين وراح الموت يلقمهم زرافات ووحدانا في ذروة هذا المشهد الفاجع.

لم يجد هؤلاء الميكيافيلليون ما يعزون به هؤلاء الأشقياء سوى اتهام الله بما ارتكبته أيديهم وأيدي

الشركة من جرائم يقول حاكم المستعمرة George Yeardly مثلاً: «مَن أنا لأستطيع أن أقف في وجه ما أراده رب الأرباب وكَتَبَه، بل ومَن نحن جميعاً لنتمرد على ما أنزله بنا الله من أمراض وموت؟ ماذا نستطيع أن نقول؟ إنه الرب، فليقض ما يشاء من قضاء ولينزل ما يريد بنا من بلاء».

Wesley Frank Craven, *Dissolution of the Virginia Company* (New York, I932), 185.

(٦١) انظر مثلاً:

George Henry Loskiel, *History of the Mission of the U.B. among the Indians*, Christian Ignatius Latrobe, translator (London: The Brethren's Society for the furtherance of the gospel, 1794), pp. 175-182.

(٦٢) Brown, *Genesis*, pp. 67-68.

كذلك أعلنت الشركة في نشراتها ودعواتها أنه لن يُسمح بتسلل التعاليم البابوية (الكثلكة) ولا بأي نوع من التحريف الديني (البيوريتانية).

Robert Johnson, *Nova Britannia: Offering Most Excellent fruites by Planting in Virginia. Exciting all such as be well affected to further the same.* (London, Printed for Samuel Macham, 1609).

وأنه لن يسمح لأحد بالسفر إلى هذه المستعمرة إذا لم يقدم أدلة صادقة على حسن إيمانه بتعاليم الكنيسة الإنكليزية.

Brown, *Genesis*, op. cit., pp. 352-353.

وقد كان هذا الإعلان يهدف إلى الدعاية للشركة وجذب المزيد من المستثمرين والمغامرين، وكان موجهاً إلى أمين صندوق الشركة توماس سميث Thomas Smythe.

وباستثناء الحرب على الكثلكة فقد كان هذا المبرر كاذباً، ذلك أن المستعمرة [التابعة للكنيسة الإنكليزية صورياً] لم تكن تختلف عن بيوريتانية وعبرانية مستعمرات الحجاج والقديسين البيوريتانس في نيو إنكلاند، بل لعلها كانت أكثر جذرية انظر في هذا

For *The Colony in Virginea Britannia. Lawes Divine, Morall and Martiall, &c* (Printed at London for Walter Burre. 1612), pp 90-96.

وما يرويه التاريخ المنتصر من أساطير عن غرام الأميرة الهندية پوكاهونتاس Pocahontas بالمستوطن جون رولف John Rolfe، وإنقاذها للمستوطنين من شر أهلها الهنود يؤكد أمرين، أولهما «عبادة الذات» المتجذرة لدى الإنكليز. ذلك أن قصص غرام نساء الأشرار بالأبطال والجواسيس الإنكليز؛ الغرام الملتهب الذي ينقذ الجنتلمان الإنكليزي دائماً من شر زوج المرأة أو أهلها أو شعبها ما زال يتكرر بصورة مملة وفجة بدءاً من وقوع جون سميث (مؤسس مستعمرة ڤرجينيا) في الأسر لدى العثمانيين عندما كان يحاربهم مع الصرب، ثم وقوع زوجة الباشا الذي استعبده في غرامه وإنقاذها له من شر زوجها وأهلها وأبناء دينها، وانتهاءً بالقصص المقرفة في أفلام جيمس بوند عن وقوع زوجات وبنات الأشرار في غرامه والافتتان بجماله وذكائه وعبقريته وتفوقه الإنكليزي الذي يؤدي دائماً إلى إنقاذه من المهالك.

وثانياً، إنه يؤكد تجذر البيوريتانية العبرانية في مستعمرة ڤرجينيا برغم كل وصايا الملك ودعاية الشركة وإعلاناتها الرسمية. ففي سنة ١٦١٣ وقعت پوكاهونتاس في الأسر بخدعة حربية إنكليزية

ـ وما أندر خداع الإنكليز ومكرهم ـ ثم سيقت إلى المستعمرة حيث اتخذت رهينة. وهنا تخبرنا الأسطورة التي تؤكد أكثر ما تؤكد بيوريتانية وعبرانية الحياة في المستعمرة خلافاً لما أشاعته الشركة الاستعمارية وكهنتها الميكيافيلليون كيف التهب الغرام بين الأسيرة والمستوطن الإنكليزي الفتّان جون رولف (جيمس بوند عصره). وتقول الأسطورة التي استثمرتها هوليوود ووالت ديزني بِشَرَه إن رولف كتب إلى الحاكم Thomas Dale يستأذنه في الزواج الشرعي بها، فهو لا يستطيع الإقدام على ذلك إلا برضا روح الله called hereunto by the Spirit of God. كذلك فإنه اعترف بأن رغبته في الزواج ليست نزوة طائشة أو شهوانية بل من أجل سعادة مستعمرته وشرف وطنه ومجد الله، ومن أجل خلاصي، ومن أجل هداية مخلوق غير مؤمن إلى معرفة الله ويسوع المسيح. وتضيف الأسطورة أنه برغم غرامه لم يُقْدم على الزواج بهذه الوثنية مباشرة، فعندما تذكَّر أنه بيوريتاني (إسرائيلي المذهب) صالحٌ أصيب بالذعر، ولا سيما أن الله حرّم على الإسرائيليين الزواج من الكنعانيين. . . إلخ. انظر:

Ralph Hamor, *A Trve Discovrse of the Present Estate of Virginia, and the Successe of the Affaires there till the 18 of June, 1614(London, 1614)*, pp. 62-68.

(٦٣) Councell of Virginia, *True Declaration of the Estate of the Colonie in Virginia: with a confutation of such scandalous reports as have tended to the disgrace of so worthy an enterprise*, (London: Printed for William Barret..., 1610), p. 19.

ثم ألقت المقادير بين يدي الشركة «معجزة» لم تكن كروشهم تتوقعها ولا في الأحلام حين تحطمت سفينة الإغاثة Sea Venture في عرض البحر وتم اكتشاف برمودا بالمصادفة، سنة ١٦٠٩. كان نجاة من عليها وتمكنهم من بناء سفن جديدة ثم الإبحار من جديد إلى مستعمرة جيمستاون مادة خصبة لكهنة شركة فرجينيا الاستعمارية. فلو أن سفن الإغاثة تأخرت يوماً عن الوصول كما تزعم الرواية لكان «المتوحشون» قضوا على المستعمرة نهائياً. يومها كانت بريطانيا كلها تتحدث عن يد العناية الإلهية التي أنعمت على المستعمرة وقد تم تتويج ذلك بالمسرحية التي ألفها شيكسبير بعنوان «العاصفة» *The Tempest*. وهذا ما استغلته الشركة في صيد المزيد من المستثمرين والمستوطنين المغامرين. انظر:

Alexander Whitaker, *Good News from Virginia*, op., cit., p.23.

وفي عام، عندما شحت الموارد وتفاقمت نكبات المستعمرة، وتوقف المساهمون عن ضخ المال اللازم كانت عناية الله في الخدمة، وخاصة حين بدأت (الإدارة الجديدة للشركة، إدارة سانديز/ساوثهمبتون Sandys Southhampton) بمسلسل مواعظ قيل يومها إنها أدت إلى صحوة دينية ترجمت سريعاً إلى أموال يزداد تدفقها على حساب الشركة طرداً مع زيادة الصحوة الدينية.

True Declaration of the Estate of the Colonie in Virginia, op. cit., p. 3.

(٦٤) وهذا ما أوضحته بتفصيل في الفصل السابق.

(٦٥) ولعل أفضل من يمثل هذه الفلسفة الكاهن صاموئيل پوركاس Samuel Purchas في كتابه.

Hakluytus posthumus, or, Purchas his Pilgrimes: contayning a history of the world in sea voyages and lande travells by Englishmen and thers.1625 (Glasgow, J. MacLehose and Sons, 1905-07), Vol. 1, 1-45, xix, 218-267.

(٦٦) Ibid., and see *True Declaration of the Estate of the Colonie in Virginia*, op. cit., p. 4; William Symonds, *Virginia. A sermon preached at VVhite-Chappel, in the presence of many, honourable and worshipfull, the adventurers and planters for Virginia. 25. April. 1609:* Published for the benefit and Vse of the colony, planted, and to bee planted there, and for the advancement of their Christian purpose. By William Symonds, preahcer at Saint Sauiors in Southwarke (London Printed by I. Windet, for Eleazar Edgar, 1609).

(٦٧) *The New Life of Virginea: Declaring the former successe and present estate of that plantation Being the Second part of Nova Britannia,* Published by Authoritie of his MAJESTIES COUNSELL of Virginea, (Imprinted by Felix Kyngston for William Welby, dwelling at the Sign of the Swan, in Pauls Churchyard, 1612), B 3 recto.

(٦٨) William Symonds, *Virginia. A sermon preached at VVhite-Chappel,* op. cit., pp. 8-9; William Crashaw, *A Sermon preached before the right honorable the Lord Lawarre, Lord Governour and Captaine Generall of Virginea, and others of his Majesties Counsell for that Kingdome, and the rest of the Adventurers in that Plantation, Feb. 21, 1609, London, 1610,* (London: Printed [by W. Hall] for William Welby, and are to be sold in Pauls Church-yard at the signe of the Swan, 1610), pp. F2 verso, F4 recto.

(٦٩) William Symonds, *Virginia,* op.cit., pp.4-5.

(٧٠) John Rolfe, *A true relation of the State of Virginia lefte by Sir Thomas Dale, knight, in May last 1616, in The Virginia His- torical Register and Literary Advertiser*, I (July, 1848), 111-112.

(٧١) Alexander Whitaker, *Good News,* op. cit, B4 recto.

(٧٢) Patrick Copland, A *declaration how the monies (viz. seuenty pound eight shillings sixe pence) were disposed: which was gathered (by M. Patrick Copland, preacher in the Royall Lames) at the Cape of Good Hope (towards the building of a free schoole in Virginia) of the gentlemen and mariners in the said ship: a list of whose names are vnder specified, for Gods glory, their comfort, and the incouragement of others to the furthering of the same, or the like pious worke.* (London: Imprinted by F.K., 1622), p. 24

(٧٣) Ibid., and William Symonds, *Virginia*, op.cit., 38ff.

(٧٤) وهو الغلاف الذي أعتقد أن الفنان جو غاست Jhon Gast اقتبس كل فكرة اللوحة التي عرضتها في فصل الاستيطان بعنوان «التقدم الأميركي American Progress».

(٧٥) Quentin Skinner, *Hobbes and Republican Liberty,* (Cambridge University Press, 2008),p.11.

(٧٦) See, For discussions of the title page of *De Cive*, see Srinivas Aravamudan «Hobbes and America.» In *The Postcolonial Enlightenment: Eighteenth-century Colonialism and Postcolonial Theory*, eds. David Carey and Lynn Festa. (Oxford: Oxford University Press, 2009) 53-57; Goldsmith (1981, 234; 1990, 642);Hoekstra (2007, 113); Quentin Skinner, *Hobbes and Republican Liberty*, op. cit. 99-103.

(٧٧) يتضمن القسم الثالث من الكتاب أربعة فصول (١٥ ـ ١٨)، وهي: «عن مملكة الله، طبيعياً» و«عن مملكة الله في إطار العهد القديم». و«عن مملكة الله في إطار العهد الجديد» و«ما يتعلق بالأشياء اللازمة لدخول مملكة السماء».

(٧٨) The English title is: «The Citizen, *Philosophicall Rudiments Concerning Government and Society.»*

(٧٩) أمازون: رمز لجنس خاص من النساء في الأساطير اليونانية يشكلن مجتمعاً محارباً في منطقة بعيدة جداً عنّا، حسب ما يُعَرِّفه الجغرافيون اليونان يومها عن الأرض. (عن الموسوعة البريطانية Encyclopaedia Britannica).

(٨٠) يتضمن القسم الأول أربعة فصول (١ ـ ٤)، وهي «عن حال البشر بدون مجتمع مدني» و«عن قانون الطبيعة والعقود» و«عن قوانين الطبيعة الأخرى»، و«أن قانون الطبيعة هو قانون رباني».
وعن حرب الكل على الكل انظر:
Thomas Hobbes, *Leviathan* [1651]. Ed. Richard Tuck. (Cambridge: Cambridge University Press, 1996), p.96.

(٨١) يتضمن هذا القسم عشرة فصول (٥ ـ ١٤) لا تعنينا في هذا السياق. ونتركها لعَلك الهوبسيين الصغار الذين يريدون أن يُلهوا الأمة عن أولوية التحرير ببناء السقف قبل الجدران.

(٨٢) Kinch Hoeskstra, «Hobbes on the Natural Condition of Mankind,» in *The Cambridge Companion to Hobbes's Leviathan*, ed. Patricia Springborg. (Cambridge: Cambridge University Press), 133.

(٨٣) هذه التناقضات المانوية الحادة في تكوينات صفحة الغلاف تستعير الرموز التي استخدمها رسامو الخرائط الاستعمارية في أوروبا القرن السابع عشر حيث كان لكل منطقة من العالم رمز نسائي يعطي صورة عن الأدب الاستعماري لهذه المنطقة. انظر:
John Aubrey, *Aubrey's Brief Lives*, Ed. Oliver Lawson Dick.
(Boston: David Godine, 1999), p. 149

(٨٤) هذا ما يؤكده Srinivas Aravamudan عميد الإنسانيات في جامعة Duke الذي يذهب إلى أن دوبري اعتمد على رسم في كتاب توماس هريوت Thomas Harriot عن فرجينيا عام ١٥٩٠ يشبه تماماً غلاف هوبس.
Srinivas Aravamudan «Hobbes and America.» *In The Postcolonial Enlightenment*, op. cit., 37-70.

(٨٥) الترجمة الحرفية لاصطلاح هوبس state of nature لا تفصح عن المعنى الذي يقصده. وفي ظني

أن اصطلاح ابن خلدون «التوحش» هو أكثر تعبيراً، أو لنقل، بالنسبة إلى الذاكرة العربية، أقرب إلى المعنى الذي يريده هوبس. ولهذا سأعتمده. أما بالنسبة إلى عجرفته عن أكل لحوم البشر فقد أفردت له فصلاً خاصاً في كتابي «لعنة كنعان الإنكليزية، أميركا والإبادات الثقافية». (منشورات رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٩).

(٨٦) Karen Ordahl Kupperman, *Indians and English: Facing Off in Early America*, (Ithaca, New York, Cornell University Press, 2000). p. 150.

(٨٧) أشنع آثار هذا الغزو البدوي العبري لحضارة كنعان هو إطلاق العدوان التاريخي على المرأة والانتقاص من إنسانيتها بدءاً من خرافة مسؤولية المرأة عن «الخطيئة الأصلية» وانتهاءً بتدمير البانتيون الكنعاني الذي يقدس المرأة وكانت فيه عشتروت وإنات وعشيرة وكوثرات وغيرهن رمزاً لاحترام حضارة كنعان وحضارات عالمنا العربي القديم للمرأة. لقد دشنت تلك المقدسات الذكرية التي رافقت الغزو البدوي عهداً رهيباً من الوحشية الذكرية التي ما زال عالمنا يعاني منها باسم المقدس حتى هذا اليوم. لقد حملوا إلى مجتمعاتنا الحضارية كل فجارة البدوي، وتقديسه لذكره، وحيونته للمرأة، وطغيانه الذكري على السماء والأرض. لم ينسبوا إلى ربهم تحطيم قداسة المرأة في مجتمعاتنا الحضارية وحسب بل وأدوا باسمه نساءها وأداً مختلف الصور والأشكال. بل وأقنعونهن بأن جنة الله تحت حذاء الرجل وفي اعتقادي أن فظاظة تحامل هوبس على المجتمع الأمومي في العالم واتخاذه برهاناً على الوحشية ليس إلا استمراراً لفظاظة مقدسات الصحراء الذكرية التي دشنتها خرافات غزو حضارة كنعان وأورثتها كثيراً من أتباع الديانات الأخرى ولسخرية القدر كان ذلك البانتيون «الوثني» في مجتمعاتنا المتحضرة أنبل وأسمى إنسانية وأخلاقاً من إله ما يسمى «العهد القديم»، إله بدو الصحراء الظامئ للدماء وللدمار، والطافح بالكراهية لكل حضارات العصر الإله الذي لا يعادي المرأة نصف الإنسانية وحسب بل يعادي كل إنسانيتنا باسم عقيدة «الاختيار» وعنصريتها.

(٨٨) See Roy Harvey Pearce, *The Savages of America:A Study of the Indian and the Idea of Civilization*. (Baltimore: Johns Hopkins Press, 1965).

(٨٩) Pat Moloney, «Hobbes, Savagery, and International Anarchy,» *American Political Science Review*, Vol. 105, No. 1, February 2011, p. 194.

(٩٠) Thomas Hobbes, *De Cive:* The English Version [1642]. Ed. Howard Warrender. (Oxford: Clarendon Press. 1983) p. 122; *Elements of Law Natural and Politic* [1650], Ed. Maurice Goldsmith. (London: Frank Cass, 1969), p.131; *Leviathan* [1651]. Ed. Richard Tuck. (Cambridge: Cambridge University Press, 1996), p.140.

(٩١) Karen Ordahl Kupperman, *Indians and English: Facing Off in Early America*, op. cit., 150.

(٩٢) Thomas Hobbes, *Leviathan* [1651]. Ed. Richard Tuck, op.cit., p.175.

(٩٣) Srinivas Aravamudan «Hobbes and America,» *In The Postcolonial Enlightenment*, op. cit., 37-70; Noel Malcolm, *Aspects of Hobbes*. Oxford: Clarendon Press, 2002), p.75.

(٩٤) *Records of the Virginia Company of London*, edited by Susan M Kingsbury; Herbert

L Osgood, (Washington, United States Government, 1905) Vol. II, p.40.

(٩٥) See the eulogy of Cavendish in the epistle dedicatory to the translation of Thucydides, and the description of this period in the verse autobiography: *Opera Latina* (ed. Molesworth, London, I839-45), Vol. I, pp. lxxxviii-viii.

(٩٦) *Records of the Virginia Company of London*, op. cit., Vol.. II, p.40.

(٩٧) Ibid., Vol.. iv. pp. 43-48.

(٩٨) Wesley Frank Craven, *The Dissolution of the Virginia Company, the Failure of a Colonial Experiment* (Oxford, I932), p. 275.

(٩٩) *Records of the Virginia Company of London*, op. cit. Vol.. iv. p.48.

(١٠٠) لم يكن ذلك بتأثير ولي نعمته اللورد كَفَنديش وحده، بل شملت أذرع أخطبوطه التجاري أيضاً ثلاثة من أعظم كروش شركة فرجينيا الاستعمارية هم إدوين سانديس Edwin Sandys قريب زوجة اللورد كَفَنديش، والسير دَدْلي ديغز Sir Dudley Digges، والسير جون دَنفرس Sir John Danvers الذين وقفوا مع الامتيازات البرلمانية ضد حقوق التاج. والغريب في سلوكه التجاري أنه بعد أن صدر الأمر الملكي بحل الشركة انقلب عليهم في كتابه «تنين البحر Leviathan» حيث لا نجد فيه جملة واحدة تؤكد انحيازه إلى الشعب أو إلى البرلمان. ما هو مؤكد أنه تمرد على أفكارهم السياسية التي استندت يومها إلى الحقوق الطبيعية naturals rights التي ظن يومها أنها سابقة على المجتمع السياسي political society وأنها حدسياً (!) مستمدة من قانون الطبيعة law of nature.

زعيم هذه الجماعة في البرلمان هو إدوين سانديس الذي كان يضع نصب عينيه دعم شركته الاستعمارية باستصدار التبرير القانوني والأخلاقي لسرقة أراضي الهنود، صحيح أن الشركة اكتفت من هذه التبريرات بالحديث عن تنصير الهنود، لكن كروش الشركة لم يجدوا ذلك مبرراً كافياً لهذه المغامرة وللاستثمارات الهائلة التي رصدت لها، وطالبوا بحق الغزو right of conquest. وكان أكثر من عبر عن ذلك هو جون دون Jhon Donne في موعظته أمام كروش الشركة في نوفمبر ١٦٢٢ حيث استشهد بفقرة من «أعمال الرسل» ذات مدلول هائل: «الروح القدس ينزل عليكم فتنالون سلطة وقوة، وتكونون لي شهوداً في أورشليم وكل يهودا والسامرة حتى أقاصي الأرض (أعمال الرسل ١ :٨)».

John Donne, *A sermon upon the eighth verse of the first chapter of the Acts of the Apostles: Preached to the Honourable Company of the Virginian Plantation, 13. Nouemb. 1622. By Iohn Donne Deane of Saint Pauls*, (London, I622), p. 1.

وقد كان فيلسوفنا بصحبة ولي نعمته اللورد كَفَنديش بين الحضور، انظر:

Records of the Virginia Company of London, op. cit., Vol.. II, p.

صيد السمك، تجارياً، كان أيضاً من اهتمامات الفيلسوف الذي لم يكن عبثاً منه أن يستلهم من القبالة اليهودية وسفر أيوب عنوان كتابه «تنين البحر Leviathan». هذا الصيد التجاري في رأي مديري الشركة يوفر مادة غذائية للمستعمرة ويدر بعض الدخل.

Wesley Frank Craven, *The Dissolution of the Virginia Company*, op. cit. p. 190.

كانت شواطئ نيو إنكلاند، سمكياً، أفضل من مناطق ڤرجينيا، لكن الشركة لم تكن تستطيع الصيد فيها لأن التاج منح حقوق الصيد فيها لكرش آخر هو فرناندو جورج Fernando George. لهذا عارضت شركة ڤرجينيا ذلك، ودخل التنظير الفلسفي والقانوني في هذه المعمعة حيث وجد فيلسوفنا نفسه محاضراً وقوراً في سوق السمك، فراح يفلسف فوائد مبدأ البحار الحرة mare liberum ويفند مبدأ البحار المغلقة mare clousum الذي تبناه التاج.

(١٠١) Samuel Langdon, *The republic of the Israelites an example to the American states.: a sermon, preached at Concord, in the state of New Hampshire; before the Honorable General Court at the annual election. June 5, 1788,* (Exeter [New.Hampshire, Lamson and Ranlet., M, DCC, LXXXVII. [1788].

(١٠٢) Wesley Frank Craven, *The Dissolution of the Virginia Company,* pp. op. cit., 47-68.
الغريب أن سجلات الشركة لا تتحدث عن أي ردة فعل لهوبس عندما أعلن مديروها عن رغبتهم في تأسيس دولة في ڤرجينيا، علماً بأنه صار بعد إغلاق الشركة ملكياً أكثر من الملك.
Ibid., p.277.

(١٠٣)
Thomas Hobbes, *English works* (ed. Molesworth, London, John Bohn, 1839-45), Vol.. iii, p. 114.

(١٠٤) Noel Malcolm,. *Aspects of Hobbes,* (Oxford: Clarendon Press, 2002), p. 75.

(١٠٥) Srinivas Aravamudan «Hobbes and America.» op. cit., 45

(١٠٦) لا أعرف ما إذا كان هوبس قد قرأ ابن خلدون فهناك الكثير من الأفكار الخلدونية في تنظيره للتوحش State of nature وسياسة الملك dominion. أما عن «إنكار الدولة على الهنود» فانظر:
Beaulac, St'ephane. 2003. «Emer de Vattel and the Externalization of Sovereignty.» *Journal of the History of International Law,* Vol.. 5, pp. 237-92; Pat Moloney, «Hobbes, Savagery, and International Anarchy,» op.cit.,199.

(١٠٧) Robert Ward, *An Enquiry into the Foundations and History of the Law of Nations in Europe, from the Time of the Greeks and Romans, to the Age of Grotius.* (Dublin: P. Wogan, P. Byrne, W. Jones and J. Rice, 1795), p. 368.

(١٠٨) Srinivas Aravamudan «Hobbes and America.» op. cit. 39.
علما بأن جون لوك كان أكثر تورطاً في النشاط الاستعماري من خلال عمله سكرتيراً للورد شافتسبري Shaftesbury وبسبب استثماره في الشركة الأفريقية الملكية الاستعمارية وشركة التجار المغامرين الاستعمارية، تماماً كتورط هوبس في شركة ڤرجينيا الاستعمارية. انظر:
James Tully, *An Approach to Political Philosophy: Locke in Contexts* (Cambridge University Press, ©1993.), see chapter «Rediscovering America...,» pp. 137-178.

(١٠٩) Srinivas Aravamudan «Hobbes and America.» op. cit. 40.

(١١٠) Ibid.,

(١١١) Richard Tuck, «Hobbes and Democracy,» in Annabel Brett et al., eds, *Rethinking the Foundation of Modern Political Thought*, (Cambridge University Press, 2006), pp. 171-190, see also David Armitage's chapter, «Hobbes and the Foundation of Modern Political Thought,» pp. 219-235.

(١١٢) *A Briefe and True Report of the New Found Land of Virginia.*

(١١٣) For more details see John William Shirley, *Thomas Harriot, a Biography*, (Oxford University Press, 1983) and Robert Fox, *Thomas Harriot: An Elizabethan Man of Science*, (Burlington, Vt.: Ashgate, ©2000).

يومها كان عدد سكان لندن لا يزيد على ٢٠٠ ألف نسمة ومن المضحك إنكار معرفة هوبس بهاريوت وبكتابه.

(١١٤) *The London Encyclopedia*, Edited by Ben Weinreb and Christopher Hibbert.. (Macmillan; 2010).

(١١٥) Noel Malcolm, *Aspects of Hobbes*, (Oxford: Clarendon Press, 2002), p.75.

(١١٦) من المفارقات أن الهنود الذين احتك بهم مستوطنو فرجينيا ويتحدث عنهم هوبس هم الألغونكين Algonquin وبلادهم تسمى بلغتهم Tsenacommacah، وتعني الأرض الكثيفة السكان densely inhabited land.

أما بالنسبة إلى الأمم والشعوب التي كانت تسكن المنطقة التي تسمى الآن الولايات المتحدة، ففي خمسينيات القرن العشرين بدأت جامعة كاليفورنيا في بيركلي بإجراء أبحاث تعتمد على ما يمكن تسميته علم الآثار الزراعي Agricultural Archaeology خلصت منها إلى أن عدد سكان أميركا في زمن كولومبس كان يزيد على مئة مليون. وبتطبيق هذه التقنية على الشمال الأميركي توصل هنري دوبينز Henry F. Dobyns في كتابه «أرقامهم التي هزلت...

Their Numbers Became Thinned: Native American Population Dynamics in Eastern North America, (University of Tennessee Pres, 1983), p. 45

إلى أن العدد كان في حدود ١١٢ مليوناً، بينهم ١٨ مليوناً ونصف المليون في أراضي ما يسمى اليوم الولايات المتحدة الأميركية (لم يبق منهم في بداية القرن الماضي سوى ربع مليون). وبمقارنة سريعة مع نسبة الزيادة السكانية التي طرأت على الجزيرة البريطانية بين أيام كولومبس (٤ ملايين) واليوم (٥٨ مليوناً) فإن عدد السكان الأصليين في حدود ما يعرف اليوم بالولايات المتحدة كان يجب أن لا يقل اليوم عن ٢٧٠ مليون إنسان لو لم يتعرضوا للإبادة.

وتعترف مصادر التاريخ المنتصر بأن عدد الأمم والشعوب التي كانت تعيش في الشمال الأميركي كان أكثر من ٤٠٠ أمة وشعب، وإن كانت تقلل من عدد أفرادها. غير أن الأبحاث التاريخية تقول إن هذا الرقم شديد التواضع وإن أمماً «هندية» كثيرة غير هذه الأربعمئة المعترف بها قد محيت من تاريخ البشر. انظر كتاب آلفين جوزفي «٥٠٠ أمة»:

Alvin M. Jr Josephy, *500 Nations: An Illustrated History of North American Indians*, (Gramercy; 2002).

(١١٧) يمكن مراجعة ملحق «أولاد الأرض العذراء» بهذا الخصوص، ففيه بعض المعلومات عن هذه البنى السياسية والدستورية وعن الأحلاف بين الأمم والشعوب الهندية أيضاً. وانظر في هذا أيضاً ما كتبه فيلكس كوهن Felix S. Cohen أحد فلاسفة التشريع في أميركا:

Felix S. Cohen, *The Legal Conscience: Selected Papers of Felix S. Cohen,* Lucy Kramer Cohen (ed.), (Archon Books 1970), p.319, and *The American Scholar*, Vol. 21, No.2 (Spring 1952), pp. 177-191.

(١١٨) John Smith, *The generall history of Virginia, New-England, and the Summer Iles: with the names of the adventurers, planters, and governours, from their first beginning, an? 1584. to this present 1625. With the proceedings of those severall colonies, and the accidents that befell them in all their iourneyes and discoveries. Also, the maps and descriptions of all those countries, their commodities, people, government, customes, and religion yet knowne. Divided into sixe bookes.* (London 1631), p. 32

(١١٩) Ibid., p. 37; Thomas Harriot, *A briefe and true report of the new found land of Virginia: of the commodities and of the nature and manners of the naturall inhabitants. Discovered by the English colon there seated by Sir Richard Greinuile Knight in the eere 1585. Which remained vnder the gouernement of twelve monethes, at the speciall charge and direction of the Honourable Sir Walter Raleigh Knight lord Warden of the stanneries who therein hath beene favoured and authorised b her Maiestie :and her letters patents: This fore booke is made in English by Thomas Hariot servant to the abouenamed Sir Walter, a member of the Colon, and there imploed in discovering Cum gratia et priuilegio Caes. Matis Speciali,* (Francoforti ad Moenum Typis Ioannis Wecheli, sumtibus vero Theodori de Bry anno M D XC. Venales reperiuntur in officina Sigismundi Feirabendii [1590]), p. 25.

(١٢٠) Thommas Hobbes, *Leviathan,* Chapter xii.

ومعلوم أن هناك صيغة مبكرة لهذا الادعاء في *De Cive* يختلف في التعبير ولا يختلف في المعنى. انظر:

Gregory S. Kavka, «Hobbes's War of All Against, All», *Ethics,* (Published by: The University of Chicago Press), Vol. 93, No. 2, (Jan., 1983),pp. 291-310.

(١٢١) George Bird Grinnell, «Coup and Scalp among the Plains Indians,» *American Anthropologist,* New Series, Vol. 12, No. 2 (Apr. - Jun., 1910), pp. 296-310.

(١٢٢) John Smith, *The generall history of Virginia,* op. cit., 45.

(١٢٣) William Symonds, *Virginia. A sermon preached at White-Chappel,* op.cit., p.14.

(١٢٤) النص لتوماس مورتون Thomas Morton في *New English Canaan* انظر منير العكش، حق

التضحية بالآخر: أميركا والإبادات الجماعية (منشورات الريس، بيروت ٢٠٠٢) ص. ٩.

(١٢٥) Paul Hulton and David Beers Quinn, *The American Drawings of John White, 1577-1590, with drawings of European and Oriental subjects.* Vol.2, Reproductions of the originals in colour facsimile and of derivatives in monochrome. (British Museum; North Carolina University Press, 1964).

(١٢٦) *De Cive*, Chapter XVIII.

(١٢٧) Gregory S. Kavka, «Right Reason and Natural Law In Hobbes's Ethics,» *The Monist*, Vol. 66, No. 1, Right Reason in Western Ethics (January, 1983), pp.120-133. In general See David Boonin-Vail, *Thomas Hobbes and the Science of Moral Virtue,* (Cambridge University Press, 1994).

(١٢٨) *Records of Vorginia Company.* op. cit., Vol..iii, p. 672.

(١٢٩) Ibid, Vol.. iv, pp. 221-222.

وهنا سأنقل نص هذه الحفلة الإنكليزية تماماً كما ورد في سجلات الشركة وبلغة ذلك العصر:

CCCLXVIII. Robert Bennett. A Letter to Edward Bennett'

June 9, 1623

Papers of Lord Sackvillo, No. 6'212

Document at Knole Park, Kent

From Bennetes Wellcome this 9th of June, 1G23

Loving Brother

The 22 of Maye Captin Tucker was sente with 12 men in to Potomacke Ryver to feche som of our Engleshe which the Indianes detayned, and withall in culler to conclude a pease with the great Kinge pochanzion; soe the interpreter which was sente by lande with an Indian with hime to bringe the kinge to parle with Captain Tucker broughte them soe. After a manye fayned speches the pease was to be concluded in a helthe or tooe in sacke which was sente of porpose in the butte with Capten Tucker to poysen them. Soe Capten Tucker begane and our interpreter tasted before the kinge woulde tacke yt, but not of the same. Soe thene the kinge with the kinge of Cheskacke, [their] sonnes and all the great men weare drun[torn] howe manye we canot wryte of but yt is thought some tooe hundred weare poysned and thaye comyng backe killed som 50 more and brought hom parte of ther headés. At ther departure from Apochinking the worde beinge geven by the interpreter which strode by the kinge one a highe rocke, The interpretour, the worde beinge paste tumbled downe, soe they gave in a volie of shotte and killed the tooe kinges and manye alsoe as ys reporte to the cownsell for serten. Soe this beinge done yt wilbe a great desmayinge to the blodye infidelles. We purpose god willinge after we

have wedid our Tobaco and cornne with the helpe of Captn Smythe and otheres to goe upon the Waresquokes and Nansemomes to cute downe ther corne and put them to the sorde. God sende us vyctrie, as we macke noe question god asistinge.
Your loving brother,
RoBT. Bennett.

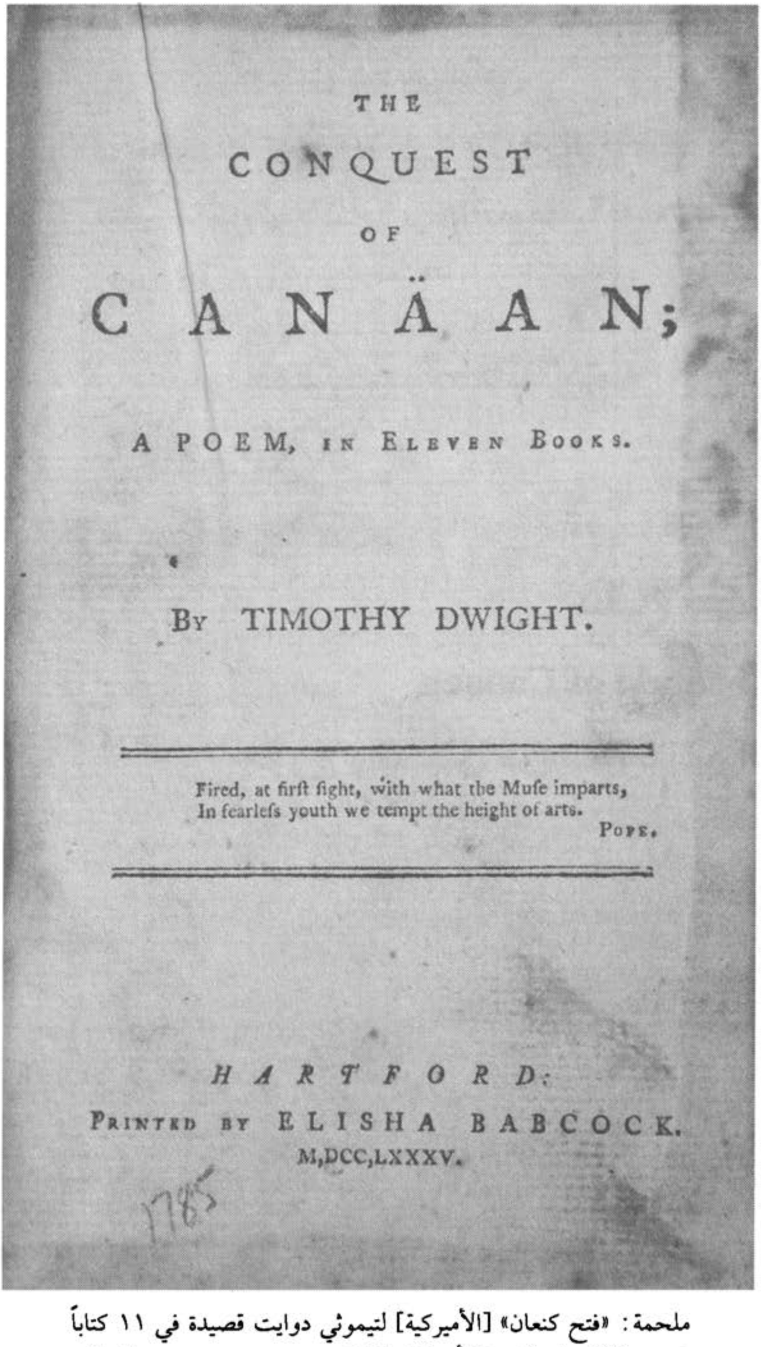
(١٣٠) Jack Weatherford, *Indian Givers: How the Indians of the Americas Transformed the World,* (New York, N.Y.: Crown Publishers, 1988), pp. 230-231.

(١٣١) *Records of the Virginia Company of London,* op. cit., Vol.. iv. p.48.
ونص التكليف كما ورد في سجلات الشركة وبلغة تلك الأيام:
At length it was desired that the Cort would appoint some to drawe up an answere, & that a coppy thereof might be sent to ye. Ilande. Whereupon the Cort nominated Mr Deputy & Mr Hobbs who are desired to drawe it up & present it to the Cort.
[Indorsed (By J. D.):] Sunmer Ilande Courte ye 17 of March 1622.

فتح كنعان:

The Conquest of Canaan

جورج واشنطن من النبوة إلى الألوهة


THE

CONQUEST

OF

CANÄAN;

A POEM, IN ELEVEN BOOKS.

BY TIMOTHY DWIGHT.

Fired, at firſt ſight, with what the Muſe imparts,
In fearleſs youth we tempt the height of arts.
POPE.

HARTFORD:
PRINTED BY ELISHA BABCOCK.
M,DCC,LXXXV.

1785

ملحمة: «فتح كنعان» [الأميركية] لتيموثي دوايت قصيدة في ١١ كتاباً
تمجيدا لانتصار الثورة الأميركية بقيادة موسى عصره جورج واشنطن
مكتبة الكونغرس Library of Congress

١

مَن الفاتح؟ موسى أم واشنطن؟

حَطّمْ قلب بلادهم
امحُ مدنَهم وقراهم عن بكرة أبيها.
أحرقْ حقولَهم ومزارعهم.
أتلفْ محاصيلهم وكل ما لديهم من مونة للسنة القادمة.
أنْزِل بهم أقسى العذاب وأفظع الأذى

ـ من رسالة واشنطن إلى الجنرال هوراسيوغايتس.

لم ينتظر التاريخ المنتصر لحظة موت جورج واشنطن ليطوّبه مع الأنبياء والقديسين والآلهة ويجعل منه أيقونة مقدسة، بل قدَّسه حيّاً وحاك حوله شبكة من الأساطير ما زالت إلى الآن في سباق مع تاريخ أميركا[١]. زينة هذا الكرنڤال التنكري لم تكن مصنوعة لذاتها، أو غريبة عن أرضها ومجتمعها، بل كانت مرآة لآمال المستوطنين وصرخة في الظلام لطرد مخاوفهم من الدم الذي يقطر من سكاكينهم. أساطير استمدت لغتها ومعانيها من أدبيات العهد القديم، وسرَت على مدى أكثر من مئتي سنة في أثداء كل مرضعة أميركية حتى صارت أميركا هي الرجل وصار الرجل هو أميركا[٢].

ليس هناك من تفصيل «مجيد» في حياة آلهة الأوليمپ وأبطال العبرانيين وأنبيائهم

لم يُبعث في تلك الأساطير التي حيكت حول الجنرال جورج واشنطن.

واشنطن الذي يُعتبر أبا عذرة هذه البلاد المنهوبة ومؤسسها founding father هو بالنسبة إلى هذه الإمبراطورية الاستيطانية فاتحها ومحررها ومخلصها، تماماً كما كان موسى لبني إسرائيل[٣].

منذ اليوم الأول لوفاته (١٤ ديسمبر ١٧٩٩) بدأ السياسيون والإعلاميون والوعاظ يتنافسون على حبك وجوه الشبه بين واشنطن والنبي موسى؛ ملاحم رثاء بطولية تقاطرت من كل أرجاء هذه البلاد السليبة، وخاصة من ولايات نيو إنكلاند الست التي أجمعت على أنه «موسى أميركا»[٤] «لهذا لم يكن غريباً أن يكون الإصحاحُ الأخير من سفر التثنية الذي يصف موت النبي موسى مخلّص العبرانيين أكثرَ إصحاحات التوراة حضوراً في هذه الملاحم»[٥]. فكما بكى بنو إسرائيل قائدهم في سهول موآب يبكي «بنو كولومبيا» الآن جورج واشنطن في سهول أميركا[٦].

التماهي بين النبي موسى وأخيه الجنرال جورج واشنطن لم يقتصر على المأتم؛ كلاهما بُعث من أجل رسالة واحدة، وكلاهما أرسل لتحقيق عمل عظيم قضته إرادة الله، فعندما يقضي الله أمراً عظيماً من أمور السماء يهيئ له رجلَ الساعة المناسب، ويُعِدُّه بكل ما يحتاج إليه هذا الأمر الجلل. أليس هذا ما فعله ـ كما يقول العهد القديم ـ مع موسى ويشوع وداود[٧]؟ كذلك هي حال جورج واشنطن. إن رحمة السماء هي التي أشفقت على إسرائيلنا الأميركية فمنّت علينا بموسى الثاني[٨].

بعضهم وجد في طفولة «النبيَّيْن» ما يؤكد تماهيهما وتوأمتهما. فموسى بني إسرائيل ولد في أرض جاسان، إحدى أفضل مناطق مصر، وكان سليل محتد كريم عريق. هاجر أجدادُه إلى مصر استجابةً لعهدهم مع الله خوفاً من المجاعة[٩]. كذلك ولد واشنطن في مستعمرة ڤرجينيا المشهورة بغناها ووفرتها، وكان سليل محتد كريم عريق. وقد هاجر أجداده من بريطانيا استجابة لعهد مع

الله لينعموا بالثروة والحرية الدينية. لهذا تولت العناية الإلهية بفضلها ورحمتها رعاية هاتين الأسرتين لكي يولد من ذريتهما هذان المخلصان في اللحظة المناسبة. فالأرض التي كانت في البداية ملاذاً كريماً للآباء [المهاجرين] صارت دار عبودية للأبناء [المقيمين]. . وبذلك قضى الله في اللحظة المناسبة أن يُبعث موسى في مصر كما قضى أن يُبعث واشنطن في أميركا[١٠].

كلاهما نجّاه الله من مصير مجهول مخيف ورعاه بفضله ورحمته. فأمهما الطيبتان أعدتهما السماء لهذه المهمة. لقد أخفت أم موسى ابنها ثلاثة أشهر لإنقاذه من سيف المصريين. وعندما أدركه الخطر وضعته في قارب وأسلمته لعناية ربه. وهكذا وجدته ابنة فرعون. أما الطفل واشنطن الذي سيصبح موسى أميركا، فكان يتيماً منذ العاشرة من عمره، ولهذا هيأت له السماء أمّاً طيبة تولت رعايته. وعندما بلغ الخامسة عشرة صار ضابطَ صفٍّ في البحرية البريطانية. وقبل أن يدركه الخطر نزل الوحي على قلب أمه فحضته على هجرة هذه الوظيفة. هكذا أنقذت رعايةُ الله الطفلَ جورج كما أنقذت الطفل موسى من قبل[١١].

واحدة هي الغاية التي أَعَدَّ اللهُ لها هذين المخلِّصَيْن. إنها إنقاذ شعبيهما المختارين من ربقة فرعون مصر وفرعون بريطانيا. لهذا شاءت حكمة الله أن تبدأ «الثورة على [فرعون بريطانيا]» وعُمرُ واشنطن كعمر موسى حين بدأ بتحرير نسل يعقوب من فرعون مصر[١٢]. وكان كلاهما قد تلقى من الله كل ما يحتاجه لنجاح مهمته[١٣].

أليس من آيات الله المعجزة أن يكون عدد العبرانيين الذين حررهم موسى ثلاثة ملايين [كذا] كعدد المستوطنين الذين حررهم أخوه واشنطن[١٤]؟ ألا يتشابه هذان الشعبان في أنهما لم يكونا في بداية حركة تحررهما واثقين من نجاحها؟ إن مداركنا لم تكن ترى بصيص أمل في انتصارنا تماماً كحال بني إسرائيل حين كانوا في مصر[١٥]. أليس ذلك لأن رب العالمين The Great Governor of the

Universe حين يريد أن يسبغ نعمته على شعب من الشعوب يشيع في نفوسهم اليأس ليعلموا أن الفضل له وحده في اختيار محررهم [موسى وواشنطن] ورعايته[١٦]؟ ألم يَعبُر واشنطن بالأميركيين بحراً من الدم الأحمر، كما عبر موسى ببني إسرائيل البحر الأحمر[١٧]؟

كلا الرجلين لم يغادر دنيانا إلا بعد أن أنعم على شعبه بالنصائح الحكيمة. فموسى وواشنطن كلاهما أورث الأجيال اللاحقة أصدق الحِكَم في خطبة وداعه. ألم يكن «سفرُ التثنية» خطبةَ وداعِ موسى؟ كذلك كانت كلمةُ استقالةِ واشنطن من الرئاسة خطبةَ وداعه وسِفر تثنيته. وهي كلمة لم ينطقها واشنطن عن الهوى بل رعتها العناية الإلهية لتكون بركة لكل العصور ونوراً لكل الأجيال[١٨]. العناية الإلهية هي التي شاءت أن لا يغادرا دنيانا إلا وقد وضعا شعبيهما على أعتاب عاصمتيهما الكنعانية. كلاهما لفظ أنفاسه الأخيرة بعد سويعات قليلة من احتضاره. وكلاهما كانت عيناه في أبهى ألقهما وكانت عافيته في أروع مظهرها[١٩].

في أقل من أسبوعين صار انضمام جورج واشنطن إلى نادي أنبياء العهد القديم فناً أدبياً تسابق الساسة والأدباء والوعاظ على صقل جواهره. لم يكتف هؤلاء الرجال الملحميون بإضاءة وجه الشبه بين واشنطن وموسى، بل كان بعضهم يتحلى بحسٍّ نقدي شجاع كشف عن تفوق واشنطن على النبي موسى في خاصتين جوهريتين. أولهما أن لا فضل لموسى في ما فعل لأنه كان يعمل بوحي من ربه، وكان يعتمد على معجزات السماء[٢٠]. أما واشنطن فلم يتلق وحياً من الله[٢١]، ولأنه لم يكن يعرف ما إذا كان الله سينصره فإنه عوض عن الوحي بما أعطي من قوة وشجاعة وحكمة[٢٢]. أما التفوق الثاني على النبي موسى فهو أن واشنطن فتحَ بلاد كنعان وأنجز مهمته على أكمل وجه بينما مات موسى قبل أن يتم مهمته ويدخل بشعبه أرض كنعان[٢٣]. موسى بني إسرائيل توقف عند مشارف أرض كنعان [الفلسطينية]، بينما لم يغادر موسى الأميركي هذه الحياة إلا وقد مَلَّكَ شعبه أرض

كنعان [الأميركية][٢٤]. ولا شك في أن تفوق واشنطن على أخيه موسى هو الذي أغرى بعض أصحاب هذه الملاحم بالقول، وبكثير من التواضع:

«لا بأس بوصف النبي موسى بأنه جورج واشنطن بني إسرائيل»[٢٥].

كل هذا التماهي الملفق صنعه الاستيطان والمستوطنون من سدى ولحمة المعنى الإسرائيلي لأميركا. ففتحُ كنعان العبراني والأميركي كلاهما لا يستقيم دون استيطان الأرض واستيطان العقل واستيطان الذاكرة. إنه الوجه العملي لفكرة أميركا التي صاغها المستوطنون البيوريتانس من فكرة إسرائيل الأسطورية؛ فكرة احتلال أرض الغير (كنعان الهندية Indian Canaan)، واستبدال شعب بشعب، وثقافة بثقافة وتاريخ بتاريخ.

ولا شك في أن ثقافة الهنود المسالمة هي التي أغوتهم بتصديق وعد واشنطن بأن تكون لهم دولة مستقلة ذات سيادة لكن مقتلهم ومقتل دولتهم الموعودة لم يكن في ثقافتهم المسالمة وحسب، بل في غيابهم عن معنى أن يُسمي الغزاةُ بلادَهم بلادَ كنعان وأن يُشبَّهَ الرجلُ الذي يقود زحف المستوطنين في بلادهم بالنبي موسى. مقتل هؤلاء الكنعانيين الهنود ومقتل دولتهم الموعودة يكمن أولاً وأخيراً في جهلهم بالمعنى الإسرائيلي لهذه الدولة الاستيطانية التي لا تكسب معناها إلا حين تنتشر كالسرطان في جسد بلادهم، ومقتلهم أيضاً في جهلهم بأن فكرة إسرائيل تتناقض مبدئياً مع وجود دولة غير إسرائيل في أرض كنعان ومع وجود بشر غير شعب الله فيها، ولهذا فهي في تناقض جوهري ومقدس مع وجودهم نفسه[٢٦].

كل ذلك يؤكد أن عصر الأنوار الأميركي في ذلك «الزمن النبوي» كان انتقائياً نفى منه شعب الله كل ما ينتقص من عبادته لذاته. إنه أيضاً تأكيد لرسوخ المفهوم الاستثنائي للوطنية والديمقراطية الأميركية بما يتعارض مع مفاهيم عصر الأنوار. فعلى غرار مستوطني العهدين على متن سفينتي «أرابيللا» و«ماي فلور» ما زالت هذه العصبية الوطنية nationalism والديمقراطية تقتضي أن تكون أميركا أمة العهد

وأن تكون شعباً استثنائياً مختاراً إلى الأبد، ذلك أن إله العهد القديم هو الذي قضى بأن تكون «إسرائيل الأميركية» التي فتحها موسى الأميركي مثلاً أعلى لكل الجنس البشري. فحياة جورج واشنطن وموته لا يمكن فهمهما إلا بهذا الهاجس المرَضي بالمعنى الإسرائيلي لأميركا.

وعلى غير ما يتوقع المرء، فإن هذا التماهي بين واشنطن وموسى لا يعكس شوقاً دينياً صرفاً، بل كان بفظاظة عجرفته وتعاليه على نبي العبرانيين إنما يبتذل معاني الدين وتعالي المقدس لنشر وباء الاستيطان؛

استيطان الأرض

واستيطان العقل،

واستيطان الذاكرة.

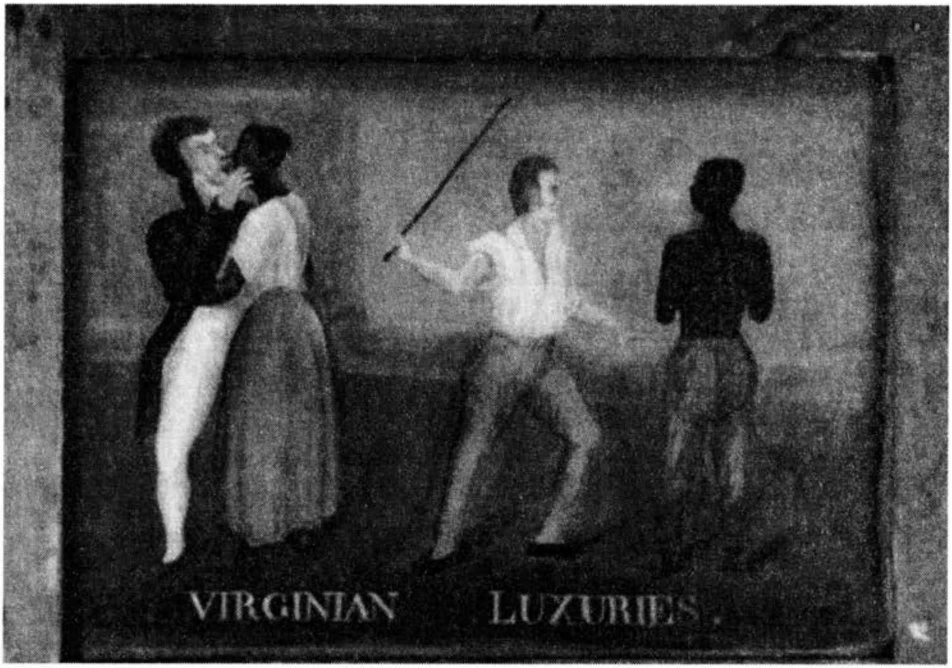
ففي ذلك العصر النبوي، عصر الفتح المبين الذي مات فيه موسى الأميركي كانت دولته الاستيطانية في حرب بَحْرية مع فرنسا وحرب أيديولوجية أضرى مع ثورتها الاجتماعية. كانوا يتخوفون على فكرة أميركا من «تجديف» عصر الأنوار ويتهمون توماس جفرسون Thomas Jefferson وتوماس پاين Thomas Paine وأتباعهما بأنهم ملحدون فوضويون يريدون نقض عهد أميركا مع الله.

يومها، كان كثير من المستوطنين يتخوفون من تسلل أفكار الثورة الفرنسية الاجتماعية إلى نظامهم الوليد، ما يهدد زخم الاستيطان ونظام العبودية وينقض كل فكرة أميركا، فأبناء شعب الله ـ وخاصة في مستعمرة ڤرجينيا ـ يريدون ديمقراطية لا تنسف عقيدة الاختيار، ولا تتناقض مع حقهم في الاستعباد، وحقهم في التضحية بالآخر، وحقهم في التوسع. صحيح أن لديهم عهداً مع الله وتفويضاً منه بأنهم، كبني إسرائيل، استثناء وجودي يسمو بهم وبديمقراطيتهم فوق حقوق البشر وأخلاق البشر وأعراف البشر، لكن الصحيح أيضاً أنهم كانوا يحلمون بإنشاء نظام طبقي مُطعَّم بالديمقراطية لا يختلف عن إنكلترا(٢٧). هكذا كان جورج

واشنطن والأسباط من حوله في المستوطنات يخلقون بأيديهم طبقةً دنيا من أشباه البشر (سوداً كانوا أو هنوداً أو فقراء لا فرق)؛ طبقةً تطعمهم شحمها ولحمها وتنفخ كروشهم. كانوا يعلمون أنه لا يمكن ثقافة الريف الإنكليزي المتعارضة جذرياً مع أفكار الثورة الفرنسية الاجتماعية أن تُبعث حية في العالم الجديد دون نظام الاستعباد ووحشية «ثروة الأمم». صحيح أن جورج واشنطن هجر الدراسة في الرابعة عشرة من عمره وكان شبه أمّي ولم يزر إنكلترا في حياته، لكن قلبه (حتى وهو يقود الثورة) كان معلقاً بقيمها ومجتمعها وأسلوب حياتها[٢٨].

«العبودية [بمعناها العرقي والطبقي] هي الصيغة الأم لما يسمى اليوم في الحلم الأميركي» American dream[٢٩]، «فالعيش من دون رقيق في هذه المستعمرات، [كما اعترف قديس الاستيطان. وليم بيرد William Byrd] مستحيل أخلاقياً»[٣٠].

هكذا راجت سوق النخاسة، وراحت سفن شحن الرقيق الأسود في بحر الظلمات تنوء بحملها وتلهث في سباق أهوج لا يشبهه سوى سباق البعير. ففيما كان عدد الرقيق الأسود عام ١٧٠٠ في مستعمرة جورج واشنطن (ڤرجينيا)، مثلاً، لا يزيد على ١٣ ألفاً تضاعف بعد خمسين سنة ثمانية أضعاف ليصبح ١٠٥ آلاف[٣١]. وقد كانت دراسة آباء الديمقراطية الأميركية لاقتصاد الرقيق خير تعبير عن هذا البعد العبودي للديمقراطية الأميركية وعن جوهر تعارضها مع أفكار الثورة الفرنسية وعصر الأنوار حتى جفرسون، مثلاً، كان يرى أن الأَمَة السوداء التي تنجب طفلاً كل سنتين أجدى من أفضل رقيق أسود في المزرعة، لأن خصوبة النساء تعني ازدهار المستعمرات الزراعية (كيبوتسات أميركا)[٣٢]. ثم إن وصايا عائلة واشنطن نفسها تقدم أدلة ملموسة على أهمية «اقتصاد الرقيق» لنجاح الديمقراطية الأميركية. فوالد جورج واشنطن أغسطين Augustine ورِثَ خمسة أرقّاء من أبيه في عام ١٧١٥، لكنه وَرَّثَ أولادَه أربعين رقيقاً أسود عندما مات في عام ١٧٤٣. أما جورج فكانت حصته منهم من تركة أبيه عشرة فقط، لكنه عندما مات كان يملك ١٢٣ رقيقاً أسود[٣٣].



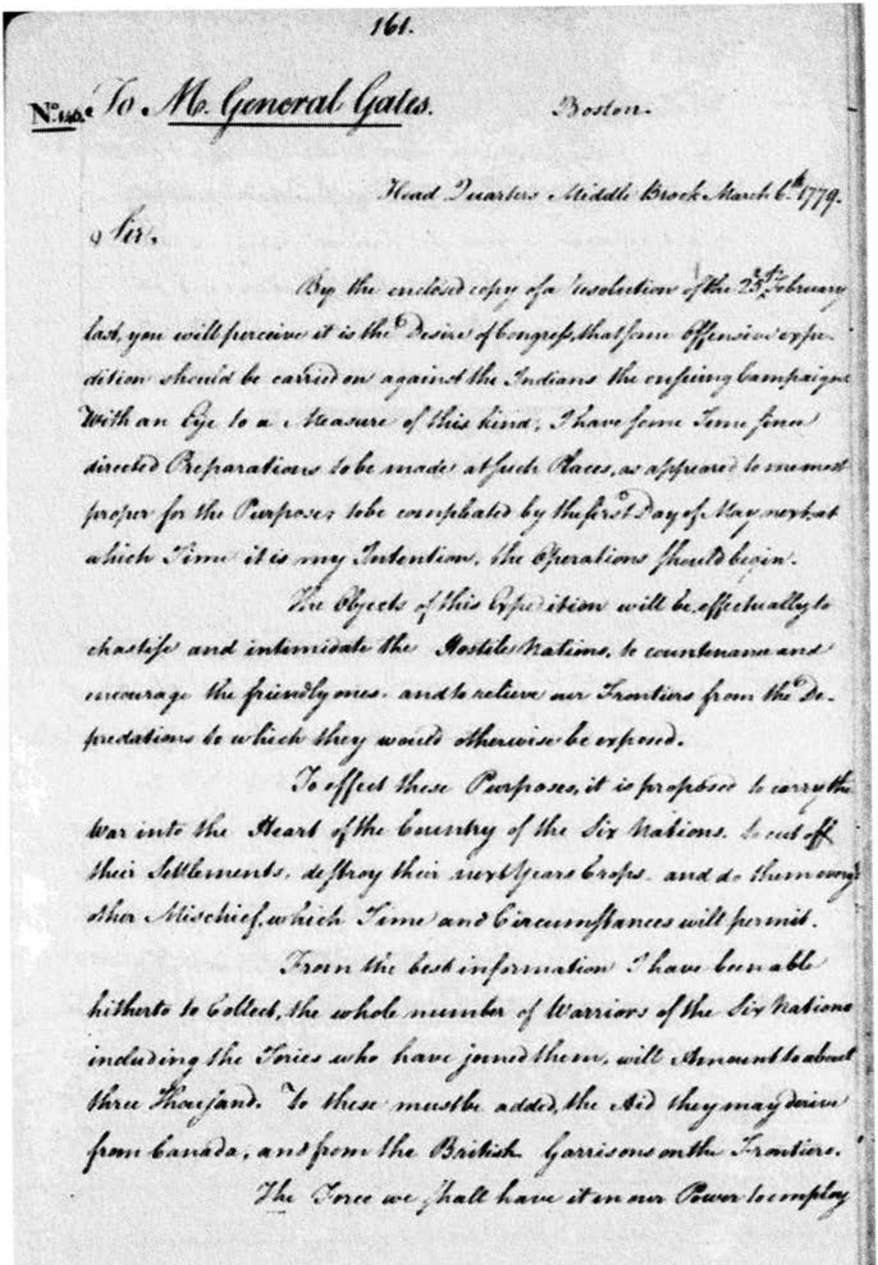
سيد يجلد مستعبَداً وآخر يقبل زوجة المستعبَد في لوحة كتب عليها عنوانها الفصيح «رفاه ڤرجيني» (١٨٢٥).
(متحف آبي آلدريش روكيفلر للفن الشعبي، وليمسبيرغ، ڤرجينيا)
Virginian Luxuries (1825) by an unknown Artist
(Courtesy of Abby Aldrich Rockefeller Folk Art Museum, Williamsburg, Virginia)

من أجل نجاح هذا النظام الفريد، كانوا يقطعون أصابع أقدام هؤلاء الضحايا حتى لا يهربوا. وكانت هذه الوحشية تستند إلى قانون سُنَّ في عام ١٧٠٥ بعد أن انتشر «خَصي» القدمين وصار عرفا متبعاً. لم يكن مقتل الرقيق في هذه العملية جريمة يعاقب عليها القانون، ذلك أن المشرعين ـ دون أن يرف لهم جفن ـ فلسفوا ذلك بالقول: إنه ليس هناك عاقل يمكن أن يؤذي أملاكه عمداً[٣٤]. حتى جورج واشنطن نفسه «كان يُخضع أرقاءه للعنف ويعتبر الأذى الجسدي من آن لآن ضرورة لا بد منها»، فقد «أمضى كل حياته مستهتراً بإنسانية أرقائه السود»[٣٥]. لهذا ليس غريباً ما ترويه الباحثة ماري تومبسون Mary V. Thompson عنه حين تقول:

> إن معظم أسنان جورج واشنطن في السنوات الأخيرة من حياته كانت مقتلعة من أفواه أرقائه السود بالقوة ومزروعة في فكيه[٣٦].

في مواجهة أفكار الثورة الاجتماعية الفرنسية وإغراءات عصر الأنوار زاد تعلق هؤلاء المستوطنين بفكرة أن «رب الجنود» سينقذ إسرائيل الأميركية ويضمن للأمة الأميركية كل ما نسبه العبرانيون القدامى إلى أنفسهم بدءاً من «الاختيار الإلهي» وانتهاء بحق التضحية بالآخر. وهم بهذا الإغراق في المعنى الإسرائيلي لأميركا وجدوا شيئاً من الطمأنينة في تأكيد أن الله الذي وهبهم موسى الأميركي (جورج واشنطن) سوف يحفظ لهم خليفته يشوع الأميركي (جون آدامس John Adadms) في مواجهة جفرسون والجفرسونيين [الكفرة][٣٧].

على مدى هذا التاريخ الأميركي ظلت أيقونة جورج واشنطن تنافس أيقونة السيدة العذراء في قدسيتها، وظلت عيون المستوطنين شاخصة إلى «إسرائيل الأميركية» التي بناها واشنطن بيديه[٣٨] على أنقاض كنعان وأشلاء الكنعانيين.



161.

No. 140. To Mr. General Gates. Boston.

Head Quarters Middle Brook March 6th 1779.

Sir,

By the enclosed copy of a Resolution of the 25th February last, you will perceive it is the Desire of Congress, that some Offensive expedition should be carried on against the Indians the ensuing Campaign. With an Eye to a Measure of this kind, I have some Time since directed Preparations to be made at such Places, as appeared to me most proper for the Purposes to be completed by the first Day of May next, at which Time it is my Intention the Operations should begin.

The Objects of this Expedition will be effectually to chastise and intimidate the Hostile Nations, to countenance and encourage the friendly ones, and to relieve our Frontiers from the Depredations to which they would otherwise be exposed.

To effect these Purposes, it is proposed to carry the War into the Heart of the Country of the Six Nations, to cut off their Settlements, destroy their next years Crops, and do them every other Mischief, which Time and Circumstances will permit.

From the best information I have been able hitherto to Collect, the whole number of Warriors of the Six Nations including the Tories who have joined them, will Amount to about three Thousand. To these must be added, the Aid they may derive from Canada, and from the British Garrisons on the Frontiers.

The Force we shall have it in our Power to employ

رسالة واشنطن للجنرال هوراسيو غايتس يأمره فيها بتدمير فيدرالية الإركوا كما في الفقرة الثالثة

George Washington to Horatio Gates, March 6, 1779

Library of Congress, 1741-1799: Series 3b Varick Transcripts

٢

هَدّام المدن

عندما اجتاحت جيوشك أراضي الأمم الست سمَّيْناك هدّام المدن. وما زالت نساؤنا حتى هذا اليوم، عندما يَسمعن اسمك، يتلفتنَ وراءهن، وتشحب وجوههن من الخوف، بينما يتلبب الأطفال بأعناق أمهاتهن مذعورين.

ـ بيغ تري Big Tree زعيم هنود سينيكا
مخاطباً جورج واشنطن (١٧٩٠)

«إنه غضب الله»

ـ أبيغايل آدامس Abigail Adams
(زوجة جون آدامس الرئيس الثاني)

للكشف عن وجه واشنطن الحقيقي والنجاة من براثن التاريخ الرسمي، كان لا بد من قضاء السنوات الأربع الماضية في قراءة أوراقه ورسائله، ولا بد من مراجعة يوميات الجنود والضباط الذين بعثهم هذا الموسى، عام ١٧٧٩، لفتح بلاد كنعان الهندية وإبادة أهلها وتدمير أي أمل لهم في الدولة التي وعدهم بها.

هنا في هذه الأوراق واليوميات التي تنام تحت غبار مراقدها في مختلف المحفوظات الوطنية وتحكي قصص الجرائم التي دفنت مع دولة الهنود الحمر

الموعودة في مقابر التاريخ الرسمي ترى وجه واشنطن كما هو دونما زينة أو مساحيق اعتاد المؤرخون والفنانون على تجميله بها[٣٩].

نعم! قد تكون مفاجأة غير سارة ـ للمتأمرك قبل الأميركي ـ أن تكشف هذه اليوميات عن وجه مختلف وصَفَتْه زوجة الرئيس جون آدامس John Adams بأنه «غضب الله». ففي تلك السنة وحدها (كما سنرى) دمر واشنطن أكثر من ستين مدينة من مدن الإركوا، وقتل معظم أهلها، وأحرق حقولها ومزارعها في ما يسميه التاريخ الرسمي عقاباً لم يعرف العالم إلى الآن أسبابه ومبرراته.

واشنطن هو الذي كتب إلى الجنرال هوراسيو غايتس Horatio Gates (٦ مارس/ آذار ١٧٧٩) يأمره بأن يحطم قلب بلادهم، ويمحو مدنهم وقراهم، ويحرق حقولهم ومزارعهم، ويتلف محاصيلهم وميرتهم، وينزل بهم أقسى العذاب وأفظع الأذى[٤٠]، (وانظر صورة الرسالة)، وهو الذي كتب إلى الجنرال سَليڤَن John Sullivan نسخة من رسالة غايتس، ثم أمره في رسالة (٣١ مايو/ أيار ١٧٧٩) بأن يدمر كل بلادهم ويعفرها بالتراب حتى لا تقوم لها قائمة[٤١].

مَن يراجع أوراق واشنطن فلا بد أن يرى مثل هذه الأوامر الإنسانية لكل القُوَّاد الذين أرسلهم لحرب الهنود وارتكبوا أبشع المجازر. فالمفوض الهندي سير وليم جونسون Sir William Johnson مثلاً يذكر أن لديه أدلة ثابتة على ١٨ مذبحة جماعية، كل ضحاياها من النساء والأطفال الهنود الذين مثَّلَت جيوش واشنطن بجثثهم، وسلختهم، وقَطّعتهم تقطيعاً شنيعاً[٤٢]. ولهذا فليس بمستغرب أن يستقبل واشنطن أنباء هذه الحملات الدموية بالتهليل، وبالثناء على سرعة جيوشه في تدمير مدن الهنود وحواضرهم وحقولهم وأهراءاتهم[٤٣].

لم يكن واشنطن مصاباً بداء الاستيطان وحسب، بل كان كذلك يعاني من غول الجشع[٤٤]. كل الأراضي التي سطا عليها وزعم أنها بَرِيّةٌ بورٌ خاوية على عروشها هي أراض زراعية مسكونة منذ مئات السنين[٤٥].

وللأسف، بل لعله عبرة لمن يريد أن يعتبر، فقد هيأت له (أ) ثقافة الهنود المسالمة، و(ب) ملابسات التمرد على التاج البريطاني كل ما أعانه على تحقيق أحلامه (وهما مقتلان من مقاتل الهنود سأستعرضهما هنا سريعاً):

في المقتل الأول، لم يترك التاريخ الرسمي هفوة هندية لم يدونها ويلفق منها أفظع قصص الرعب. أما الفظاعات والمذابح التي نهش الغزاة بها لحم الهنود كل يوم وكل ساعة وفي كل شبر من الأرض زحف إليه المستوطنون فقد أهملها هذا التاريخ واعتبرها، عند الاضطرار، مجرد «أضرار هامشية» لازمة لزحف الحضارة[٤٦]. فالمستوطنات ـ كما يصفها المؤرخ العسكري إرنست كروكشانك Ernest Cruickshank ـ كانت «مملكة للأنذال الذين يعيشون على الجريمة والغش والاغتصاب وحرق ونهب بيوت وممتلكات الهنود». كل ذلك بتواطؤ مع سلطات الاستيطان ومحاكمها التي كانت تغض الطرف عن جرائمهم وتبرئ ساحتهم من كل ما يفعلونه بالهنود[٤٧].

كانت التسليةُ الرياضية المفضلة لأبناء شعب الله هي تجرع الكحول والسُّكر، ثم الذهاب لقتل الهنود وإحراق بيوتهم ومزارعهم[٤٨]. يومها، كانت سلطات المستعمرات ترصد أعلى المكافآت لهذه البطولات، وكانت السياسة المتبعة كما يعبر عنها حاكم مستوطنة نيويورك جورج كلينتون George Clinton بَسْط السلام في أرض كنعان؛ «السلام الذي لا يتحقق إلا بإبادة شراذم الهنود»[٤٨A]. «فصيد الهندي [كما يقول John Heckwelder أحد قديسي الاستيطان] لا يختلف عن صيد الدب أو الجاموس البري»[٤٩].

في مقابل هذا الإصرار الأخلاقي والديني والاقتصادي والنفعي والإجرامي على التدمير والقتل، كانت ثقافات الأمم الهندية تؤمن ـ وبرومانسية ساذجة ـ بقانون البراءة Law of Innocence السائد بينهم منذ قرون طويلة قبل أن يطل عليهم شعب الله بسيفه وتوراته وأنبيائه الذكور. وكان هذا القانون يقضي باحترام حياة الإنسان

غير المحارب وحريته ومُلكه، ويُحرِّم قتل الأسرى والسفراء ورسل السلام، أو تعذيبهم[٥٠]. فعندما أمر الإنكليز حليفهم زعيم هنود Wyandot بأن يقتل كل المتمردين (المستوطنين الثوار على بريطانيا) مثلاً، وأن لا يستثني أحداً منهم، ذكّرهم هذا الزعيم «المتوحش» بقانون البراءة الذي يحرم قتل من لم يقاتل ولم يعتدِ. لكن القائد الإنكليزي كان له منطق آخر فقال له: «يجب قتل كل الرجال والنساء والأطفال لأن القمل يفقس من بيض القمل»[٥١].

كذلك كان الاغتصاب محرماً عند الهنود. وهو تحريم طبيعي في ثقافة تعلو فيها منزلة المرأة على منزلة أختها في معظم ثقافات أوروبا[٥٢].

هنا لا بد من التذكير بأن الحرب عند الهنود لم تكن تعني القتال كما هو الحال في ثقافات غزاتهم[٥٣]. فلم يكن قتالهم سوى نوع من الفروسية، كل طموحهم [كما في لعبة شد الحبل] أن يتراجع الخصم القهقرى. وكانت تتخلل هذا الاستعراض فترات ترويح عن النفس وإنعاش وقيلولة يتناولون فيها الطعام والشراب بكل طمأنينة وأمان[٥٤]. أعجب ما في الأمر أن هذا الاستعراض يحضره جمهور المشجعين من الطرفين، رجالاً ونساء وأطفالاً، كما في ملاعب كرة القدم اليوم وقد سخر المستوطنون الأولون من هذه الحرب فوصفوها بأنها «مجرد قفز ورقص»[٥٥].

ثم إن قرار الحرب لا يتخذه الرجال الهنود، بل تتفرد به نساء حكيمات يطلق عليهن اسم أمهات العشيرة Clan Mothers. فهن اللواتي يُعلنَّ الحرب وهن اللواتي يُعيِّنَّ قادتها[٥٦]. وقد جرى العرف بأن لا تُعلن الحرب إلا بعد أن تيأس أمهات العشيرة من نجاح ثلاث محاولات للصلح. عندها يُعيِّنَّ القادة وَيَسمحنَ لهم بالحرب. وهم قادة يُسألون أمام أمهات العشيرة عما يفعلون. أما إذا شذ واحد منهم عن توصياتهن أو خالفهن فإنهن يعزلنه ويُعيّنَّ غيره[٥٧].

وعلى نقيض صناديد شعب الله الذين كانوا لا يغيرون على الهنود إلا ليلاً وهم

نيام، فإن سياسة الحرب الهندية تقضي بإعلام الخصم بزمن الهجوم وهدفه ومدته[٥٨]. هذا ما ظل يفعله هؤلاء الأغرار زمناً طويلاً مع مستوطني شعب الله الذين قادهم موسى الأميركي لنهب بلادهم واصطيادهم صيد السردين[٥٩].

أما عن المقتل الثاني، فمنذ أن بدأ المستوطنون بالتفكير في التمرد على بريطانيا، ألح زعماء الإركوا على الطرفين المتحاربين أن لا يورطوهم في «حربهم العائلية»، كما يسمونها. هذا ما قاله زعماء أمة الموهوك Mohawks باسم الفيدرالية لممثل التاج البريطاني غي جونسون Guy Johnson في ٢٥ مايو/ أيار ١٧٧٥[٦٠]، ثم كرروا ذلك بعد شهرين على مسامع الجنرال غي كارلتون Guy Carleton في مونتريال[٦١]. ومن مونتريال توجه وفد الفيدرالية إلى مدينة ألبَني Albany (أغسطس/ آب ١٧٧٥) ليخبروا وفد كونغرس المستعمرات برئاسة فيليب شويلر Philip Schyler بعزم الأمم الست (فيدرالية الإركوا) على أن تنأى بنفسها عن هذه «الحرب العائلية» كما يلحّ المستوطنون على تسميتها[٦٢].

ولتفادي اللبس وسوء التفاهم، نبههم زعيم وفد الفيدرالية تيروهَنسير Tyrohansere إلى ضرورة إعلام كل مستعمراتهم بما تم الاتفاق عليه، تجنباً لسفك الدماء.. وخاصة إذا ما حاول المستوطنون الزحف في أراضيهم[٦٣].

كانت الفيدرالية عند كلمتها لزعماء الاستيطان. لم تكتف بالنأي بالنفس عن هذه الحرب العائلية، بل قاومت كل الضغوط والإغراءات التي قدمها لها الإنكليز للاصطفاف معهم[٦٤]، فقد كان المستوطنون يعلمون أن «لديها من القوة ما يكفي لإلحاق الهزيمة بالطرفين، وربما طردهما من القارة معا»[٦٥]. وهي حقيقة أكدها أكثر من مؤرخ. ولهذا كانوا يتوجسون من أن اصطفافها إلى جانب الإنكليز يعني القضاء المبرم على ثورتهم، وأصروا على أن يكون الاتفاق معها مكتوباً ومصدّقاً[٦٦].

أما كيف كافأ زعماء الاستيطان فيدرالية الأمم الست على حيادها الذي أنقذهم من



تي يي نين هوغارو، أحد ملوك الإركوا الأربعة الذين استقبلهم التاج البريطاني، ويبدو هنا أثناء زيارته للملكة آن وهو يحمل حزام الخرز رمز ديبلوماسية السلام. الزيارة كانت بناءً على طلب التاج لإقناع الإركوا بالتعاون مع بريطانيا في الحرب على كندا الفرنسية.

لوحة زيتية بريشة جان ڤيرلست (١٧١٠)، قبل أن يخلق جورج واشنطن

مكتبة بريدجمان الفنية (مجموعة خاصة)

Tee Yee Neen Ho Ga Row by Jan Verelst, London, 1710

Bridgeman Art Library (Private Collection)

الهلاك فالجواب عند عهدهم مع الله ومعناه الإسرائيلي الذي جعلهم يؤمنون بأن احتلال «كنعان الأميركية» وإبادة أهلها عمل مقدس، وبالتالي فإنه يسمو على أخلاق البشر وأعراف البشر وقوانين البشر وحياة البشر وحريات البشر. لهذا ـ وهُم يفاوضون الهنود في ألبَني وتلغو ألسنتهم بكلمات الحياد والسلام والصداقة ـ كانت جيوشهم تزحف، وكانت أيديهم تلوث هؤلاء المفاوضين الأغرار بجراثيم الأوبئة الفتاكة التي لم يكن الهنود يعرفونها ولم تكن لديهم مناعة ضدها. كانت الوسيلة التقليدية لهذه الحرب البيولوجية هي تبادل الهدايا، وفقاً لعادات الهنود التي استغلها شعب الله أبشع استغلال. لقد أخذوا أطعمة وأغطية وملابس ملوثة بالجراثيم من مستشفياتهم وأهدوها مع قوارير من الكحول الملوثة للهنود الغافلين، ما أدى إلى انتشار العدوى بينهم وموت الآلاف[٦٧].

ويروي الناجون من هنود الموهوك أن زعماء المستوطنين الذين حضروا إلى لقاء ألبَني جاءوهم بأمراض فتاكة لم يعرفوها من قبل، حتى إن كل هنود Schoharick الموهوكيين أصيبوا بها وقتلوا[٦٨]. وليُتموا نعمتهم عليهم فإن الجنرال شويلر Schuyler الذي تولى عقد معاهدة السلام معهم في ألبَني هو الذي قاد عليهم، بأمر من واشنطن، حملة عسكرية بزعم محاربةِ الجيش البريطاني غير الموجود على أراضيهم، وعاث في بلادهم قتلاً وتَدميرا[٦٩].

تنفيذاً لخطة واشنطن بزرع الشقاق بين أمم الفيدرالية، واستفرادهم قرية قرية ومدينة مدينة وقبيلة قبيلة، لفرض ما سماه الهيمنة الكاملة عليهم، افتتح الجنرال شويلر ذلك بإطلاق النار عشوائياً على مجموعات مسالمة من هنود السينيكا Seneca لاستدراجهم إلى قتاله والزعم بأن السينيكا (إحدى أمم فيدرالية الإركوا) متواطئة مع البريطانيين. كان واشنطن الحريص على سياسة «فرق تسد» يوصي قادته بضرورة أن يثيروا النعرات بين الهنود لتفريقهم وتسهيل هزيمتهم[٧٠].

هنا، يصف المؤرخ جيمس سيفر James E. Seaver هذه المذبحة بأنها كانت أشبه

بصيد الحمام. أجبرت بعض هؤلاء المسالمين الأغرار (بعد أن شاهدوا تساقط «أسراب الحمام» من أهلهم على الأرض) على أن يدافعوا عن أنفسهم دونما استعداد مسبق بينما اضطر آخرون كثيرون إلى الفرار[٧١]. وهذا ما شجع المستوطنين على السيطرة على بيوت هؤلاء الهنود وحقولهم وممتلكاتهم، وافتراس ما عافه الجيش من لحم مدينتهم[٧٢].

وبينما كان مبشرو الطرفين يتناهشون مَن تنصَّر منهم لتجنيده إلى جانبهم أصدر كونغرس المستعمرات تحذيراً للإركوا من عواقب الاصطفاف المزعوم إلى جانب الإنكليز، وتولت جيوش واشنطن وسفراؤه تأليب القرى والمدن على بعضها كأنما كانت لديه أوركسترا تعمل على تمزيق صفهم وضربهم ببعضهم تمهيداً لقضم بلادهم وتدمير دولتهم الموعودة[٧٣].

أوراق واشنطن ويومياته تؤكد أنه كان، من قبل أن يتولى قيادة ميليشيا ڤرجينيا (١٧٥٢)، عازماً على تدمير فيدرالية الأمم الست، لأنه يعلم أنه من دونهم ستسقط كل فكرة الدولة ومقومات الدولة، ذلك أنهم مِصرُ الشعوب الهندية في الشمال الشرقي الأميركي وبوصلة قوتهم، ولأنهم أصحاب الأرض التي يعيش عليها هنود الدولاوير الذين وعدهم واشنطن بالدولة وبممثلين عنهم في الكونغرس[٧٤]. وهذا أيضاً ما شجعه عليه كونغرس المستعمرات عندما تولى قيادة جيش [المستعمرات] القاري Continental، وذلك في ثلاث مناسبات (على الأقل) عبّر له فيها عن دعم سياساته التوسعية[٧٥].

بدأ واشنطن بتدمير مدن الأمم الست قبل أن تبدأ حملاته الكبرى في عام ١٧٧٩. ففي عام ١٧٧٨ مثلاً شنّ حملات منظمة على مدن «تيوغو Tiogo» و«وِيالو ـ سِنغ Wyalusing» و«كُنا ـ هُنتا Cunahunta» و«أوكواغا Oquaga» و«شيشي ـ كوين Sheshequin» و«أنديلا Undeela»، فدمرها جزئياً أو كلياً، وأرسى لكل من خلفه في «البيت الأبيض» سياسة تدمير مدن الآخرين[٧٦].

مدينة «شيشي ـ كوين» التي تقع على ملتقى نهرين، مثلاً، هي عاصمة ملكة هنود السينيكا إستير Queen Esther التي تضم قصرها المعروف بشموخه وروعة بنائه وأبهته. ويروي المايجور جيمس موريس James Morris، بعد سنة من مقتل الملكة إستير وتدمير مدينتها، آيات بديعة عن جمال هذه العاصمة وأبنيتها، وعن الحقول والحدائق التي تحيط بها، ويقول:

> هنا وسط هذه الجنة الخضراء سكنت الملكة إستير بعد أن تقاعدت، بأبهة ملكية، بعيداً عن رعاياها. ولا تزال أثار قصرها واضحة للعيان، فهو محاط بالأشجار المثمرة من أنواع كثيرة مختلفة[٧٧].

كذلك يقول الليوتنانت صاموئيل شوت Lieut. Samuel Shute والكولونيل آدم هبلي Adam Hubley.

> إن جمال هذا المكان وخصوبته هو الذي أغرى المستوطنين بالزحف إليه وبارتكاب ما يواكب زحف المستوطنين عادة[٧٨].

ولأنها كانت شُجاعة انتقمت لمقتل ابنِها وسلخِه والتمثيل بجثته على يد المستوطنين فقد شيطنها التاريخ الرسمي، فوصفها بأنها كائن متوحش تقاتل مع وصيفاتها المحاربات، وترتكب الفظاعات. وفي ٢١ سبتمبر ١٧٧٨ قاد الكولونيل توماس هارتلي Thomas Hartley بأمر من جورج واشنطن ميليشيا من ١٤٠٠ مستوطن، وهاجم مدينتها فأحرقها وهدم ما استطاع تهديمه منها[٧٩]. كان الهدف اغتصاب وادي وايومنغ Wyoming Valley لاستيطانه[٨٠]. ولهذا فعندما لم يبق ما يُحرقه ويدمره في عاصمة إستير زحف من هناك إلى مدينة «وِيالو ـ سِنغ Wyalusing» فباغتها في الثانية بعد منتصف الليل (٢٩ سبتمبر)، وقتل معظم أهلها النائمين. أما من نجا فقد اضطر إلى الهرب بعد تدمير المدينة وحرقها[٨١].

كذلك كلف واشنطن الكولونيل وليم بتلر William Butler قيادة حملتين على

مدينتي «أوكواغا Oquaga» و«أنديلا Undeela»، فأحرقهما وقتل معظم أهل أنديلا[٨٢]. أما أهل مدينة أوكواغا التي هاجمها في العاشرة ليلاً، فقد أنذرهم كشافتهم بالهجوم المرتقب ففروا، ما خيب أمل سكاكين بتلر وجنوده الذين انتقموا بالهجوم على مدينة «كُنا ـ هُنتا Cunahunta» المجاورة وأحرقوها[٨٣].

> كل هذه المدن الهندية التي تقوم فوقها اليوم قرى ومدن الشعب المختار كانت جنّات زراعية «لم ير المستوطنون مثلها في حياتهم». حتى الكولونيل بَتلر، مثلاً، يعترف بأن جنوده أتلفوا من الذرة وحدها أكثر من ٤٠٠ بوشل Bushel (أكثر من مئة طن بقليل) في مدينتي أوكواغا وأنديلا، إضافة إلى حقول واسعة من الخضار التي أكلوا منها ما أكلوا حتى أتخموا، وحملوا منها ما حملوا، ثم أتلفوا الباقي[٨٤].

أما المايجور موريس James Morris فكتب في سجلاته:

> أن هدفنا الثاني بعد إحراق المدينة كان حقول الذرة. هناك أكثر من أربعين هكتاراً (٤٠٠ ألف متر مربع) من حقول الذرة، قطّعناها كلها وأتلفناها وعندما تأكدنا من كمال الكارثة التي ألحقناها بالمدينة انتقلنا إلى [مدينة] تيوغا.

ودَوّن الليوتنانت إركورايز بيتي Erkurise Beatty في سجلاته:

> أمطرت السماء قليلاً ليلة الأمس وبعض اليوم. كان معظم الجيش منهمكاً في إتلاف الذرة الوافرة جداً. أما فرقتنا فسارت على ضفة النهر حيث تمتد حقول الذرة فأحرقت فيها خمسة بيوت، كما أحرقت كل حقول الذرة على مدى أكثر من ميل (نحو ١٦٠٠ متر). لقد أتلفت فرقتنا ١٥٠ آكر (٦٠٧ آلاف متر مربع) من أفضل أنواع الذرة التي رأيتها في حياتي، بعض قصبها كان أعلى من ١٦ قدماً

> (خمسة أمتار تقريباً)، إضافة إلى كميات كبيرة من الفاصولياء المختلفة، والبطاطا، واليقطين، والخيار، والكوسا، والبطيخ. [وفي سجلات المايجور جورج غرانت، George Grant نقرأ]: مشينا إلى مدينة كايوغا، وهي مدينة كبيرة وجميلة جداً. بيوتها مبنية جيداً، وأول ما فعلناه هو إتلاف حقول الذرة الخصبة. وفي اليوم التالي دمرنا البلدات المتناثرة حول المدينة، وأتلفنا حقول الذرة على مدى أكثر من ثلاثة أميال (خمسة كيلومترات تقريباً). ونحو الساعة الرابعة مشينا إلى بلدة لم نعرف لها اسماً. وهنا بتنا. وفي الصباح انهمكنا في إتلاف الذرة والحبوب والحقول الزراعية، دمرنا نحو ١٥٠٠ شجرة دراق، ومثلها من شجر التفاح وكثيراً غيرهما من الفواكه المختلفة[٨٥].

ومن المفارقات أن معظم الذين دمروا هذه المدن وأحرقوها وقتلوا أهلها أو شردوهم وجوعوهم هم من الأسرى الذين أفرجت عنهم الملكة إستير بعد أن وعدوها بأن لايقاتلوا أبداً[٨٦]. لكن السياسة التي رسمها واشنطن لا يعنيها مثل هذه الوعود، فهي تقتضي بحرق أو إتلاف كل الحقول والمزارع وتدمير أهراءات الغذاء التي تعتمد عليها فيدرالية الأمم الست في حياتها[٨٧]. عهد أميركا هو مع الله، وبالتالي فإنه يسمو على كل هذه التفاهات التي تُسَمّى البشر.

مع بداية ١٧٧٩ صارت منطقة «أونانداغا Onandaga» (أعالي نيويورك وأونتاريو ـ كندا اليوم) هي الفريسة المشتهاة، فقد ظن واشنطن أنها هي المركز الحكومي والعسكري للأمم الست، وأنها عصب الفيدرالية، وأنه من دون تدميرها وقتل أهلها أو تشريدهم لن يكتمل «فتح كنعان»، ولن يرتاح له بال. كان يعلم أن أهلها على الحياد كما تنص الاتفاقيات الموقعة معهم، ويعلم أنهم نأوا بأنفسهم عن «الحرب العائلية» بين بريطانيا والمتمردين عليها فلم ينفع معهم ترغيب ولا ترهيب، لا من رأس الأفعى ولا من ذنبها[٨٨].

في هذا التركيز على أونانداغا، أولى فرائس حملة ١٧٧٩، أخفق واشنطن في فهمه وتقديره لتنظيم فيدرالية الإركوا وقوتها وأعرافها الدستورية، فقد كان من الصعب على الذهنية الأوروبية فهم تعقيدات مفهوم السيادة الشعبية والنظام المركزي في تلك الفيدرالية. لقد أعمتهم أوهامهم وعنصريتهم وأكاذيبهم وافتتانهم بأنفسهم و«اختيار الله» لهم عن حقائق البنية الديمقراطية لفيدرالية الإركوا. فأونانداغا ليست عاصمة أو مدينة مركزية، بل هي بلدات وقرى متناثرة على ضفاف البحيرات والأنهار في تلك الجنة التي تسمى اليوم أعالي نيويورك وتشمخ فيها شلالات نياغارا. ومع ذلك لم يكن تدمير «أونانداغا Onandaga» يعني لواشنطن مجرد الاستيلاء على أرضها وضمان زحف المستوطنات إلى ما صار يسمى اليوم أعالي نيويورك، بل كان يعني ـ حسب أوامره ـ «أن لا تقوم لهنود الأمم الست بعدها قائمة»[٨٩]، فلا دارٌ ولا ديّار، ولا دولةٌ ولا ما يحزنون.

وعلى عادته، لفَّق التاريخ الرسمي مبررات «أخلاقية» كثيرة لهذه الحملة، لكن الكسندر فليك Alexander Flick (عمدة مؤرخي نيويورك وقَيّم مكتبة محفوظاتها) لم ير فيها ذرة من الأخلاق، بل سخر من هذه الدعوى المعجرفة، وأثبت أن كل ما كان واشنطن وعسكره وميليشياته يفكرون فيه هو الأرض، ثم الأرض، ثم الأرض[٩٠]. فبدون احتلال الأرض لا كانت أميركا هي أميركا اليوم، ولا كانت هناك حاجة لتمريغ السماء في دماء الهنود.

الجنرال شويلر، Philip Schuyler القائد الأعلى للحملة كان شديد الحماسة لها، لأنها ستمنع «الأمم الست» من استعادة نيويورك حتى أعالي «شِنِكْتادي Schenectady» أو «جارة الصنوبر»، بلغة هنود الموهوك[٩١]. كان عنصرياً متخماً بعقدة «الاختيار الإلهي»، يرى الهنود في كوابيسه. ولم يكن مساعده القائد المباشر للحملة الكولونيل غوس ڤان شايك Goose Van Schaick بأقل تخمة منه. كلاهما كان يتلذذ بقتل هؤلاء الكنعانيين الهنود. بل لربما كان يبزه بالعنصرية

والكراهية منذ أن كان جندياً تحت قيادة اللورد جفري أمهرست Jeffrey Amherst بطل الحروب الجرثومية على الهنود[٩٢].

لم يكن جورج واشنطن يحلم بأفضل من هؤلاء الأبطال لتنفيذ سياسته بعد أن عين لهم شهر أبريل/ نيسان (١٧٧٩) موعداً لانطلاق الحملة وأمدّها بميليشيا، عددها ٥٥٨ جندياً وضابطاً[٩٣]. كانت استخباراته قد أعلمته بأن الضحايا في غفلة عما يحاك لهم، وأنهم مطمئنون إلى اتفاقيات السلام المعقودة معهم، وإلى وعوده التي خدرتهم، ولهذا رموا أسلحتهم وانصرف المحاربون منهم إلى أعمالهم وحقولهم. «إنهم [كما جاء في يوميات سَليڤن Sullivan] لا يتوقعون منا عدواناً بل يتوقعون وداً سلاماً»[٩٤].

ولمزيد من التعمية فقد استعان ڤان شايك، في البداية، بوفد من ٦٣ دليلاً من هنود أونايدا، بينهم عدد من النساء[٩٥]. لكن الجنرال جيمس كلينتون James Clinton الذي عينه واشنطن مشرفاً أعلى على الحملة تخوف من هذه المغامرة، خاصة أن بين هنود أونايدا وبين الضحايا من هنود أونانداغا مصاهرات كثيرة، ما قد يكشف هدف الحملة فيعرف بها ضحاياها قبل حدوثها[٩٦]. ومما زاد من مخاوف الجنرال كلينتون أن ثلاثة من زعماء أونايدا طلبوا من قائد الحملة ڤان شايك توضيحاً لطبيعة الحملة، لكنه ادعى أنها رحلة استكشافية. ولكي يخدعهم أكثر فإنه أرسل معهم ضابطين ورقيبين لمرافقتهما في رحلة صيد، وقدم لهم بعض الهدايا ثم تخلى عن فكرة الاستعانة بهنود أونايدا نهائياً[٩٧]، واختصر خطة الحملة، فاقتصرها على تدمير القرى والبلدات العشر المنتشرة على ضفة نهر أونانداغا، والعودة قبل اكتشاف أمره بأسرع وقت ممكن[٩٨].

في ١٨ أبريل/ نيسان، ليلاً، وتحت ستر الظلام، أرسل ڤان شايك زاده وعتاده في مراكب إلى بحيرة أونايدا، ثم انطلق بجيشه براً في صباح اليوم التالي[٩٩]. وقبل الوصول إلى أول قرية التقى الكشافةُ بمجموعة من النساء والأطفال، ومعهم

امرأة أوروبية مُتبناة، فقتلوا امرأة، وأسروا ثانية ومعها ثلاثة أطفال. . . بينما استطاع باقي الأطفال الهرب إلى أهليهم ليعلنوا النذير[١٠٠]. ولما عرف ڤان شايك بما جرى، وأدرك أن معظم البلدات والقرى ستعلم بتشريفه زاد إصراره على اختصار الخطة والإسراع في تدمير ما يمكن تدميره، وقتل وأسر من يمكن قتله وأسره. هنا يكتب الكابتن Thomas Machin أن «أهل هذه البلدات والقرى فروا هاربين إلى الغابات القريبة، [ثم يضيف] لحسن الحظ (!) لم يتمكنوا من حمل أي شيئ معهم»[١٠١].

لكن، لسوء الحظ، لم يكن لدى هؤلاء الفارين متسع من الوقت لتنظيم دفاعهم، أو هربهم إلى القرى والبلدات المجاورة وإعلامها وكانت النتيجة الحتمية أن الجيش استطاع اجتياح البلدات الثلاث الأولى بسهولة[١٠٢]. «ثم راح الجنود يزحفون من قرية إلى قرية على ضفاف النهر، فقتلوا ما قتلوا، وأسروا ما أسروا. وبعد أن نهبوا أثمن ما في هذه المدن والقرى التي اجتاحوها أشعلوا فيها النار ولم يتركوها إلا رمادا»[١٠٣].

أما بالنسبة إلى الأطفال الصغار، فكالعادة «كان الجنود يمسكونهم من كعابهم ويخبطون رؤوسهم على جذوع الأشجار لتحطيم جماجمهم»[١٠٤].

وفي تقريره إلى رؤسائه كتب ڤان شايك (قائد الحملة) متباهياً أنه «اجتاح مسافة ١٨٠ ميلاً (٢٨٩ كلم) في خمسة أيام دون أن يخسر جندياً واحداً، وأنه على قناعة بأن الدمار كان كاملاً لكل قراهم وبلداتهم على هذا الطريق»[١٠٥].

في الساعة الرابعة من ذلك اليوم (٢٢ أبريل/ نيسان)، وبعد مسيرة طويلة بالأسيرات الهنديات على ضفة نهر أونانداغا، احتفل الجنود بالنصر، وأكرمهم قادتهم بكمية سخية من مشروب الرّم rum، فشربوا وانتشوا إلى أن دب فيهم السكر. عندها تَوَّجوا انتصارهم بحفلة اغتصاب جماعي للأسيرات بمن فيهن القاصرات اللواتي لم يبلغن بعد[١٠٦]. ألهذا أكرمهم واشنطن برسالة تهنئة أشاد

فيها بسلوك الجنود وروحهم العالية؟[١٠٧] أم لهذا أثنى الكونغرس على ڤان شايك وجنوده «لحسن سلوكهم في الحملة الأخيرة على [هنود] أوناندا غا»؟[١٠٨] كلهم تناسوا في حماستهم «لفتح كنعان» تحطيم جماجم الأطفال بجذوع الشجر، واغتصاب الأسيرات والفتيات القاصرات، وتجاهلوا جرائم حرق القرى والحقول، وتدمير المدن، وإتلاف المحاصيل. لكن مهلاً، فهذا أول الغيث. موسى أميركا لم يفلق بعدُ بحرَ [الدم] الأحمر[١٠٩].

٣

من معجزات واشنطن في «أرض كنعان»

ليس هناك من يطرب للحرب على الهنود مثلي أنا
- جورج واشنطن

لم ندعْ منزلاً واحداً أو حقلاً من حقول الذرة في بلاد «الأمم الخمس» لم نزله من الوجود.
لم نترك في هذه البلاد أثراً واحداً يدل على الهنود
- الجنرال سَليڤن بعد حملته على فيدرالية الإركوا

عندما نسحقهم سحقاً كاملاً علينا أن ننادي بالسلام مستغلين خوفهم لتحقيق المزيد من المكاسب
- جورج واشنطن للجنرال سَليڤن

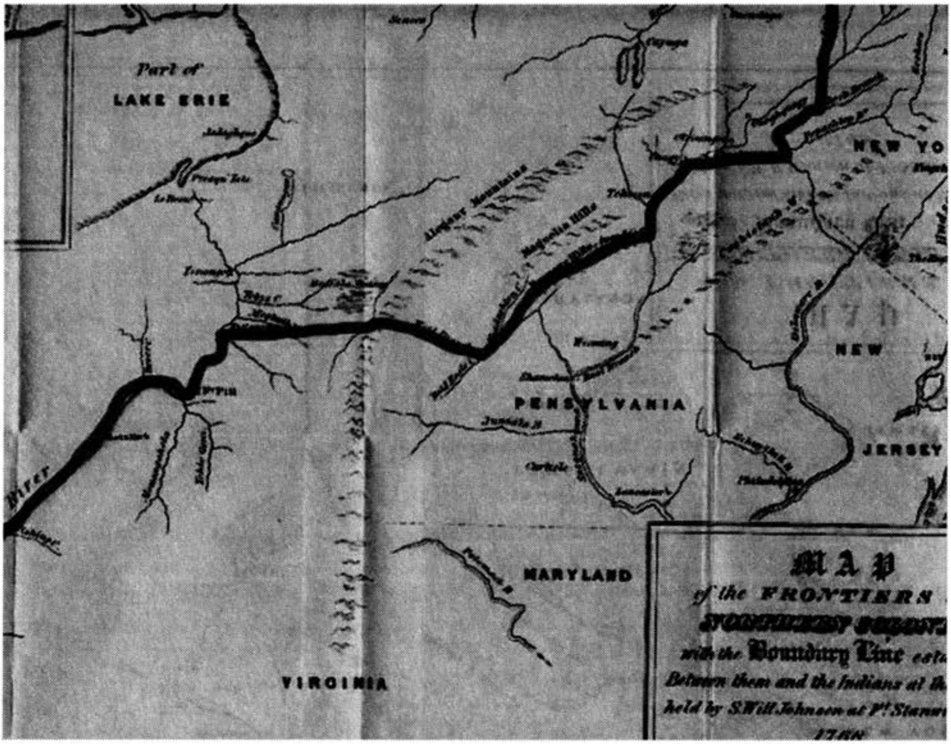
في جعبة واشنطن للهنود ودولتهم الموعودة معجزات أكثر هولاً مما كان في جعبة يهوه «رب الجنود» للكنعانيين. في جعبته جوع مقدس إلى أرض الهنود ودم الهنود، فعائلته التي تملك شركة أوهايو Ohio Company كانت من أبرز النخب الأوليغاركية في مستعمرة ڤرجينيا وقد جَنَت ثروات فاحشة من المضاربة بالعقارات، والشراء الاحتيالي، والزواج بالأرامل ذوات الأملاك الهائلة. يكفي أن شقيقه الأكبر لورنس واشنطن Lawrence Washington، مثلاً، كان رئيساً لهذه

الشركة التي تأسست عندما وهبها الملك جورج الثاني ٥٠٠ ألف آكر (أكثر من ملياري متر مربع) من أراضي الكنعانيين الهنود من أجل الاستيطان والتجارة[١١٠]. لهذا وظّف جورج واشنطن دم جنوده وأرواحهم لخدمة هذه الشركة منذ أن كان قائداً لميليشيا فرجينيا[١١١]، وأدمن ذلك حين كان ضابطاً في الجيش الإنكليزي، فكان يتجاهل واجباته العسكرية ويمسح هذه العقارات لمصلحة شركة أوهايو[١١٢]. كذلك فعل بعد ما يسمى الحرب الفرنسية الهندية French Indian War حين وعد جنوده بقطعٍ من الأرض «المفتوحة». فَباسم مسح الأراضي للجنود العائدين من الحرب كان يمسحها لحساب شركة أوهايو[١١٣] ويعمل على نفخ الكروش الفرجينية، وفي طليعتهم شركته العائلية[١١٤]، زاعماً أن بلاد الهنود «أرض بلا شعب»[١١٥].

هذا الجوع المقدس لدى واشنطن وأسرته إلى أراضي الهنود من أهم حوافز معجزاته العسكرية وأسرار ما يعرف بمناوراته الغربية Western Tactics. كانت بلاد الإركوا في ما يسمى اليوم أعالي نيويورك Upstate New York وغرب بنسلفانيا وأوهايو مطمعاً شخصياً لجورج واشنطن والمستوطنين وجَراد الشركات العقارية التي تتقدمهم أسرابها أو تواكبهم. وكان الهنود يعلمون بذلك. لهذا أصروا على تضمين معاهدة Fort Stanwix (١٧٦٨) نصاً قاطعاً يعترف به التاج البريطاني بالحدود النهائية لبلادهم ويحول دون تسلل المستوطنين إليها. وفعلاً فإن الملك جورج الثالث، (في محاولة لكسب ود الفيدرالية أيام تمرد المستوطنين عليه)، أقر هذه المعاهدة ووافق فيها على خط الحدود النهائي بين مستعمراته الشمالية وبين بلادهم، وتعهد باحترام استقلالهم وسيادتهم على أراضيهم[١١٦]. (وانظر الخريطة).

ولكن، يا لجلالته من «غضب الله» ونبيه موسى!

تلك إذن كانت خيانة الملك (فرعون لندن) لشعب الله وحقّه المقدس في كل



الخريطة المرفقة بمعاهدة فورت ستانويكس (١٧٦٨) ترسم الحدود «النهائية»!
بين المستعمرات البريطانية (تحت خط الحدود) وبين بلاد الهنود (فوقه)، كما أقرها التاج البريطاني.
Map of the frontiers of the northern colonies with the boundary line established between them and the Indians at the treaty held by Sir William Johnson at Fort Stanwix in November1768.
From: *A Documentary History of the State of New York*, Vol. I,
by E. B. O'Callaghan, Albany 1849

أرض كنعان. وقد كان إقرار الملك بحق الهنود في استقلال بلادهم وسيادتهم على أراضيهم سبباً إضافياً لنقمة المستوطنين على الملك وعلى معاهدته. وهذا ما استغله جورج واشنطن من أجل التعبئة لحملاته العسكرية التي توجها في ١٧١٨ و١٧٨٢ باجتياح أوهايو ونشر وباء الاستيطان في أراضيها[١١٧].

مِن أولى معجزات واشنطن ضربةٌ استباقية لهنود الأمم الست بحملة كبيرة من خمسة آلاف جندي مدججين بأحدث الأسلحة يمحون وجودهم في نيويورك

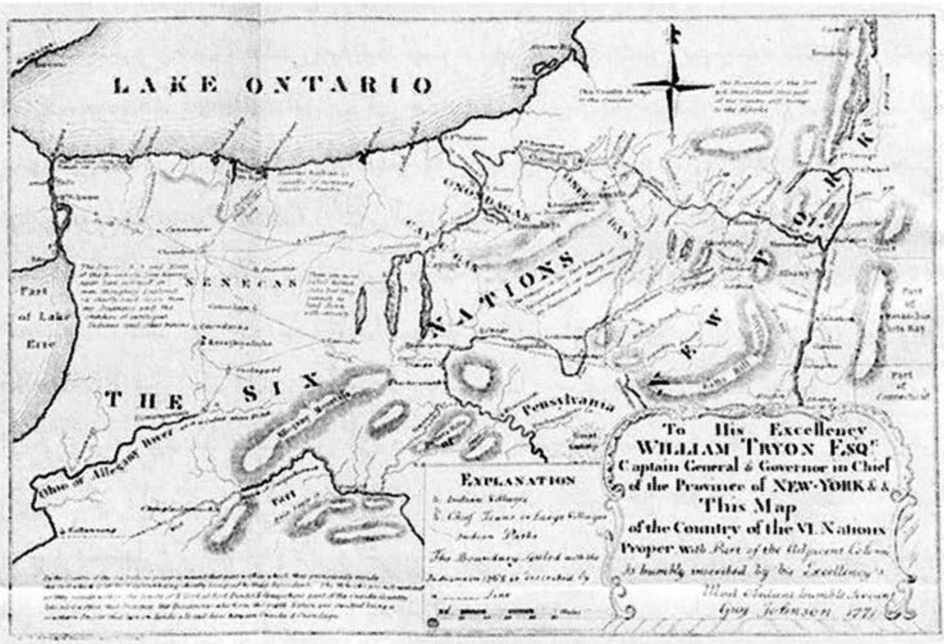
وپنسلڤانيا حتى حدود أوهايو. كان تدمير هذه الفيدرالية أو شلُّها يعني الكثير لجورج واشنطن، لأنها بالنسبة إلى كل الشعوب الهندية في الشمال الشرقي أشبه بمصر بالنسبة إلى شعوب المشرق العربي ولأنها هي صاحبة الأرض التي وعد الدولاوير بإقامة الدولة عليها. لهذا فقد أولى قيادتها العامة للجنرالين جون سَليڤن John Sullivan وجيمس كلينتون James Clinton، بينما وضع على قيادة جناحها الغربي الكولونيل دانيال برودهِد Daniel Brodhead. كان يريد أن يلتقي جيشُ برودهد مع جيش سَليڤن ـ كلينتون فوق نهر تيوغا Tioyga ليزحفوا بعد ذلك جميعاً في بلاد الأركوا حتى أعالي نياغارا، إحدى أجمل بقاع الأرض(١١٨).

وبوصية من واشنطن، لجأ برودهد Brodhead إلى خِدَعٍ اعتاد الإنكليز والمستوطنون على استخدامها. منها إخفاء حقيقة المهمة وذلك بالاستعانة بعدد من الهنود المبَشَّرين يَدلونهم في «رحلتهم السلمية» ويتجسسون لمصلحتهم. ومنها التزيّي بزي الهنود وأصباغهم لمباغتة الفرائس ساعة غفلتها ولإلصاق كل الجرائم التي يرتكبها جنود واشنطن بضحاياهم. بهذه الخدعة وحدها تمكن برودهد Brodhead كما يروي الليوتنانت وليم بارتون William Barton من ذبح وسلخ قبيلة كاملة(١١٩).

وفعلاً، لم يخبر برودهد Brodhead الهنود الذين رافقوه (وهم من حصاد المبشرين) بعزمه على مهاجمة فيدرالية الإركوا إلا بعد أن لم يبق لديهم أمل في التراجع. بل إنه هددهم بأنه سيقضي عليهم إذا ما حاولوا الاعتراض أو إثارة المتاعب وأنه قد يوجه الحملة ضد شعوبهم(١٢٠).

وليس مفاجئاً أن نقرأ في أوراق واشنطن أمره لبرودهد Brodhead بالتحبب إلى هنود الغرب (أوهايو وما بعدها) الذين لم يصل إليهم وباء الاستيطان بعد، وأن يقنعهم بحب المستوطنين للسلام ورغبتهم في الصداقة مع الشعوب الهندية(١٢١).

بهذه الحملة كان واشنطن يهيئ لاغتصاب كل أوهايو (١١٦٠٩٦ كلم٢)، ما



فيدرالية الأمم الست، القسم الواقع في أعالي نيويورك حيث تدور أحداث فصل «فتح كنعان»
أعدت الخريطة لحاكم مستعمرة نيويورك وليم تريون في عام ١٧٧١
From A History of the Schenectady Patent in the Dutch and English times;
by Jonathan Pearson, published in 1883

يعادل نصف مساحة بريطانيا بعد أن يبيد أهلها الذين يعيشون في أخصب وديان الأرض. إن قارئ الرسائل المتبادلة بين واشنطن وقائد حملته برودهد Brodhead (٢١ أبريل/ نيسان ـ ٦ أغسطس/ آب ١٧٧٩) يحار في أي الرجلين أشد عطشاً لدم الهنود فمنذ اليوم الأول (٢١ أبريل/ نيسان)، كشف واشنطن عن حقيقة السلام والصداقة اللذين يريدهما لهنود الغرب، كما كشفت حملاته العسكرية عن حقيقة الدولة الموعودة. في هذا اليوم أصدر واشنطن أمره لبرودهِد Brodhead: «ما إن تمتلك القدرة على اجتياح متوحشي الغرب بحملات عسكرية... طاردهم في أرضهم ولا ترحمهم»[١٢٢]. ثم تبين في رسالة أخرى أن لدى برودهِد Brodhead أمراً بغزو وتدمير كل ما يستطيع تدميره من بلاد الهنود[١٢٣].

ولم يُكذِّب الرجل خبراً ففي ٢ نوڤمبر تشرين الثاني نقلت الصحف للمستوطنين

بشارة تدمير إحدى عشرة مدينة لهنود لوناپه Lenape وسينيكا Seneca بينما اعترف برودهد Brodhead بأن كل هذه المدن نهبت وأحرقت حتى رُمّدت (ثمانية منها في أعالي سينيكا)، وأنه دمر كل القرى والمزارع على ضفاف النهر حتى أولين پوينت Olean Point[١٢٤]. أما المؤرخ روفُس ستون Rufus Stone فأحصى ١٦ مدينة كاملة دمرها برودهد في حملته، بأمر من واشنطن، بعد أن نهبها وأحرق الحقول والمزارع حولها، وأتلف كل ما في أهراءاتها[١٢٥]. ويروي برودهِد Brodhead في أحد تقاريره أنه دمر ١٦٥ بيتاً، بعضها كبير جداً يتسع لأكثر من أربع أسر، دون أن يذكر في أي مدينة أو يعترف بما جرى لأهلها[١٢٦]. وفي رسالة إلى واشنطن (١٦/ ١٠/ ١٧٧٩) يتحدث بكثير من الفخار عن غنائمه التي بلغت قيمتها ٣٠ ألف دولار والتي تتضمن ثمن فروات الرأس التي سلخها جنوده من هامات الهنود[١٢٧]. كذلك يتحدث فيها عن المحاصيل الزراعية التي أتلفها أو أحرقها، وعن حقول الذرة التي أمضى جنوده ثلاثة أيام يحرقونها في مدينة يُغرونواغو Yoghroonwago والتي قَدّرَ مساحتها بما لا يقل عن ٥٠٠ آكر (مليوني متر مربع)، ومثلها من حقول القرعيات. هنا يصف برودهد Brodhead جودة هذه الحقول فيعترف بأنه لم ير مثلها في حياته وأنها أفضل من «حقولنا»[١٢٨].

وبكل تواضع، لم أجد أبلغ من كلمات برودهد Brodhead نفسه للتعبير عن هدفه من هذا الفتك بحقول الهنود ومزارعهم وأهراءاتهم:

«إن ذئاب الغابات هؤلاء سيجدون أنفسهم في حسرة اللقمة».

فقد كان واضحاً من أوامر «غضب الله» ومن رسائل برودهد Brodhead أن إبادة الهنود والقضاء على كل أمل لهم في الدولة الموعودة هو الهدف[١٢٩].

مقتل هؤلاء الكنعانيين الهنود ومقتل دولتهم الموعودة يكمن أولاً وأخيراً في جهلهم بالمعنى الإسرائيلي لهذه الدولة الاستيطانية التي تنتشر كالسرطان في جسد بلادهم، وجهلهم بأن فكرة إسرائيل تتناقض مبدئياً مع وجود دولة غير إسرائيل في

أرض كنعان ومع وجود بشر غير الشعب المختار فوق هذه الأرض، ولهذا فهي في تناقض جوهري ومقدس مع وجودهم نفسه. وهذا ما اعترف به القائد العسكري أرميا فوغ Jermiah Fogg حين قال إنهم إنما ينفذون «إرادة الله، وهي القضاء نهائياً على هذا الجنس»، بينما عبّر شعار تلك الحملات عن كل ما يعنيه واشنطن بدولة مستقلة للهنود:

أزيلوا كلاب جهنم هؤلاء من على وجه الأرض»[١٣٠]

Extirpate those Hell-Hounds from off the face of the earth

لهذا إذن، شنّ واشنطن هجومه قبل أن ينضج موسم الذرة (قمح الهنود)، وبعد أن يتعذر بذار الحقول من جديد، وذلك ليضمن لكل من لم يموتوا بسكاكين جنوده موتاً حراً بسكاكين الجوع[١٣١].

ولكن مهلاً. هذه عصا موسى لا تزال في يده؛ لم يُلقها لتصبح حية تسعى. إن في جعبته للكنعانيين الذين لا يجيدون قراءة «سفر الخروج» والحالمين بالدولة والاستقلال كوابيس كثيرة فحملة برودهِد Brodhead لم تكن سوى مقدمة سريعة لكتابٍ فذّ في «فن الموت»[١٣٢].

هنا، في وباء الاستيطان؛ في فكرة أميركا المستمدة من فكرة إسرائيل الإسطورية؛ هنا في وضح النهار وليس في ألف ليلة وليلة يرتع هادم اللذات ومفرق الجماعات. لهذا كان الترويع والإرهاب بالذبح والسلخ والتمثيل بالجثث من أبرز وصايا واشنطن للجنرالين سَليڤن Sullivan وكلينتون Clinton. هكذا نقرأ، مثلاً، في شهادة صاعقة لسان جون دو كريڤكور Hector St. John de Crèvecœur

أن مستوطني الثغور لا يَبدون أفضل من فصيلة من الحيوانات اللاحمة.
لقد أفرغوا كل حقدهم ونزعاتهم الإجرامية في أجساد هؤلاء الهنود.
إنهم مهووسون بالقتل. وقد وجدوا في هذه الثغور المتعة والحرية

المطلقة لإرواء عطشهم للدم. وكان من أبرز رموز هذه الثغور أن يتزنر المستوطن حول خصره بعدد هائل من فروات رأس الهنود[١٣٣].

ولهذا فإن ما ميز الجنرال جورج روجرز كلارك George Rogers Clark في عيني واشنطن هو شغفه بالسلخ وتشجيعه جنوده على قطف رؤوس الهنود وسلخها. ففي اجتياحه مدينة ڤينسان Vincennes مثلاً وقف كلارك Clark فوق مسرح شارع صغير ليعرض ضحية من ضحاياه. في البدء أقعد الضحية على كرسي في وسط البلدة، وأمر أحد رجاله بسلخه حياً[١٣٤] وفي الثانية من بعد ظهر ذلك اليوم أسر ستة هنود فسلخ اثنين وأمر بقتل الأربعة الآخرين بالبلطة[١٣٥]. كان يرى في قتل الهنود عملاً مقدساً ويتوقع أن يرى كل جنس الهنود قد أبيد، وأنه شخصياً لا يستثني منهم رجلاً أو امرأة أو طفلاً[١٣٦].

وتكشف سجلات المكتبة التاريخية لولاية إلينويس Illinois State Historical Library عن عدد الهنود الذين سلخهم كلارك Clark بيديه ونال مكافآت على قطف فروات رؤوسهم، في حملته على هنود الشاوني Shawnee وتقول إنه سلخ بيديه ٧٣ «رأساً»[١٣٧].

كان واشنطن يعلم بأن جنوده وضباطه ليسوا جميعاً بدموية كلارك Clark وتفانيه، لهذا كان يتخوف من صحوة ضميرهم، ويوصي قادة جيوشه بأن ينزعوا من قلوب جنودهم كل رحمة ويجعلوا منهم آلات صماء للقتل والتدمير. ففي الرابع من يوليو/ تموز(١٧٧٩) مثلاً واجه الجنرال كلينتون Clinton بعض هذه الحالات الشاذة من صحوة الضمير لدى جنوده وهم في طريقهم لتدمير مدينة كاناجوهاري Canajoharie، فأسرع إلى الواعظ جون غانو John Gano (الذي عمّد جورج واشنطن «بالغطاس») وأمره بأن يلقي فيهم موعظة يبين لهم فيها المقاصد النبيلة والمعاني المقدسة لقتل «الكنعانيين» وتدمير بلادهم. وفعلاً فقد كانت موعظته التي استمد عنوانها من سفر الخروج (٢٢: ١٤)، واستحضر فيها قصة موسى وزحفه المقدس إلى «أرض كنعان»، ناراً ألهبت كل ما كمن في الجنود من غرائز

وحشية، فقد ألقيت بعد أن اصطف الجنود وعُزفت الموسيقا وقرعت الطبول. ولم يعوزها إلا أن يظهر لهم يهوه رب الجنود من قلب العليقة[١٣٨].

لهذا الترويع بالذبح والسلخ، كان الهنود يُسَمّون المستوطنين «السكاكين الطويلة»[١٣٩]. ففي ٩ أغسطس/آب بدأت سكاكين واشنطن الطويلة بالذبح، وظلت تسعى لثلاثة وخمسين يوماً من رقبة إلى رقبة، ولم تنته رحلتها السعيدة إلا بعد أن شحّت رقاب الكنعانيين. أول مدينة التهمتها نيران الجنرال كلينتون Clinton كانت نيوتيشانِنغ Newtychanning. كان ذلك في اليوم الأول، ثم استمر هذا المهرجان حتى الثامن والعشرين من سبتمبر/ أيلول يوم أن محيت من على وجه الأرض آخر بلدة هندية صغيرة على ضفة نهر تيوغو Tiogo ضاع اسمها في ركام الدمار[١٤٠].

أما عدد المدن التي دمرها الجنرال سَليفن Sullivan فكان ٤١ مدينة كما يروي فردريك كوك Frederick Cook مؤرخ الحملة وجامع أوراقها ووثائقها[١٤١]. بذلك يبلغ عدد مدن الإركوا التي محتها جيوش واشنطن من على وجه الأرض ٦٠ مدينة بالتمام والكمال[١٤٢]. أما القرى فليس لها حساب. ولكي يعرف القارئ براعة واشنطن في «فن الموت» أدعوه إلى أن يمسك خريطة بلده ويمحو منها العاصمة وثلاث مدن كبيرة و٥٦ بلدة صغيرة أو كبيرة، ثم لينظر ماذا أبقت له أنياب الدمار.

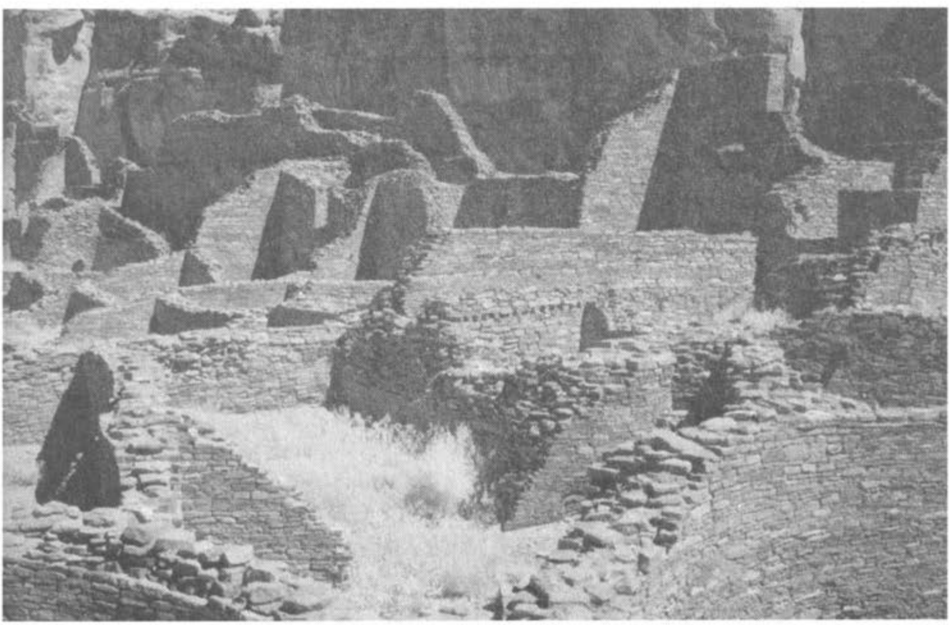
لم تكتف جيوش واشنطن بدمار البشر ومدن البشر، فلكي تكتمل أهوال القيامة كان لا بد لجيوش واشنطن من

- حرق المحاصيل في الحقول والمزارع،
- وإتلاف المؤن في الأهراءات والعنابر،
- وقطع الأشجار المثمرة في البساتين،
- وتهشيم مساكب الخضار ومصاطب القرعيات،
- ونهب المواشي والقطعان.



نادرة هي المدن الهندية التي دمرها شعب الله في المنطقة التي تسمى اليوم الولايات المتحدة ولم يمحوها أو يُعمروا فوق أنقاضها. وهذه آثار واحدة من المدن الهندية المدمرة لشعب بويبلو في منطقة شاكو كانيون، جنوب الولايات المتحدة

City ruins in Chaco Canyon / Pueblo Indians (Photographs by Arthur Drooker, 2007)



على أن يُتَوّجَ ذلك كله باتهام الهنود أصحاب هذه الجِنان بأنهم قبائل متوحشة تعيش على الصيد، كما شاع بعد ذلك على لسان كثير من الأنثروبولوجيين وعلماء الاجتماع وصار من مسلماتهم. ترى هل تساءل هؤلاء الببغاوات، وهم يرددون ما افتراه التاريخ المنتصر: ماذا أبقى الغزاة الأوروبيون لهؤلاء الهنود من اقتصاد الزراعة؟ هل أبقت سكاكينهم الطويلة لبطونهم الخاوية غير طرائد البراري والغابات؟ أليس هذا ما بناه لهم الغزو الأوروبي جيلاً بعد جيل على مدى خمسمئة سنة؟ أليس هذا ما أراده واشنطن من حربه على فيدرالية الإركوا حين كتب إلى الجنرالين غايتس Gates وسَليفَن Sullivan:

> حطم قلبَ بلادهم. اِمحِ مدنَهم وقراهم عن بكرة أبيها. أحرق حقولَهم ومزارعَهم. أتلف محاصيلهم وكل ما لديهم من مونة للسنة القادمة. أنزل بهم أقسى العذاب وأفظع الأذى[١٤٣].

أليس هذا ما نفّذه الجنرال المطيع سَليفَن Sullivan حرفياً واعترف في رسالته إلى الكونغرس (٣٠/ ٩/ ١٧٧٩) متباهياً بأنه «لم يترك في هذه البلاد أثراً واحداً يدل على الهنود»[١٤٤]؟

ويوميات الجنود حافلة بهذا السحق الاقتصادي الذي شيعه الأنثروبولوجيون وعلماء الاجتماع إلى مقبرة اللؤم، ففي قرية نيو شِمونغ New Chemung (١٣/ ٨) مثلاً، أتلف الجنود ٤٠ آكر (١٦١٨٧٤ متراً مربعاً) من حقول الذرة، ونهبوا ثم أحرقوا أكثر من مئة بيت[١٤٥]. وفي قرية أونوكواغو Onoquago (١٧/ ٨) غَوّلَ جنود الليوتنانت مكندري McKendry في حقول التفاح، فقطفوها ثم قطّعوا أشجارها. وكذلك فعل الليوتنانت رودلفُس هوفنبرغ Rodelphus Hovenburg في تفاح قرية أوناديل Unadill. وفي يوميات ٥/ ٩ نقرأ كيف مرع الجنود في بساتين الأشجار المثمرة بقرية كندايا Kendaia فأكلوا وأتخموا في هذه القرية التي وصفها جنود موسى بأنها أجمل قرية رأوها في حياتهم وأطلق عليها جنود آخرون اسم «مدينة التفاح». كانوا ينتقلون من بستان تفاح إلى بستان آخر؛ يقطفونه ثم يهشمون

أشجاره أو يحرقونها. وكذلك فعلوا ببساتين الدراق التي جعلوها قاعاً صفصفاً[١٤٦].

ويذكر الجنود أنهم في مدينة كونْدوتِه Condote أتلفوا حقل دراق ناضج فيه أكثر من ١٥٠٠ شجرة[١٤٧]. ثم إنهم حين قفلوا عائدين إلى قاعدتهم استجموا على ضفاف بحيرة كايوغا Cayuga ولكي يقتلوا ضجرهم أتلفوا أكثر من ١٥٠٠ شجرة تفاح ودراق، بتقدير الجنرال سَليڤَن Sullivan نفسه[١٤٨]. (لم يكن شجر الزيتون معروفاً يومها في أرض كنعان الأميركية وإلا لأفحش فيه مستوطنو شعب الله اقتلاعاً وحرقاً وتقطيعاً).

وما فعلوه بالأشجار المثمرة فعلوا مثله وأشنع منه بمحاصيل الحقول. ففي ٨/١٣ في شِمونغ Chemung أحرق الجنود كل حقول الذرة، والحبوب، والبطاطا، والقرعيات، واليقطين، والخيار، والبطيخ ـ بعض هذه المزروعات يراها الجنود لأول مرة في حياتهم[١٤٩]. وفي رسالة إلى واشنطن، أراد بها الجنرال سَليڤن Sullivan التباهي بتفانيه في «فتح كنعان»، قال «إن حقول الذرة التي أحرقها الجنود كانت هائلة وخصبة وأنه لم ير مثلها في حياته»[١٥٠].

ولم تكن هذه سوى البداية التي كررها جيش واشنطن حيثما وجد عِرقاً أخضر. ففي ٨/١٧، ما إن وصل الجيش بلدة توسكاريرا Toscarera أحرق حقول الذرة والبطاطا ومستودعاتها، ثم إنه حين وصل في اليوم التالي إلى شكاونت Chocount أحرق مزارع الخيار، والقرعيات، واللفت[١٥١]. وعلى بعد ١٢ ميلاً من تيوغو Tiogo وجد الجيش نفسه أمام أفق لا ينتهي من حقول الذرة، والحبوب، والقرعيات، واليقطين، والخيار، والبطيخ بأنواعه، مساحتها في أقل تقدير ١٠٠ آكر (٤٠٤٦٨٦ متراً مربعاً). هنا وقف المايجور فوغ Jeremiah Fogg أمامها مذهولاً وقال بكل تواضع: «إن هذه الحقول تسحر ألباب المتحضرين!»[١٥٢]. هنا أيضاً يقول الكولونيل آدم هبلي Adam Hubley إنهم ما إن أكلوا وأتخموا وملأوا العربات أضرموا النار في ميرة هؤلاء الكنعانيين

المغضوب عليهم، وإن «الله وحده يعلم مقدار ما أتلفنا من ذرة هذه الحقول. إنه لا أقل من خمسة آلاف بوشِل bushels (١٢٧ طناً)». أما باقي المزروعات التي أتى عليها «غضب الله» وأحرقها جنوده أو أتلفوها فهي أكثر من ذلك(١٥٣).

وفي نيوتاون Newtown (٢٩ آب)، لم يبدأ الجنود بالتدمير حتى تأكدوا من أنهم أتخموا وملأوا كروشهم وعرباتهم. عندها أشعلت فرقة واحدة النار في حقول ذرة تزيد مساحتها على ١٥٠ آكر (٦٠٧٠٢٨ متراً مربعاً). ولأنهم عجزوا عن صناعة القيامة وحدهم فقد اضطر الجيش كله في اليوم التالي للعمل على إتلاف بقية الحقول وحرقها(١٥٤).

ويوميات الجنود تعج بمثل هذه اللقاءات السعيدة مع خيرات الهنود المتهمين باقتصاد الصيد. ما عاد المرء يتغلب على تكرارها الممل وسادية إيلامها. صار سحق اقتصاد الهنود الزراعي أمراً طبيعياً ملازماً لتخمة الجنود قبل أعراس الحرائق والدمار. بعض الضباط الذين قد يصيبهم الضجر والملل من مشاهد النار والدمار راحوا، لحسن الحظ، يسلون أنفسهم بحساب ما أنزلته جيوش «غضب الله» بهؤلاء الأشقياء من أذى. ففي لحظة ضجر وملل من القتل والسلخ حَسَبَ المايجور باروز Barrowes ما فعلته فرقته في ذلك اليوم بحقول مدينة كَناغساوس Kanaghsaws وقال: إنهم، بكل تواضع، دمروا وأحرقوا ٦٠ ألف بوشل (١٥٢٤ طنّاً) من الذرة، و٦٠ طناً من الخضار والفواكه. أما الضجران الآخر الكولونيل آدم هبلي Adam Hubley فتسلى في قيلولة بعد الظهر بحساب مساحة حقول الذرة التي أحرقها الجيش حول مدينة شنندوانس Chenandoanes وقال إنها أكثر من ٢٠٠ ألف آكر (أكثر بقليل من ٨٠٩ كيلومترات مربعة). ثم إنهم في العاصمة Cayoga قبل حفلات التخمة والدمار حمّلوا ١٦ سفينة بأقصى ما تستطيع حمله من خيرات مزارع الهنود. وعندما انتقل الجيش إلى الضفة الثانية كتب الجنرال سَليڤَن لجورج واشنطن متباهياً بأن جيشه دمر في هذه المنطقة ١٦٠ ألف بوشل (٤٠٤٦ طناً) من الذرة. ومثلها من الخضروات(١٥٥) دون أن يذكر ما استهلكه

جيشه (٥١٦٣ كرشاً لا يشبع)، ولا الأرزاق والخيرات التي شحنت بالسفن إلى ألبَني Albany لكي لا يبقى للذين لم تذبحهم سكاكين واشنطن، ما يأكلونه، باعترافه الخطي (في ١ اغسطس/آب)، غير سكاكين الجوع[١٥٦].

كل ما عفّت جيوش «غضب الله» عن حرقه وتدميره هو قطعان الماشية، فقد فضلوا سرقتها والإفادة من حليبها ولحمها وجلودها. في نهاية الحملة، مثلاً، ذكر الكولونيل آدم هبلي Adam Hubley أن رجاله كانوا «يتناولون حليب البقر طوال الوقت. إن وفرة حليب البقر جعلت وجباتنا صحية وجعلت حملتنا مريحة وممتعة!»[١٥٧] ثم يحدثك بعض السادة الأنثروبولوجيين وعلماء الاجتماع، بكل جهل أو صفاقة ولؤم، عن وحوش كانوا يعيشون في الغابات على اقتصاد الصيد. ويا ليتهم كانوا وحوشاً، فلو أنهم كانوا وحوشاً على الحقيقة لما أكلتهم الوحوش، ولما أقيمت في أرضهم مستوطنة واحدة.

ما يعصر القلب فعلاً أن كل حملة الجنرالين كلينتون Clinton وسَليفَن Sullivan، باستثناء غزوة نيوتاون، لم تشهد معركة واحدة مع الهنود. كل ما كان جنود «غضب الله» يفعلونه في هذه الحملة هو القتل؛ القتل المقدس بأنواعه ومشتقاته[١٥٨]. كانوا يهاجمون البلدات والقرى في ساعات النوم، قبيل الفجر، تماماً كما تفعل عصابات المستوطنين، ليفاجئوهم ويقضوا عليهم ثم يدمروا مساكنهم ومزارعهم أو يحرقوها[١٥٩].

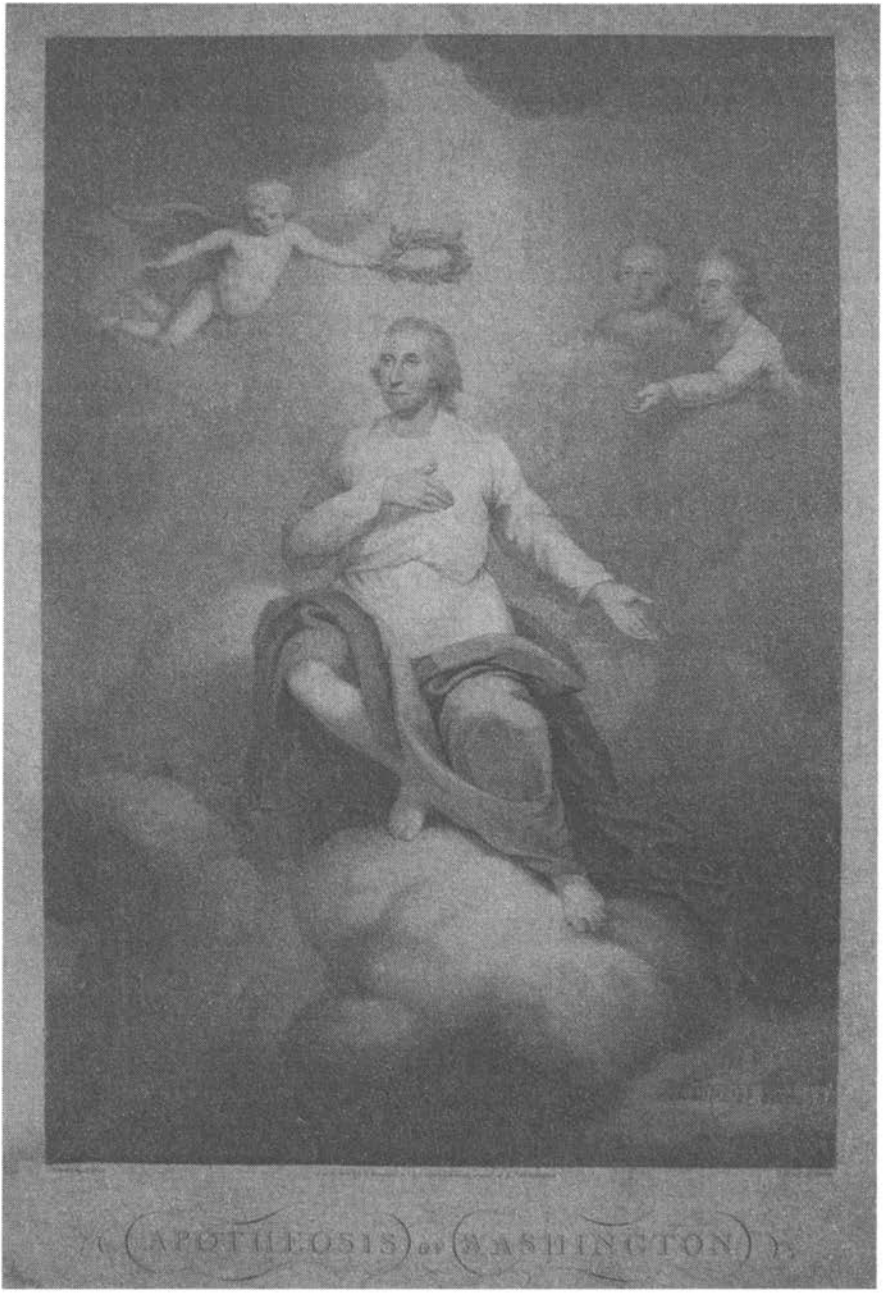
بعد غزوة نيوتاون وتناثر جثث «المتوحشين» على الأرض وفوق طرق الفرار والغابات المجاورة، راح الجنود يذرعون المكان لسلخ ما يستطيعون سلخه من جلود وفروات رؤوس ضحاياهم، طمعاً في مكافآتها السخية. بعضهم عاد بخمس فروات أو ست، وآخرون عادوا باثنتي عشرة فروة رأس[١٦٠]. وبعض آخر تفنن في صيده، وفضل أن يسلخ الهندي وهو على قيد الحياة؛ يسلخ جلده من مفاصل الوركين إلى الكاحلين، ليدبغوه بعد ذلك ويصنعوا منه «الجلديات» النفيسة التي كانوا يتهادونها في المناسبات ويتباهون بها، كما هو العرف منذ «الثورة»[١٦١]. وقد

سجّل الليوتنت وليم بارتون William Barton في يومياته، أنه بأمر من المايجور دانيال پيات Daniel Piatt أرسل مجموعة صغيرة للبحث عن الهنود القتلى، مرة بعد مرة، وأنهم عادوا بجائزتهم فسلخوا اثنين منهم من مفاصل الوركين إلى أخمص القدمين، وذلك لصناعة زوجين من الجزمات boots لي، وزوجين للمايجور [پيات][١٦٢]. وكذلك فعل الليوتننت رودلفوس هوڤنبرغ Rodelphus Hovenburgh، الذي أحضر له جنوده ١٩ جثماناً هنديا سلخوا بعضهم [كذا، لا أهمية للعدد] لصناعة الجزمات. وقد كان حظهم سعيداً لأن السرجنت توماس روبرتس Thomas Robertsمعهم كان جَزماتياً (صانع أحذية). وفي ٣١ أغسطس/ آب كتب الجزماتي روبرتس Roberts [فرِحاً بازدهار صناعته] عن فريق آخر من الجنود عثروا على هنديين فسلخوا سيقانهما ليصنعوا من جلدها جزمات[١٦٣].

لم يكتف جيش واشنطن بسلخ جثث قتلاه بل كان الجنود حين يمرون بمقابر الهنود ينبشون القبور الطازجة fresh graves ليسرقوا ما فيها ويسلخوا الجلد ويتركوا الجثة للعراء ففي ١١ أغسطس/ آب مثلاً، عثر الليوتننت Samuel Shute على مقبرة على تل منخفض. هنا يقول المايجور جيمس نوريس James Noriss إن:

> «جنودنا عاثوا فيها فسادا فنبشوا عدداً من قبورها لنهب ما فيها من غلايين وأسلحة وأحزمة مرصعة بالخرز الملون وغير ذلك من المضحكات[١٦٤].

كانت الحملة وليمة عامرة لجنود الحضارة، فالمستوطن تيموثي مورفي Timothy Murphy المشهور ببراعته في الرمي كان يتباهى بأنه قتل وسلخ كل من صادفهم من الهنود وأنه ما بين ٩ أغسطس/ آب و١٢ سبتمبر/ أيلول فعلها بثلاثة وثلاثين هندياً[١٦٥]. كان مورفي Murphy واحداً من الذين اجتاحوا قرية غِنِسْيو Geneseo التي فر أهلها قبل وصول شعب الله. لكن الجنود عثروا على أربعة هنود عاثري الحظ. كانوا عابري سبيل مروا بهذه القرية وهم في طريقهم إلى مكان آخر، وكان بينهم عجوز من هنود توسكارورا Tuscarora. وقد تباهى مور في بأنه ذبح العجوز وسلخها، ثم سلخ هندياً آخر كان قد قتله جندي آخر[١٦٦].



«تأليه واشنطن» للفنان داڤيد إدوين ١٨٠٠

David Edwin, Apotheosis of Washington (1800) Published by S. Kennedy, Philadelphia, ca. 1803-1808 Print: Smithsonian Institution

سقوط «إروكوايا» و«تأليه» واشنطن

دماؤنا تدفقت كالأنهار لتروي عطش الإنسان الأبيض ولا
شيء يطفئ غليلهم إلا القضاء علينا.
إياكم، إياكم وصداقة الإنسان الأبيض.
كل ما طلبوه في البداية ملجأ ومأوى.
وها هم الآن لا يرضون بأقل من سلب بلادنا.
من مشرق الشمس إلى مغربها.

ـ الزعيم الهندي تكومسه ـ 1811

في العشرين من سبتمبر/ أيلول، أرسل سَليڤن Sullivan فرقة من ٥٠٠ عسكري بقيادة زيبولون بتلر Zebulon Butler لتدمير مدينة كايوغا Cayuga والقضاء على أهلها من الضفة الشرقية للبحيرة المسماة باسم المدينة وفي اليوم التالي أرسل الكولونيل هنري ديربورن Henry Dearborn لمهاجمتها من الضفة الجنوبية الغربية وإحكام «كمّاشة الموت» حول أهلها. كلاهما أحرق ودمر وقتل ما استطاع. فبتلر Butler مثلاً دمّر ثلاث بلدات وأتلف كل ما حولها من حقول ومزارع، أما ديربورن Dearborn فدمر ضعف هذه البلدات، وأتى أيضاً على أهلها ومزارعها(١٦٧). ولما ذهل الجنود وقواد الحملة من جمال المدينة وروعة أبنيتها وأناقة أثاثها وعرباتها ووفرة قطعانها وماشيتها، طلبوا من سَليڤن Sullivan أن

يسمح لهم بأن يستولوا عليها دون أن يدمروها، لكن سَليڤن Sullivan لم ينصت إليهم، وأمرهم بتدميرها حتى لايبقى فيها أثر للهنود.

بدمار هذه المدينة أنهى سَليڤن Sullivan حملته وهنأ أبطاله الشجعان على ما أزهقوه من أرواح، وأنزلوه من نار ودمار في ديار الهنود[١٦٨].

كان سَليڤن Sullivan يرى نفسه مُنفذاً لإرادة الله، وأن يد النعمة الإلهية instrument of providence، لا أيدي جنوده، هي التي كانت تفتك بالهنود. وهنا، علينا أن لا ننسى أنه كان رسول النبي موسى وقائد جيوشه في «فتح كنعان». ولهذا، فما إن انتهى من تدمير كايوغا حتى دعا رجاله إلى حضور قداس رباني divine service وهناك في مرج فسيح بضواحي إيستون Eston أَمَّ الكاهن جون غانو John Gano (الكاهن الذي عمد جورج واشنطن) قداس النصر بعد أن اتفق مع الجنرال سَليڤن على أن يكون موضوع القداس نصاً توراتياً من سفر أشعيا (٨: ٢١) يؤكد من جديد المعنى الإسرائيلي لأميركا: كنعان الجديدة»[١٦٩].

أما واشنطن فإنه في التاسع من أكتوبر/ تشرين الأول هنّأَ الكونغرس بإنجاز «التدمير الشامل والفعال لكل مدن وحواضر [الدولة الموعودة لهؤلاء الكنعانيين] الأعداء في وقت قصير وتضحيات قليلة جداً من الرجال»[١٧٠]. ثم كتب للمركيز دو لافييت Marquis de Lafayette (قائد الحرس الوطني): «إن عصا التأديب على ظهور الإركوا كانت فعالة جداً فقد أخضَعَتْهم وحطمتْ كبرياءهم»[١٧١].

الهنود الذين نجت ظهورهم من عصا موسى تلقفتهم عصا الشتاء القارس في ذلك الشمال الأميركي، حيث تدفق معظم من نجا إلى نياغارا (القسم الكندي اليوم)، ليواجهوا كل أسباب الموت[١٧٢]. ففي ذلك الحصن الصغير بنياغارا تكدس ٥٠٣٦ شقياً مطروداً من جنته دون غذاء أو كساء أو دواء[١٧٣]. أما الأصدقاء الإنكليز الذين كانوا يسيطرون على المنطقة، فقد فاض حنانهم وإنسانيتهم وأرسلوا لهم دقيقاً ممزوجاً بمسحوق البارود Gunpowder للتخلص من أكبر عدد منهم.

وهنا يقول المؤرخ جيمس سيڤر James Seaver إن معظم هؤلاء ماتوا من الجوع والبرد والأمراض[١٧٤].

شتاء ذلك العام، لمن لا يعرف قسوة الشتاء في الشمال الأميركي، كان من أقسى ما عرفته ولاية نيويورك. فقد تجمّد الميناء في جنوب الولاية حتى إن الجيش تمكن من المشي فوق الجليد من جزيرة ستِيْتِن Staten إلى البر، وهو يجرّ معه أثقل مدافع ذلك الزمان. أما في الشمال في أعالي الولاية حيث نياغارا والحدود الكندية فكان البرد أحدَّ أنياباً. هنا تراكمت الثلوج بمعدل خمس أقدام (متر ونصف تقريباً) ودَفَنت معظم ما يمكن صيده تحتها[١٧٥].

في تقويمه الموجز لإنجازات جيوش واشنطن في أرض كنعان قال الكولونيل آدم هبلي Adam Hubley «إننا بفضل هذه الإنجازات وسّعنا فتحنا بعيداً بعيداً»[١٧٦]، وأضاف قديس الاستيطان اللاهوتي إسرائيل إيڤانس Israel Evans.

> صار من حق أفراد الجيش أن يعرفوا ما يعنيه هذا الفتح لمستقبلهم. إنني الآن أتصور ما يعنيه استيطان هذه البلاد، ويخيل إليّ أن هذه الأراضي الخصبة من نهر تيوغا Tioga إلى ضفاف بحيرة سينيكا Seneca وكايوغا Cayuga، ثم مِن هناك إلى أكثر بقاع الأرض خصباً. . . حتى البحيرات الكبرى؛ بحيرة أونتاريو Ontario وبحيرة إري Erie وبحيرة هورن Huron وبحيرة ميشيغان Michigan مسكونة بالمواطنين [المستوطنين] الأميركيين المستقلين. هنيئاً للولايات المتحدة بهذه الغنيمة الهائلة من الثروات والأراضي»[١٧٧].

ولم يخيب الجنرال سليڤَن Sullivan آمال الجنود وأحلام المستوطنين حين أعلن أن استيطان هذه البلاد سيبدأ قريبا[١٧٨].

أما واشنطن فكتب إلى الكونغرس يحضه على تشريع استيطان هذه الأراضي المفتوحة [التي ستقوم عليها الدولة الهندية الموعودة]



«تأليه واشنطن» للفنان جون جيمس بارتلت ١٨٠٣
(اللوحة تمثل قيامة واشنطن من قبره في السنة الثالثة من وفاته وصعوده إلى السماء).
John James Barralet, Apotheosis of Washington (1803), Published by Simon Chaudron and Barralet, Philadelphia, Jan. 1802 (Metropolitan Museum of Art).



«تأليه واشنطن» ١٨٦٥ للفنان كونستانتينو بروميدي، سقف قبة مبنى الكونغرس المعروف بالكابيتول، وقد رفعت عنها الستارة عام ١٨٦٦ في احتفال رسمي حضره معظم رموز أميركا السياسية.
Constantino Brumidi, «The Apotheosis of George Washington» (1865)
Capitol Building, Washington, D.C.

لأن ظهور المستوطنات البديعة على حدود المدن الهندية سيجعلها وسيلة لإرهاب الهنود مما يمكننا من شراء أراضيهم بثمن بخس وإغرائهم بأن يهجروها وينتقلوا إلى الأراضي الشاسعة في الغرب، وراء نهر الميسيسيبي(١٧٩).

□ □ □

بعد أقل من خمسين سنة، لم يبق في فيدرالية الأمم الست التي يسميها أبناؤها إروكوايا Iroquoia واحد من أهلها. فبينما كانت أشداق الشتات تبتلعهم، تدفق أكثر من مليون مستوطن من أبناء شعب الله إلى الأرض التي وعدهم بها[١٨٠]. لقد فُتحت كنعان، ومحيت بلاد الإركوا من خريطة الأرض، وتألَّه جورج واشنطن فاتح كنعان، تقدس اسمه.

هذه الأسطورة، أسطورة تأليه واشنطن Apotheosis of Washington كانت وما زالت منذ ساعة موته وقيامه من قبره حتى هذه الساعة، من أقدس شعائر الدين المدني الأميركي[١٨١]. معجزة صنعها شعب الله وجسدتها الأعمال الفنية الكثيرة، ثم تَوَّجَها الكونغرس رسمياً حين قرر تزيين سقف قبة الكابيتول بلوحة جصية (فرسكو fresco بعنوان «تأليه واشنطن*»[١٨٢].

(*) هذا «التأليه» وذيله «مجمعُ الآلهة» يحتاجان إلى وقفة طويلة لا متسع لها في هذا الكتاب، وقد تكون في عمل مقبل عن «الدين في أميركا»، لكن يستطيع القارئ أن يجد بعض التفاصيل السريعة عن «تأليه واشنطن» في الحاشيتين الأخيرتين من هذا الفصل.

الهوامش

(١) Bernard Mayo, *Myths and Men: Patrick Henry, George Washington, Thomas Jefferson*, (Harper and Row, 1963), pp. 39, 48.

وهناك مؤرخون تخصصوا في إزالة هذه المساحيق وكشفوا عن الأساليب التي حولت جورج واشنطن إلى أسطورة. راجع مثلاً:

Dniel J. Boorstin, *The Americans: The National Experience* (New York, 1965), pp. 337-356; Mason L. Weems, *The Life of Washington* (Cambridge: Harvard University Press, 1962), pp. ix-lxii; Dixon Wecter, *The Hero in America* (University of Michigan Press, 1963), pp. 99-147.

(٢) Marcus Cunliffe, *George Washington - Man and Monument*, (A Mentor Book,1958), p. 213.

(٣) Thaddeus Fiske, *A Sermon, Delivered Dec. 29, 1799. at the Second Parish in Cambridge, Being the Lord's Day, Immediately Following the Melancholy Intelligence of the Death of General George Washington, (Boston, James Cutler, 1800)*, p. 10. See also Ralph Henry Gabriel, *The Course of American Democratic Thought*, (Ronald, 1956), p. 104.

(٤) David Barnes, *Discourse delivered at South Parish in Scituate, February 22, 1800. The day assigned by Congress, to mourn the decease and venerate the virtues of General George Washington*, (Boston: Manning & Loring, printers), pp.3-16.

وكولومبيا Columbia هو الرمز الرومانسي للولايات المتحدة، وقد شاع على ألسنة العشاق منذ ١٧٣٨.

(٥) ومنه: «فمات هناك موسى، عبدُ الرب، في أرض موآب، بأمر الرب... ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا... فبكى بنو إسرائيل على موسى في برية موآب، ثلاثين يوماً، إلى أن انقضت أيام الحزن على موسى. أما يشوع بن نون فمُلِئ روحَ حكمة، لأن موسى وضع عليه يديه، فأطاعه بنو إسرائيل، وعملوا كما أمر الرب موسى. ولم يقم من بعد في إسرائيل نبيّ كموسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه، في جميع الآيات والخوارق التي أرسله الرب ليصنعها في أرض مصر بفرعون وجميع رجاله وكل أرضه... (من الإصحاح ٣٤ من سفر التثنية، ترجمة جمعيات الكتاب المقدس في المشرق، دار المشرق بيروت، ١٩٨٩).

(٦) Thaddeus Fiske, *A Sermon, Delivered Dec. 29, 1799*, op. cit., p. 19.

(٧) Jonathan Elmer, *An eulogium, on the character of Gen. George Washington, late president of the United States delivered at Bridge-Town, Cumberland County, New-Jersey, January 30th, 1800*, (Trenton: Printed by G. Craft., MDCCCC. [1800]), p.4.

(٨) Isaac Braman, *An Eulogy on the Late General George Washington, Who Died,*

Saturday, 14th December, 1799. Delivered at Rowley, Second Parish, February 22, 1800. by Isaac Braman, A.M. Minister of the Gospel in That Place. Published by Desire of the Hearers (Haverhill, MA: Seth H. Moore, 1800), p.5.

(٩) إشارة إلى سفر التكوين ٤٦: ٢٨ ـ ٣٤.

(١٠) John Frederick Ernst, *A sermon, delivered before the civil and military officers, the members of Franklin and St. Paul's Lodges, and a large and respectable number of the citizens of Montgomery County, and others, in the church at Fort Plain, on January 28th, 1800 In consequence of the death of Lieutenant General George Washington.* (Cooperstown [N.Y:] Printed by Elihu Phinney), pp. 5-6.

(١١) Jonathan Huse, *A discourse, occasioned by the death of General George Washington, late president of the United States, who died December 14th, 1799: delivered in Warren, (District of Maine). on the 22d, of February, 1800. At the request of the inhabitants of the town; agreeable to the recommendation of Congress.* (Wiscasset, Me 1800. Printed by Henry Hoskins), pp. 5-6.

(١٢) Jonathen Bascom, *An oration, delivered February 22, 1800. The day of public mourning for the death of General George Washington.* (Boston: Printed by Samuel Hall, 1800), p. 14

(١٣) Ibid.

(١٤) John J. Carle, *A Funeral Sermon, Preached at Rockaway, December 29, 1799, on the Much Lamented Death of General George Washington, Who Departed this Life December 14, 1799, at Mount Vernon, in the Sixty-Eighth Year of His Age* (Morris-Town [N. J]. : Printed by Jacob Mann, 1800), p.10.

مبالغات هؤلاء البشر في الأرقام والأحداث مرض مزمن. فكل عدد سكان مصر في زمن الخروج (إذا صدقت هذه الخرافة أصلاً) لم يكن ثلاثة ملايين نسمة. انظر:

Adrian Kerr, *Ancient Egypt and Us: The Impact of Ancient Egypt on the Modern World,* (Ferniehirst Trading LLC; 2008), p. 13.

وللمزيد في أعراض مرضهم المزمن بالمبالغات، انظر منير العكش:

Munir Akash, «The Serpent's Egg,» *Arab Studies Quarterly,* Vol. 30, No. 3 (Summer 2008), pp. 57-65.

(١٥) Frederick William Hotchkiss, *An oration delivered at Saybrook on Saturday February 22d, 1800: the day set apart by the recommendation of Congress for the people of the United States to testify their grief for the death of General George Washington; who died December 14, 1799, ([Conn.]*: Printed by S. Green., 1800),, p.13.

(١٦) John Boddily, *A sermon, delivered at Newburyport, on the 22d February, 1800,* (Printed at Newburyport [Mass.]: By Edmund M. Blunt, 1800), p. 3.

(١٧) Peter Folsom, *An eulogy on Geo. Washington, late commander in chief of the armies of the United States of America. Who died December 14, A.D. 1799.: Delivered in the academy, February 22d, A.D. 1800, before the inhabitants of Gilmanton, agreeable to their previous request,* (Printed at Gilmanton [N.H.]: By E. Russell, for the contractors., March, 1800), p.6.

(١٨) Jonathan Huse, *A discourse, occasioned by the death of General George Washington,* op. cit., p.11.

(١٩) Ebenezer Gay, *An oration, pronounced at Suffield, on Saturday, the 22'd of Feb. A.D. 1800.: the day recommended by Congress, for the people to assemble, publicly to testify their grief, for the death of General George Washington,* (Suffield [Conn.]: Printed by Edward Gray, 1800, pp.14,15.

(٢٠) Jonathan Huse, *A discourse, occasioned by the death of General George Washington,* op. cit., p.5.

(٢١) Ebenezer Gay, *An oration, pronounced at Suffield,* op-.cit., p.3.

(٢٢) David Barnes, *Discourse delivered at South Parish in Scituate,* op. cit., p.14.

(٢٣) John J. Carle, *A Funeral Sermon, Preached at Rockaway,* op. cit. p.14.

(٢٤) Peter Folsom, *An eulogy on Geo. Washington, late commander in chief,* op.cit., p.6.

(٢٥) Eli Forbes, *An eulogy moralized, on the illustrious character of the late General George Washington, who died on Saturday, the 14th day of December, 1799.: Delivered at Gloucester, on the 22d of February, 1800-in compliance with the recommendations of Congress, the Legislature of this Commonwealth, and the unanimous voice of the town aforesaid,* (Printed at Newburyport [Mass.]: By Edmund M. Blunt, 1800). p. 14.

(٢٦) هذا الإلحاح على «يهودية دولة إسرائيل» كما يردده الصهاينة اليوم ليس إلا استحضاراً حديثاً وقديماً، عبرانياً وأميركياً، لتناقض فكرة إسرائيل المبدئي والجوهري والمقدس مع «الدولة الفلسطينية» ومع الوجود الفلسطيني نفسه. ومن يروج لذلك، بجهل أو بخبث، إنما يروج لنهاية فلسطينية لا تختلف عن نهاية الهنود الحمر.

(٢٧) Philip D. Morgan, *Slave Counterpoint: BlackCulture in the Eighteenth-Century Chesapeake and Lowcountry,* (Chapel Hill, Published for the Omohundro Institute of Early American History and Culture, Williamsburg, Virginia, by the University of North Carolina, 1998). p.9; Winthrop Jordan, *White Over Black: American Attitudes Toward the Negro, 1550-1812,* (Chapel Hill, Published for the Institute of Early American History and Culture at Williamsburg, Va., by the University of North Carolina Press,1968), p. 80.

(٢٨) Ibid.;

وعن غرام واشنطن ببريطانيا وأسلوب حياتها، انظر:

David Hackett Fischer, *Albion's Seed: For British Folkways in America,* (New York, Oxford University Press, 1989), pp. 268-269.

أما عن تعليمه فليس سراً أنه هجر الدراسة وهو في الرابعة عشرة من عمره وأنه بحكم وباء الاستيطان الذي أصابه مبكراً استهواه مسح الأراضي، حتى إن الرئيس جون آدامس John Adams قالها صراحة: «إن رئيسنا أمي جداً. . . لم يقرأ شيئاً، ولم يتعلم شيئاً».

Henry Wiencek, *An Imperfect God : George Washington, His Slaves, and the Creation of America,* (New York : Farrar, Straus and Giroux, 2003), p29; James Thomas Flexner, George Washington, 4 Vols, Boston : Little, Brown, 1965-1972), I: pp. 23-24.

(٢٩) Henry Wiencek, *An Imperfect God,* op. cit., p51

(٣٠) Pierre Marambaud, *William Byrd of Westover,* 1674-1744, (Charlottesville, University Press of Virginia,1971), p.173.

(٣١) Ibid.

(٣٢) Douglas Southall, Freeman, *George Washington: A Biography,* (New York: Scribner, 1948-57)], I: pp. 88-89.

(٣٣) Philip D. Morgan, *Slave Counterpoint:* op. cit, p. 81.

(٣٤) Douglas Southall, Freeman, *George Washington,* op. cit., I: p.84.

(٣٥) Henry Wiencek, *An Imperfect God,* op. cit., pp. 6, 111.

(٣٦) Mary V. Thompson, «And Procure for Themselves a Few Amenities: The Private Life of George Washington Slaves.» *Virginia Cavalcade,* 48. No.4 (Autumn 1999). p.183.

ولعشاق أفلام الرعب فإن أسنان واشنطن معروضة في بيته ومتحفه بماونت ڤيرنون Mount Vernon بعد أن استعيدت من أكاديمية نيويورك الطبية. إنها بدون شك أول وأنجح أنموذج مجسد للمصهر الثقافي melting pot الذي تتباهى به أميركا.

(٣٧) Ariel Kendrick, *An eulogy on General George Washington: delivered at the West Meeting-House in the town of Boscawen, on the 22d of February, 1800, at a meeting of the inhabitants, agreeably to the recommendation of Congress.* (Concord [N.H.], Printed by Geo. Hough., 1800), p.16.

(٣٨) Samuel Burnside, *Oration, delivered at Worcester, on the thirtieth of April, A.D. 1813, before the Washington Benevolent Society.. in commemoration of the first inauguration of General Washington as President of the United States, etc.* (Isaac Sturtevant: Worcester [Mass.], 1813). p. 8. ; Henry Bigelow, *A Sermon, A sermon, delivered at Castleton, on the 22 of February 1814: before the W.B. Society, of the County of Rutland, in commemoration of the birth of Washington.* (Middlebury, Vt.: Printed by Timothy C. Strong, 1814), p.12.

(٣٩) جرت عادة الفنانين الذين رسموا واشنطن تزيين وجهه بالمساحيق البيضاء وبالحمرة على الوجنتين والشفتين، منها للتبرج، ومنها لستر آثار الجدري، كما في اللوحة الأصلية لصورة واشنطن الموناليزية على ورقة الدولار بريشة الفنان جيلبرت ستوارت Gilbert Stuart التي أصبحت نموذجاً للوحات تأليه واشنطن، Adam Greenhalgh, Not a Man but a God' The Apotheosis of Gilbert Stuart's Athenaeum Portrait of George Washington, Witerthur Portfolio, Vol. 41, No.4 (Winter 2007), 269-304.

وفي كل اللوحات الأخرى التي يظهر فيها بزينته المغرية وشعره الأبيض المستعار «المكعوك» فوق أذنيه وأعلى فكيه.

(٤٠) Jared Sparks, ed., *The Writings of George Washington; Being his Correspondence, Addresses, Messages, and other Papers, Official and Private, Selected and Published From the Original Manuscripts; With a Life of the Author, Notes and Illustrations,* 12 Vols. (Boston,: Little, Brown and company, Ann Arbor, Michigan: University of Michigan Library 1855) vol.6, pp.188, 384.

وعن وصف واشنطن بأنه «غضب الله»، انظر:

Henry Wiencek, *An Imperfect God: George Washington, His Slaves, and the Creation of America,* (New York: Farrar, Straus and Giroux, 2003), p.36.

(٤١) Ibid., 6, 264.

لم يكن واشنطن واثقاً من قبول الجنرال غايت قيادة هذه الحملة. ولهذا طلب منه في نفس الرسالة أن يحولها إلى الجنرال سَليڤن إذا كانت «صحته لا تساعده» على تولي المهمة. وهذا ما تم فعلاً ففي ١٦مارس/ آذار أجابه غايت معتذراً بسبب صحته وعمره، وأخبره بأنه حوَّلَ الرسالة إلى الجنرال سلڤين. (نص رسالة غايتس محفوظة مع أوراق واشنطن).

(٤٢) Ernest Alexander Cruikshank, *The Story of Butler's Rangers and the Settlement of Niagra,* (Welland, Ontario, Tribune printing House, 1893), p.21.

(٤٣) Jared Sparks, ed., *The Writings of George Washington,* op. cit, vol.6: p.381.

(٤٤) Henry Wiencek, *An Imperfect God: George Washington,* op. cit pp.15-30.

(٤٥) R David Edmunds, *The Shawnee Prophet,* (Lincoln, Neb.: University of Nebraska Press, 1983), p.5.

(٤٦) للاطلاع على نماذج عجيبة من هذه العجرفة التاريخية للاستيطان والمستوطنين. انظر:

Albert Hazen Wright, *The Sullivan Expedition of 1779, Contemporary Newspaper Comment, Studies in History Numbers 5, 6, 7, and 8, 4 parts* (Ithaca, New.York, A.H. Wright, 1943), 1: 10-40.

وعن دعوى الأضرار الهامشية، انظر منير العكش، حق التضحية بالآخر، (بيروت، دار رياض الريس) ١٧ _ ٢٣.

(٤٧) Ernest Alexander Cruikshank, *The Story of Butler's Rangers,* op. cit., quote pp.19-21.

لعل جذور هذه الصفة الغالبة على المستوطنين تكمن في أن «بريطانيا كانت تشجع المجرمين

والعاطلين من العمل وحثالات المجتمع على الهجرة إلى العالم الجديد» كما جاء في:
Henry Wiencek, *An Imperfect God: George Washington,* op. cit. p. 43.

(٤٨) David Edmunds, *The Shawnee Prophet,* (Lincoln, Nebraska, University of Nebraska Press, 1985) p. 5.

(٤٨A) A. Ernest Alexander Cruikshank, *The Story of Butler's Rangers,* op. cit., quote pp.19-21.

(٤٩) John Gottlieb Ernestus Heckewelder, *A Narrative of the Mission of the United Brethren Among the Delaware and Mohegan Indians from its Commencement in the Year 1740 to the Close of the Year 1808,* (New York, Arno Press, 1971). x. p. 130.

(٥٠) Barbara Alice Mann, *Native American Speakers of the Eastern Woodlands : Selected Speeches and Critical analyses,* (Westport, Conn., Greenwood Press, 2001) pp. 42, 78, 154, 155, 157, 162.

(٥١) John Gottlieb Ernestus Heckewelder, *An Account of the History, Manners, and Customs, of the Indian Nations, who Once Inhabited Pennsylvania and the Neighbouring States,* (New York, Arno Press, 1971),pp. 337-338.

(٥٢) Gregory Evans Dowd, *A Spirited Resistance: The North American Indian Struggle for Unity, 1745-1815, (Baltimore, Md.: Johns Hopkins University Press, 1992), pp.9-11; Barbara Alice Mann, Iroquoian Women, the Gantowisas,* (New York: Peter Lang,2003), pp. 277-278.

(٥٣) Ibid., pp.140, 167,168.

(٥٤) Ibid., pp. 137, 138.

(٥٥) David Stannard, *American Holocaust, The Conquest of the New World* (New York, Oxford University Press, 1992), p. 111.

(٥٦) Barbara Alice Mann, *Iroquoian Women,* op. cit., 179-182.

(٥٧) Arthur C. Parker, *The Constitution of the Five Nations or the Iroquois Book of the Great Law (1916). Published as The University of the State of New York's Bulletin 184,* (April, 1916), p. 42.

(٥٨) Barbara Alice Mann, *Native American Speakers,* op. cit., p.138.

(٥٩) Francis Whiting Halsey, *The Old New York Frontier: Its Wars with Indians and Tories, Its Missionary Schools, Pioneers, and Land Titles, 1614-1800,* (Port Washington, Long Island, N.Y. Ira Friedman, 1901) pp. 175, 205.

(٦٠) A. Tiffany Norton, *History of Sullivan's Campaign Against the Iroquois; Being a Full Account of that Epoch of the Revolution,* (Lima, N.Y., A.T. Norton, 1879), p.41.

ما يُسمى المجلس [الأميركي] العام General Congress هو الذي توجه إلى الشعوب الهندية بنداء برر فيه نزاع المستعمرات مع أمها البريطانية بأنه نضال عائلي family stuggle. إذا لطالما تلبست

علاقة المستعمرات ببريطانيا في منتصف القرن الثامن عشر باستعارة العلاقة بين الآباء والأبناء. هذا التركيز على المعنى العائلي لم يكن إلا لاستثارة العطف في نفوس الهنود الذين تقدس مجتمعاتهم العلاقات العائلية. هكذا شُبهت المستوطنات بالابن الأصغر الذي عانى طويلاً من الظلم وعبء الضرائب. أما أبو الطفل (جلالة الملك) فلم يكن يعلم بذلك لأن أعوانه ضللوه فيما كانوا يعذبون أولاده. وعندما ضاقت الأرض على الطفل ونفد صبره رفض الطاعة والانصياع.

Journal of the Continental Congress, Vol 2, p.181.

وقد تقدم زعماء الاستيطان بهذه الرسالة إلى الأمم الست في لقاء ألبني Albany (آب/ أغسطس ١٧٧٥)، ولعدد من شعوب الغرب في لقاء فورت بيت Fort Pitt في الشهر التالي، ثم لهنود الشيروكي في ساليزبري Salisbury في تشرين ٢/ نوفمبر.. انظر:

Papers of the Continental Congress, 1774-1789, (Washington : National Archives, National Archives and Records Service, General Services Administration, 1958-1959), Roll 144, Item 134. American Archives, 4 ser., vol. 3. p. 347, 481-484.

(٦١) Isabel Thompson Kelsay, *Joseph Brant, 1743-1807, Man of Two Worlds,* (Syracuse, N.Y. , Syracuse University Press, 1984), p.178.

(٦٢) Ernest Alexander Cruikshank, *The Story of Butler's Rangers, op. cit., p.10; William L. Stone, Life of Joseph Brant-Thayendanegea: Including the Border wars of the American Revolution, and Sketches of the Indian Campaigns of Generals Harmar, St. Clair, and Wayne: And Other Matters Connected with the Indian Relations of the United States and Great Britain, from the Peace of 1783 to the Indian peace of 1795,* (New York: A.V. Blake, 1838, reprint, New York, Kraus, 1969), Appendix II: 1: xx, xix, respectively.

(٦٣) Ibid, Appendix II, quote, 1: xx, xxi.

(٦٤) Isabel Thompson Kelsay, *Joseph Brant, 1743-1807*, op. cit., p.178.

(٦٥) John B. Elliot, *Contest for Empire, 1500-1775: Proceedings of an Indiana American Revolution Bicentennial Symposium, Thrall's Opera House, New Harmony, Indiana, May 16 and 17, 1975,* (Indianapolis: Indiana Historical Society, 1975), pp. 60-76.

(٦٦) See, in general, Jack M Sosin, *Whitehall and the Wilderness; the Middle West in British Colonial Policy, 1760-1775,* (Lincoln, University of Nebraska Press, 1961).

(٦٧) William L. Stone, *Life of Joseph Brant-Thayendanegea,* op. cit., p. 104. In general, see E Wagner Stearn and Allen E. Stearn, *The Effect of Smallpox on the Destiny of the Amerindian*, (Boston, B. Humphries, inc., 1945), pp. 44-45; Barbara Alice Mann, *Iroquoian Women*. op.cit., pp 42-43; C. Marius Barbeau, *Huron and Wyandot Mythology, with an Appendix Containing Earlier Published Records*, (Ottawa, Government Printing Bureau, 1915), pp. 8, 268-270.

(٦٨) William L. Stone, *Life of Joseph Brant-Thayendanegea,* op. cit., p. 104.

(٦٩) Ernest Alexander Cruikshank, *The Story of Butler's Rangers*, op. cit., p.30.

(٧٠) Illinois State Historical Library, Collection of the *Illinois State Historical Library*, pp. 19: 83-186, 201-207, 213-214, 217, 218-219, 221-224, 227. Louis Phelps Kellogg, editor, *Frontier Retreat on the Upper Ohio, 1779-1781,* (Baltimore, MD: Clearfield, 2003), p. 314.

منذ سنة ١٧٧٥ راح الإنكليز والمستوطنون يتسابقون على استدراج الشعوب الهندية للتحالف معهم. ومع التهاب سعار هذه الحمى، وغوايات المبشرين ودسائس هذا وذاك، وغرارة النفس الهندية، صار الحياد الهندي مستحيلاً، بل، وأصبح الاصطفاف مع هذه الجبهة أو تلك مسألة حياة أو موت. هكذا دب الانقسام داخل العائلة الواحدة حيث حمل هنود كايوغا Cayuga السلاح ضد هنود كايوغا، واشتبك هنود الموهوك Mohawk مع هنود موهوك. بل راح بعض زعماء هذه الجماعات التي شظاها القتال يتحدث عن محاربة بني قومه بلغة بدوية فصيحة، فمما قاله زعيم هنود موهوك (المبَشَّر) آرون Aaron لنِدِّه الزعيم أبراهام الصغير Little Abraham عندما تلاقيا في مقر الكولونيل الإنكليزي Guy Johnson بنياغارا: «ليس هناك ما يدعونا لأن نخجل مما فعلناه. لقد تصرفنا بانسجام مع اتفاقياتنا والتزاماتنا تجاه أبينا الملك» [الإنكليزي] انظر:

Aaron to Little Abraham, 17 February 1780, Niagara, «Minutes of Colonel Guy Johnson», Public Archives of Canada, vol. 12, 2: 170, Photostat Manuscript Division, Library of Congress.

لقد مزقوا الشعوب الهندية وضربوها ببعضها بعد أن نسفوا معظم أواصر ومظاهر وحدتها من شعائر وطقوس ونظم اجتماعية وقواعد أخلاقية «حتى لا نستطيع أن ندافع عن أنفسنا وأملاكنا صفاً واحداً»، كما يقول الزعيم كنغاغاتا Kingageghata للكولونيل جونسون.

Ibid., 25 January 1780, 1: 126-127.

(٧١) James E. Seaver, *A Narrative of the Life of Mary Jemison,* (Syracuse, N.Y.: Syracuse University Press, 1990), p. 53.

(٧٢) Ibid.

(٧٣) Joseph Ficsher, «The Forgotten Campaign of the American Revolution: The Sullivan-Clinton Expedition Against the Iroquois in 1779», *Valley Forge Journal,* 4.4 (1989) 279-306. See p. 283.

(٧٤) Jared Sparks, ed., *The Writings of George Washington, op. cit., vol. 4:185.*

(٧٥) A. Tiffany Norton, History of Sullivan's Campaign Against the Iroquois. op. cit., pp.63-64.

(٧٦) Ibid., p.61.

وهناك أكثر من دليل على أن خطة واشنطن الكبرى لتدمير فيدرالية الأمم الست وضعت عام ١٧٧٧، واستمرت في التطور حتى عام ١٧٧٩.

Alexander C. Flick, «New Sources on the Sullivan-Clinton Campaign in 1779»,

Quarterly Journal of the New York State Historical Society, 10:3 (July 1929), pp. 187,194; 10:4 (October 1929) pp. 315-316.

(٧٧) Frederick Cook, *Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan Against the Six Nations of Indians in 1779; With Records of Centennial Celebrations; Prepared Pursuant to Chapter 361, Laws of the State of New York, of 1885,* (Auburn, N.Y., Knapp, Peck & Thomson, Printers, 1887), pp. 229-230.

(٧٨) Ibid, pp.151, 270.

(٧٩) Ernest Alexander Cruikshank, *The Story of Butler's Rangers,* op. cit., p.54; John Blair Linn (collated by), *Annals of Buffalo Valley, Pennsylvania, 1755-1855,* (Harrisburg, Pa.: L.S. Hart, printer and binder, 1877), pp. 155-166; Frederick Cook, *Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan,* op.cit. pp. 224, 248, 268, 254, 287.

(٨٠) Ernest Alexander Cruikshank, *The Story of Butler's Rangers,* op. cit., pp.56, 58.

(٨١) John Blair Linn, *Annals of Buffalo Valley,* op. cit., pp.165-166.

(٨٢) Isabel Thompson Kelsay, *Joseph Brant, 1743-1807,* op. cit., p. 228.

(٨٣) Francis Whiting Halsey, *The Old New York Frontier*, op. cit.,p.235.

(٨٤) Ibid., p.236.

(٨٥) Frederick Cook, *Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan*, op.cit. p. 229-230.

(٨٦) Isabel Thompson Kelsay, *Joseph Brant,* 1743-1807, op. cit., p. 230.

(٨٧) Jared Sparks, ed., *The Writings of George Washington,* op. cit., pp.188.384

(٨٨) John Norton, *The Journal of Major John Norton, 1816,* (Toronto, Champlain Society, Publications of the Champlain Society, 1970). p. 277.

(٨٩) Jared Sparks, ed., *The Writings of George Washington,* op. cit., p. 264.

(٩٠) Alexander C. Flick, «New Sources on the Sullivan-Clinton Campaign in 1779,» *Quarterly Journal of of the New York State Historical Society*, 10. 3 (July 1929), pp. 187, 194. And 10. 4 (October 1929), pp. 315-316.

للأرض في فكر السياسيين الأميركيين الأوائل معنى عاطفي مقدس. بدونها لا تستقيم فكرة أميركا ولا المستقبل المنشود لها. وفي شطحات هذا المعنى القدسي للجشع، انظر التقارير المختلفة لألكسندر هاملتون وزير مالية جورج واشنطن، وخاصة منها التقرير الأول.

Samuel McKee, Jr., editor, *Papers on Public Credit, Commerce, and Finance* (New York, Liberal Arts Press, 1957), pp. 28-30.

(٩١) William L. Stone, *Life of Joseph Brant-Thayendanegea,* op. cit., vol. I, p.407.

(٩٢) انظر منير العكش، حق التضحية بالآخر، (منشورات رياض الريس ٢٠٠٢)، ص ٤٢ ـ ٤٣. وأميركا والإبادات الجنسية (منشورات رياض الريس ٢٠٠٢) ص٥٧ ـ ٥٩.

(٩٣) Frederick Cook, *Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan*, op.cit. pp. 192, 352; Ernest Alexander Cruikshank, The Story of Butler's Rangers, op. cit., p. 16.

(٩٤) Ibid.

(٩٥) Ibid.,

(٩٦) T.. Egly, Jr., *Goose Van Schaick Of Albany 1736-1789 The Continental Army's Senior Colone*, (T.W.Egly Jr; 1992), p.60.

(٩٧) Frederick Cook, *Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan*, op.cit. p. 16.

(٩٨) Ibid., p.193; T. W. Egly, Jr., *Goose Van Schaick Of Albany*, op. cit., 62

(٩٩) Frederick Cook, *Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan*, op.cit. pp. 16 -17.

(١٠٠) Ibid., pp. 17,193.

(١٠١) Ibid., p. 193.

(١٠٢) Ibid., pp. 17,193.

(١٠٣) Ibid., p17, T. W. Egly, Jr., *Goose Van Schaick Of Albany*, op. cit., pp. 58-59.

(١٠٤) John Gottlieb Ernestus Heckewelder, *An Account of the History, Manners, and Customs, of the Indian Nations*, op.cit. pp.334-339.

(١٠٥) Albert Hazen Wright, *The Sullivan Expedition of 1779*, op.cit., I:147.

(١٠٦) T. W. Egly, Jr., *Goose Van Schaick Of Albany*, op. cit., p.95; John Norton, *The Journal of Major John Norton*,op. cit., p. 277.

(١٠٧) Albert Hazen Wright, *The Sullivan Expedition of 1779*, op.cit., I: 44, 47; T. W. Egly, Jr., Goose Van Schaick Of Albany, op. cit., p.64.

(١٠٨) *Journal of the Continental Congress*, 14 (10 May, 1779); p. 567.

(١٠٩) ـ من معجزات واشنطن، كما يقول بيتر فولسم Peter Folsom في رثائه له أنه «عبر بالأميركيين «بحراً من الدم الأحمر كما عبر موسى ببني إسرائيل البحر الأحمر».

Peter Folsom, *An eulogy on Geo. Washington*, op. cit., p.6

(١١٠) Henry Wiencek, *An Imperfect God*, op cit., p.19.

في عام ١٧٤٤ سطا المستوطن توماس لي Thomas Lee، بشراء احتيالي من فيدرالية الإركوا، على مساحات هائلة من الأراضي ممتدة بين سبع ولايات حالية هي كنتكي Kenrucky وأوهايو Ohio، وإنديانا Indiana، وإلينويز Illinois، ووسكنسن Wisconsin وميشيغان Michigan، وذلك بمبلغ ٤٠٠ دولار نقداً. ثم إنه، مع بضعة مستوطنين من مثله أسسوا شركة أوهايو Ohio Company التي سلبت ممتلكاتها من أراضي الهنود. وقد كان من هؤلاء الجد الأكبر لعائلة واشنطن التي ظلت لعدة أجيال تعمل مع عائلة لي Lee وتتزاوج. كان الرئيس جورج واشنطن من الجيل الرابع لهذه العائلة التي هاجرت من بريطانيا وأسست مزرعة

استيطانية (كيبوتس) في مستعمرة Northern Neck بفرجينيا.

Martin H Quitt, «The English Cleric and the Virginia Adventurer», in Don Higginbotham, ed., *George Washington Reconsidered,* (Charlottesville: University Press of Virginia, 2001), pp. 15 ff.

جدُّه الأكبر جون واشنطن John Washington جنى ثروة هائلة من زواجه الأول من آن بوپ Anne Pope حين أهداه والدها أرضاً مساحتها ٧٠٠ آكر (٢٨٣٢٧٩٩ متراً مربعاً) ومبلغاً كبيراً من المال، و«حفنة» من الرقيق الأسود. وعندما ماتت تزوج ثانيةً آن بريت Anne Brett المرَمَّلة مرتين، ثم تزوج بعد موتها أختها فرانسس Frances المرَمَّلة ثلاث مرات وحصد بهذه الزيجات كل ثروات وممتلكات زوجاته وأزواجهن الموتى.

Douglas Southall Freeman, *George Washington: A Biography,* (New York, Scribner, 1948-1958) I:xv.

كذلك مضى أخوه الأكبر لورنس واشنطن Lawrence Washington على خطى جده فتزوج كنزاً اسمه آن فيرفاكس Anne Fairfax بنت إمبراطور استيطاني أقطعه التاج البريطاني أيام الملك شارل الثاني من بلاد الهنود (وليس من بلاد جلالته) أرضاً مساحتها خمسة ملايين آكر (٢٠،٢٣٤،٢٨٢،١١٢ متراً مربعاً). وبزواجه هذا قفز إلى قلب أثرى عوائل ڤرجينيا وتأهل لرئاسة شركة أوهايو Ohio Company.

Ibid., 58

وعلى سنّة الجد والأخ أدرك جورج واشنطن أن أقصر طريق إلى الثروة ورباها هو الزواج بأرملة فاحشة الغنى والأملاك. وفعلاً فقد وجد فريسته المشتهاة عندما سمع بأرملة صبية في السادسة والعشرين من عمرها ورثت عن زوجها إحدى أكبر ثروات ڤرجينيا، هي مارتا داندريج كَستيس Martha Dandridge Custis. فتزوجها وسكن في البداية في قصرها (وكان اسمه البيت الأبيض White House) ووضع يده على ١٨ ألف آكر (٧٢،٨٤٣،٤١٦ متراً مربعاً) من أملاكها، وعلى ثروة نقدية هائلة.

Papers of George Washington, Colonial Series, Vol. 6 (Sept. 1758 - Dec. 1760), pp. 202-209.

يومها كانت شتلة التبغ، وصك الملكية، وعَرَق الرقيق الأسود أكبر مفاتيح الثروة، فكلما زاد إنتاج التبغ زاد الجشع إلى مزيد من الأرض ومزيد من الاستعباد، في حركة متصلة دائبة... الخاسر الوحيد فيها هو الهندي صاحب الأرض. لهذا كانت المضاربات العقارية تجارة تبيض ذهباً، خاصة أن معظم هذه العقارات سُلبت بالقوة من أصحابها الهنود، أو اقتنيت بالشراء الاحتيالي، ولا سيما في بلاد الإركوا التي أصبحت حلم المضاربين العقاريين. وقد اعترف جورج واشنطن بخط يده في أوراقه بأنه اقتنى أكثر أراضيه بالشراء الاحتيالي.

Papers of George Washington, Colonial Series, Vol. 8, George Washington to John Posey, June 24, 1776.

(١١١) Stanley Kutler, *Dictionary of American History*, 10 vols,(New York: Charles Scribner's Sons, 2003), Vol.6: p.175.

(١١٢) Harrison Clark, *All Cloudless Glory, The Life of George Washington. from Youth to Yorktown* (Washington D. C . , Regnery Books, 1995), 22, 27-28.

(١١٣) Ibid., pp.174-176.

(١١٤) John Gottlieb Ernestus Heckewelder, *A Narrative of the Mission of the United Brethren,* op. cit., p. 131.

(١١٥) انظر في تفنيد كذبة «أرض بلا شعب»:

Francis Jennings, *Empire of Fortune: Crowns, Colonies, and Tribes in the Seven Years War in America,* (New York : Norton, 1988). p. 26; Richard White, *The Middle Ground, Indians, Empires, and Republics in the Great Lakes Region, 1650-1815,* (Cambridge, New Yor: Cambridge University Press, 1991), p. 201.

وانظر بشكل خاص:

Bruce Elliott Johansen and Barbara Alice Mann, *Encyclopedia of the Haudenosaunee (Iroquois Confederacy)*, (Westport, Conn.: Greenwood Press, 2000), p.218.

هذه المصادر، وكثير غيرها، تذكر أن هذه البلاد الهندية مسكونة بكثافة قبل أن يصل كولومبس إلى العالم الجديد بأزمان بعيدة. فالإركوا يسكنون شمال أوهايو منذ سنة ٥٠٠، (ألف سنة على الأقل قبل وصول كولومبس)، وكان هنود لونابه Lenapes يسكنون المناطق الجنوبية منذ ذلك الزمان أيضاً. أما الأمم الهندية الأخرى فقد كانت هي الأخرى موجودة بكثافة، في زمن وصول كولومبس على الأقل.

Barbara Alice Mann, *Native Americans, Archaeologists and the Mounds*, (New York: Peter Lang, 2003), pp. 105-168.

(١١٦) Harrison Clark, *All Cloudless Glory*. op. cit., p.168.

(١١٧) Barbara Alice Mann, «The Greenville Treaty of 1795: Pen and Ink Witchcraft in the Struggle for the Old Northwest». *in Enduring Legacies :Native American Treaties and Contemporary Controversies*, (Westport, Conn. , Praeger, 2004), pp. 135-201.

(١١٨) Wiley Sword, *President Washington's Indian War: The Struggle for the Old Northwest, 1790-1795,* (Norman, University of Oklahoma Press, 1985), p.11.

(١١٩) Otis Grant Hammond, *Letters and Papers of Major-General John Sullivan, Continental Army [With portraits]*., (Concord, 1930, 39. Collections of the New Hampshire Historical Society), 3:93; Albert Hazen Wright, *The Sullivan Expedition of 1779,* op.cit., vol. 2:11; Frederick Cook, *Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan,* op.cit., p.307; Alexander C. Flick, «New Sources on the Sullivan-Clinton Campaign in 1779», *Quarterly Journal of of the New York State Historical Society,* 10 (July 1929) pp. 265-317.

وعن المذبحة انظر:

Frederick Cook, *Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan,* op.cit. p.7.

(١٢٠) Jared Sparks, ed., *The Writings of George Washington,* op. cit, vol.6: p.206.

(١٢١) Ibid., vol. 6: 205-206.

(١٢٢) Ibid., vol. 6: 224-225.

(١٢٣) Albert Hazen Wright, *The Sullivan Expedition of 1779,* op.cit. vol. 2: p.7.

(١٢٤) Frederick Cook, *Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan,* op.cit. p. 308; Albert Hazen Wright, *The Sullivan Expedition of 1779,* op.cit., 2:24; Rufus B. Stone, «Brodhead's Raid on the Seneca», *Western Pennsylvanis Historical Magazine,* 7. 2 (1924) 88-101.

(١٢٥) أسماء المدن الست عشرة التي دمرها برودهِد في حملته بأمر من جورج واشنطن:

1. Bucktooth/ 2.Chenashungatan/ 3. Degasyoushdyahgoh/ 4. Ganackadago/ 5.Goshgoshonk/ 6.Killbuck/ 7. Maghinquechahocking/ 8. Nasdago/ 9. Ningarcharie/ 10. Penawaki/ 11.Tenaschshegouchtongee/ 12. Tuneungwan/ 13. Venango./ 14.Yoghroonwago.

ويضيف المؤرخ ستون Stone أن ستاً من هذه المدن هي من مدن أعالي سينيكا. وبما أن برودهِد اعترف بنفسه بأنه دمر ثماني مدن في أعالي سينيكا، فهذا يعني أن هناك مدينتين أخريين محيتا من على وجه الأرض لا نعرف ما هما، ما يجعل العدد ١٦ مدينة.

Rufus B. Stone, «Brodhead's Raid on the Seneca»,*Western Pennsylvanis Historical Magazine,* 7.2 (1924) p. 93.

(١٢٦) Frederick Cook, *Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan*, op.cit. p. 308; Otis Grant Hammond, *Letters and Papers of Major-General John Sullivan,* op. cit. vol. 3: p.147.

(١٢٧) Albert Hazen Wright, *The Sullivan Expedition of 1779,* op.cit., II: 15.

(١٢٨) Frederick Cook, *Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan*, op.cit. p. 308.

(١٢٩) Otis Grant Hammond, *Letters and Papers of Major-General John Sullivan,* op. cit., vol. 3: p.184.

(١٣٠) منذ القرن الثامن عشر وهنود الإركوا يصفون ما أنزله بهم جورج واشنطن وزبانيته برودهد، وسَليفَن Sullivan وكليتنون Clinton بالإبادة. انظر:

Arthur Caswell Parker, *An Analytical History of the Seneca Indians, Researches and Transactions of the New York State Archeological Association.* (New York: Kraus Reprint Co., 1970), p.126.

كان التعبير عن الإبادة في ذلك القرن هو extirpation وchastisement. أما اصطلاح genocide فلم يعرف حتى عام ١٩٤٤ عندما أطلقه القاضي البولوني Raphael Lemkin.

وعن اعتراف أرميا فوغ Jermiah Fogg، انظر:

Alexander C. Flick, «New Sources on the Sullivan/ Clinton Campaign in 1779», *Quarterly Journal of the New York State Historical Society,* 10 (October 1929), p. 306.

(١٣١) Obed Edson, «Brodhead Expedition against the Indian of the Upper Allegheny, 1779», *Magazine of American History,* vol. 3: no. 11 (1879), pp. 649-675.

(١٣٢) المبشر جون هِكْولدر John Heckewelder الذي كان شاهداً على معجزات موسى قال عن جيوشه «إنهم أكثر وحشية من هؤلاء الذين يتهمون بالوحشية. . . [وأضاف:] إنني بدأت أخجل كلما أتذكر أنني رجل أبيض».

John Gottlieb Ernestus Heckewelder, *An Account of the History, Manners, and Customs, of the Indian Nations,* op.cit. pp.343.

(١٣٣) Jared Sparks, ed., *The Writings of George Washington,* op. cit., p. 264.

وعن شهادة دو كريفكور

Michel Guillaume St Jean de Crèvecoeur, *Sketches of Eighteenth Century America: More «Letters From an American Farmer»* (New Haven, Yale University Press, 1925) pp. 88-89.

(١٣٤) John D Barnhart; Henry Hamilton, *Henry Hamilton and George Rogers Clark in the American Revolution, with the Unpublished Journal of Lieut. Gov. Henry Hamilton,* (Crawfordsville, In: R. E. Banta, 1951), p. 182.

(١٣٥) Illinois State Historical Library, *Collections of the Illinois State Historical Library* (Springfield: Illinois State Historical Library [1903-1978), vol.8: p.144.

(١٣٦) John D Barnhart; Henry Hamilton, *Henry Hamilton and George Rogers Clark in the American Revolution,* op. cit. p.189; George Rogers Clark, *Clark's Memoir, from English's Conquest of the Country,* (New York, Readex Microprint, 1966), p. 539.

(١٣٧) Illinois State Historical Library, *Collections of the Illinois State Historical Library,* op. cit. vol.8: p.483.

(١٣٨) John Gano «A Chaplain in the Revolution», 1806. *Historical Magazine* 5. 11, 1861, p 331;

وعن الطبل والزمر، انظر:

Charles Knowles Bolton, *The Private Soldier Under Washington* (New York, Charles Scribner's Sons, 1902), p. 159.

وعن العليقة ورموزها، انظر:

«Old Testament Prefiguration of the Mother of God», St. Vladimir's *Theological Quarterly,* no. 1,2, 2006, p. 5.

(١٣٩) وقد ترددت تسمية المستوطنين «السكاكين الطويلة» على لسان أكثر من زعيم هندي. انظر مثلاً مقدمتي لكتاب الصديق النبيل الراحل الدكتور نصير عاروري «الخصم والحكم» (مركز دراسات الوحدة العربية ٢٠٠٧)، وكتابي «حق التضحية بالآخر» (منشورات رياض الريس ٢٠٠٢)، ص٥٧. وانظر كذلك:

John Gottlieb Ernestus Heckewelder, *An Account of the History, Manners, and Customs, of the Indian Nations,* op.cit., p. 179.

(١٤٠) Frederick Cook, *Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan,* op.cit. p. 382.

(١٤١) Ibid,., pp.380-382.

(١٤٢) هي مجموع ٣ مدن دمرتها ميليشيا ڤان شايك، و١٦ مدينة دمرها الكابتن برودهِد، و٤١ مدينة دمرها الجنرال سَليڤن. وهي مدن تراوح بين بلدة صغيرة وعواصم مزدهرة.

باستثناء المعابد والمقابر، فإن بيوت المدن والقرى الهندية تبنى من الخشب، كما هو الحال اليوم في الولايات المتحدة. ولهذا فإن تدمير هذه المدن والقرى لا يحتاج إلى أكثر من رصاصة أو شعلة نار. وهذا ما يفسر كيف صار حرق هذه القرى والمدن تسلية سهلة وسريعة لجنود واشنطن.

(١٤٣) Jared Sparks, ed., *The Writings of George Washington,* op. cit., vol.6: p.188 .

(١٤٤) Frederick Cook, *Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan,* op.cit. p. 305.

(١٤٥) Ibid., pp. 139, 229-230, 270.

كان جنود الحضارة؛ جنود موسى و«رب الجنود» يرون في هذه «المنهوبات» مكافآت مشروعة أقرها لهم ما يسمى «حق الفتح right of conquest»، أما ثقافة الضحايا «المتوحشين» وقيمهم المختلفة وأعرافهم الحربية فكانت تقول إن من حق المنتصرين أن يأخذوا سلاح المهزوم فقط، لكن لا يحق لهم أن يدخلوا بيوت المهزومين ويسرقوا أثاثها وفراءها وأغطية فراشها وأدوات مطبخها وما فيها من الغالي والرخيص، إضافة إلى مواشيها وقطعانها. وكان «الإركوا» يسخرون من فكرة «المكافأة» التي يلهث الجنود وراءها ويقولون «إنهم لا يثقون بدولارات حكومتهم ويفضلون غنائمنا الثمينة على تلك الأوراق التافهة». انظر:

William L. Stone, *Life of Joseph Brant-Thayendanegea,* op. cit., vol. iv: p. 413.

(١٤٦) Frederick Cook, *Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan,* op.cit. pp. 29. 106, 143, 159, 160, 205, 206, 217.

(١٤٧) Ibid., pp. 206, 113, 143.

(١٤٨) Ibib, p. 303.

(١٤٩) Ibid., 105; Alexander C. Flick, «New Sources on the Sullivan-Clinton Campaign..», (October 1929), op. cit., 308.

(١٥٠) Alexander C. Flick, «New Sources on the Sullivan-Clinton Campaign...», (October 1929), op. cit., 308-309.

(١٥١) Frederick Cook,*Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan,* op.cit. pp. 24, 70.

(١٥٢) Ibid., pp. 44, 94.
وكلمة الحضارة والمتحضرين كانت وما زالت علكة هؤلاء المستوطنين بخاصة والشعب الأنكلو سكسوني بعامة. وواضح من عبادتهم لأنفسهم، أنهم كلما زادت وحشيتهم زاد تبجحهم بالتحضر والمدنية ولعل هذا السفّاح الدموي طوني بلير رئيس وزراء بريطانيا الأسبق الذي وصفه جورج غالواي بالذئب أكثر مَن تتجسد فيه هذه «الوحشية» المعجرفة اليوم.

(١٥٣) Ibid., p155.

(١٥٤) Ibid., pp. 27,110..

(١٥٥) Ibid., pp. 48, 143, 34, 176, 303.

(١٥٦) Alexander C. Flick, «New Sources on the Sullivan-Clinton Campaign...», (October 1929), op. cit., p. 306.

(١٥٧) Frederick Cook, *Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan,* op.cit. p. 166.

(١٥٨) Ibid., p. 110.

(١٥٩) Ibid.,pp. 229, 261.

(١٦٠) Ibid., pp. 27, 172; Albert Hazen Wright, *The Sullivan Expedition of 1779,* op.cit., 3:1

(١٦١) انظر في هذا: منير العكش، حق التضحية بالآخر (منشورات رياض الريس، ٢٠٠٢) ٦٩ - ٧٩.

(١٦٢) Frederick Cook,*Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan,* op.cit. p. 8.

(١٦٣) Ibid., pp. 279, 240, 244.

(١٦٤) Ibid., pp. 269, 229.

(١٦٥) Ibid., p. 162.

(١٦٦) Ibid., pp. 98, 162, 217, 300, 369; Isabel Thompson Kelsay, *Joseph Brant, 1743-1807,* op. cit., p. 267.

(١٦٧) William L. Stone, *Life of Joseph Brant-Thayendanegea,* op. cit., 2:36.

(١٦٨) Frederick Cook, *Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan,* op.cit. p. 163.

(١٦٩) Ibid., p.282.

(١٧٠) Jared Sparks, ed., *The Writings of George Washington*, op. cit., vol. 6: p.381.

(١٧١) Ibid., vol. 6: p.384.

(١٧٢) Ernest Alexander Cruikshank, *The Story of Butler's Rangers*, op. cit., p. 74.

(١٧٣) Barbara Graymont, *The Iroquois in the American Revolution,* ([Syracuse, N.Y.]

Syracuse University Press, 1972), p. 220.

(١٧٤) James E. Seaver, *A Narrative of the Life of Mary Jemison,* (Syracuse, N.Y.: Syracuse University Press, 1990), p.60.

(١٧٥) Ibid., p. 60; Obed Edson, «Brodhead Expedition against the Indian of the Upper Allegheny, 1779», op.cit., p. 667.

(١٧٦) Frederick Cook, *Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan,* op.cit. p. 167.

(١٧٧) Albert Hazen Wright, *The Sullivan Expedition of 1779,* op.cit., Vol.2: p. 2.

(١٧٨) Frederick Cook, *Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan,* op.cit. p. 304.

(١٧٩) Washington to the President of the Congress, June 17, 1783, John Clement Fitzpatrick, editor, *The Writing of George Washington from the Original Manuscript Sources, 1745-1799, 39* vols. Washington, U.S.Government Printing Office, [1931-1944)], vol. 27: pp, 16-18.

في أبريل/ نيسان ١٧٨٣، كتب الجنرال هنري نوكس Henry Knox وزير الحرب إلى الجنرال جورج واشنطن ودعاه إلى الاحتفاظ بالقوات العسكرية التي شاركت في الثورة لأنها لازمة للحفاظ على الأراضي [الهندية] التي تخلت عنها بريطانيا في الغرب [غرب حدود المستعمرات]. وهي أراض ستضمن للكونغرس عائداً مالياً يعوض عن نفقات الحرب. وكان واشنطن على وفاق تام مع نوكس، بل إنه، قبل سنتين (١٧ يونيو/ حزيران ١٧٨٣)، وبمبادرة منه [في إطار علاقته العائلية بشركة أوهايو]، كتب يرجو كونغرس المستعمرات باسم الضباط والجنود الذين شاركوا في «فتح كنعان» أن يكافئهم بقطع من أراضي البلاد المفتوحة ليستوطنوها. وفيها يقول إن تشجيع الضباط والجنود المسرحين من الجيش الاستعماري Continental Army على استيطان الحدود سيحمي هذه الحدود ويحمي المستعمرات التي خلفها، وسيحول دون تسلل الهنود لارتكاب جرائم بحق المستوطنين الأبرياء وأسرهم التي قد تصبح ضحايا بربرية للهنود المتوحشين أثناء توسع الاستيطان.

Ibid.

(١٨٠) Albert Hazen Wright, *The Sullivan Expedition of 1779,* op.cit., Vol.4: p.2.

(١٨١) لا بد من التنبيه إلى أن هذا التأليه apotheosis ليس بالمفهوم المسيحي على الرغم من استعارة الكثير من رموزه اللاهوتية ومن الطقوس الدينية في رسوم عصر النهضة، بل هو هنا (أي في سياق الدين المدني الأميركي) أقرب إلى المفهوم الروماني الكلاسيكي the imperial cult على غرار تأليه الإمبراطورين يوليوس قيصر Julius Caesar وأغسطس Augustus. ولم أشأ الإطالة هنا على أمل أن أتناول مثل هذه المفاهيم في عمل مستقل عن الدين الأميركي.

ولمن شاء المزيد عن تأليه واشنطن أرجو أن يقرأ هذه المراجع الأكاديمية:

Francis Coleman Rosenberger, Columbia Historical Society, *Records of the Columbia Historical Society of Washington, D.C., 1973-1974,* (Washington, D.C.: Colum-

bia Historical Society; Charlottesville, Va.: Distributed by the University Press of Virginia, ©1976); Adam Greenhalgh, «Not a Man but a God,' The Apotheosis of Gilbert Stuart's Athenaeum Portrait of George Washington», *Witerthur Portfolio,* Vol. 41, No.4 (Winter 2007), 269-304; Kent Ahrens, Constantino Brumidi's», «Apotheosis of Washington' in the Rotunda of the United States Capitol», *Records of the Columbia Historical Society*, (Washington, D.C.,) Vol. 49, (separately bound book, 1973/1974), pp. 187-208.

في سياق هذا الدين المدني يُعتبر جورج واشنطن أعظم كائن مقدس تحتفل أميركا بميلاده سنوياً في يوم خاص مقدس هو «يوم الرئيس President Day». ففي الذكرى المئوية الثانية لميلاد واشنطن، مثلاً، احتفلت أميركا كما لم تحتفل أبداً بميلاد السيد المسيح حتى في ميلاده الألفي الثاني. في تلك السنة (١٩٣٢) وفي ذروة ما يعرف بالانهيار الاقتصادي الكبير احتفلت أميركا بميلاد واشنطن احتفالاً استعراضياً لا سابقة له في تاريخ البشرية المعروف: أربعة ملايين و٧٠٠ ألف برنامج وطني احتفالي يومياً من ٢٢ فبراير حتى عيد الشكر (٢٤ نوفمبر). وخلال الاحتفال بهذا العيد السعيد تشكلت ٨٠٠ ألف لجنة مدرسية وكنسية وكشفية تعمل على تبليغ رسالة واشنطن إلى أكبر عدد ممكن من الناس. كذلك زرع المواطنون بهذه المناسبة ٣٠ مليون شجرة تذكارية، ووزعوا أكثر من مليون نسخة من أغنية «واشنطن أبو الوطن الذي نحبه» «Washington, Father of the Land We Love,» بينما تم توزيع أكثر من ١٢ مليون و٩٠٠ ألف نص شاعري عن تفاصيل السيرة الواشنطونية وفضائلها الأخلاقية، ونشرت الصحافة الأميركية خمسة ملايين مقالة خاصة بهذا المولد (بمعدل ١٥٥٠٠ مقالة يومياً)... إلخ، انظر:

The History of the George Washington Bicentennial Celebration, vol. 5, Activities of the Commission and Complete-Final Report of the United States GeorgeWashington Bicentennial Commission (Washington, DC: U.S. George Washington Bicentennial Commission, 1932), Vol. 5: pp. 1-2.

أما دايڤيد تبان David Tappan أستاذ الإلهيات في هارڤرد فيعزو قداسة واشنطن إلى ملامح وجهه السماوية (!) التي أهلته لأن يصنف مع آلهة الأرض.

Adam Greenhalgh, «Not a Man but a God,» op. cit., p.285.

وفي تلك الفترة الحافلة بالمصائب الاقتصادية والاستعراضات الوطنية زار القاضي والكاتب الفرنسي Gustave de Beaumon أميركا ولاحظ أن «واشنطن في أميركا ليس إنساناً. إنه إله»!

Gustave de Beaumont, *Marie; or, Slavery in the United States: A Novel of Jacksonian America,* translated by Barbara Chapman (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1999), p.106.

(١٨٢) -Adam Greenhalgh, «Not a Man but a God,' The Apotheosis of Gilbert Stuart's Athenaeum Portrait of George Washington», *Witerthur Portfolio,* Vol. 41, No.4 (Winter 2007), 269-304, p. 283.

في هذه الدراسة بعنوان «ليس إنساناً بل إله. . .» يصف الكاتب (وهو ناقد فني وقيّم قاعة الفن الوطنية National Gallery of Art) هذه النزعة المفرطة إلى تأليه واشنطن في الأعمال الفنية بأنها نوع من «عبادة الصورة» في الدين المدني الأميركي. ويقول إن كلّ مراثي واشنطن صيغت بلغة التأليه، ما جعل من واشنطن، وبسرعة، ما يشبه الإله Godlike. حتى إن مواطناً مخلصاً كتب يقول: «لقد كدنا ننسى أنه إنسان وصرنا نراه كائناً إلهياً أُرسل إلينا من عالم غير هذا العالم ليأخذ بيد أميركا إلى الاستقلال والحرية والسعادة».

تعتبر لوحة «تأليه واشنطن» للفنان الإيطالي الأصل كونستانتينو بروميدي Constantino Brumidi التي تزين سقف قبة مبنى الكونغرس (الكابيتول) من أهم أعمال الفرسكو fresco الأميركية في القرن التاسع عشر. ولأن قطر السقف المرسوم أطول من ١٨ متراً فإن الصورة المنشورة له هنا لا تكشف تفاصيل الرسوم بوضوح. لكن يمكن ملاحظة أن محيط اللوحة يضم ست مجموعات يقول الرسام في رسالة له إلى ممثل الكونغرس المشرف على إعادة بناء القبة وتزيينها «إن هذه المجموعات الست تمثل الحرب، والعلم، والبحرية، والتجارة، والصناعة، والزراعة». وفي كل مجموعة رموز مشخصنة مستمدة من الثقافة الكلاسيكية الأوروبية ذات مدلولات أخلاقية أو دينية أو وطنية درج الفن الأوروبي على استخدامها في أعماله الكلاسيكية. ثم نرى في وسط اللوحة جورج واشنطن في واجهة سماوات لانهائية مستوياً على عرش من الغيم المزين بقوس قزح ومحفوفاً برمزين كلاسيكيين مشخصنين في صورة امرأتين إحداهما ترمز إلى الحرية على يمينه والأخرى ترمز إلى النصر على يساره، بينما تتحلق خلفه ثلاث عشرة امرأة تشع فوق رأس كل واحدة منهن نجمة ترمز إلى إحدى المستعمرات الثلاث عشرة التي تشكلت منها الولايات المتحدة. وقد أزيل الستار عن «تأليه واشنطن» في قبة مبنى الكونغرس الأميركي عام ١٨٦٦ في احتفال رسمي ضم معظم رموز أميركا السياسية. وهذا ما وثقه الباحث كِنت أهرنس في دراسته عن الفنان بروميدي Brumidi وعمله التاريخي المسمى «تأليه واشنطن». انظر:

Kent Ahrens, Constantino Brumidi's «Apotheosis of Washington' in the Rotunda of the United States Capitol», *Records of the Columbia Historical Society*, (Washington, D.C., Vol. 49, The 49thseparately bound book, 1973/ 1974), pp. 187-208.

وهناك عشرات الأعمال الفنية التي تسمى «تأليه واشنطن» كان أولها عمل دافيد إدوين David Edwin (١٨٠٠ بعد أشهر قليلة من وفاة واشنطن)، ثم عمل جون جيمس بارالت John James Barralet (١٨٠٣) أي بعد ثلاث سنوات من موت واشنطن. وقد اختار فيها رمز قيامة المسيح من قبره في اليوم الثالث ليضفيها على قيامة واشنطن من قبره في السنة الثالثة وصعوده إلى عرشه في السماء مصطحباً معه دولة الهنود. أما أهم هذه الأعمال الفنية الأخرى المسماة «تأليه واشنطن Apotheosis of Washington» فهي:

(A) Apotheosis of George Washington, Attributed to /tienne Pallière (French, Bordeaux, 1761-1820)

(B) Apotheosis of George Washington, H Weishaupt, (American, active 19th century).

في أشداق الاستيطان

In the Jaws of Settlerism

١

وحوش الثغور

المستوطنون هنا ليسوا أفضل من فصيلة عالية من الحيوانات اللاحمة. لقد وجدوا في الثغور متعة كبيرة لإرواء عطشهم إلى الدم. وعلى من يرغب في معرفة أميركا على حقيقتها أن يزور هذه الثغور حيث يعيش هؤلاء المستوطنون.

St. John de Crèvecoeur, 1784

ليس في أدبيات «فتح كنعان» أي أمل في أن يتعايش «موسى أميركا» مع الكنعانيين الهنود أو أن يعترف لهم بدولة، أو بكيان سياسي في بلادهم وبلاد آبائهم. أبداً، فإله إسرائيل بعظمته وجلاله وتعاليمه الأخلاقية هو الذي تبرع لشعبه الجديد ببلاد كنعان «كل بلاد كنعان مُلكاً مؤبداً»[١]، وهو الذي جعل احتلالَ أرض كنعان ومحوَ شعبها وثقافتها وتاريخها من ذاكرة الأرض عملاً مقدساً. لهذا كان العهد الذي أبرمه الغزاة مع إله إسرائيل «يسمو على عهود البشر وأخلاق البشر وأعراف البشر ووجود غيرهم من البشر».

لعبادة الذات قدرة هائلة على خداع النفس، فبهذا التفويض الرباني الملفق ثار المستوطنون على فرعون لندن حين اقتضت السياسة البريطانية لجمَ النهب والقتل

والاستيطان، ولو إلى حين. وبهذا التفويض الذي يسري في عروق التاريخ الأميركي صارت كل أرض على هذا الكوكب مرشحة لأن تكون أرض كنعان حين يحلو استيطانها في عيون شعب الله «الذي تخدمه الشعوب وتسجد له الأمم»[٢].

أليس من غوايات «عبادة الذات» أن يعتقد كثير من الأميركيين اليوم بأن حدود أميركا سيركض أمامها الأفق إلى الأبد[٣]؛ من الإصحاح الأول في سفر التكوين إلى يوم يوم القيامة[٤]؟

هذا الرفض الوجودي لكنعان والكنعانيين جسداً، وتاريخاً، وثقافة، وكياناً سياسياً، هو أساس المعنى الإسرائيلي لأميركا الذي يتحكم بمسيرة تاريخ هذه الإمبراطورية الاستيطانية منذ نشأتها حتى اليوم، ساعة ساعة[٥]. إنه رفض مقدس ومطلق، وإنه هو الذي أنزل الوحي على قلب جورج واشنطن وجعله نبياً يقود ثورة «المستوطنين» على «فرعون لندن» حين اضطرت السياسة البريطانية إلى لجم النهب والقتل والاستيطان، ولو إلى حين، (كما تقدم في الفصل السابق عند الحديث عن معاهدة Fort Stanwix).

ما أشيع عن الاستقلال والمثاليات والأخلاقيات التي دفعت هؤلاء المستوطنين للثورة لم يكن سوى نكتة أخرى من نكات عبادة الذات. فكل نقمة جورج واشنطن ومعارضته لبريطانيا (التي أفنى معظم حياته في خدمتها)، كان بدافع الاستيطان والنهب والجشع[٦]. صحيح أن القرار البريطاني ـ في عرف المستوطنين ـ كان انتهاكاً منكراً للعهد وتهديداً لكل ما قامت عليه فكرة أميركا وفكرة فتح كنعان لكن جورج واشنطن لم ير فيه إلا قَطعاً لرزقه وتحدياً شخصياً مباشراً[٧]. لهذا فإنه، برغم تحذير حاكم مستعمرة ڤرجينيا من خرق قرار الملك، أصرّ على السيطرة على قطع من الأرض في المناطق المحظورة. ثم كتب رسالة إلى صديقه وليم كراوفورد William Crawford يبرر فعلته: «إنني لا أرى في قرار الملك (وهذا بيننا) سوى إجراء موقت لتهدئة خواطر الهنود، ولا بد أنه سيلغى في بضع سنين»[٨].

هذا التضارب بين الجشع الاستيطاني لجورج واشنطن ومعه شراذم المستوطنين وبين السياسة الأفعوانية البريطانية كانت هي الأسباب الحقيقية لثورة «الحرامية» التي جعلها التاريخ المنتصر مَعْلَماً من معالم الحضارة الإنسانية لا يُضاهيه في إشعاعه إلا ما يقوله «حرامية» فلسطين عن «الاستقلال». وقد جاءت اللحظة الحاسمة عندما قررت لندن لجم الاستيطان حتى لا ينهار الهيكل فوق رؤوس شعب الله جميعاً. أما المستوطنون وزعماؤهم الذين أدركوا أن لندن أغلقت عليهم باب المغارة فقرروا تحرير المغارة من سيطرة «علي بابا»[٩].

ما بين ١٧٦٣ و١٧٧٣ (العقد الذي سبق الثورة) كانت الكروش البريطانية تسيطر على مساحات هائلة في غرب Alleghenies من جبال الأبالاشي Appalachian Mountains الممتدة ما بين (ما يسمى اليوم) ولايات بنسلڤانيا وميريلاند وڤرجينيا إضافة إلى ڤرجينيا الغربية. وكانت تتخوف من جشع المستوطنين الذي قد يدفع الهنود (الأقوياء يومها) إلى تصفيتهم جميعاً. فبنجامين فرانكلين وشلة من «وجهاء» فيلادلفيا، مثلاً، حاولوا السيطرة على مساحات من هذه الأراضي الغربية. أما واشنطن الذي أسس مع عدد من أمراء الاستيطان «شركة أراضي ميسيسيبي Missisippi Land Company»، فكان أقل تواضعاً. لقد حاول السيطرة على مليونين ونصف مليون آكر [ما يعادل مساحة لبنان] لتقسيمها وبيعها للمستوطنين. وقد تأمل الحصول على أرباح خيالية من هذه التجارة بأرزاق الهنود وأرواحهم[١٠].

معظم مراسلات واشنطن بين ١٧٦٧ و١٧٧٥ كانت تهجس بمسألة الأرض وتؤكد أن الهَمَّ الأول لقائد الثورة لم يكن الاستقلال ولا الديمقراطية ولا الدستور ولا وثيقة الحقوق ولا الحرية الدينية ولا غير ذلك من هذا التهريج الاستعلائي، بل كان الأرض، ثم الأرض، ثم الأرض[١١]. وفي هذا ينقل السناتور والمؤرخ هنري كابوت لودج Henry Cabot Lodge في كتابه عن جورج واشنطن نصاً من رسالة له تقول:

> مصلحة الاستيطان هي التي ترسم سياستي[١٢]. [ثم يضيف في أواخر ذلك المجلد:] كان [واشنطن] مسكوناً باحتلال الغرب واستيطانه قبل الثورة وحرب الاستقلال بزمن طويل. كل ما كان يهجس به هو البحث عن أفضل وسيلة للتوسع في الأرض وغزو القارة بجيش من المستوطنين الطليعيين الشجعان... كان ينظر إلى ما هو أبعد من المستعمرات الأطلسية [التي تشكلت منها الولايات المتحدة. جورج] واشنطن هو جرثومة هذه الإمبراطورية[١٣].

كذلك يرى المؤرخ والسياسي ريتشارد وِيْد Richard C. Wade أن «كل هدف الثورة هو تحرير الزحف الاستيطاني ليس إلا... فما إن بدأ إطلاقُ النار حتى زحف المستوطنون في أرض الظلام والدم فاستولوا على كنتكي Kentucky وعبَّدوا الطريق لتأسيس لويسڤيلل Louisville ولكسينغتون Lexington»[١٤]. ولكن ما إن راحت لعنة الدم الهندي تصبغ أجساد شعب الله حتى انطفأت حماسة المستوطنين الصغار (وكانوا أكثر من ثلث الجيش)، ففروا من الجبهات[١٥]، وتركوا «رب الجنود» مع جورج واشنطن والكهنة يقاتلون وحدهم. وهذا ما حدا حكام المستعمرات إلى أن يعرضوا على الفارين رُشى ومغريات كثيرة من غنائم الغزو. فمستعمرة نيويورك عرضت على من يقاتل مكافأة قدرها ٤٠٠ آكر من أراضي الهنود، أما ڤرجينيا فعرضت، إضافة إلى قطعة الأرض، «رقيقاً أسود» لا يقل عمره عن عشر سنوات[١٦].

ليس غريباً إذن أن تستعر حمى الاستيطان بعد «فتح كنعان» وزحف المستوطنين عبر «الدولة الموعودة» إلى ثغور الغرب. فشعب الله الذي بدأ يتلمظ لحم الفريسة الطازجة كان يتطلع إلى نهش أراضي الغرب وراء جبال اللِّغِني Allegheny الساحرة (ثغور جبال آپالاشي التي تفصل شرق الشمال الأميركي عن غربه من نيو فاوندلاند Newfoundland في كندا إلى ألاباما في جنوب الولايات المتحدة). أما جورج واشنطن الذي وعد الهنود باحترام دولتهم وضمها إلى الولايات المتحدة

وتمثيلها في الكونغرس فكان في مقدمة هذه السباع الجائعة[١٧].

وعلى سنَّة سلفهم الصالح من أهل العهد ـ رجال الثغور المتوحشين ـ لم يزحف شعب الله إلى هذه الثغور لبناء بيوت دائمة، بل كان الواحد منهم يكتفي بتطهير الأرض من أهلها وذلك بقتلهم أو تهجيرهم. وعندما ينتهي من حمام الدم ويطمئن إلى سلامة أرضه من «عدوان» الهنود أو من مسدسات إخوانه اللصوص يرسم حدود هذه الأرض أو يضع صوى في زواياها. وحين لا تكون هذه الأرض المنهوبة مزرعة هندية جاهزة يُعَرّي أشجارها ثم يبني فيها كوخاً بسيطاً من جذوع الشجر logo Cabin ليبيت فيه بمسدساته وبندقيته ويده على الزناد إلى أن يبيع غنيمته للشركات أو للمستوطنين الجدد الباحثين عن أرض يزرعونها. وقد جرت العادة أن يكرر رجال الثغور الذين يشكلون رأس حربة للمستوطنين الزراعيين هذا القضم الممنهج لأراضي الهنود حيث يتوغلون فيها ثغراً بعد ثغر ومذبحة تلو مذبحة. وهذا ما كان يفعله أمراء الاستيطان على نطاق تجاري محترف، وفي مقدمتهم شركة جورج واشنطن «شركة أراضي ميسيسيبي Mississippi Land Company» التي نشر المؤرخ كليرنس كارتر Clarence Edwin Carter في سنة ١٩١١ بعض أهم وثائقها الفاضحة[١٨].

الموجات التالية من المستوطنين كانت تدشن حياتها الجديدة، غالباً، بالعمل لدى المزارعين أو شركات النهب الكبرى. وكان ما يحصدونه في فترة قصيرة من عملهم أو من سكاكينهم الطويلة ينقلهم من أُجَراء إلى مُلاّك، الأمر الذي كان مستحيلاً في إنكلترا حيث المُلكُ للمُتألّه الجالس على العرش، وحيث لا يوجد هناك هنود كنعانيون أحل الله أرضهم ودماءهم لشعبه. يكفيه أن يستولي على قطعة من الأرض ويبيعها بعد بضع سنين ليصبح ذا كرش محترم[١٩]. أما الذين يلتحقون بعصابات الثغور فهم الذين اختاروا جمع ثروتهم بقتل الهنود وسلب أراضيهم وحقولهم وغير ذلك من ممتلكاتهم، أو الذين ترفض المزارع وشركات النهب الكبرى استئجارهم وتسميهم بالبرابرة البيض White barbarians أو «شرذمة

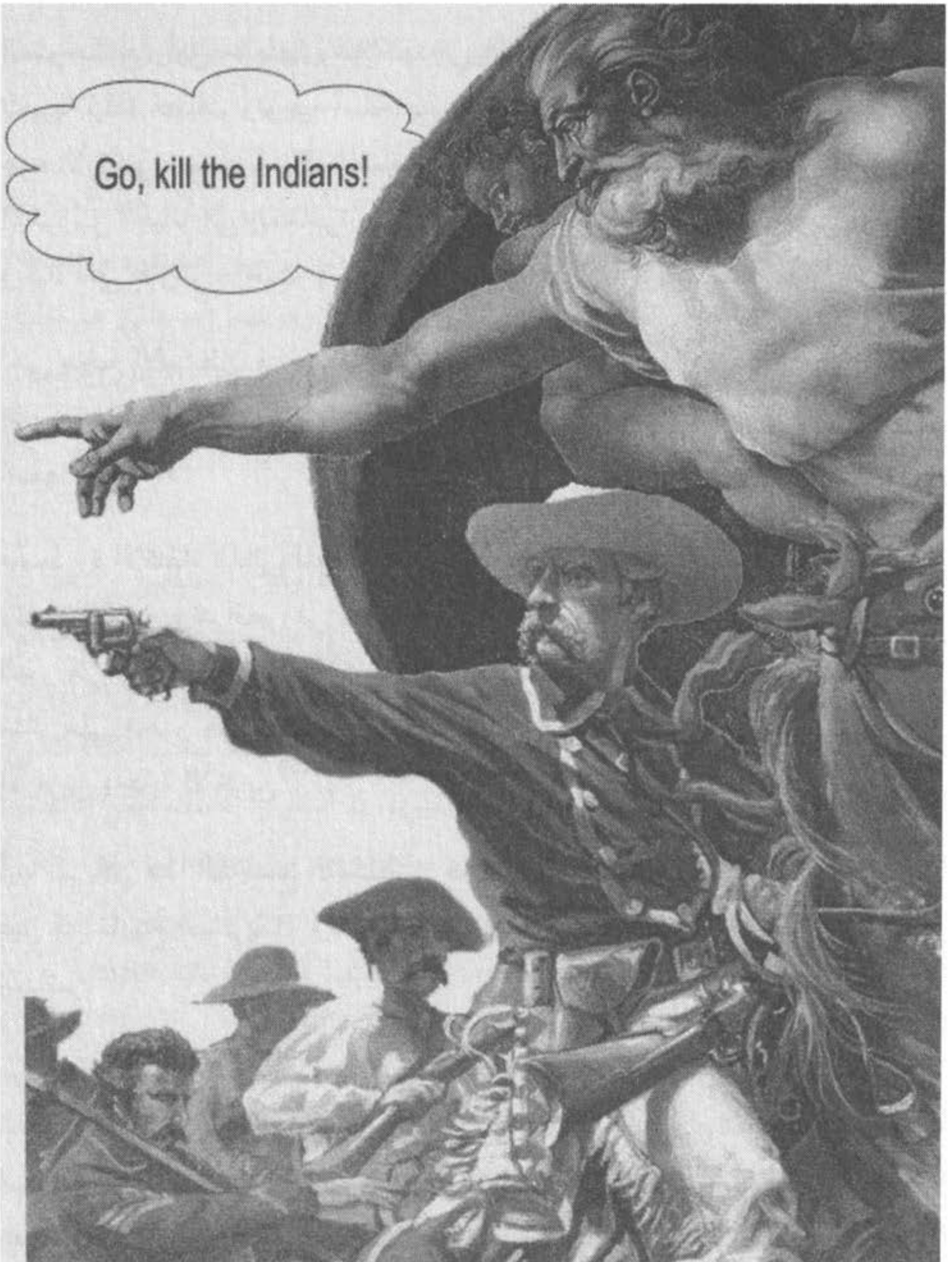
من البرابرة Parcel of barbarians» بتعبير جورج واشنطن نفسه[٢٠]. بل إنه في رسالة إلى صديق (سمّاه ريشارد Richard) يصف نفسه حين كان على الثغور بلسانه هو فيقول:

> كنت أستلقي أمام النار فوق قليل من القش أو التبن أو على جلد الدب أو أي شيء متوافر... مع الزوجة والأطفال مثل مجموعة من الكلاب والقطط. وما أسعد من يجد مرقداً بقرب النار.. إنني لم أخلع ملابسي قطّ، بل كنت أرقد بها وأنام[٢١].

أما معاصره الأديب الفرنسي الأميركي سان جون دو كريڤكور J. Hector St. John de Crèvecoeur فوصف هؤلاء الثغوريين (١٧٨٤) بالحيوانات اللاحمة وطرَدَهم من ملكوت البشر. هكذا يقول في رسالة له:

> وصلنا الآن إلى أطراف غابة كبيرة على تخوم المناطق المأهولة، وواضح أن في هذه الغابة مَن يعيش بعيداً عن عيون الحكومة التي أرخت لهم الحبل على الغارب. إنهم رجال يدفعهم الحظ العاثر والسوداوية والجشع والبطالة والديون إلى امتلاك أكبر مساحة ممكنة من الأرض. ويبدو أن ليس لآفاتهم من علاج، فهم في حال قتل وقتال لا يتوقف؛ قتال في ما بينهم أو مع وحوش هذه الغابات المهيبة... الرجال هنا ليسوا أفضل من فصيلة عالية من الحيوانات اللاحمة... لقد وجدوا في هذه الثغور متعة كبيرة لإرواء عطشهم إلى الدم وإلى كل ما توصف به طبيعة التوحش... وعلى من يرغب في معرفة أميركا على حقيقتها أن يزور هذه الثغور المتقدمة حيث يعيش المستوطنون[٢٢].

في هذا التنافس الوحشي على نهش الأرض وأهل الأرض تجد «ثروة الأمم» فرصتها الذهبية. إذ إن شركات أمراء الاستيطان تجعل من هؤلاء المغامرين



ملصق يظهر فيه ربهم يهوه كما صوره مايكل إنجلو Michelangelo في كنيسة السيستين Sistine Chapel
وهو يأمر مليشيات المستوطنين: «اذهبوا واقتلوا الهنود».
ليس للملصق تاريخ مؤكد، لكن يعتقد أنه من أواخر القرن التاسع عشر.

المتوحشين رأس حربتها وسلاحها في المضاربات العقارية، وغالباً ما تتولى بنفسها قيادة خطاهم وتوجيه أسلحتهم وضربهم ببعضهم لتؤول إليها وحدها ملكية هذه الأراضي المنهوبة والمغمسة بالدم. وهذا ما يضطر «الصناديد» من هؤلاء الثغوريين أحياناً إلى المغامرة بعيداً في عمق أراضي الهنود، مخاطرين بحياتهم وحياة أهل الأرض، حيث لا يحلم أمراء الاستيطان[٢٣].

لكي ينجح الاستيطان في سلب الأرض والعقل والذاكرة كانت فكرة أميركا بحاجة إلى بعض العناصر التزيينية accsoirs/ accesories وفي مقدمتها جوهرة سوداء ثمينة اسمها الاستعباد.

فأسطورة الاكتفاء الذاتي للعائلة أو المجتمعات الاستيطانية التي تعمر المجاهل وتزرع الأرض وتتراقص في حقولها الغزلان، وتُخرج القارة من الظلمات إلى النور هي واحدة من تلك الأكاذيب المؤدلجة التي لفقها التاريخ المنتصر. إنها مثال على فجور هذا الاستيطان الطفيلي الذي يعيش على أرض الآخرين ورزق الآخرين وحرية الآخرين[٢٤].

أبداً لم يكن هذا المجتمع الاستيطاني كافياً ذاته، لا اليوم (حيث يعيش على أكبر دَيْن في تاريخ البشرية)، ولا حين كان يعيش على القتل والنهب والاستعباد المباشر.

من دون عرق المستعبَدين وعذابهم لم تكن المستعمرات الزراعية لتشهد ازدهار القطن أو التبغ أو الذرة أو غير ذلك من المحاصيل الهندية التي أنقذت المستوطنين من الموت. هنا تروي المؤرخة كارِن كَپرمَن Karen Ordahl Kupperman وقائع مخزية عن كسل هؤلاء المستوطنين واستهتارهم وتوكلهم الذي أدى إلى موت الكثيرين منهم بعد خيبتهم من سقوط المن والسلوى عليهم من سماء أرض الميعاد[٢٥]. كذلك تروي عشرات المصادر التاريخية كيف أن هؤلاء الكسالى، بعد أن عضوا اليد الهندية التي أكرمتهم، عانوا من المجاعات

فراحوا يغيرون على قبور الهنود في الليل لينبشوها ويأكلوا جثثها الطازجة، أو كانوا يأكلون جثث موتاهم[٢٦].

قبل ازدهار اقتصاد القطن والتبغ في هذه المستوطنات بنى هؤلاء المستعبَدون مدينة نيويورك (سمّاها الهولنديون المستعمرون نيو أمستردام Nieuw Amsterdam). إن عرق هؤلاء المستعبدين وجهدهم وموتهم المجاني هو الذي وضع أساس هذه المدينة ومكّن المستوطنين الهولنديين من الأكل والشرب والسكن فيما كانوا يمضون أوقاتهم في السكر والمقامرة والتجارة بالفراء وغير ذلك مما لا يحتاج إلى جهد وكد.

لم يكن هؤلاء المستعبَدون أول المزارعين في نيويورك وأول الحدادين والنجارين وحسب، بل كان المستوطنون يعتمدون عليهم في كل ما تحتاجه حياتهم. وهذا ما شجع الحاكم الهولندي في النهاية على أن يحررهم ويمنحهم جزيرة مانهاتن Manhattan ليعيشوا فيها. لكن المستوطنين الإنكليز (أبناء شعب الله) الذين استولوا لاحقاً على نيو أمستردام وسموها نيويورك استولوا كذلك على مانهاتن وسلبوا أراضي هؤلاء الأفارقة المحرَّرين واستعبدوهم من جديد ثم سنوا قانوناً يحرم عليهم الحرية وتملك الأرض. بذلك سُرِقَت مانهاتن مرتين، مرة من الأفارقة المستعبَدين، ومرة، قبلَها، من أصحابها هنود لونابه Lenape[٢٧]. (ومانهاتن Manhattan كلمة من لغتهم تعني «جزيرة التلال»).

لاستعباد الهنود [الكنعانيين] الذين نجوا من الإبادة طعم آخر؛ طعم مقدس؛ طعم الصلاة والعبادة. لكنه لم يكن بسهولة استعباد الأفارقة المشحونين من الطرف الأخر للمحيط إلى عالم لم يعرفوه من قبل ومجتمع ليس لهم فيه قريب أو نسيب. أما الهنود فهذه أرضهم التي يعرفون شعابها وهذا مجتمعهم الذي ينتمون إليه ويتكلمون لغته ويدينون بدينه. ومع ذلك فإن شعب الله ـ لكي يُرضي ربّه وجشعه ـ لم ينس شعيرةَ استعبادِ هذا الكنعاني الملعون. فبعد أن تعذر عليه

استعبادُه مباشرة راح يصطاده ويبيعه في أقاصي الأرض[٢٨]. وقد جرى العرف أن يقتل صيادو الرقيق الأسود معظم البالغين خوفاً منهم ويأسروا النساء والأطفال لشحنهم وبيعهم[٢٩]. هكذا اخترع شعب الله لأهل الأرض حملة ترحيل تبيض ذهباً. كان تفريغ الأرض من أهلها والأرباح الخيالية التي دَرَّها بيع الهنود في أسواق الرقيق (جامايكا وبربادوس بشكل خاص) من الحوافز الإضافية لانتشار سرطان الاستيطان في جسد القارة وازدهار تجارة الرقيق في المجتمع الاستيطاني[٣٠].

كل اقتصاد هذا المستوطن الطفيلي الذي يعيش على أرض الآخرين ورزق الآخرين وحرية الآخرين كان وقفاً على عَرق المستعبدين السود وعذابهم، في الزراعة التي يتولاها المستعبدون السود من البذار إلى الحصاد، وفي الصناعة أيضاً. فصناعة السفن التي ازدهرت على تجارة الرقيق كانت، لسخرية القدر، تُصنع بأيديهم[٣١].

في مقابل المستوطنين الذين لا يتقنون إلا عجرفة القتل والتدمير والتطفل على أرض الآخرين ورزق الآخرين وحرية الآخرين كان المستعبدون اليدَ التي صنعت هذه الإمبراطورية وأقامت وما زالت تقيم صرحها وتصنع رخاءها وازدهارها. وعلى غير ما يشاع فإن الدعوة إلى تحرير «الرقيق السود» لم تظهر لدواعٍ أخلاقية أو إنسانية كما تزعم أيديولوجيا الأكاذيب. فلا فكرة أميركا ولا النظام الاستيطاني يسمحان بمثل هذه التفاهات، ذلك أن العهد الذي أبرمه شعب الله مع ربه يسمو على أخلاق البشر وأعراف البشر ووجود غيرهم من البشر. كل ما كان بنجامين فرانكلين يريده من تحرير «الرقيق السود»، مثلاً، هو الحفاظ على نقاء دم المستوطنين البيض. فهذا «الرجل الذي يقول في السر غير ما يقوله في العلن» كان يريد أن تبقى أميركا خالصة للأوروبيين البيض، وإذا أمكن فللزنابير WASPs البيض الأنكلوسكسون البروتستانت، وهم النواة الصلبة لشعب الله[٣٢]. فِكرةُ «التحرير» إذن لم تظهر لدوافع أخلاقية أو إنسانية، بل ظهرت عندما بدأ

المستوطنون الطفيليون يتوجسون من أن يتحول تكاثر المستعبَدين السود إلى زلزال يدمر المغارة فوق رؤوسهم[٣٣].

وفي هذا يروي المؤرخ والسياسي ريتشارد وِيْد Richard C. Wade عن رحالة إنكليزي قوله:

> إن الأفارقة في المدن تعلموا الكثير، وهذا ما أثار الحذر في نفوس مالكيهم لهذا كانوا يرسلونهم بسرعة كبيرة إلى المستعمرات الزراعية لأنها مثل القبور لا «تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً»[٣٤].

ماذا سيفعل المستوطنون إذن أمام هذا الخطر «الأسود» الذي يهدد وجودهم وأحلامهم؟ لا طفيليتهم التي تعيش على عرق السود وكدّهم تسمح لهم بإبادتهم أو بترحيلهم كما فعلوا بالهنود، ولا بقاء هؤلاء السود وتكاثرهم بمأمون لأنه يشكل خطراً على كل فكرة أميركا.

توماس جفرسون (أحد الآباء المؤسسين) راح يُقَلِّب الأمر بميزان الربح والخسارة. فتكلفة إعادة المستعبَدين السود إلى أفريقيا أكبر من كل ما كانت تُصَدِّرُه الولايات المتحدة سنوياً بخمسة وأربعين ضعفاً، إضافة إلى نفقات النقل الباهظة التي لا طاقة للحكومة بها. (وهذا ما يشي بالأعداد الهائلة من الأفارقة السود الذين استعبدهم شعب الله بعد أن واجه صعوبات جمة في استعباد أهل الأرض الكنعانيين الهنود). لهذا ابتدع جفرسون لهؤلاء الأشقياء حملة إبادة ألطف وأربح. كانت خطته تقتضي انتزاع أطفال السود المستعبَدين من أحضان آبائهم لشحنهم إلى أسواق الرقيق في الوِست إنديز West Indies وبيعهم هناك. أما الكبار فيبقون في العبودية إلى أن يحررهم الموت. وبذلك يتخلص المستوطنون نهائياً من الخطر الأسود ويحافظون على نقاوة لؤلؤهم الأبيض المكنون، ويحققون أرباحاً كبيرة من بيع أطفال السود في أسواق الرقيق. لكن حلم جفرسون لم يتحقق لأنه لم يكن من السهل إقناع السادة مالكي «الرقيق» بالتخلي عنهم،

وخاصة في المستعمرات الزراعية. فلا هم ولا أسرهم جميعاً بقادرين على زراعة هذه الأراضي الشاسعة التي سلبوها من الهنود. حتى جفرسون نفسه لم يكن مستعداً لذلك. ولسخرية القدر راح جفرسون يشتري المزيد من «الرقيق» للحفاظ على نمط حياته الاستيطاني الطفيلي، بل إنه لم يوافق على منع استيراد المزيد من الرقيق إلا لكي يرفع من أسعار أرقائه السود(٣٥).

أمام هذا المأزق أدرك شعب الله أنه بحاجة إلى جيش عرمرم من المستوطنين، لتعزيز السرطان بخلايا سرطانية جديدة؛ بموجات متلاحقة من أبناء الآلهة البيض تتدفق من عالم الطهر والبياض لإنقاذ الصفوة البيضاء من الخطر الأسود وتعينها على غزو المزيد من أرض كنعان.

إنها قارة كاملة من أرض كنعان الطيبة والثروات الهائلة تنتظر تشريف المستوطنين.

٢

عُبّادُ الأرض

مكتبة
t.me/soramnqraa

إلى نهاية الأرض، إلى نهاية الأرض، إلى نهاية الأرض
اقذف بكل الناس أيها الإنسان الأبيض، اقذف بكل الناس
إلى نهاية الأرض.

ـ من أغاني شعب الوينتو (كاليفورنيا اليوم)

أنا آخر من بقي من هنود شونوت
وأنا آخر من يعرف ويحكي لغة شونوت
ما إن أرحل سيرحل معي شعب شونوت ولغته من هذه الأرض.

ـ هندية من شعب شونوت على فراش الموت

لم يكن الاستيطان صفعة للحالمين بالدولة وحسب، بل كان لغماً نَسَفَ وجودَهم الحي قبل أن ينسف الأرض تحت أقدامهم. حاوِلْ أن تزيل الاستيطان من تاريخ أميركا وانظر ماذا يبقى من هذه الدولة في خريطة العالم. كم مِن دولة هندية كانت ستعيش بسلام وأمان في هذه المنطقة التي تسمى اليوم الولايات المتحدة لو لم يفتك بها وباء الاستيطان؛ وكم مِن أمة ستنعم بالحياة من مئات الأمم والشعوب الهندية التي كانت تملأ هذه القارة و «كأن الله أسكن فيها كل خلقه» كما يقول

مطران الرحمة برتولومي دو لاس كاساس Bartolomé de las Casas[٣٦]. لهذا فإن تشخيص هذه الخلية السرطانية التي تفشت في جسد الشمال الأميركي وتحولت إلى أكبر إمبراطورية استيطانية في التاريخ البشري إنما يعني مشاهدة الرحم التي وضعت هذه الإمبراطورية، ويعني (لنا بشكل خاص) لماذا أصبحت للصوص فلسطين مَثَلاً يُحتذى.

تاريخ هذه الإمبراطورية السرطانية، كما ترويه الكتب المدرسية، ليست سوى سلسلة من الأكاذيب المؤدلجة التي حُبكت بعناية لبسط مزيد من الهيمنة على الفقراء والمستضعفين داخل الولايات المتحدة وخارجها. وقد وظَّفَت من أجل ذلك عِلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس ومعظم العلوم الإنسانية، إضافة إلى اللاهوت وأنواع الفنون المختلفة بدءاً من السينما وانتهاءً بالرسم والنحت. كل هذه العلوم والفنون تولت صناعة الجلاد المقدس وشغلت نفسها بطقوس «عبادة الذات» مما صار فناً مستقلاً يُعرف ببلاغيات الإبادة Rhetoric of Extermination.

زائر متحف الغرب الأميركي في لوس أنجلس لا بد أن يتوقف أمام لوحة «مقدسة» طالما تصدرت كتب التاريخ المدرسية بعد أن أصبحت رمزاً وطنياً للاستيطان وتعبيراً عن رعاية القدر المتجلي لزحف هذا الاستيطان من شرق القارة الأميركية إلى غربها؛ لوحة أطلق عليها فنانها جون غاست John Gast اسم «التقدم الأميركي American Progress (١٨٧٢). لكنها أولاً وأخيرا تعبير هوبسي فاضح عن «عبادة الذات» وأكاذيبها المؤدلجة. إنها حافلة بعشرات العناصر التي تصور نهب بلاد الهنود عملاً مجيداً، نبيلاً، مشروعاً، حضارياً، محقاً. في وسط اللوحة صبية ناصعة البياض عليها غلالة بيضاء شفافة، تراها تسبح في الفضاء كملائكة ما يكل انجلو ويسبح في ركابها النور؛ نور الحضارة، والتقدم، والعلم، وتكنولوجيا العصر. إنها «كولومبيا» (الاسم «الدلع» للولايات المتحدة) التي تزحف بالاستيطان نحو الغرب الأميركي المظلم لتخرجه من الظلمات إلى النور.



John Gast, American Progress, 1872, Museum of the American West
لوحة «التقدم الأميركي»، الرمز الوطني للاستيطان و«القدر المتجلي».
(مكتبة الكونغرس، قسم المطبوعات والصور).
Source: Prints and Photographs Division, Library of Congress

كولومبيا التي يتألق فوق جبينها نجم الإمبراطورية تحمل بيمينها كتاباً مدرسياً رمزاً للعلم والمعرفة بينما تسحب بشمالها الرَّخصة البضة أسلاك الخط البرقي رمزاً للتطور الذي يواكب الاستيطان. أما على الأرض التي يتلألأ في شرقها السعيد النور ثم تزداد كآبة وعتمة كلما ابتعدنا غرباً عن سحر «كولومبيا» فقد حشر الفنان كل تناقضات الحضارة المواكبة للمستوطنين والهمجية الهاربة مع الهنود المتوحشين: السفن المتطورة، والجسور المعلقة، والقطارات فخر التكنولوجيا الحديثة. كذلك نرى المستوطنين المسالمين يتقدمون في عرباتهم الملونة الجميلة أو يزرعون الأرض وتتراقص في حقولهم الغزلان أو تجري معهم كلابهم البيضاء اللطيفة (لعلها كلاب ذات دم أزرق أيضاً)، أو يتقدمون بثبات وراء فلول الهنود

العراة المذعورين وهم يفرون من وجه الحضارة إلى قلب العتمة التي لم تشرق عليها أنوار الاستيطان بعد، هم والذئاب والدببة والجواميس والكلاب البرية المكشرة عن أنيابها. . . وغير ذلك من هذه الوحوش والأكاذيب المؤدلجة التي تُحشى بها أدمغة المخبلين. (انظر الصورة)

أساطير التاريخ المنتصر تزعم أن المستوطنين الأوائل كانوا من المضطهدين الذين هاجروا من إنكلترا بحثاً عن الحرية والحياة الأفضل. صحيح أن هؤلاء الحجاج والقديسين الذين كتبوا العهد الأول مع يهوه إنكليزٌ أقحاح، لكنهم لم يأتوا من إنكلترا هرباً من الاضطهاد كما يشاع، وليس في سيرة واحد منهم أنه كان محكوماً أو مضهداً بل جاؤوا من هولندا التي هاجروا إليها أولاً لإنشاء مستوطنة دينية(٣٧)، يدفعهم الجشع والعنف والميكياڤيللية الدينية، ما سحرهم في أميركا، قبل «غواية يهوه» و«لعنة كنعان»، هو الأرض، والقيم النفسية والاجتماعية للمِلكية التي يؤلهها شعب الله ويعتبرها معياراً حضارياً.

> كان الجوع إلى الأرض مستشرياً في كل طبقات المجتمع الإنكليزي. وكانت هذه الأرض من أقوى مغريات الهجرة والمغامرة بالاستيطان، خاصة أن الأرض تمثل لهؤلاء الأمن والأمان والنجاح وأجمل ما في الحياة(٣٨).

ثم إن القوانين الاقطاعية الظالمة التي سنّها البرلمان البريطاني ووضعت شروطاً حصرية ظالمة على استخدام الأرض، وحرمت على العامة الرعي والاحتطاب وجمع القش في الأراضي العامة كانت سبباً إضافياً للوقوع في فخ شركات الهجرة(٣٩).

أما المستوطنات التي كانت حياتها وازدهارها وتوسعها وقفاً على عدد من فيها من «السكاكين الطويلة» و«الرقيق» فإنها كانت تتنافس في عرض المغريات على المؤهلين للاضطلاع بفكرة أميركا، فكرة احتلال أرض الغير واستبدال شعب بشعب وثقافة وتاريخ بثقافة وتاريخ. ففي الجنوب كانت المستوطنات تعرض على

المستوطن الجديد خمسين آكراً (٢٠٢ ألف متر مربع) لقاء هجرته من بريطانيا. ومع كل حفلة صيد جديدة لقرية أو مزرعة أو قبيلة هندية كان المستوطنون يتناهشون لحم الأرض قبل أن تجف دماء المذبحة.

بعد غزوة والنغتون Wallington بكونتكت، مثلاً، حصلت العائلة الواحدة على أرض تراوح مساحتها بين ٢٣٨ آكر (٩٦٣١٥٢متراً مربعاً) و٤٧٦ آكر (مليون و٩٢٦ ألف متر مربع)[٤٠]. وبالطبع، كان المهاجرون الإنكليز يرفضون كل مغريات الاستيطان في المناطق التي تشح فيها الأراضي. لهذا رفضوا الاستيطان في الإنديز البريطانية الغربية British West Indies بمناخها الرائع وفضلوا قسوة الطقس في الشمال الأميركي[٤١]. وقد ظلت الأرض (أرض الغير) على مدى أربعة قرون أصلب أثافي «فكرة أميركا» ـ ظلت مسألةً مركزيةً لهذا التاريخ الذي روى به المستوطنون كل شبر من أراضي أميركا بدم الهنود. هل نستغرب بعد ذلك أن يصف رجال القانون تملّك الأرض بأنه جوهر «الحلم الأميركي»[٤٢]؟

هذا «الحلم الأميركي» الذي نسجه الاستيطان من تراب الأرض المنهوبة ومن عذاب المستعبدين السود هو الذي

> يُعرّفنا كيف ينظر الأميركيون إلى أنفسهم وإلى العالم. فإذا لم تكن ملكية الأرض هي الحلم الأميركي فإنها بالتأكيد مرادف لهذا الحلم. كانت الأرض وما زالت مصدر الطموح والإلهام والكفاح. لهذا صاغوا سياساتهم انطلاقاً من تملك الأرض فكانت هي العيون التي رأوا من خلالها الحرية والمساواة والعلاقة بين الحاكم والمحكوم[٤٣].

ولعل أبرز منجزات «فتح كنعان» هو انتصار مفهوم نهب الأرض وتملكها على المفاهيم البريطانية الجامدة للميراث والملكية العائلية الدائمة هذا الإنجاز هو أحد أبرز ما في شريعة موسى الأميركي وما في القيم الراديكالية التي أرستها «ثورة

الحرامية»[٤٤] فحين تكلم توماس جفرسون عن المستوطنين الذين «يعملون في الأرض [ووصفهم بأنهم] شعب الله المختار the chosen people of God الذين يعطون الحكومة دوامها»[٤٥] إنما عزا فضائلهم الأرضية والسماوية إلى الجوهر الأخلاقي والسعادة التي منحتهم إياها الأرض المنهوبة. إنها لم تمنحهم تحقيق الذات عبر السطو على أراضي الآخرين وحسب، بل إنها أسست لهم وطنيتهم الأميركية nationhood. هذا ما يتعلمه الأطفال الأميركيون في دروس التاريخ الأولى. يتعلمون مناقب أولئك المستوطنين الشجعان الذين تجشموا الصعاب ليتملكوا هذه الأرض اليباب وينقذوها من براثن الوحوش الذين كانوا يعيشون فيها. يتعلمون كيف زحف هؤلاء الأبطال الصناديد وفتحوا مجاهل الغرب الأميركي، ونشروا فيها فضائل الحضارة. يتعلمون كيف عمروها وزرعوها وجنوا فيها ثمار تضحياتهم العظيمة. يتعلمون كيف ينظرون إلى أنفسهم والعالم بعيون توماس هوبس Thomos Hobbes وملاكه السماوي «كولومبيا». الاستيطان كما يتعلمه تلاميذ المدارس هو سِفر تكوين هذه الأمة العظيمة التي اختارها الله. أما المستوطنون فهم المثل الأعلى الذي يجب أن يحتذوه. وفي سياق هذه الأساطير التي تُحشى بها أدمغة المغفلين تتجاهل الكتب المدرسية تلك التفاهات عن ستين مليون أفريقي مستعبد، ولا تأبه لتلك الروايات المتهافتة عن إبادة أكثر من أربعمئة أمة وشعب هندي كانوا يعيشون في حدود هذه الأرض التي تسمى اليوم الولايات المتحدة[٤٦].

يوماً بعد يوم تزداد قناعتي بأن من يسمون الآباء المؤسسين مثل جورج واشنطن George Washington وتوماس جفرسون Thomas Jefferson وبنجامين فرانكلين Benjamin Franklin وتوماس باين Thomas Paines لم يكونوا في هذه الدراما سوى «كومبارس Comparse»، وأن الأب الأعظم لهذه الإمبراطورية الاستيطانية هو «رب الجنود» ونبياه توماس هوبس Thomas Hobbes وجون لوك John Locke[٤٧].

صحيح أن ملحمة الأرض [أرض كنعان] تعشش في ثنايا السرد الأسطوري للماضي الأميركي المجيد[٤٨] إلا أن للأفكار الأميركية عن نهب الأرض تاريخاً خاصاً يبدأ مع بداية تجمع الخلايا السرطانية الثلاث عشرة في دولة اسمها الولايات المتحدة. فمع تزعم توماس جفرسون Thomas Jefferson لما يسمى جمهورية المزارعين [الكيپوتزيم] في يومَن Republic of Yeoman Farmers، ومع كتابات هكتور سان جون دو كريڤكور Hector St. John de Crèvecoeur التي وصف فيها كيف صار أميركياً بفضل الفكرة النيّرة عن ملكية الأرض[٤٩]، نجد دليلاً إضافياً على أن وعد واشنطن بالدولة لم يكن سوى الجزرة التي يلهث وراءها الحمار. إن منزلة ملكية الأرض ونهبها في «الحلم الأميركي» قديمة قدم فكرة أميركا؛ وقديمة قدم فكرة إسرائيل: فكرة احتلال أرض الغير واستبدال شعب بشعب وثقافة وتاريخ بثقافة وتاريخ[٥٠]. **فعبادة الأرض المنهوبة هي جوهر كل ديانة العهد القديم، وأساس كل عالم القيم في فكرة إسرائيل وفكرة أميركا المستنسخة منها.**

أول جيل من المستوطنين لم يعش هذا الحلم الأميركي ولم ينعم، وطنياً، بما عناه جفرسون وكريڤكور عن ملكية الأرض. ففي هذه الأرض الجديدة التي أوهمهم كاتب العهد مع الله وليم برادفورد William Bradford بأن يهوه ينتظرهم على شاطئها بالسمن والعسل وسيحارب معهم ليتملكوها لم يجدوا ما وعدهم ربهم حقاً. فحين رست سفينة هؤلاء الحجاج القديسين على شاطئ كايب كود Cape Cod في أوائل نوڤمبر/ تشرين الثاني ١٦٢٠ لم تكن أميركا وطناً لشعب الله إلا في الأحلام. «لم يكن هناك أحباب وأصدقاء وإخوان يستقبلونهم، وفنادق يريحون فيها أجسادهم. لم تكن لهم فيها فيها بيوت أو مدن يسكنونها. . . إلخ» كما كتب برادفورد William Bradford عن رفاقه الحجاج[٥١]. لقد هددهم شتاؤها القاسي بالموت جوعاً، وتخوف الكثيرون منهم أن يتحولوا إلى أكلة لحوم بشرية، فيما هددهم الصيف بالكوليرا والزحار[٥٢]. وبرغم ذلك كانوا يشاركون إنكليز القرن السابع عشر إيمانهم بأن «هوية المرء هي مرآة الأرض التي

يملكها»[٥٣]، ذلك أن «تملك الأرض من أهم ما يميز الإنكليزي المتمدن عن المتوحشين»[٥٤]!

كان حشيش «فكرة أميركا» وجنون «الاختيار» يوهمهم بأنهم يملكون هذه الأرض [أرض كنعان] منذ أن خلقت هذه الأرض أو كما عبر عن ذلك في القرن العشرين الشاعر الإنكليزي الأميركي روبرت فروست Robert Frost:

الأرض [أميركا] كانت مُلكَنا مِن قبل أن نملكَها

الأرض كانت أرضَنا، قبل أن نصبح أهلَها

بمئة سنة. الأرض كانت أرضَنا...

لكننا كنا أبناء إنكلترا، وكنا لا نزال مستعمِرين

نملك ما كنا لا نملك بعد[٥٥]...

وبرغم ذلك عاشوا فيها خائفين من أن لا يفوا بعهدهم مع الله حين وضعهم في أرض كنعان وأورثهم أرضها وأهلها فاستشرسوا واستفرسوا[٥٦] متخذين من غزو العبرانيين لكنعان الفلسطينية مثالاً لهم، ومن وصايا موسى وصايا لهم: «وأما مدن تلك الشعوب التي يعطيك الرب إلهك إياها ميراثاً، فلا تُبق فيها مخلوقاً يتنفس بل أفنِهم عن بكرة أبيهم»[٥٧]، ما أدى ـ على مدى أربعة قرون ـ إلى ما وصفه المؤرخ داڤيد ستانرد David Stannard بالهولوكست الأميركي American Holocaust وبَيَّنَ كثيراً من جرائمه[٥٨].

ويوماً بعد يوم تبين للهنود أن هؤلاء المستوطنين الغرباء لن يتوقفوا عن العض؛ عض اليد التي أطعمتهم وآوتهم، وأنهم راحوا يهددونهم في حياتهم ورزقهم ولغتهم ودينهم. لكن هذه المصادمات لم ترتق إلى مستوى الحرب... إلى أن أوغل شعب الله في تنفيذ وصايا موسى بأن لا يتركوا «مخلوقاً يتنفس» في أرض

كنعان. عندها نظم هنود المنطقة أنفسهم بقيادة ملكهم ميتاكوم Metacom الذي يسميه الإنكليز الملك فيليب، وذلك في أول مقاومة للشعوب الهندية المهدَّدَة ناراغنست Narragansett ووامپانوغا Wampanogas وألغونكين Algonquin (١٦٧٥)، ما أدى إلى دحر شعب الله وهلاك القسم الأعظم منه وكاد ينتهي برميه في البحر وإيقاظه من أوهام عنصريته وحشيش عهده مع ربه. لقد استطاعت هذه المقاومة تدمير نصف مستوطنات نيو إنكلاند وأكثر من ٢٥ بلدة استعمارية، بما في ذلك معاقلهم وقلاعهم في بروڤيدنس Providence وسبرنغفيلد Springfield[٥٩]. وترى جِل لوپور Jill Lepore (أستاذة التاريخ في هارڤرد) أن الهنود ـ على غير عادتهم في الحروب ـ تعمدوا مهاجمة ملكيات البيوريتانس لعلمهم بما تمثله لهم [من أوثان يعبدونها][٦٠].

ويومها شاع الاعتقاد بين شعب الله بأن هذه الحرب كانت عقاباً من الله لخيانتهم عهدهم معه وإهمالهم لوصاياه بأن لا يتركوا «مخلوقاً يتنفس» في أرض كنعان، كما أنذرهم قبل ذلك ميكائيل ويغلوورث Micael Wigglesworth في واحدة من الردحيات أو الملاحم البكائية jeremiads التي شاعت في أدب تلك السنوات، وعنوانها «خصومة الله مع نيو إنكلاند God's Controversy with New England»[٦١].

أمام هذا الانحدار على الأرض، وفي سبيل أن يلحقوا الهزيمة بالهنود كانت أفاعيهم تجري المفاوضات وتعقد المعاهدات وتمنيهم بالسمن والعسل وتشتري ذمم بعض الهنود المغفلين وتجند بعض المتنصرين منهم[٦٢] بينما كانت جيوش المستوطنين أدمى من الذئاب الجريحة. صار قتل الهنود أشبه بصيد الحمام، بل إنهم وجهوا أول نيرانهم إلى الهنود المتنصرين والمتحالفين معهم (بعد أن أدوا قسطهم للعلى وانتهى دورهم) لإلقاء الرعب في قلوب الهنود الكافرين[٦٣]. أما من لم يُقتل من هؤلاء المبشَّرين بالخلاص فقد صفّدوهم بالأغلال وشحنوهم في

سفينة بعد سفينة لبيعهم رقيقاً في الكاريبي[٦٤]. هناك، مثلاً، وصفٌ موجع لامرأة هندية أطعمها المستوطنون وهي حية للكلاب التي مزقتها والتهمتها[٦٥]، ومشهد سادي لمستوطنين أسروا هندياً عجوزاً، ولما أدركوا أنه لا يصلح للبيع في سوق الرقيق اختلفوا في تقرير مصيره بين من يريد إطعامه للكلاب، أو سلخه حياً... أو... أو. ثم إنهم في النهاية تكرموا عليه بقطع رأسه[٦٦]. أما جيش المستوطنين فإنه ذبح قرى كاملة ومحاها من الوجود[٦٧]، ففي ١٩/١٢/١٦٧٥، عندما أيقنت فرقة الاستكشاف أن قرية كبيرة في سباخ رود آيلاند لم يبق فيها سوى النساء والأطفال، مثلاً، سارع الجنود إلى حرق البيوت وإطلاق النار على كل ما يتحرك إلى أن تحولت القرية إلى كومة من الرماد والجثث المتفحمة. وهذا ما ألهم بنجامين تومبسون Benjamin Tompson شاعر زمانه قصيدة أقتطف منها هذه الأبيات المعبرة:

هنا لا تسمع إلا حشرجة قبيحة

حشرجة الذين تشويهم النيران في الأكواخ

لو أنّا كنا نأكل بشراً لكانت لنا هنا وليمة عامرة[٦٨]

سجلات هذه الحرب تحتفظ بالكثير من شناعات الاستيطان والمستوطنين، فلطالما مثّل هؤلاء الحجاج القديسون بأجساد ضحاياهم وجعلوا منها صُوى وعلامات على الطرقات، ولطالما نصبوا رؤوس الهنود المقطوعة على الرماح والأوتاد ليزينوا بها الساحات والطرقات[٦٩]. وفي هذا يروي قديس الاستيطان إنكريز ماذر Increase Mather ما فعلوه بالملك فيليب (ميتاكوم Metacon) بعد أن قتله عميل هندي نصَّرته هذه الأفاعي البريطانية وجندته ليفعل ما لا طاقة لهم بفعله. ثم إنهم لكي يُرضوا الرب بذبح ملك الهنود كان لا بد من التأسي بما فعله السلف العبراني الصالح بملك العماليق «أجاج»، كما يقول ماذر:

وفي المكان الذي ارتَكَبَ فيه [ميتاكوم] جرائمَه سُحِق، وكما قَطَّعَ [صاموئيل] أجاج [ملك العماليق] أمام الرب، قُطِّعَ جسدُه أربع قطع»[٧٠] ـ تركوها تنتنُ فوق الأرض[٧١].

وكالعادة، راح كهنة المكيافيللية الدينية يبررون هذا القتل وسفك الدم وغير ذلك من الموبقات باتهام ربهم بها وتبرئة أنفسهم. فالقتلة، بهذا المنطق، بشر أخلاقيون طيبون لا يؤذون أحداً، لكن ربهم هو الذي أفسدهم حين أراد. وكل ما فعلوه أنهم أطاعوا أوامره ووصاياه تماماً كما فعل العبرانيون بالعماليق حين أفنوهم عن بكرة أبيهم. ثم إن هناك حكمة إلهية وراء هذا القتل والحرق والدمار ـ سرعان ما اكتشفها هؤلاء الكهنة ـ وهي أن ربهم أفرغ الأرض من أهلها من أجل يستوطنها شعبه[٧٢].

ما قاله إنكريز ماذر عن مسؤولية الكتاب المقدس في حرب الإبادة هو مجرد مثل على هذه المكيافيللية الدينية التي واكبت زحف الاستيطان ورفيقة دربه حرب الإبادة. وبالتأكيد فقد عانت إنسانيتنا وبلادنا من هذه المكيافيللية الدينية أكثر مما عانت من كوارث الطبيعة. فجون وينثروپ John Winthrope كاتب العهد على متن أرابيللا مثلاً يوغل في اتهام ربه بإبادة الهنود ويقول: «إن الله [وليس القتلة أصحاب السكاكين الطويلة هو الذي] أفنى السكان الأصليين... وأفرغ الأرض من سكانها كرامةً [للمستوطنين] البيوريتانس ليسكنوا الأرض»[٧٣]. أما اللاهوتي روجر وِليَمس Roger Wiiliams فبعد أن يتهم ربه بأنه أباد معظم الهنود يتكرم عليه فيُوَلِّيه وظيفةَ «مساعد كاوبوي» في حملة القضاء على الباقي منهم ويقول: «وإنه سيساعدنا في القضاء عليهم نهائياً لتخلو لنا الأرض»[٧٤]. بعض هؤلاء الكهنة لم يتردد في أن يقول مستهتراً ما قاله كهنة اليهود في تسليم السيد المسيح: «ليكن دمهم علينا وعلى أولادنا»[٧٥].

كل ما استخلصه المستوطنون من اندحارهم في الحرب هو أن الله عاقبهم على

ضلالهم وانحرافهم عن عهدهم معه[٧٦] وأنهم بدلاً من أن يصنعوا صهيون أو «مدينة على جبل» في هذه الأرض التي أعطاهم ربهم استسلموا لعالم تحكمه شريعة الشيطان[٧٧]. وهذا ما زاد هوسهم بالأرض والقتل من أجل الأرض[٧٨]، وجعل الالتزام بتملك الأرض يعني لهم تحقيق الذات والتوبة عن الضلال والوفاء بعهدهم مع ربهم، ويعني إبعادَ شبح أصحاب هذه الأرض عن مسرح الوجود[٧٩]. حيث لا دار ولا ديّار، ولا جزرة ولا حمار.

ولتملك الأرض عند الإنكليز صلات طقسية مسكونة دائماً بالعنف وأذى الآخرين [ربما تعود إلى ما قبل دخولهم في المسيحية]، كما تروي إيڤ داريان سميث Eve Darian Smith مديرة الدراسات الدولية في جامعة كاليفورنيا بسانتا باربرة. فهي تروي كيف كان الآباء الإنكليز منذ القرون الوسطى يسوقون أطفالهم حول حدود الأرض التي يتملكونها بالضرب والصفع المؤلم على مؤخراتهم [كما تساق الخيول]، أو يحثون خطاهم بالخبط واللبط حيثما كان من أجسادهم لكي يُذكرهم هذا الألم المبرح دائماً وأبداً بحدود هذه الأرض التي يملكها أبوهم[٨٠]. بل كانوا يغالون في هذا الطقس أحياناً فيضربون أبناءهم بالحصى على رؤوسهم ويدمونهم على طول حدود هذه الأرض لكي لا ينسوا معالمها أبداً[٨١]. وتجمع كل السرديات الخاصة بهذا الطقس على أنه يتم عند نقل الملكية من يد إلى يد، أو عند الإقطاع. ومما يشي بالجذور الوثنية لهذا الطقس أن نقل الملكية لا يتم إلا عند تبادل حفنة من التراب أو مجموعة عيدان، يليه مباشرة مشهد ضرب الأطفال الأبرياء[٨٢].

تعمدتُ سردَ هذا التفصيل الممل للإشارة إلى أن إلحاق الأذى بالأبرياء وإراقة دمائهم كان ـ كما ذهبت المؤرخة إميلي تابُتو Emily Tabuteau ـ من مستلزمات عبادة الأرض عند الإنكليز منذ الغزو النورماني (شعوب الشمال). فالأطفال في هذا المشهد المقزز إنما يقدمون تضحية رمزية عن تاريخ إنكليزي دموي عريق رافق تملك الأرض[٨٣]. وهذا ما أضاف إلى تَأَسّي المستوطنين بالعنف العبراني

مع الكنعانيين بعداً تاريخياً عريقاً مِن العنف الكامن في النفسية الإنكليزية، ساهم في تحويل المستوطن إلى وحش دموي مخالِبُهُ السموات والأرض.

وللأسف لم يكن في ذلك الزمان سلوكيون اجتماعيون social behaviorists يشرحون لهؤلاء الهنود الباحثين عن عسل الأفاعي لماذا لا يمكن انتشال دولة من أشداق هذا الوحش؟

الهوامش

(١) التكوين، ١٧ : ٨

(٢) التكوين، ٢٧ : ٢٩

(٣) Michael T. Lubragge, *Manifest Destiny-The Philosophy that Created a Nation,* (University of Groningen, American Studies), Retrieved December 11, 2007.

(٤) Arthur Bird, *Looking Forward: A Dream of the United States of the Americas in 1999* (New York, L. C. Childs & Sons, 1899), pp. 7-8.

وعبارة بيرد حرفياً هي

«America's Giant Republic, 1999. United States of America - bounded on the north by the North Pole; on the south by the Antarctic Region; on the East by the first chapter of the Book of Genesis and on the west by the Day of Judgment.»

هذا الإيمان بولايات متحدة كونية وحّد كل المتناقضات في الحياة والسياسة الأميركية؛ وحَّدَ الشمال والجنوب، ووحَّدَ الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري (كان يسمى يومها Whig) مع نشوة وخيلاء انتابتا الروح الاستيطانية أمام التوسع الذي راح يبدو لانهائياً، ويتطلع إلى ما بعد القارة الأميركية، وما بعد نجاح الإبادة وتلاشي السكان الأصليين. وهذا أيضاً ما شحن النزعة التوسعية في المستوطنين بمزيد من الجشع والوحشية ومزيد من الدموية ضد السكان الأصليين لتحقيق ما قضاه لهم القدر المتجلي. وفعلاً فقد جاء في رسالة لشارلز إليوت Charles Elliot إلى أبردين Aberdeen أن أخطر ما في الولايات المتحدة هو استيطانها ومستوطنوها.

Charles Elliot to Aberdeen, June 15, 1845, Ephraim Douglas Adams (editor), «British Correspondence Concerning Texas», *Southwestern Historical Quarterly, XX* (October 1916) p.186.

في البداية كانت شهية هذا «القدر المتجلي» مسكونة بالغرب الأميركي، لكنها منذ الحرب الإسبانية (١٨٩٨) وغزو كوبا والفيليبين راحت تتلمظ لحم العالم. هذا ما يعبر عنه قديس التوسع جوسيا سترونغ Josiah Strong حين يقول: «إن للقدر المتجلي هدفاً سياسياً جغرافياً وهو إنشاء الإمبراطورية العالمية». وبذلك تصبح أميركا أعظم إمبراطورية في التاريخ، تقدم لها الأمم والشعوب القرابين كما كان الناس يأخذون الهدايا إلى مهد المسيح.

Josiah Strong, *Our Country: Its Possible Future and Its Present Crisis* (New York, Baker & Taylor for the American Home Missionary Society, 1885), p. 20.

أطرف ما في هذه البارانويا أن الخيال العلمي راح أيضاً يمد أصابع هذا الأخطبوط بين المجرات والنجوم ويقدم لنا ولايات متحدة كونية تصارع أشرار الكون في أعماق الفضاء بإنسانها الأميركي الطيب الخيّر الذكي المتفوق الذي يمثل كوكب الأرض ويتحدث باسم الأرض. انظر في ذلك دراسة طريفة بعنوان «استعمار الكون»؛

Greg Gerwell, «Colonizing the Universe: Science Fiction Then, Now and the

(Imagined) Future,» *Rocky Mountain Review of Language and Literature,* 55:2, (Fall 2001), pp. 25-47.

وبشكل عام، يمكن مراجعة:

John Cheng, *Astounding Wonder: Imagining Science and Science Fiction in Interwar America,* (University of Pennsylvania Press, 2012)

(٥) Conrad Cherry, *God's New Israel, Religious Interpretations of American Destiny* (Chapel Hill, The University of North Carolina Press, 1998), pp. v, 19.

والمؤلف يوضح هذه النقطة في فصل بعنوان Destiny under God فيقول: إن تاريخ [. . .] أميركا هو تاريخ القناعة بأن الأمة الأميركية هي إسرائيل الله الجديدة وشعبه المختار الجديد [. . .] وهذا ما لازم الأميركيين منذ الفترة الاستعمارية [قبل إعلان الولايات المتحدة].

(٦) Christopher B. Coleman, «George Washington and the West,» *Indiana Magazine of History*, Vol. 28, No. 3 (Sep. 1932), p. 151.

(٧) Ibid., p. 160.

(٨) «George Washington to William Crawford,» Mount Vernon, Sep. 21, 1767, J.C, Fitzpatrick, ed, *The Writings of George Washington,* (39 vols., Washington, 1931-1944), II, 467-47.

(٩) افتراس الغرب أو ما يسمى الفوز بالغرب Winning of the west يعني مضاعفة مساحة الولايات المتحدة الوليدة المؤلفة (يومها) من ١٣ مستعمرة عشرين ضعفاً. وهذا ما تم في أقل من مئتي سنة، علماً بأن الاستيطان في ولاية ڤرجينيا مثلاً (ولاية جورج واشنطن) كان يزحف بمعدل خمسين ميلاً في كل جيل، ما يعني أن مسيرة الاستيطان بعد «فتح كنعان» تسارعت عشرين ضعفاً.

Christopher B. Coleman, «George Washington and the West», *Indiana Magazine of History,* Vol. 28, No. 3 (Sep. 1932), p. 151.

وقد كان لواشنطن مساهمة كبيرة في ذلك. فالمضاربة بالعقارات هي هاجس حياته، بل يذهب كريستوفر كولمان Christopher B. Coleman في محاضرة ألقاها أمام جمعية إنديانا التاريخية إلى أن «واشنطن كان واحداً من أكبر أمراء الإقطاع» في هذه المستعمرات التي سميت لاحقاً الولايات المتحدة. وقد دفعه اهتمامه بالغرب إلى تملك مساحات شاسعة على ثغوره وتأجيرها للمستوطنين الجدد.

Ibid.

وفي رسائله وأوراقه بعض الإشارات إلى هذا النهم. ففي ١٧٥٤ مثلاً، وعد الحاكم البريطاني لمستعمرة ڤرجينيا Robert Dinwiddie بأن «يكرم» كل ضابط بخمسة عشر ألف آكر من الأراضي التي يغزونها. وما إن انتهت الحرب واستولى جيش المستعمرة الذي يقوده واشنطن على أراضي الهنود في ما يعرف اليوم بولاية بنسلڤانيا تولى واشنطن بنفسه ملاحقة الحاكم لتنفيذ وعده. وتحكي أوراقه كيف كان يتطلع للحصول على أفضل قطعة من الأرض وفي أسرع وقت ممكن. ففي ٢١ أيلول/ سبتمبر ١٧٦٧ كتب إلى صديقه وليم كراوفورد William Crawford الذي أنشأ

مستوطنة على ثغور الغرب في الطرف الأخر من الجبال يحدد له مواصفات الأرض التي يريدها بجانب تلك المستوطنة، «أرض خصبة، مستوية، غنية»... إلخ.

«George Washington to William Crawford», Mount Vernon, Sep. 21, 1767, J.C, Fitzpatrick, ed, *The Writings of George Washington,* (39 vols., Washington, 1931-1944), II, 467-47.

وهذا ما فعله بعد ذلك أيضاً للحصول على ١٠ آلاف آكر (أكثر من ٤٠ كلم مربع) من أراضي الهنود التي تبرع بها اللورد Dunmore لأبطال الغزو. وقد ظل يتغزل بأراضيه على ثغور الغرب لسنوات طويلة. ففي ١٧٨٤ مثلاً كتب يصف تلك الأراضي وراء الجبال، وهي ٣٠ «ألف آكر (١٢١كلم مربع)، منها عشرة آلاف آكر على نهر أوهايو، والباقي عند Great Kanawah وهو نهر كبير صالح للملاحة. كل هذه الأراضي خصبة، وجميلة جداً بسبب موقعها على أنهار سخية بالسمك، إضافة إلى غناها بأنواع لا حصر لها الطيور والغزلان».

«George Washington to John Witherspoon,» 10 March 1784. Ibid.xxvii: pp. 348-352.

إذا كان لا بد من ترجمة هذه الاستعارات إلى لغة مباشرة، فيمكن القول إن شرارة الثورة قدحت عندما قررت الرأسمالية البريطانية «قصقصة» أجنحة البرجوازية الاستيطانية فوضعت كثيراً من العقبات في وجه الهجرة والتجارة والصناعة، وأصرت على بقاء المستوطنين، موقتاً وإلى أن تهدأ خواطر الهنود، في شريط ساحلي على الأطلسي. أما المستوطنات التي بدأت تتخوف من حصرها في هذا الشريط الساحلي ومن سد أبواب التوسع والارتزاق في وجهها فقد ظنت أنها إذا لم تضع حداً لسلطات لندن فإنها ستعضّهم، إن لم يكن عاجلاً فآجلاً. وبينما كان عدد من زعماء الاستيطان مثل صاموئيل آدامس Samuel Adams (أحد ما يسمى الآباء المؤسسين) يلح على ضرورة «الاستقلال» عن بريطانيا تردد عدد كبير من أمراء الاستيطان في اتّباعه لكن مسألة التوسع في الأرض هي التي حسمت الأمور، في النهاية، لمصلحة «الثورة».

(١٠) Jack Hardy, *The First American Revolution,* (International Publishers, 1937), pp.37-38.

وكانت بريطانيا قد ألحقت كل الغرب الأوسط بكندا، في محاولة لتجميد الزحف إلى عقر «دارها»، فيما كان مستوطنوها الموالون (إخوة المستوطنين المغضوب عليهم) يتابعون نهبهم بإدارتها الأفعوانية. أما أمراء الاستيطان في المستعمرات الزراعية الجنوبية فواجهوا ما يشبه الإفلاس بعد أن أوقفت بريطانيا زحفهم الاستيطاني وضيقت عليهم نظام العبودية، وهذا ما دفعهم في النهاية إلى الاصطفاف مع المتمردين في الشمال.

Ibid., p.12

(١١) See Christopher B. Coleman, «George Washington and the West,» op.cit., pp. 162.

(١٢) Henry Cabot Lodge, *George Washington* (American Statesman Series), Vol. II, p.14.

(١٣) Ibid II, pp.321-322.

(١٤) Richard C. Wade, *The Urban Frontier: The Rise of Western Cities, 1790-1830,* (University of Illinois Press, 1996) p.2.

(١٥) Philips S Foner, *History of the Labor Movement in the United States, From Colonial*

Times to the Founding of the American Federation of Labor, (International Publisher, 1978), Vol.1, pp.182-183.

(١٦) Ibid.

من المآسي الفاجعة لهذه الحرب حماسة المستعبَدين السود لها، إذ بينما كان نخاسوهم يحاربون في سبيل المزيد من أرض الهنود والمزيد من المستعبَدين السود، كان هؤلاء يخوضون حرباً ضد العبودية وينشدون الحرية، إما عبر إطاحة كل أميركا الاستيطانية أو بالهرب منها. هكذا رموا أنفسهم بأيديهم في أشداق الموت. أما الأفاعي الإنكليز الذين لم تكن لديهم قوات عسكرية كافية فأوغروا صدور الهنود والسود على المستوطنين المتمردين ووعدوهم بالسمن والعسل، وهذا ما أطار صواب توم باين Tom Paine (صاحب «عصر العقل The Age of Reason» وأحد الآباء المؤسسين) فرد بغيظ على بريطانيا: «تلك القوة البربرية الجهنمية التي حرضت الهنود والزنوج على تدميرنا».

Tom Paine, «Common Sense,» in *Selected Writings of Thomas Paine,* Robert and Richard Emery, editors (Everybody's Vacation, 1945), p.29.

وقد عرض الطرفان على هؤلاء المستعبَدين مغريات كثيرة ليخوضوا الحرب في صفوفهم بدءاً من التكرم عليهم بالحرية وانتهاءً بإعطائهم قطعاً من الأراضي التي يكسبونها في الحرب. انظر:

Roi Ottley, *Black Odyssey: the Story of the Negro in America* (London, John Murray, 1949), p.63; Benjamin Quarles, *The Negro in the American Revolution,* The University of North Carolina Press (October 30, 1996), pp. 118-119.

حتى اليوم، لا يعلم أحد عدد المستعبَدين الذين فروا وحرروا أنفسهم، لكن سجلات السجون في فرجينيا وكارولينا الجنوبية مثلاً تذكر أن عدد من فروا [من هاتين المستعمرتين] يزيد على خمسين ألفاً لجأ معظمهم لدى إخوانهم الهنود. أما ضحاياهم فحدث ولا حرج. فنسبة الذين ماتوا بالأوبئة من هؤلاء الأشقياء في صفوف البريطانيين مثلاً زادت على خمسين بالمئة منهم.

Ibid., p.30.

(١٧) Washington to James Dwane, Mar 29, 1784, *The Writings of George Washington,* Vol. xxvii, pp.133-136.

(١٨) Clarence Edwin Carter, «Documents Relating to the Mississippi Land Company, 1763-1769,» *The American Historical Review* 16, No. 2 (Jan., 1911), 311-9.

(١٩) See Oscar Handlin, ed., *Reading in American History,* (Alfred A. Knopf, 1957), pp.50-52.

(٢٠) Quoted in Warren Hofstra, «A Parcel of Barbarians and an Uncouth Set of People» in Warren Hofstra, ed, *George Washington and the Virginia Backcountry* (Madison, 1998) p.88

(٢١) Ibid.,

ونص واشنطن هو:

«I lay down before the fire upon a little hay, straw, fodder, or bearskin, which ever is to be had, with man, wife, and children, like a parcel of dogs and cats; and happy is he, who gets the berth nearest the fire».

The Writings of George Washington from the Original Manuscript Sources, 1745-1799, John Clement Fitzpatrick, ed., (U.S. Government Printing Office, 1931), Vol. 1, p. 17.

(٢٢) J. Hector St. John de Crèvecoeur, *Sketches of Eighteenth Century America; More «Letters From an American Farmer»*, edited by Henri L. Bourdin, Ralph H. Gabriel and Stanley T. Williams. (New Haven, Yale University Press; 1925), pp. 88-89.

(٢٣) John Chester Miller, *The First Frontier: Life in Colonial America,* (University Press of America, 1986) p.141.

(٢٤) أنت أمام مزيج خطر من الجشع والعنف والميكيافيللية الدينية، فمعظم هؤلاء المستوطنين المستورَدين حديثاً والمسكونين بأساطير العهد القديم أو الحالمين بالذهب ومُلكٍ لا يفنى كانوا يوافقون على ما يشبه العمل بالسخرة لقاء تكاليف رحلتهم عبر المحيط وهي فترة من «العبودية» المتمدنة «شاعت في بعض المستعمرات الزراعية، تراوح بين أربع سنوات وسبع سنوات كانوا يُسمَّون» خدَماً متعاقدين «indentured servants» وكانوا، بموجب هذا التعاقد، مجبرين على العمل بالسخرة لدى من استوردهم، ووفق شروطه إلى أن يحررهم في نهاية الخدمة وعندما يتحررون يتقاضون كل ما يلزم مغامرتَهم الاستيطانية، إضافة إلى ٥٠ آكر من الأرض المنهوبة. ولكن فيما أثبت هذا المزيج الخطر من الجشع والعنف والميكيافيللية الدينية أنه طريقة مفيدة لتحقيق أهدافه الثلاثة (خدمة الكروش والشركات الاستيطانية، وترسيخ الاستيطان، وخلق حاجة دائمة للتوسع في أراضي الهنود) فإنه أخفق في سد الحاجة إلى قوة عمل ثابتة ودائمة. إذ طالما أن الأرض المنهوبة ميسرة ولا تكلف سوى قتل أهلها أو تشريدهم فإن كل ما يحتاجه العمل الدائم والمثمر في هذه المستوطنات هو استعباد البشر وبالطبع فقد كان أول ضحايا هذا المزيج الخطر من الجشع والعنف والميكيافيللية الدينية هم الكنعانيون الهنود أصحاب الأرض المنهوبة. انظر:

Ran Abramitzky and Fabio Braggio, «Migration and Human Capital: Self-Selection of Indentured Servants to the Americas,» *The Journal of Economic History,* Vol. 66, No. 4, Dec., 2006, pp. 802-905; Abbot Emerson Smith, «The Indentured Servant and Land Speculation in Seventeenth Century Maryland,» *The American Historical Review*, Vol. 40, No. 3, Apr., 1935, pp. 467-479; David W. Galenson, «The Rise and Fall of Indentured Servitude in the Americas: An Economic Analysis,» *The Journal of Economic History,* Vol. 44, No. 1, Mar., 1984, pp.1-26.

(٢٥) كشفت دراسة كيبرمَن Kupperman أرقاماً كارثية عن معدل الموت بينهم في السنوات الأولى، بسبب كسلهم واستهتارهم [وبما فعلوه بأيديهم حين عضوا اليد الهندية التي أكرمتهم]. ففي نهاية السنة الأولى ١٦٠٧ ـ ١٦٠٨ لم يبق من المستوطنين المائة وثمانية [كذا] سوى ثمانية وثلاثين مستوطناً. وكان شتاء ١٦٠٩ القاسي سبباً في مجاعة أدت في ستة أشهر إلى موت ٤٤٠ مستوطناً

من أصل خمسمئة. وعندما راحت شركة فرجينيا، بدم بارد، تضخ ما هب ودب من المستوطنين ما بين ١٦١٩ و ١٦٢٢ ظل معدل الموت عالياً جداً. فقد أرسلت الشركة في هذه السنين الثلاث ٣٥٧٠ مستوطناً لتجعل العدد الإجمالي للمستوطنين ٤٢٧٠ مستوطناً مات منهم أكثر من ثلاثة آلاف. ثم تقول الكاتبة: إن كل حرف أرسل من هذه المستوطنة إلى لندن كان يتحدث عن هلع المستوطنين من ظاهرة الموت الجامحة.

Karen Ordahl Kupperman, «Apathy and Death in Early Jamestown,» *The Journal of American History,* Vol. 66, No. 1 1979, 24-40, p.24.

أمام هذا الموت الجنوني والعبثي لم يعد أمام وحوش الجشع في لندن من سبيل لإقناع السذج بالسفر والمغامرة مع الموت سوى الاستعانة بالميكيافيللية الدينية والكهنة الحاضرين دائماً لخدمة هؤلاء الوحوش وتلبيس السماء ومن في السماء بقذر كروشهم، كما بينت في الفصول السابقة

(٢٦) سأكتفي بذكر ثلاثة مصادر لهذه المآثر العظيمة لمستعمري جيمس تاون.

*Robert Beverley, *The History and Present State of Virginia...,* (Chapel Hill, University of North Carolina Pres, 1947) p. 34-35.

** Russell Thornton. *American Indian Holocaust and Survival:* A Population History Since 1492. (Norman: University of Oklahoma Press, 1987), p. 69.

*** Kenneth C. Davis, *Don't Know Much About History: Everything You Need to Know About American History but Never Learned,* (N. Y. Avon Books 1990), p. 15.

(٢٧) Richard Hofstadter, *America at 1750: A Social Portrait* (New York, Vintage Books,1973), p.99; Roi Ottley, William J. Weatherby, *The Negro in New york, an Informal Social History 1626-1940* (Praeger; Highlighting edition, 1967), pp. 1,3, 11-14.

(٢٨) جنى المستوطنون من بيع الهنود أرباحاً خيالية. بل صار صيد الهنود لبيعهم هدفاً تجارياً لا يختلف عن صيد «كلاب الماء» (انظر فصل «أولاد الأرض العذراء»).

Roxanne Dunbar Ortiz, *Sitting in Judgment on America, The Great Sioux Nation,* (San Francisco: American Indian Treaty Council Information Center, Moon Books, 1977) p. 86.

(٢٩) أرض ما صار يسمى لاحقاً كارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية. ففي العقود الخمسة الأولى لاستيطان كارولينا كان «تصدير» المستعبَدين الهنود أربح تجارات المستوطنات.

Verner Winslow Crane, *The Southern Frontier* (Ann Arbor, University of Michigan Press 1956, ©1929) See Chapter «Carolinian Expansion in the Seventeenth Century, pp.22-46».

أما عدد هؤلاء الهنود المستعبَدين الذين اصطادهم شعب الله وصدّرهم إلى أسواق الرقيق فلا يمكن معرفتها بدقة لكن المؤرخ غاري ناش Gary Nash يذكر في كتابه عن مجتمعات أوائل أميركا أن الأعداد كبيرة جداً ففي سنة ١٧٠٤ مثلاً، صدّرت مدينة شارلستون وحدها ١٢ ألف هندي إلى أسواق الرقيق في الإنديز.

Gary B Nash, *Red, White, and Black: The Peoples of Early America,* (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1974), pp.112-113.

(٣٠) Ibid.

(٣١) وفيما كان المجتمع الاستيطاني كياناً طفيلياً على الأرض والبشر كان المستَعبَدون الأفارقة قادرين على كفاية أنفسهم. ففي ڤرجينيا، مثلاً، كان واضحاً أن الغالبية العظمى من العمال الماهرين (نجارين، قادة سفن، صنّاع براميل، حدادين، عمارين نساجين ونقاشين على الخشب والنحاس وغير ذلك) كانوا من الأفارقة. لم يكن هؤلاء ينتجون ما ينتجون لتلبية حاجات المستعمرات الزراعية وحدها، بل كانوا ينتجون للأسواق التجارية البعيدة.

Robert E and B Katherine Brown, *Virginia 1705-1786: Democracy or Aristocracy* (East Lansing, Mich.: Michigan State University Press, ©1964.), p.22.

وفي الجنوب، مثلاً، كان الكثير من هؤلاء المستعبَدين حرفيين بارعين في اختصاصات لا يتقنها أو يعف عنها المستوطنون في المستعمرات الزراعية. هكذا برزت حوانيت لتأجير الرقيق لفترة معلومة من الوقت لقاء مبلغ معين. بعضهم كانوا يؤجَّرون لأصحاب السفن ليقودوا سفنهم أو يديروا عَبّاراتهم المائية، وبعضهم لإصلاح السفن أو تفريغها أو صناعة أشرعتها... وقد كان لنيويورك نصيب كبير من هؤلاء المهنيين: الخياطين والخبازين والدباغين والصيّاغ وصانعي المفروشات والأحذية والزجاج...

Philip Sheldon Foner, *Labor and the American Revolution* (Westport, Conn.: Greenwood Press, 1976), pp. 8-9.

(٣٢) Richard Hofstadter, *America at 1750*, op. cit. p.4

وانظر في سيرته المخزية مع الرقيق الأسود وكيف كان يتكلم في السر غير ما يقوله في العلن.

Gary B. Nashm, «Franklin and Slavery,» *Proceedings of the American Philosophical Society*, Vol. 150, No. 4 (Dec., 2006), pp.618-635.

(٣٣) كان معدل ولادات الرقيق الأسود أعلى بكثير من ولادات البيض، وأسرع،

Richard C. Wade, *Slavery in the Cities, The South, 1820-1860,* (New York: Oxford University Press, 1964), pp. 1027.

(٣٤) Ibid., p. 264.

(٣٥) Ronald T Takaki, *Iron cages: Race and Culture in Nineteenth-Century America,* (New York: Knopf; 1979), pp.3-4.

بعض ثروة جفرسون كان من الولادات التي وضعتها الإماء السود لديه، بل كان يقول «إن الأمة السوداء» التي تنجب طفلاً كل سنتين أجدى من أفضل رقيق أسود في المزرعة، ذلك أن خصوبة الإماء السود تعني ازدهار المستعمرات الزراعية».

Douglas Southall, Freeman, *George Washington: A Biography,* (New York: Scribner, 1948-[57]), I: pp. 88-89.

وهذا ما يؤكد أن تكاثر الأفارقة السود وتزايد عصيانهم المسلح كان من أسباب الدعوة إلى تحريم «العبودية». (عندما قال توماس لينش Thomas Lynch ممثل كارولينا الجنوبية، أثناء مناقشة

قوانين الاتحاد: «علينا أن لا نفرض ضريبة على الأرقاء لأنهم كالمواشي جزء من الملكية»، أجابه فرانكلين: «إن المواشي لا تقوم بعصيان مسلح».

Roi Ottley, William J. Weatherby, *The Negro in New york,* op. cit., p.57.

(٣٦) Bartolomé de las Casas, *A Short Account of the Destruction of the Indies,* (Penguin Books 1992), p. 11.

كان هناك أكثر من خمسمئة أمة وشعب في هذه المنطقة التي تسمى اليوم الولايات المتحدة، والمصادر التي تتحدث عن هذه الأمم كثيرة. انظر مثلاً:

Alvin M. Josephy Jr., 500 Nations: An *Illustrated History of North American Indians,* (Knopf; 1994), and National Geographic, Rick Hill et al., Indian Nations of North America, (National Geographic 2010).

(٣٧) William Bradford, *Of Plymouth Plantation* (New York, Rutgers University Press, 1952 1952), p. 23.

(٣٨) Mildered Campbell, «Social Origins of Some Early Americans, in James Morton Smith (ed.) *Seventeenth-century America; Essays in Colonial History.* (New York, Norton 1972), p. 82.

(٣٩) «Treasury Papers 47: 9-11,» quoterd in Richard Brandon Morris, *Government and Labor in Early America,* (New York, Columbia University Press, 1946), p 48.

(٤٠) Richard Hofstadter, *America at 1750: A Social Portrait,* op. cit,. pp.11-12.

(٤١) Mildered Campbell, «Social Origins of Some Early Americans,» op. cit., p.83.

(٤٢) Joseph William Singer, «Democratic Estates: Property Law in a Free and Democratic Society,» *Cornell Law Review,* Vol. 94:1009, (2009), p. 1010.

(٤٣) Gregory S. Alexander, «The Social-Obligation Norm in American Property Law,» *Cornell Law Review,* Vol. 94, no. 4 (May 2009), p. 748.

(٤٤) Gordon S. Wood, *The Radicalism of the American Revolution,* (Knopf, ©1991), pp.269-270.

(٤٥) Thomas Jefferson, *Notes on the State of Virginia, With Related Documents,* (Boston, Bedford/St. Martins, ©2002), p. 197.

(٤٦) انظر في هذا المعنى.

Ibid., 197 and Joseph William Singer, «Democratic Estates...» op. cit., p.1020.

(٤٧) Francis Neilson, «Locke's Essays on Property and Natural Law,» *The American Journal of Economics and Sociology,* Vol. 10, No. 3, 1951, pp.269-283; Joseph William Singer, «Democratic Estates...» op. cit., p.1020.

(٤٨) Carol M Rose, Property as Storytelling: Perspectives from Game Theory, Narrative Theory, Feminist Theory», *Yale Journal of Law and the Humanities,* Vol.2, No. 1, P. 38.

(٤٩) J. Hector St. John de Crèvecoeur, *Sketches of Eighteenth Century America;* More «Letters From an American Farmer.» op. cit., p. 27.

(٥٠) منذ ما يسمى عصر الاكتشافات في أواخر القرن الخامس عشر، حاولت القوى الأوروبية أن تحتكر لنفسها حقاً مطلقاً في سلب أراضي الآخرين وأن تضع المعايير التي تضفي الشرعية القانونية على جريمة النهب، بل وأن تضع القواعد لحل النزاعات بينها حول اقتسام لحم هذه الفرائس المكتشفة.

Truyol y Serra, Antonio, «The Discovery of the New World and International Law,» *Toledo Law Review*, No. 43, 1971, pp.305-322.

وقد كان لا بد من مباركة الكنيسة. ولعل أول دليل قاطع على تورط كنيسة تلك الأيام كان في٣ و٥ مايو/ أيار ١٤٩٣ عندما وقع البابا الكسندر السادس أمرين بابويين أعطى بهما ملوك Castille وAragon الحق في تملك الأراضي المكتشفة حديثاً في العالم الجديد ونشر المسيحية بين سكانها.

Paul Gottshalk, *The Earliest Diplomatic Documents of America,* (New York State Historical Society, 1978), p.21.

كانت البداية مع البيانات التي أصدرها البابا إنوسنت Innocent الرابع في الحملة الصليبية السابعة وقد كان البابا إنوسنت مأخوذاً برسائل توما الأكويني Summa Theologica التي تحدد العلاقة بين المسيحيين والكفار في شؤون الدنيا مثل حقوق الملكية. ومع بداية القرن السادس عشر عمل القضاة الإسبان على تطوير هذا التصور الذي أصبح يعرف بعقيدة الاكتشاف Doctrine of Discovery وملحقها الحربي «حق الفتح أو الغزو Right of Conquest». ثم إنه بفضل عدد من الباحثين مثل Franciscus de Vitoria وماتياس دو باز Matias de Paz ظهرت صيغة محدثة ومحكمة من عقيدة الاكتشاف التي سرعان ما صدقها البابا، وذلك لتصبح النقاطُ التالية جزءاً أساسياً من القانون الدولي:

Ibid., p.21

* حق تملك أي أرض مكتشفة، وثبت أنها غير مسكونة [بالأوروبيين البيض] territorium res nullius.
* حق تملك الأرض التي اكتشفها ممثلو التاج يعود إلى السكان الأصليين، لكن الحق في تملك أراضيهم والتجارة معهم يعود فقط إلى المكتشفين في مقابل القوى الأوروبية الأخرى وفي مقابل هذا الحق فإن على المكتشفين نشر المسيحية بين السكان الأصليين.
* لا يحق تملك أراضي السكان الأصليين إلا بموافقتهم، وبموجب بيع وشراء، وليس عبر القوة والعنف إلا إذا رفض السكان الأصليون (١) أن يتاجروا مع ممثلي التاج (٢) أو رفضوا استقبال المبشرين، أو (٣) اعتدوا على مواطني التاج [المستوطنين].
* إذا لم تتوافر هذه الشروط الثلاثة [آخر الفقرة السابقة] فإن استخدام القوة المسلحة لتملك أراضي السكان الأصليين يعتبر ظلماً، والادعاء بحق تملك أراضيهم غير مقبول.
* وفي حال إخلال السكان الأصليين بشرط واحد من الشروط الثلاثة [أعلاه] فإن للتاج الحق في استخدام القوة اللازمة لإخضاع السكان الأصليين وحجز ممتلكاتهم كتعويض. إن تملك الأرض

باستخدام هذه «الحرب العادلة» يعتبر مشروعاً.

وقد كان لكتاب *Concerning the Rule of the Kings of Spain Over the Indians* دور بارز في صياغة مفهوم «الحرب العادلة» التي لم تتوقف الولايات المتحدة عن خوضها يوماً واحداً في الداخل أو في الخارج منذ أن كانت خلية سرطانية في جيمستاون حتى اليوم. ما يسمى ملكية السكان الأصليين aboriginal title (المفهوم الذي صدقت عليه المحكمة العليا) هو تعبير عن نظرة القوى الأوروبية لسكان البلاد المستعمرة باعتبارهم لا وجود لهم يذكر أو لأنهم بلا حضارة، أو لأنهم وثنيون وليسوا مسيحيين، أو لأنهم صيادون وليسوا مزارعين، أو لأنهم وحوش وليسوا بشراً، أو لأنهم لا يملكون «حضارة» أوروبية متطورة في تكنولوجيا السلاح، أو لأن الملك هو الذي يملك كل شيء، أو غير ذلك من هذه الهوبسية Hobbism المعجرفة. هكذا صاغوا حقوق السكان الأصليين في ضوء الصورة التي بناها الخيال الأوروبي لهم ليناسب طموحاته الاستعمارية. إن أصل نظرية «عقيدة الاكتشاف» التي فرضتها القوى الاستعمارية كجزء أساسي من القانون الدولي تتحدث عن مناطق خالية من السكان territorium res nullius كما رأينا، لكن الولايات المتحدة غضت الطرف عن هذا المعنى وتحولت بالنظرية من «بلاد خالية من السكان» إلى كل بلاد وأي بلاد تشاء، وأعطت الأمم والشعوب الهندية صفة «نزلاء occupancy title». وبذلك حالت نهائياً بين الهنود وبين حقهم في ملكية بلادهم ونسفت كل معنى ممكن للدولة الهندية.

(٥١) William Bradford, *Of Plymouth Plantation*, op. cit., pp. 69-70.

(٥٢) Ibid., pp.85-87.

(٥٣) Gregory S. Alexander, «The Social-Obligation Norm,» op. cit., p.8.

(٥٤) Jill Lepore, *The Name of War: King Philip's War and the Origins of American Identity*, (Knopf, 1998), p. xiii.

(٥٥) «The land was ours before we were the land's. She was our land more than a hundred years Before we were her people. She was ours In Massachusetts, in Virginia, But we were England's, still colonials, Possessing what we still were unpossessed by,» Robert Frost, «The Gift Outright» from *The Poetry of Robert Frost*, edited by Edward Connery Lathem. Copyright 1923, © 1969 by Henry Holt and Company, Inc.

(٥٦) عن هذا الهاجس انظر:

Scavan Bercovitch, *The American Jeremiad*, (University of Wisconsin Press, 1978); Richard Slotkin and James K Folsom, *Increase Mather, Puritan Mythology, in So Dreadful a Judgment: Puritan Responses to King Philip's War, 1676-1677*, (Conn.: Wesleyan University Press, 1978). pp.57-62.

(٥٧) «thou shalt save alive nothing that breatheth» (Deuteronomy, 20:16) and «[b]ut thou shalt utterly destroy them» (Deuteronomy, 20:17).

(٥٨) David Stannard, *American Holocaust: Columbus and the Conquest of the New World,* Oxford University Press, 1992.

وقد أشرت إلى كثير من مثل هذه المصادر في أعمال سابقة انظر مثلاً «حق التضحية بالآخر: أميركا والإبادات الجماعية»، وكتاب «لعنة كنعان الإنكليزية أميركا والإبادات الثقافية». كلاهما من منشورات رياض الريس، بيروت.

لهذا فإننا حين نسمع أو نقرأ أن المستوطنين طردوا الهنود أو أجبروهم على الرحيل نعلم أن هذه مجرد عبارات رمزية مهذبة للإشارة إلى حرب إبادة لا تبقي من الهنود الكنعانيين «مخلوقاً يتنفس». هذه الإبادة لم تكن حدثاً عابراً أو مصادفة عفوية، أو أخطاء غير مقصودة، أو أضراراً هامشية يقتضيها تقدم الحضارة الإبادة عمل مقصود ممنهج تعمده المستوطنون بعد أن قدمت لهم السموات والأرض الأخلاق اللازمة لذلك. إنها الحل الوحيد لما يسمى المسألة الهندية فلكي تتحقق فكرة أميركا كان على المستوطنين الغرباء أن يفرغوا البلاد من أهلها. حتى عهد غير بعيد لم تتورع النيويورك تايمز في افتتاحية لها عن القول بأن هؤلاء الذين يعارضون النظام الرأسمالي سوف يُقضى عليهم extinguished كما تم القضاء على هنود أميركا الشمالية.

The New York Times, May 18, 1899.

(٥٩) Jill Lepore, *The Name of War*, op. cit., xi-xii; Jenny Hale Pulsipher, «Massacre at Hurtleberry Hill: Christian Indians and English Authority in Metacom's War,» *The William and Mary Quarterly*, Third Series, Vol. 53, No. 3, Indians and Others in Early America (Jul., 1996), pp. 459-486 See p. 459.

(٦٠) Ibid., p.95.

(٦١) ومع ذلك لم تخل الملحمة من فجور «شعب الله» التقليدي مثل هذه المقاطع (٣٥ ـ ٥٥)؛ مقاطع لا تنم عن الإصرار على وحشية الغزو وعن عزمه على أن لا يبقى في أرض كنعان «مخلوق يتنفس» وحسب، بل أولاً وأخيراً عن المعنى الإسرائيلي لأميركا وتأسي هذا الغزو للعالم الجديد برموز الغزو العبراني كما يسرده العهد القديم:

هؤلاء العماليق الملاعين/ الذين اجترأوا على قتال «إسرائيل الله»/ سُحقوا سحقاً مُريعاً/ لقد حل عليهم غضبك يا يهوه العظيم/ حلّ على هؤلاء الوثنيين/ إن سطوتك الجبارة يا رب/ محقت كل الأمم [الهندية]/ بعضهم اختبأوا خوفاً منك/ في الغابات العظيمة، الغابات الواسعة/ وبعضهم جاؤوا إلى شعبك صاغرين/ يتوسلون ويتضرعون/ وآخرون جاؤوا راغبين في أن يتعلموا/ سبل عرفانك/ هكذا تمدن الذين كانوا برابرة مستفرسين/ وهكذا دخل في دينك من كانوا بهائم أو أشنع من البهائم.

Those curst Amalekites, that first /Lift up their hand on high To fight against Gods Israel, /Were ruin'd fearfully. Thy terrours on the Heathen folk,/ O Great Jehovah, fell: The fame of thy great acts, O Lord,/ Did all the nations quell. Some hid themselves for fear of thee / In forrests wide & great: Some to thy people crouching came, /For favour to entreat. Some were desirous to be taught /The knowledge of thy wayes, Thus were the fierce and barbarous / Brought to civility, And those that liv'd

like beasts (or worse) / To live religiously. From Proceedings of the Massachsetts Historical Society, vol, xii, (1871-1873), pp. 83-93.

(٦٢) مثل مفاوضات ١٤ ـ ٢٥ يونيو ١٦٧٥ حزيران بين الملك فيليب ومستعمرات رود آيلاند Rhode Island وبليموث Plymouth ومساتشوستس Massachusetts، ومعاهدة ١٥ يوليو/ تموز ١٦٧٥ بين هنود ناراغنست Narragansetts ومستعمرة كونتكت Connecricut، ومفاوضات مساتشوستس مع هنود Nipmucks. أما أعظم المغفلين الذين اشتروهم فكان Alderman الهندي المتنصر الذي تجند في صفوفهم وتولى بنفسه قتل الملك فيليب (معلومات مستقاة من محفوظات «جمعية الحروب الاستعمارية في ولاية كونتكت» The Society of Colonial Wars in the State of Connecticut لسنة ١٦٧٥ ومن:

Richard Slotkin and James K Folsom, Increase Mather, Puritan Mythology, in So Dreadful a Judgment., op. cit., 57, 62).

وتروي المؤرخة Jenny Hale Pulsipher أن المستوطنين جندوا كثيراً من الهنود الذين تنصروا في حربهم، وكان لهم دور هائل في إلحاق الأذى بأهلهم الهنود وفي المصير الشنيع للملك الهندي ميتاكوم، الملك فيليب.

Jenny Hale Pulsipher, «Massacre at Hurtleberry Hill: Christian Indians and English Authority in Metacom's War,» op. cit., p. 459.

(٦٣) John Canup, *Out of the wilderness: the emergence of an American identity in colonial New England,* (Wesleyan University Press, ©1990), p. 186.

(٦٤) James D Drake, *King Philip'sWar: Civil War in New England,*. 1675-1676, (Amherst, Universty of Massachusetts Press, 1999), pp.136-139.

(٦٥) Ibid., p. 46.

(٦٦) John Easton, *A Relation of the Indian War, by Mr. Easton, of Rhode Island,* 1675, (Amherst: University of Massachusetts Press,1999), pp. 7. 16.

(٦٧) Jill Lepore, *The Name of War,* op. cit., p.88.

(٦٨) Ibid.

(٦٩) James D Drake, *King Philip'sWar*. op. cit., p.40.

(٧٠) Kristina Bross, «Dying Saints, Vanishing Savages: «Dying Indian Speeches» in Colonial New England Literature,» *Early American Literature,* Vol. 36, No. 3 (2001), p. 325.

تقول الرواية العبرانية عن أجاج ملك العماليق (يقال إنهم قبائل كنعانية كانت تسكن شبه الجزيرة العربية، تزعم الخرافات أنها من نسل شخصيات وهمية ليس لها وجود تاريخي هي عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح): «وضرب شاول عماليق، من حويلة إلى شور التي شرقي مصر، وأخذ أجاج، ملك عماليق، حياً، وذبح شعبه بحد السيف [. . .] وقال صاموئيل «هلم إليَّ بأجاج»، ملك عماليق [. . .] ثم قال له «ما أثكل سيفُك النساءَ، تُثكلُ أمُّك بين النساء». وقَطّع صاموئيل، أجاج أمام الرب في الجلجال (صاموئيل الأول ١٥ : ٧، ٨، ٣٢، ٣٣).

(٧١) James D Drake, *King Philip's War*. op. cit., p.40.

(٧٢) William Hubbard, *A Narrative of the Indian Wars in New-England, from the First Planting thereof in the Year 1607, to the year 1677: Containing a Relation of the Occasions, Rise and Progress of the War with the Indians, in the Southern, Western, Eastern and Northern Parts of Said Country,* (Brattleborough: Published by William Fessenden, 1814), p.234.

(٧٣) Kristina Bross, «Dying Saints, Vanishing Savages,..» op. cit. p. 325.

(٧٤) Roger Williams, *The Correspondence of Roger Williams,* edited by Glenn W LaFantasie et al., (Published for the Rhode Island Historical Society by Brown University Press/University Press of New England, 1988), pp. 721-724.

(٧٥) Jill Lepore, *The Name of War,* op. cit. p. 121.

(٧٦) Richard Slotkin and James K Folsom, *Increase Mather, Puritan Mythology, in So Dreadful a Judgment: Puritan Responses to King Philip's War, 1676-1677,* op. cit., pp. 56, 67-68

(٧٧) Ibid., p.91.

(٧٨) 78 Ibid pp.57-62.

(٧٩) Ibid., 165, 121; Jill Lepore, *The Name of War,* op. cit. p. 175.

(٨٠) Eve Darian Smith, «Beating the Bounds: Law, Identity and Territory in the New Europe,» *in Ethnography in Unstable Places: Everyday Lives in Contexts of Dramatic Political Change,* (Duke University Press, ©2002), p. 249.

(٨١) John Gilbert, Picture Story Book of London; or, City Scenes. with seventy illustrations, (Published by Jarrold & Sons, London, 1866). p. 140.

(٨٢) J John Lawler and Gail Gates Lawler, *A Short Historical Introduction to the Law of Real Property,* (Chicago, Published for the Authors by Foundation Press, 1940), pp.41-42.

(٨٣) Emily Zack Tabuteau, *Transfers of Property in Eleventh-Century Norman Law,* (Chapel Hill: University of North Carolina Press, ©1988), p. 150.

كذلك فإن كثيراً من المؤرخين ربطوا هذه الفظاعات التي تواكب التوسع في الأرض بالذهنية الإنكليزية التي لا تختلف عن ذهنية المتوحشين. وضربوا على ذلك أمثلة كثيرة أهمها غزوهم لإيرلندا وغزوهم للعالم الجديد. انظر مثلاً

Jill Lepore, *The Name of War*, op. cit. pp. 7,8,11; John Canup, *Out of the wilderness: the emergence of an American identity in colonial New England,* op. cit. p. 194.

عن المفاوضات والمعاهدات وأحابيل أخرى

Negotiations, Treaties and Other Wiles

١

وَقِّعْ هنا!

«كل المعاهدات التي وقعتها الولايات المتحدة مع الهنود خرقتها ولم تحترم واحدة منها، ومن المؤكد أن التاريخ لا يعرف أمة ضاهت الولايات المتحدة في خرق المعاهدات. فمنذ البداية كان واضحاً أنها عازمة على أن لا تفي بوعودها.

ـ المفكر الهندي (من شعب لاكوتا) ڤاين دولوريا جنيور

عاهدونا، ووعدونا بالكثير مما لم أعد أحصيه ولا أتذكره، لكنهم لم يحترموا من كل عهودهم ووعودهم إلا واحداً قالوا بأنهم سيأخذون بلادنا منا وقد نفذوا ذلك فعلاً.

ـ الزعيم الهندي رد كلاود (مخپيپا لوتا) 1909 ـ 1822

مسرحية مفاوضات السلام التي دشنتها «شركة فرجينيا الاستعمارية» بتسميم المفاوضين الهنود وقتلهم وتقطيع رؤوسهم لم تنته عند هذا المشهد(١). لم تنته، لا لأنها تدور وفق «قوانين الطبيعة» (وفقاً لهوبس) وخرافات «ما بعد الطبيعة» (وفقاً لعهد المستوطنين مع يهوه) وحسب، بل لأن المفاوضات والمعاهدات حققت لشعب الله ما لم تحققه الحروب وجرائم المستوطنين.

منذ أن هزمت بريطانيا أمام أبنائها «الثوار» الذين أعلنوا ما يسمى استقلال الولايات المتحدة وحتى عام ١٩٠٠ استولى مستوطنو شعب الله على أكثر من ملياري آكر من أراضي الهنود (٣٣ ضعف مساحة بريطانيا «العظمى»). نصف هذه المساحة سلبت في مسرحيات مفاوضات السلام والشراء الاحتيالي[٢] وتدليس مئات المعاهدات التي وقعتها الولايات المتحدة مع الهنود ولم تحترم واحدة منها[٣].

هناك الآن أكثر من دليل على أنها كانت تنوي ذلك منذ اللحظة الأولى[٤]. كذلك هناك سجل كبير ومخجل لأسلحة انتهاك هذه المعاهدات، بدءاً من المفاوضات الاحتيالية وانتهاءً بتجار المفاوضات ومرتزقة السلام وإرهاب القوة الذي يهدف إلى فرض شروط جديدة تنقض المعاهدات القائمة وتستبدلها بمعاهدات احتيالية أدسم، وذلك في دوران دائب للأرض وأهل الأرض تحت حجر طاحون «السلام».

أما الشعوب الهندية التي كانت ترفض طحنها في هذا المسرح العبثي فكان شعب الله الغاضب من هذا الرفض لا يتردد أبداً عن مواجهتها بما يسميه سياسة الإفناء Policy of Extermination بالقوة، وقد تجلى ذلك الإحباط في سلسلة طويلة من المذابح وحملات الترحيل بالإكراه، كما حصل مع الشيروكي وأمم الجنوب الأميركي[٥]. وتجلى أيضاً في التدمير «القانوني» الممنهج لكل مرافق الحياة التي تعتمد عليها هذه الشعوب لتجويعها وكسر مقاومتها وإجبارها على الدخول في مفاوضات، ثم البصم على معاهدات جاهزة لا ينقصها سوى توقيع هؤلاء الكنعانيين الأشقياء، كالمعاهدة التي وقعها هنود دولاوير Delaware وشاوني Shawnees (١٧٦٥)، ولم يعرفوا ما تتضمنه بنودها[٦]. أما التكاليف البشرية التي دفعها الناجون من هذه الإبادات فكانت باهظة جداً، لعل أبرزها أنهم فقدوا القدرة على الاكتفاء الذاتي وصارت لقمة عيشهم وحرياتهم ومصائرهم وقفاً على كرم الغزاة[٧].

كل هذه المعاهدات صيغت بلغة شعب الله الإنكليزي بعد مفاوضات يكتفي فيها الهنود بإلقاء خطب عاطفية بليغة عن الحق والقيم والأخلاق التي لم تكن تعني للمفاوض الإنكليزي شيئاً. وبرغم ضجره وسخريته من هذه الخطب «الطروب» التي تمتد أحياناً لساعات طويلة، فإنه كان يحتفظ ببسمته اللئيمة إلى أن يروي هؤلاء الأشقياء غليلهم بالكلام والعواطف وتحين لحظة وقوعهم في المصيدة المنصوبة: «وَقِّعْ هنا signe here!». «وقع هنا»: كلمتان ينهب شعبُ الله بهما الأرض هما أبلغ عند المفاوض الماكر من كل فن الخطابة وأسمى من كل عالم القيم. «وَقِّعْ هنا» على معاهدات تختلف نصوصها عما جرى التفاوض عليه، أو على كلمات ملتبسة يبرع الإنكليز ببسمتهم الساحرة في حبك شِباكها دائماً. فمعظم المفاوضين الهنود لم يكونوا يعرفون الإنكليزية، أو لم يتوقعوا أنهم يفاوضون ثعابين بشرية عاهدوا ربهم على أن ينهبوا الأرض ويفنوا أهل الأرض وعلى أن يسمو عهدهم معه على كل معاهدات البشر وأخلاق البشر كما افتضح أمر ذلك لاحقاً في تفسير هذه المعاهدات أمام المحاكم(٨).

منذ الاتفاقيات الأولى استغل الغزاة اختلاف الثقافات والقيم أبشع استغلال(٩). هنا يضرب الأكاديمي الهندي أورين ليونس Oren Lyons (من هنود سينيكا Ceneca، إحدى أمم فيدرالية الإركوا) مثلاً على هذا التباين الثقافي فيروي كيف أن الهولنديين حين وصلوا إلى جزيرة مانهاتن Manhattan سألوا أجداده ما إذا كانوا يبيعون هذه الجزيرة. ولم يكن هنود ذلك الزمان يعرفون شيئاً عن البيع والشراء أو كان لديهم تصور لهذين المفهومين، فقد كانت الأرض وما عليها مشاعاً لكل الناس. كل ما فهمه الهنود هو أن «إخوتنا البيض» يريدون العيش في هذه الجزيرة التي يشترك في ملكها جميع الخلق، فأهلاً وسهلاً. لهذا رحبوا بهم وأكرموهم، ولا سيما بعد أن تلقوا منهم هدايا متواضعة حسبوها، لغرارتهم، رمزاً للكرم واللطف. وعندما جاء الهنود بعد فترة للصيد في الجزيرة منعهم الهولنديون وقالوا لهم: أنتم بعتمونا الجزيرة وقبضتم ثمنها. حتى ذلك الوقت لم يكن الهنود

يعرفون معنى البيع، فسألوا الهولنديين: وماذا يعني ذلك[١٠]؟

وهناك تزوير آخر «غيابي» تقتضيه الديمقراطية، ويتولاه الكونغرس. إذ لطالما اشتكى الهنود أمام المحاكم من أن الصيغة التي صدقها الكونغرس من المعاهدة تختلف عن الصيغة التي تفاوضوا عليها[١١]. معظم هذه المعاهدات كانت تتضمن ضرورة تصديق الكونغرس عليها. وكان الكونغرس لا يصدق على المعاهدة إلا بعد تعديل بنودها ومفرداتها انفرادياً. وهذا ما اضطر المحاكم الأميركية إلى أن تعترف به أحياناً، وتقر في أحيان أخرى بأن بعض هذه المعاهدات زعمت أن الهنود وافقوا على ما لم يوافقوا عليه[١٢].

٢

الإبادة بالمعاهدات: نهاية شعب ووطن

إبادة شعوبنا تدق أبوابنا ما لم تجمعنا قضية واحدة ضد عدونا المشترك. إياكم والاعتقاد بأنكم في منجاة من هذا المصير لأنكم مسالمون. أنتم أيضاً ستتطايرون من بلادكم ودياركم كما تتطاير أوراق الأشجار في عواصف الشتاء. فإياكم، إياكم والنوم قريري العين على سلام كاذب وآمال خادعة.

ـ الزعيم الثائر تِكومسِه مخاطباً شعب شكتاو

منذ «فتح كنعان» وتدمير جورج واشنطن للدولة التي وعد بها الهنود، أدرك عدد من زعماء الشعوب الهندية أن الدولة الهندية القوية التي تقضي على سرطان الاستيطان (إن لم تستطع طرد المستوطنين وإعادتهم حيث أتوا) لا تتحقق إلا باتحادهم ومقاومتهم. ونظراً إلى خطر هؤلاء الزعماء على فكرة أميركا، فقد اصطيدوا بدم بارد، واحداً بعد الآخر: ميتاكوم Metacom (أو الملك فيليپ)، برانت Joseph Brant، رِد جاكت Red Jacket، پونتياك Pontiac، وميشي كينيكوا Michikinikwa (ليتل ترتل)... وهم جميعاً من الهنود الألغونكيين الذين واجهوا الموجات الأولى من الغزو وتعرضت شعوبهم للنهب والسلب وأدمى حروب الإبادة[١٣]. لكن فكرة هذا الدولة الواحدة المقاومة التي تضم هنود الشمال

والجنوب لم تنضج إلا مع الزعيم تِكومسِه Tecumseh، زعيم هنود شاوني Shawnees ومؤسس الفيدرالية الهندية التي صارت تعرف باسمه: فيدرالية تِكومسِه Confederacy. كان تِكومسِه يسعى إلى بناء كونفدرالية هندية مقاومة لنهب الأرض ويعمل على صياغة هوية وطنية واحدة لكل الشعوب الهندية في الشمال والجنوب(١٤). وكان بذلك زعيماً قومياً هندياً بالمعنى الحرفي لهذه الزعامة.

حوليات المبشرين، مثلاً، تذكر بشيء من الغيظ أن «هستيريا» تِكومسِه اجتاحت هنود الجنوب كالكريك والشيروكي وتحولت إلى وطنية قوية متعصبة fanatical شديدة المعارضة لسياسة [نهب] الأرض الأميركية ولبرامج [تدمير هندية الهنود ولغاتهم وأديانهم وثقافاتهم وأنظمتهم الاجتماعية باسم] التمدين(١٥). وقد كانت رحلاته إلى الشعوب الهندية الجنوبية (أغسطس ١٨١١ ـ يناير ١٨١٢، بعد أن انضمت إليه أقوى شعوب وقبائل الشمال الغربي (شاوني Shawnees، دولاوير Delawares، إياوا Iowas، ساكس Sacs، فوكس Foxes، سو Sioux، كيكابو Kickapoos وبوتاواتوميس Potawatomis) «أخطر» برنامج سياسي هندي مقاوم واجهه الغزاة منذ تأسيس مستوطنتهم الأولى عام ١٦٠٧.

لم تقتصر رحلة تِكومسِه على أخواله شعب الكريك Creeks، بل شملت معظم هنود الجنوب كالشكتاو Choctaws والشيكاساو Chickasaws والأوساج Osages، خاصة أن أعداد هذه الشعوب أكبر من أعداد أشقائها شعوب الشمال، وكانت تعاني نهباً جشعاً لأراضيها وحصاراً خانقاً لثقافاتها ولغاتها وأديانها، كما تعاني من استعمار داخلي يتمثل في زعمائها الذين صنعتهم الحكومة الأميركية ورهنتهم وضاعتُهم لحمايتها وتموينها(١٦). لهذا أصر على مخاطبة هذه الدمى وتبليغها رسالته الوطنية لعلها تصحو من غفلتها، وكذلك أصر على استنهاض شعوبها لعلها تتحد وتقاوم.

وبرغم معرفته بارتهان زعمائها لحكومة الغزاة فإنه لم ييأس، ولم يهدأ. فرحلته

الأخيرة إلى الجنوب دامت أكثر من ستة أشهر سافر فيها أكثر من ثلاثة آلاف ميل (٤٨٠٠ كم) جالَها في ما صار اليوم ١٢ ولاية أميركية نهبها الاستيطان من أصحابها الهنود، وواجه فيها منطق هؤلاء الزعماء الذين حققوا للغزاة ما لم يستطع الغزاة تحقيقه بالنار والدمار.

ضفة نهر «تومبيغ بي» Tombigbee كانت شاهدة على أقسى عِبَر «السلام مع شعب الله» الذي تُروِّج له دمى «الاستعمار الداخلي». هنا التقى ووفده مع زعماء هنود شكتاو وشيكاساو، وأبرزهم الزعيمان الدميتان پوشماتاها Pushmataha وأپكشونوبي Apukshnnubbee اللذان كانا يتقاضيان راتباً من الحكومة الأميركية Pensioners وفقاً لمعاهدة ١٨٠٥ التي كفلا فيها أمن المستوطنين، وتنازلا عن أجزاء كبيرة من بلادهما، وتلقيا مبالغ مالية مقطوعة مكافأة على تفانيهما في خدمة «السلام»[(١٧)].

هنا على ضفة هذا النهر وقف الزعيم الثائر تِكومسِه أمام عدد كبير من أبناء شعبي شكتاو وشيكاساو وزعمائهم يبين لهم خطر التمزق والاستكانة وخداع الذات، ويدعوهم إلى الوحدة والمقاومة:

> لأننا إذا اتحدنا جميعاً فإننا سنصبح أقوى من [الغزاة] البيض. أما إذا تفرقنا فإننا لن نستطيع مقاومتهم... بل إنهم سيهزموننا ويسرقون أوطاننا ونتناثر كأوراق الخريف في الريح العاتية.
>
> أليست لدينا شجاعة كافية للدفاع عن أوطاننا واستعادة استقلالنا كما كان؟ إلى متى سنبقى نعاني من طغيان هؤلاء الغرباء واستعبادهم؟ هل كتب على بني جنسنا أن لا يتخلصوا من ثالوث الحماقة والاستكانة والجبن؟ ألا تكفينا عبرة الماضي؟انظروا، أين شعوب الناراغنست Narragansett، والموهوك Mohawk، والپوكانوكت Pocanokets وغيرها من شعوبنا وأممنا القوية؟ لقد تلاشت أمام

جشع البيض وطغيانهم كما يتلاشى الثلج تحت أشعة شمس الصيف. انظروا إلى ما كان ذات يوم وطنَهم الجميل. ماذا ترون الآن؟ لا شيء سوى الدمار الذي أنزله به ذوو الوجوه الشاحبة. كذلك سيكون مصيركم يا شعب الشكتاو وشعب الشيكاساو إذا لم نتحد ونقاوم. انظروا إلى أشجار غاباتكم الشاهقة التي لهوتم تحت أغصانها الوارفة أطفالاً، ولعبتم في فيئها فتياناً، وترتاحون اليوم عند جذوعها الظليلة بعد عناء الصيد ـ كلها سوف تُحتَطبُ وتُقَطَّع ليُسَوِّروا بها الأراضي التي لا يستحي الغرباء البيض من الزعم أنها أراضيهم. وغداً سيشقون الطرقات فوق قبور آبائكم ويدرسونها إلى الأبد.

يا إخوتي، أبناء شكتاو وشيكاساو، إن إبادة شعوبنا تدق أبوابنا ما لم تجمعنا قضية واحدة ضد عدونا المشترك. إياكم والاعتقاد أنكم في منجاة من هذا المصير لأنكم مسالمون. إياكم والاستهتار بهذا الخطر الداهم، أو إنكار مصيرنا المشترك. كل أبناء شعوبنا مهددون بأن يكونوا عما قريب مثل أوراق الخريف وقطع الغيم المتناثرة أمام الريح الهوجاء. أنتم أيضاً ستتطايرون من بلادكم ودياركم كما تتطاير أوراق الأشجار في عواصف الشتاء. إياكم والنوم قريري العين على سلام كاذب وآمال خادعة خُلَّب. إن أرضنا الواسعة تفلت من أيدينا يوماً بعد يوم، وإن الغرباء البيض يزدادون جشعاً ونهماً وقسوة وطغياناً وغطرسة. كلما تجدد النزاع بينهم وبين شعوبنا وأريق الدم فإن علينا نحن وحدنا أن نكفّر عن ذلك بحق وبباطل على حساب حياة أعظم زعمائنا ومساحات كبيرة يغتصبونها من بلادنا.

قبل مجيء أصحاب الوجوه الشاحبة إلينا، كنا ننعم بالسعادة وبالحرية المطلقة. لم نكن نعاني من عوز أو طغيان، فكيف هي الحال الآن؟

العوز والطغيان في كل مكان. هل نملك من أمرنا شيئاً؟ ألسنا محكومين في الصغيرة والكبيرة؟ هل نجرؤ على الحركة من غير أن يأذنوا لنا؟ ألسنا نُجَرَّدُ يومياً من الثمالة القليلة الباقية من حرياتنا؟ ألا يلبطوننا ويركلوننا كما يفعلون [بعبيدهم] السود؟ متى سيربطوننا على الأعمدة ليجلدونا ويُسَخِّرونا للعمل في مزارعهم؟ هل ننتظر تلك اللحظة؟ هل نتحد ونقاوم أم نستكين وننتظر ذلك الخزي والعار؟ أليست لنا عيون ترى ما يفعلونه ويخططون له منذ سنوات وسنوات؟ أليس ذلك كافياً لمعرفة ما سيحمله إلينا المستقبل؟ ألن نُطردَ عما قريب من بلادنا بعيداً عن قبور أجدادنا؟ ألن تُنسف عظام موتانا وتتحول قبورنا إلى مزارع لهم؟ هل ننتظر باستهتار إلى أن تزداد أعداهم ونفقد الأمل في المقاومة نهائياً؟ هل ننتظر أن نبادَ ولا نفعل شيئاً لإنقاذ بني جنسنا؟ هل يجب أن نتخلى عن ديارنا وأوطاننا التي وهبنا إياها «الروح الأعظم» [اسم الله عندهم]؛ وأن نتخلى عن كل ما هو عزيز ومقدس دون أن نقاوم؟ أعلم أنكم ستقولون معي أبداً، أبداً. وإذن دعونا نتحد. باتحادنا نهزمهم جميعاً، ونعيدهم حيث أتوا، وهو ما نستطيعه الآن. ليس أمامنا سوى أن نقاوم أو ننتظر الإبادة ماذا تختارون؟ إنني أعلم بماذا ستجيبون، لهذا أستصرخكم يا أبطال شكتاو وأبطال شيكاساو أن تتبنوا القضية العادلة لتحرير بني جنسنا من الغزاة الماكرين الطغاة الذين لا يعرفون الرحمة. فإما أن يتوقف سلب البيض ونهبهم لبلادنا أو إننا نحن أهل هذه البلاد سنُمحى من الوجود وسيُزال جنسنا من على وجه الأرض.

يا أبناء شكتاو وشيكاساو، لقد تحملتم طويلاً أبشع أنواع السلب والقهر على أيدي الأميركيين المتغطرسين، فكفوا عن السذاجة وخداع النفس. إذا كان بينكم من يعتقد أن حقوقه لن يسلبها منه

> الماكرون أصحاب الوجوه الشاحبة، عاجلاً أو آجلاً، فإن جهله يستحق الشفقة، لأنه لا يعلم شيئاً عن هذا العدو. وإذا كان بينكم الليلة من بلغ به الجنون أن يستهين بالقوة المتنامية للبيض بيننا فليعلم أية مهلكة مخيفة سينزلونها ببني جنسنا إذا ما بلغ به استهتاره الاجرامي حد مساعدة العدو في خططه ضد بلادنا جميعاً؟ لهذا أدعوكم للإنصات إلى صوت الواجب، صوت الشرف، صوت الطبيعة، صوت بلادنا المهددة. دعونا نشكل جسداً واحداً وعلى قلب رجل واحد لندافع عن بلادنا وبيوتنا ومزارعنا وحرياتنا وقبور آبائنا. هيا، أسرعوا قبل أن تجدوا أنفسكم عزلاً منفردين، تحت رحمة عدو لا يرحم[١٨].

كل الشهادات المعاصرة تجمع على أن كلمات تِكومسِه الساحرة أيقظت الروح الوطنية في أبناء شعب شكتاو وشيكاساو أو بتعبير السناتور شارل كارتر Charles Carter «المهذب»: «أيقظت كل حماساتهم الهمجية savage enthusiasm التي أطفأها رَدُّ [الزعيم] پوشماتاها Pushmataha الرائع»[١٩]. وفعلاً، فلكي يفند حجج تِكومسِه، بدأ پوشماتاها خطابه بالاعتراف بما سماه «أخطاء البيض» التي راح يهون من شأنها مقارنة بالخير العميم الذي يتكرمون به على الهنود. بل إنه حذر من التهور نظراً إلى اختلال ميزان القوة بين الهنود وشعب الله، ثم راح يمني شعبه بعسل الأفاعي ويذكرهم بأن هؤلاء [المستوطنين] الجيران الطيبين

> يعطوننا الملابس والغذاء وكل ما نحتاجه في حياتنا. وإن صداقتهم لا تقدر بثمن إنهم يأخذون زوجاتنا إلى بيوتهم [للخدمة] ليعلموهن «الحضارة»، ثم إنهم يدفعون لهن الإجرة على خدمتهن. ثم إنهم يعلمون أبناءنا لغتهم قراءة وكتابة، ويعالجون مرضانا وإننا لهذا لا نتفق مع تِكومسِه لأننا نعيش مع [المستوطنين] البيض في صداقة ووئام. نحن شعب مسالم، نحب السلام، ولا نحارب إلا لقضية

عادلة، فأين هي القضية العادلة في الحرب على [المستوطنين] البيض.

لا تنسوا يا أبناء شكتاو وشيكاساو أننا عقدنا مع أبينا الكبير [الرئيس الأميركي] في واشنطن معاهده سلام مقدسة sacred treaty إن الروح الأعظم [الله] سيعاقبنا إذا ما انتهكناها. إن أبانا الكبير في واشنطن لم ينتهك أي معاهدة معنا (!) ما يستوجب أن نرفع السلاح في وجهه. أهكذا نعترف لهم بالجميل؟ أهكذا نكافئهم على ما قدموه لنا من طعام وكساء وعلاج وخدمات. . . استمعوا إلى صوت العقل. الأميركيون ليسوا أعداءً، ولهذا فليس هناك من سبب مشروع لنحاربهم. الحرب التي تفكرون فيها ضد الأميركيين هي انتهاك فاضح لمبادئ العدل والسلام. إنها لطخة عار على شرف شعبكم وآبائكم. أين هي الحاجة والحكمة في محاربة هؤلاء الناس. إياكم، إياكم والتهور. إياكم وانتهاك معاهدة الصداقة المقدسة وكلمات الشرف التي عاهدتم عليها. استمعوا إلى صوت العقل يا أبناء وطني ولا تتهوروا. لهذا قررت أن أدخل إلى جانب أصدقائي [المستوطنين] في هذه الحرب [على تِكومسِه].

ثم توجه إلى تِكومسِه قائلاً:

كفاك شغباً يا تِكومسِه، كفاك. استمع إلي جيداً. لقد جئت إلى هنا كما ذهبت إلى كل مكان لكي تورط شعوبنا المسالمة في مشكلات لا لزوم لها مع جيرانهم. إن أبناء شعبنا ليست لهم مشكلة مع [المستوطنين] البيض. أتعرف لماذا؟ لأنهم ليس لديهم زعيم أناني مثلك. ولهذا فإنهم لا يتعاطفون معك أنا أعلم تاريخك جيداً. أنت رجل مشاغب، طاغية. لهذا قررنا أن نعاقب أي فرد من شعبنا يلتحق بك ويحارب الأميركيين. إن بوشماتاها سينزل به ما تستحق

جريمته من عقاب، أي الموت، إن الأميركيين أصدقاؤنا وسنقف معهم إذا ما حاربتهم. . . فإلى اللقاء يا تكومسه في أرض المعركة[٢٠].

كل ما حذّر منه الزعيم الثائر تِكومسِه شعب شكتاو، وقع. وضفة نهر «تومبيغ بي» Tombigbee التي سمعت كلماته شاهدة حية. فهذا النهر الذي كان يشكل الحدود الشرقية لبلاد الشكتاو افتقد أهله إلى الأبد، إذ لم يمض عقدان على صرخة تِكومسِه ودعوته للوحدة والمقاومة حتى كان شعب شكتاو أول الشعوب الهندية التي قضت نحبها في مسيرة الدموع trail of tears بينما صارت بلاده وبيوته ومزارعه وملاعبه مرتعاً للمستوطنين البيض. أما پوشماتاها فلم يكتف بقتال تكومسه إلى جانب جيش المستوطنين، بل كان من أفتك أسلحتهم في تدمير حلم تكومسه في الدولة الواحدة لكل الشعوب الهندية، وفي مساعدة البيض على إنشاء ولايتين استيطانيتين جديدتين هما ميسيسيپي وأوكلاهوما.

منذ الموجات الأولى كانت بلاد الشكتاو الجميلة مطمع المستوطنين الذين كانوا يَصِفون كل أرض يسلبونها من الهنود بأنها أرض مكتشفة، ذلك لأن ما يسمى عقيدة الاكتشاف doctrine of discovery يبرر هذا السلب بعد أن صار جزءاً من القانون الدولي الاستعماري في تلك الأيام. وهي عقيدة ذات جذور دينية قروسطية؛ عقيدة ترى أن الشعوب والأمم الهندية غير مؤهلة لحكم بلادها لأنها غير مسيحية [أي أوروبية بيضاء] وأن بلادها بذلك مباحة للنهب والاستيطان[٢١].

كان هنود شكتاو يوم عقدوا أول معاهدة مع شعب الله (١٧٨٦) زراعيين بارعين حققوا لأنفسهم اكتفاءً ذاتياً وثروات حيوانية وطبيعية هائلة. ومن سخريات القدر أن أمتهم التي طاردها مستوطنو شعب الله من منفى إلى منفى ثم أبادوها كانت واحدة من الأمم الهندية التي اعترفت الولايات المتحدة باستقلالها وسيادتها على أراضيها ثم تكرمت عليها بشهادة حسن سلوك فوصفتها بالأمم المتحضرة[٢٢].



من قرى الشكتاو في القرن التاسع عشر بريشة فرانسوا برنارد
متحف بيبودي، جامعة هارفرد.
نساء يحضرن صبغة لتلوين أشرطة القصب التي يصنعن منها السلال.
19th century Choctaw Village near the Chefuncte, by Francois Bernard, Peabody Museum - Harvard University.
The women are preparing dye to color cane strips for making baskets.

في تلك السنة، سنة المعاهدة الأولى، كانت شعوبهم الثلاثة (أوكلا فالايا Okla Falaya، أوكلا تاناب Okla Tannap، أوكلا هنالي Okla Hannali) الناجية من سكاكين الإسبان تعيش في أكثر من مئة مدينة وبلدة في أعلى مصبات روافد نهر الميسيسيبي، وهي كل ما بقي لهم من بلادهم الواسعة التي لا يعلم إلا الله منذ متى يعيشون فيها[٢٣].

في هذه المعاهدة الأولى مَنَح هنودُ الشكتاو الولايات المتحدة حق تنظيم التجارة معهم (مادة ٨ من المعاهدة) مقابل حمايتهم من غزو المستوطنين أو من إخضاعهم لقوانين غير قوانينهم ومحاكم غير محاكمهم وحكومات الولايات

المجاورة الطامعة فيهم (المادة ٢). ونصت المادة السادسة على حق الشكتاو في معاقبة كل من يحاول دخول بلادهم أو استيطانها بدون إذن منهم. أما المادة الثالثة فتضمنت موافقة الشكتاو على السماح للتجار الأميركيين بدخول أراضيهم مقابل اعتراف الولايات بحدود بلادهم وسيادتهم عليها[٢٤].

بهذه المعاهدة ظن هنود الشكتاو، ببراءة من لا يعرف المعنى الإسرائيلي لأميركا، أنهم ضمنوا اعتراف الولايات المتحدة بسيادتهم على بلادهم كما ضمنوا تعهدها والتزامها حمايتهم من هجمات مستوطنيها وجشع الولايات المتاخمة لبلادها[٢٥]. أما الولايات المتحدة فزعمت في رسالة من الكونغرس إلى الزعيم الهندي شارل ثومبسون Charles Thompson أن كل ما تريده من المعاهدة هو «التعبير عن رغبة الكونغرس في أن ينشئ علاقات متكافئة مع الشعوب الهندية قائمة على الاحترام المتبادل والعدالة. . . [وكذبات جليلة أخرى]»[٢٦].

وكما كان متوقعاً ويعلمه المفاوضون الأميركيون علم اليقين فإنه قبل أن يجف حبر المعاهدة أعلن مستوطنو الولايات الجنوبية (على تخوم بلاد الشكتاو) رفضهم للمعاهدة ولكل المعاهدات المماثلة المعقودة مع هنود الجنوب، فيما نفض الكونغرس والحكومة الاتحادية أيديهم من التزاماتهم، متذرعين بأنه لا يمكنهم الدخول في حرب مع ولاياتهم الجنوبية، وهي ذريعة اعتبرها المستوطنون بحق شحذاً قانونياً لسكاكينهم الطويلة، ورخصة للزحف والقتل والتهجير والاستيطان.

بعد ١٥ سنة (١٨٠١) مضت على المعاهدة الأولى عقدت حكومة الولايات المتحدة معاهدة صداقة [ثانية] بين الولايات المتحدة وأمة الشكتاو، جرى فيها تعديل حدود بلاد الشكتاو (المادة ٣) تعديلاً فرضه «التمدد الطبيعي للمستوطنات»، فيما التزمت الولايات المتحدة من جديد منع المستوطنين من تجاوز هذه الحدود (مع وقف التنفيذ).

في هذه المعاهدة، نجحت الولايات المتحدة في نصب أخطر مصيدة لأمة

الشتكاو وبلادها حين أقنعتهم بأن يسمحوا لها بشق «طريق [التفافي] للعربات» عبر بلادهم (مادة ٢) مقابل سِلع بألفي دولار (المادة ٥)[٢٧].

«طريق العربات» هذا لم يكن سوى سيل جنوني من المستوطنين المسلحين الذين تدفقوا بأعداد كبيرة طاغية، بحيث لم تمض سنوات قليلة حتى تحولت مستوطناتهم السرطانية في بلاد الشكتاو إلى ولاية أميركية جديدة وافق الكونغرس على تسميتها بولاية ميسيسيبي[٢٨]. هكذا لم تمض ثلاثون سنة على توقيع معاهدة الصداقة الثانية حتى وجد هنود الشكتاو الناجون من سكاكين المستوطنين الطويلة وقد سرقت البلاد من تحت أقدامهم وسيقوا كالأنعام على «طريق العربات» إلى أرض جديدة تبعد مئات الأميال عن بلادهم. بذلك صار الشكتاو أول الشعوب الهندية التي انتهت بها معاهدات الصداقة إلى «مسيرة الدموع Trail of Tears» (موضوع الفصل التالي) حيث مات أكثر من ١٤ بالمئة ممن لم تقتله معاهدات الصداقة بعد[٢٩]. وبالطبع لم يكن اختيار وقت الترحيل عفواً. فالمطر الغزير والعواصف الثلجية اضطرا هؤلاء الأشقياء الحفاة إلى أن يخوضوا في مياه جليدية وصلت إلى الخواصر وينامو على الأرض في درجة حرارة صقيعية وليس عليهم سوى بطانية تحميهم من الثلوج المتراكمة[٣٠].

ما يعصر المآقي لدى قراءة هذه النهاية الحزينة لهنود الشكتاو أن الزعيم الثائر تكومسه Tecumseh حذرهم من سموم معاهدات الصداقة وأخبرهم بما سيحل بهم إذا ما ظلوا على ما هم عليه أوفياء مخلصين يؤمنون فعلاً بصداقة الغزاة. أما زعيمهم پوشماتاها Pushmataha الذي رفض تحذير تكومسه، وأصر على أن الولايات المتحدة وفيّة لأصدقائها ولا تنتهك أية معاهدة فإنه ساق أبناء شعبه، باسم الصداقة، ليقاتلوا إلى جانب جيش الغزاة في حرب ١٨١٢ ضد أنفسهم وضد أهلهم الهنود. هكذا سُكّرت أبصار هم وكأنهم سُحروا ففضلوا «صداقة» المستوطنين الغزاة على مشاركة الزعيم الثائر تِكومسِه Tecumseh في جمع الأمم الهندية في حلف عسكري كان له حظ كبير في أن يطرد المستوطنين نهائياً من أرض

الجنوب ويقيم دولة هندية مستقلة واحدة. كانوا سكارى، وما هم بسكارى، حين ساقهم زعماؤهم الدمى إلى تلك النهاية التي حذرهم تِكومسِه منها. لقد طعنوه في الظهر وأعانوا أعداءهم وأعداءه على القضاء على آخر ثورة هندية وأكبر قوة عسكرية في شمال أميركا كان شعب الله يحسب لها ألف حساب[٣١].

أما الغزاة، فتكريماً لطيش هؤلاء المغفلين عَيّنوا زعيمهم الدمية پوشماتاها جنرالاً في الجيش الأميركي، وأوكلوا إليه مهمة قيادة جيش من أبناء شعبه لمحاربة جيش تِكومسِه والمتحالفين معه في آلاباما[٣٢]. وعندما انتهت الحرب كافأه المجلس التشريعي في ولاية ميسيسيپي بمنحة سنوية قدرها خمسون دولاراً لمدة خمس سنوات، وأهداه طقماً من البنادق قيمته خمسون دولاراً[٣٣]. ثم إنه لما لاقى حتفه في العاصمة واشنطن رثاه السناتور جون راندولف John Randolf في «حرم الكونغرس» نيابة عن الشعب الأميركي الممتن والمعترف بالجميل sincerely grateful American people، بينما مشى في مقدمة جنازته المهيبة الرئيس أندرو جاكسون وهي تتجه إلى مقبرة الكونغرس حيث دفن الجنرال الهندي الأحمر پوشماتاها زعيم هنود شكتاو إلى جانب كل صناديد الاستيطان تقديراً لبطولاته وتفانيه في تحقيق النصر العسكري على المقاومين الهنود[٣٤].

بعد بضع سنوات من تشييع الرئيس جاكسون جنازة پوشماتاها الزعيم المسالم الذي قاد شعبه لمحاربة جيوش المقاومة الهندية مع الأميركيين تولى بنفسه تشييع جنازة شعبه في «مسيرة الدموع» والإعداد لكل أهوالها. لم يكتف جاكسون بهذا القدر من الصداقة والود، بل كافأهم على إخلاصهم بأن غرّمهم نفقات ترحيلهم وأجبرهم علي بيع ما أبقت لهم معاهدات الصداقة والسلام من أرض في شرق الميسيسيپي لتسديد هذه الغرامة، متذرعاً بالبند الثامن عشر من معاهدة الترحيل[٣٥].

ولم يكتف الرئيس جاكسون بهذا القدر من التكريم، فعلى الرغم من أن هؤلاء

الضحايا ـ ضحايا معاهدات الصداقة والسلام ـ أجبروا على بيع ما بقي لهم من أرض بثمن بخس لتسديد نفقات ترحيلهم القسري، فقد قررت حكومة الرئيس جاكسون أن طعامهم الشحيح والمسموم أحياناً وشروط نقلهم في صقيع الشتاء باهظة التكاليف. لهذا طردت متعهدي هذه الجنازة، ضغطاً للنفقات، وأولت المهمة للجيش الذي أنزل شعب الزعيم الصديق پوشماتاها من عربات النقل وأجبرهم على متابعة الرحلة مشياً على الأقدام في انتهاك واضح للبند ١٦ من «معاهدة الصداقة والسلام» الذي ينص على أن الولايات المتحدة وافقت على نقلهم في عربات وبواخر[٣٦]. ولكن إلى أين؟

بدلاً من تعويض المُرحَّلين أرضاً جديدة لقاء بلادهم التي قضمتها معاهدات الصداقة قطعة قطعة فإنهم، في انتهاك فاضح لنصوص المعاهدة، نُقلوا إلى أرض كانوا قد اشتروها من حر مالهم في معاهدة ١٨٢٠ تعويضاً عن خمسة ملايين آكر من بلادهم سلبتها معاهدات الصداقة منهم بالقوة. وكان عذرُ الترحيل أقبح من جريمته، فقد ادعت الولايات المتحدة من جديد أنها عاجزة عن حمايتهم من تسلط حكومة ولاية ميسيسيپي وجشع مستوطنيها كما التزمت لأنها لا تستطيع أن تدخل في حرب مع هذه الولاية التي تعتدي عليهم[٣٧].

وهنا أيضاً، في هذا المنفى الجديد، لم يطل مقام هؤلاء البقية الباقية من هنود شكتاو الذين حاربوا إخوانهم الهنود المقاومين إلى جانب المستوطنين. لقد طاردهم سرطان الاستيطان بعد أن جردهم وهْم السلام مع شعب الله من كل مناعة ومنّاهم زعماء الاستعمار الداخلي بعسل الأفاعي. فقبل أن يكتمل بناء أكواخهم في منفاهم الجديد أجبرتهم الحكومة الأميركية على توقيع آخر معاهدات وجودهم. وفيها فرضت عليهم القبول بعبور سكة الحديد داخل آخر منافيهم [وهي أنموذج بدائي للطرقات الالتفافية][٣٨]. بذلك تدفق المستوطنون مع كل قطار إلى أن أصبح عددهم في أواخر القرن التاسع عشر أضعاف عدد الشكتاو، وراحوا يطالبون بإنشاء ولاية لهم ويلحون على إبادة من بقي من ضحايا «السلام»[٣٩]، ضحايا زعيمهم



بطل السلام بوشماتاها زعيم شعب شكتاو الهندي في ملابس الجنرالات
قاد شعبه لمحاربة المقاومة والوحدة الهندية، وكان له الفضل في تأسيس ولايتين للمستوطنين الغزاة
شيعه الرئيس جاكسون بنفسه ودفنه في مقبرة الكونغرس ثم كافأه بإبادة شعبه.
Pushmataha by Charles Bird King, (1824)
Courtesy Mississippi Department of Archives and History

بوشماتاها الذي قادهم لحرب دمرت حلم الدولة الهندية الواحدة وأنقذت فكرة أميركا من أكبر خطر واجهته في القرن التاسع عشر، وطردتهم من ذاكرة الأرض. بذلك أنجز پوشماتاها Pushmataha كل ما هو مطلوب من معاهدات الصداقة والسلام بين شعب الله والهنود. لقد خدّر هذه الفتاة الغريرة ثم عراها وجلاها

وهيأها لجاكسون ومستوطنيه جاهزةً لحفلة الاغتصاب.

وسأكتفي هنا بشهادتين لرجلين من الكونغرس هما السناتور شارل كارتر Charles Carter وعضو الكونغرس آدم بيرد Adam Byr. الأول يعترف لپوشماتاها وشعب الشكتاو بأن «لهم الفضل في إنشاء ولاية أوكلاهوما وإنقاذ حضارة الإنسان الأبيض من الزوال [في شمال أميركا] على يدي تِكومسِه. أما الثاني فيعترف بأن لپوشماتاها وشعب الشكتاو دوراً في إنقاذ البيض أعظم من كل الرواد الأبطال الذين عرفتهم بلادنا، بما في ذلك الرئيس أندرو جاكسون [الذي فاق جورج واشنطن في «بطولاته»]. فلولاهم لما تمكن [المستوطنون] البيض من إنشاء ولاية ميسيسيپي[٤٠].

واعترافاً منهما بالجميل، فإن هذين الرجلين النبيلين شاركا في جلسة الكونغرس (١٩٠٧) التي لبت نداء هؤلاء المستوطنين الذين استولوا على آخر منفى لشعب شكتاو وأنشأت لهم ما يسمى اليوم ولاية أوكلاهوما، ماحية بذلك من خريطة الأرض آخر أثر طبيعي لشعب كان يعيش في أكثر من مئة مدينة وبلدة عندما عقد شعب الله معه أول معاهدة «صداقة وسلام»[٤١]، وعندما حذرهم تكومسه:

إياكم والاعتقاد بأنكم في منجاة من هذا المصير لأنكم مسالمون.

> إياكم والاستهتار بهذا الخطر الداهم، أو إنكار مصيرنا المشترك. كل أبناء شعوبنا مهددون بأن يكونوا عما قريب مثل أوراق الخريف وقطع الغيم المتناثرة أمام الريح العاصف. أنتم أيضاً ستتطايرون من بلادكم ودياركم كما تتطاير أوراق الأشجار في عواصف الشتاء.

الهوامش

(١) *Records of the Virginia Company of London,* edited by Susan M Kingsbury; Herbert L Osgood, (Washington, United States Government Printing Office, I906-1935), vol. iv, pp. 221-222.

(٢) أرقام حسبت من صور جوية وخرائط ووثائق قانونية وذلك في
Charles C. Royce et al, *Indian land Cessions in the United States,* compiled by Charles C. Royce, with an introduction by Cyrus Thomas, in *2 Eighteenth annual report of the Bureau of American Ethnology to the Secretary of the Smithsonian Institution,* (1899)
ثم إن هناك مليون آكر صودرت بقرار من الكونغرس (خمسة أضعاف مساحة المملكة المتحدة)، و٣٥٠ مليون آكر موزعة الآن في ٤٨ ولاية.
Historical statistics of the United States, colonial times to 1957 (1975), at 457. (United States Census Bureau (Series K 15).

(٣) هناك ٣٧١ معاهدة مصدقة من الكونغرس، وهي مجموعة في
Charles Joseph Kappler, *Indian Treaties, 1778-1883,* (New York: Interland publishing, 1973),
ثم إن المفكر الهندي (من شعب لاكوتا ڤاين دولوريا جنيور) Vine Victor Deloria, Jr. جمع أكثر من ثلاثين معاهدة أخرى مصدقة من الكونغرس، ما يجعل عدد المعاهدات المصدقة التي رمتها الولايات المتحدة في سلة المهملات أكثر من ٤٠٠ معاهدة. كذلك جمع دولوريا مئات المعاهدات التي وقعها مفوضو الحكومة الفيدرالية وسلبت الولايات المتحدة بمقتضاها المزيد من أراضي الهنود على الرغم من عدم تصديق الكونغرس عليها.
Vine Deloria Jr., *Custer Died for Your Sins: An Indian Manifesto,*(University of Oklahoma Press,1988), pp. 28-48.

(٤) Ibid.; Ward Churchill, *Struggle for the Land, Native American Resistance to Genocide Ecocide and Colonialism,* (San Francisco, City Lights, © 2002), n. 38, p. 73, n. 23, p. 400., Vine Deloria Jr., *Custer Died for Your Sins: An Indian Manifesto,*(University of Oklahoma Press,1988), pp. 28-48.
On «policy of Extermination,» see David Svaldi, *Sand Creek and the Rhetoric of Extermination, Case Study in Idian-White Relations.* (University Press Of America, 1989; Bruce Elliot Johansen (ed.) *The Encyclopedia of Native American Legal Tradition* (Greenwood, 1998), pp. 331-332.

(٥) Russell Thornton, «Cherokee Population Losses during the Trail of Tears: A New Perspective and a New Estimate,» *Ethnohistory* Vol. 31, No. 4, Autumn, 1984, pp. 289, 300.

(٦) *Papers of the Continental Congress* (PCC), Group 360, M 243, reel 69, 56,58.

(٧) Tom McHugh, *The Time of the Buffalo* (University of Nebraska Press, 1972), p.285.also George E. Hyde, *A Sioux Chronicle* (The Civilization of the American Indian Series), (University of Oklahoma Press, 1993), p. 195.

(٨) Kristen Carpenter, «Iterpretive Sovereignty: A Research Agenda,» *American Indian Law Review*, Vol. 33, No. 1 (2008/2009), pp. 111-152.

(٩) Peter Nabokov ed., 1991., *Native American Testimony: A Chronicle of Indian-White Relations from Prophecy to the Present*, 1492-1992,(Viking Adult; 1991) at 117-144

(١٠) Kristen Carpenter, «Iterpretive Sovereignty..», op. cit., pp.115-116.

(١١) Ibid., p. 117.

(١٢) Robert B Porter, «Strengthening Tribal Sovereignty Through Peacemaking: How the Anglo-American Legal Tradition Destroys Indigenous Societies,» *Columbia Human Rights Law. Review*. 235 (2O, 1997) pp. 235, 265.

(١٣) J. Wesley Whicker, «Tecumseh and Pushmataha,» *Indiana Magazine of History*, Vol. 18, No. 4 (December, 1922), pp. 315-331.

(١٤) John Sugden, «Early Pan-Indianism; Tecumseh's Tour of the Indian Country, 1811-1812,» *American Indian Quarterly*, Vol. 10, No. 4 (Autumn, 1986), pp. 273-304, p. 274.

(١٥) Ibid., p. 291.

وانظر في حرب تدمير هندية الهنود ولغاتهم وأديانهم وثقافاتهم وأنظمتهم الاجتماعية باسم التمدين منير العكش، لعنة كنعان الإنكليزية، أميركا والإبادات الثقافية، منشورات رياض الريس، بيروت ٢٠٠٩.

(١٦) John Sugden, «Early Pan-Indianism, op. cit., 274,

(١٧) Ibid,. p. 283

(١٨) H. B. Cushman, *History of the Choctaw, Chickasaw and Natchez Indians*, edited and with a foreword by Angie Debo, (Redlands Press: Stilwater, Oklahoma., ©1999.), pp. 248-252.

(١٩) J. Wesley Whicker, «Tecumseh and Pushmataha,» p. 320.

(٢٠) Ibid., pp. 321-322; H. B. Cushman, *History of the Choctaw, Chickasaw and Natchez Indians*, op. cit., 253-257.

(٢١) في عام ١٨٢٣ أعلنت المحكمة العليا أن الأساس القانوني لسلطة الولايات المتحدة على الهنود وبلادهم هو عقيدة الاكتشاف مبرِّرةً ذلك الادعاء بخرافات القرون الوسطى الدينية وما زالت عقيدة الاكتشاف القانون السائد في الولايات المتحدة حتى يومنا هذا. لهذا لا يمكن تحدي هذا الادعاء أمام المحاكم الأميركية. للمزيد من التفاصيل حول هذا «النهب والاستعمار القانوني وجذوره الدينية القروسطية» راجع،

Robert E Wilkins, *American Indian Sovereignty and the U.S. Supreme Court: The Masking of Justice* (University of Texas Press,1997), pp. 27-35.

Richard White, *The Roots of Dependency: Subsistance, Environment, and Social* (٢٢)
Change among the Choctaws, Pawnees, and Navajos, (University of Nebraska Press, 1983), pp. 16-33. Grant Foreman, *Indian Removal: The Emigration of the Five Civilized Tribes of Indians* (University of Oklahoma Press, 1974).

Gregory A. Waselkov, Peter H. Wood, M. Thomas Hatley, Powhatan's *Mantle,* (٢٣)
Indians in the Colonial Southeast, (University of Nebraska Press, 1961), pp. 1-23.

Charles J. Kappler, *Indian Affairs:* Laws and Treaties, (Government Printing Office, (٢٤)
1904), Vol, ii, (Treaties), pp. 11-14.

Sharon O'Brian, *American Indian Tribal Governments,* (University of Oklahoma (٢٥)
Press, 1989), pp. 58, 257-259.

Benjamin Hawkins and Andrew Pickens to Charles Thompson, December 30, 1785, (٢٦)
American State Papers (Indian Affeirs). Vol.II.

A treaty of friendship,... between the United States of America and the Chactaw (٢٧)
nation, Kapplar, *Indian Affairs:* Laws and Treaties, op. cit., pp. 56-58.

Ibid., pp. 310- 319. (٢٨)

Angie Debo, *The Rise and Fall of the Choctaw Republic,* (University of Oklahoma (٢٩)
Press; 1961), p. 56.

Glen Jordan, «Choctaw Colonization in Oclahoma,» in *America's Exiles: Indian* (٣٠)
Colonization in Oklahoma, (Oklahoma City: Oklahoma Historical Society, 1976), p. 31.

H. B. Cushman, *History of the Choctaw, Chickasaw and Natchez Indians...* Edited and (٣١)
with a foreword by Angie Debo, (Redlands Press: Stilwater, Oklahoma., 1962), pp. 242-363.

Ibid., pp. 63, 238, 260-162, 266-267. (٣٢)

«Resolution from State Capitol, Mississippi,» *Chronicles of Oklahoma,* 6, No. 3, (٣٣)
December 1928), pp. 481-482.

Arthur H. Derosier Jr., *The Removal of the Choctaw Indians,*(Knoxville: University of (٣٤)
Tennessee Press, 1970), pp.82-83.

لعشاق السلام مع شعب الله أنصحهم بقراءة سيرة هذا البطل الهندي والتأسي بحكمته لعلهم هم أيضاً يُكرمون بالدفن في مقابر المستوطنين:

Anna Lewis, *Chief Pushmataha: American Patriot: the Story of the Choctaws' Struggle for Survival,* (New York: Exposition Press, ©1959).

Kapplar, *Indian Affairs: Laws and Treaties,* op. cit., p. 314, Peace and Friendship (٣٥)

Treaty with the Choctaw, Sep. 27, 1830 ARTICLE XVIII: «The U.S. shall cause the lands hereby ceded to be surveyed; and surveyors may enter the Choctaw Country for that purpose, conducting themselves properly and disturbing or interrupting none of the Choctaw people. But no person is to be permitted to settle within the nation, or the lands to be sold before the Choctaws shall remove. And for the payment of the several amounts secured in this Treaty, the lands hereby ceded are to remain a fund pledged to that purpose, until the debt shall be provided for and arranged. And further it is agreed, that in the construction of this Treaty wherever well founded doubt shall arise, it shall be construed most favorably towards the Choctaws.»

أما الحكومة الأميركية فباعت هذه الأراضي للمستوطنين و«استوفت» تكاليف الترحيل ثم بلعت الباقي

Glen Jordan, «Choctaw Colonization in Oclahoma,» op. cit., p. 31.

وقد ظل شعب الشكتاو يقاضي الحكومة الأميركية على مدى ثلاثين سنة ويطالب بحرّ ماله ليحصل في النهاية على ثلاثة ملايين دولار لم تكف لتسديد جزء بسيط من أتعاب المحامين

Angie Debo, *The Rise and Fall of the Choctaw Republic,* op. cit., p.p. 203-221.

(٣٦) Kapplar, *Indian Affairs: Laws and Treaties,* op. cit., p. 313, Peace and Friendship Treaty with the Choctaw, Sep. 27, 1830 ARTICLE XVI: «In wagons; and with steam boats as may be found necessary-the U.S. agree to remove the Indians to their new homes at their expense and under the care of discreet and careful persons, who will be kind and brotherly to them.»

(٣٧) Angie Debo, *The Rise and Fall of the Choctaw Republic,* op. cit., p. 49.

(٣٨) Kapplar, *Indian Affairs: Laws and Treaties,* op. cit., p. 918-931.

وجريمة عبور سكة الحديد في أراضي الهنود التي حولتها هوليوود إلى مادة تشنيع لا تختلف أبداً عن الطرق الالتفافية التي شقتها دولة الاحتلال لمستوطنيها.

(٣٩) Angie Debo, *The Rise and Fall of the Choctaw Republic,* op. cit., pp. 245-290.

(٤٠) J. Wesley Whicker, «Tecumseh and Pushmataha,» p. 317- 318.

(٤١) Angie Debo, *The Rise and Fall of the Choctaw Republic,* op. cit., pp. 269-290.

وطن في العالم الآخر

A Homeland in the Afterworld

١

من الحلم إلى الكابوس

إنني ملتزم سياسة أخلاقية إنسانية عادلة تجاه الهنود. وبهذه الروح الأخلاقية الإنسانية العادلة أمرتهم بإخلاء أملاكهم والرحيل إلى الغرب.

ـ الرئيس أندرو جاكسون في رسالة إلى الكابتن James Gadsden

تقول حكومة الولايات المتحدة إنها تريد ترحيل الشيروكي من بلادهم انطلاقاً من موقف إنساني. . . والحقيقة الواضحة أننا لا نرى من هذه الدعوى الإنسانية سوى أن جنسنا يُدَمّر بسياسة الجشع وأرضنا تسلب بقوة السلاح.

ـ من عريضة زعماء الشيروكي إلى مجلس الكونغرس (1836)

الحلم بالوطن [الهندي] تحول إلى كابوس. لقد شاهدت بعيني أكثر من خمسمئة من هؤلاء الهنود يهرعون إلى مستوطنات البيض ليستجْدوا بعض القوت. أما الغالبية العظمى، فإنها انتشرت في البراري وراحت تأكل من أعشاب الأرض.

ـ المبشر توماس جونسون Thomas Johnson.

لم يكن جورج واشنطن آخر من وعد الهنود بالدولة المستقلة ثم نكث وعده، فكل معاهدات الولايات المتحدة (غير التجارية) مع الهنود تضمنت احترام حدود بلاد هذه الشعوب واستقلالها وسيادتها على أراضيها، لكن شعب الله لم يحترم واحدة منها[١]. بعد أقل من نصف قرن على ذلك الوعد وعلى معاهدته (معاهدة فورت پيت Fort Pitt، ١٧٧٦) التي نصت على حق الدولة الهندية المستقلة في أن تكون الولاية ١٤ (إذا رغبت في الانضمام إلى الولايات [الثلاث عشرة] المتحدة) وأن يكون لها ممثلون في مجلس الكونغرس كما هو حال كل ولاية أميركية، تقدم الرئيس أندرو جاكسون Andrew Jackson بمشروع دولة مستقلة للهنود أكثر تفصيلاً و«إنسانية» ونفاقاً.

لا أنبل من العواطف التي برر بها جاكسون مشروع الدولة الهندية المستقلة. كل كلمة في رسائله إلى الكونغرس كانت تنبض بحب الهنود والشفقة عليهم. كان طردُ الهنودِ مما بقي لهم من بلادهم في شرق نهر الميسيسيپي إلى غرب هذا النهر من أسمى عواطف هذا الرئيس وأنبلها. فلكي يكتمل فتح كنعان ويحافظ شعب الله على نقاوة عرقه في «وطن قومي» ليس فيه أثر لأهل البلاد كان لا بد من طرد كل من بقي من الكنعانيين الهنود.

يومها كان نهر الميسيسيپي يشكل الحدود الطبيعية للولايات المتحدة، افتراضياً، ولم يكن هنالك من يظن أن التوسع الاستيطاني غرب هذا النهر ممكناً. يومها كان نصف ما يسمى اليوم الولايات الجنوبية (كل ولاية ميسيسيپي وآلاباما وأربعة أخماس جورجيا وتِنِسي ومعظم كنتكي وأجزاء كبيرة من ولايتي كارولينا الجنوبية والشمالية) في أيدي أصحابها الهنود، لكن السكاكين الطويلة تصنع المعجزات.

في رسالته السنوية السابعة إلى الكونغرس كتب الرئيس جاكسون:

> نحن اليوم على يقين من أن الهنود لا يستطيعون العيش بجوار المتمدنين المرفهين. وصلنا إلى هذه النتيجة بعد أن أخفقت كل

جهودنا ومساعينا التي بذلناها على مدى العصور. . . ليس هناك من يتنكر الآن لما تمليه الأخلاق على حكومة الولايات المتحدة من واجب الحماية والحفاظ على البقايا القليلة المبعثرة من هذا الجنس داخل حدودنا. وللقيام بهذا الواجب فإن أرضاً واسعة في الغرب خُصصت لإقامتهم فيها إلى الأبد. وقد قُسِّمت إلى مناطق ووُزِّعت بينهم. إن كثيراً منهم رحل إليها، وإن آخرين منهم يستعدون الآن للرحيل. وباستثناء الشيروكي ومجموعتين صغيرتين لا تزيدان على ١٥٠٠ شخص تعيشان في أوهايو وإنديانا فإن كل القبائل في شرق الميسيسيبي، من بحيرة ميشيغان [شمالاً] إلى فلوريدا [جنوباً] أبرمت معنا اتفاقاً يؤدي إلى إعادة زرعهم transplantation [هناك].

خطة الترحيل والمأسسة الجديدة هذه تمت بناءً على ما صرنا نعرفه عن شخصيتهم وعاداتهم. وهي خطة أملتها علينا روح الحرية السمحة. لهذا مُنحت كلُّ قبيلة أرضاً أوسع مما تخلت عنه. إن خصب هذه الأرض [الجديدة] ومناخها وقدرتها على استيعاب الجمهور الهندي موائم تماماً. ثم إن ترحيل الهنود تم على نفقة الولايات المتحدة إضافة إلى بعض الزاد والملابس والسلاح والذخيرة وغير ذلك مما يلزمهم. كذلك زودتهم [الولايات المتحدة] بما يلزمهم من مؤونة لسنة كاملة بعد وصولهم إلى وطنهم الجديد.

إننا لم ننس تدبير كل ما يلزم لما يسعدهم مادياً وأخلاقياً، إضافة إلى الإجراءات التي يحتاجها تقدمهم السياسي وعزلهم عن مواطنينا **كما أعطيناهم وعد كونغرس الولايات المتحدة بأن يكون هذا الوطن المخصص لإقامة هؤلاء الناس آمناً ومضموناً لهم إلى الأبد[!].**

لقد خُصص لهم وطن إلى الغرب من ميزوري وأركنساس؛ وطن لا

> **تقتحمه مستوطنات البيض ولا تقام فيه كيانات سياسية غير الكيان الذي يقيمه الهنود لأنفسهم** أو تقيمه لهم الولايات المتحدة، بعد موافقتهم. بذلك أقمنا حاجزاً يحمي الهنود من تغول مواطنينا ويحفظهم بعيداً عن كل الشرور التي أوصلتهم إلى ما هم فيه. . . [الخ][٢].

تفاصيل خطة الترحيل هذه كثيرة مملة ومشبعة بالنفاق والخداع والكذب. نعم، قد يكون لها آلاف المبررات لكن ليس بينها مبرر أخلاقي أو إنساني واحد. إنها في النهاية تطوير لخطة عنصرية استيطانية جشعة عمل عليها الرئيس جاكسون منذ أن كان جنرالاً في الجيش. ولعل أهم تجلياتها رسالته إلى الكونغرس بتاريخ ٨/ ١٢/ ١٨٢٩ التي تنبأ فيها بأن

> مصير الهنود إذا ما ظلوا داخل الولايات المتحدة هو الإبادة، وأن الإنسانية والشرف الوطني يقضيان بذلَ كل الجهود للحيلولة دون تلك الفاجعة [. . .] لهذا أقترح عليكم النظر في إمكانية فرز قطعة أرض مناسبة غرب الميسيسيبي، وخارج حدود أي ولاية [أي في أراضي هنود آخرين بعيداً عن الأراضي التي يحتلها شعب الله] لتعطى لقبائل الهنود ما داموا يسكنون فيها هناك سيكونون في أمان وفي ظل حكومة يختارونها بأنفسهم ولا تخضع للولايات المتحدة إلا [!] عند الضرورة[٣].

لكن خطة طرد الهنود إلى ما وراء الميسيسيبي لم تولد من عدم، فقد افتراها أول من افتراها جورج واشنطن[٤]، ثم أطلق الرئيس الخامس مونرو Monroe ما يشبهها في منتصف عشرينيات ذلك القرن[٥]. كذلك عمل عليها عدد كبير ممن يسمون أصدقاء الهنود[٦]، كان أبرزهم وأنشطهم جون كالهون John Calahoun نائب الرئيس جاكسون ووزير الحرب السابق، والمبشر اسحق مَكّوي Isaac

McCoy الذي نذر عشرين سنة من حياته (بالتنسيق مع إدارة ثلاثة رؤساء؛ مونرو، آدامس، وجاكسون) لمسح أراضي هذه الدولة وراء الميسيسيبي، وتسويق فكرتها للهنود، وتزيين طريق الهجرة بأجنحة الملائكة[٧].

في خريف ١٨٢٥ خطت الحكومة خطوتها العملية الأولى نحو اقتلاع كل هنود الشرق الأميركي من بلادهم وبلاد آبائهم وزرعهم وراء نهر الميسيسيبي في معسكرات موت اسمها الوطن المستقل الجديد. لهذا الهدف اجتمع الجنرال وليم كلارك Williame Clark حاكم مقاطعة الميسيسيبي ولويس كاس Lewis Cass حاكم مقاطعة ميشيغان مع ألف ممثل عن الهنود في Prairie du Chien (عند ملتقى نهر وسكنسن مع نهر الميسيسيبي). وفي هذا الاجتماع «وافق» الهنود على الحدود الجديدة لبلادهم لقاء السلام والأمان وحمايتهم من وحشية المستوطنين[٨]. وكالعادة، لم يكن ذلك سوى خدعة قضم بها الحاكمان أجزاءً كبيرة من أراضي الهنود، فقد كان الهدف الأول من هذه المفاوضات، كما قال الجنرال جون تيبتون John Tipton هو طرد الهنود من بلادهم[٩].

هكذا مضت مسرحية المفاوضات مع شعب الله كما هو مرسوم لها. بدأت برسالة عاطفية من الرئيس مونرو «الأب الأبيض العظيم The Great White Father» أبدى فيها محبته وصداقته للهنود. بعدها، سأل ممثلو الحكومة زعماءَ الهنود عن الأراضي التي يجب عليهم أن يتنازلوا عنها وما إذا كانوا على استعداد للرحيل إلى الغرب [بعيداً عن البلاد التي يحتلها شعب الله]. وفي النهاية طمأنهم الحاكم كاس Cass إلى أنهم إذا تخلوا عن أراضيهم ورحلوا سيرافقهم صديقهم [المبشر] مَكّوي ليختار معهم أرض الوطن الجديد، ويستقر معهم هناك [ليُمَدِّنَهم ويفتح لهم أبواب الخلاص]. ثم حذرهم:

> انظروا ما حولكم! عما قريب ستجدون أنفسكم وحيدين. لقد رحل [هنود] الدولاوير والشاوني، فكونوا عاقلين، وارحلوا[١٠].

الوطن الهندي المستقل، كما عرضه مَكّوي وسمّاه «كنعان» كان أشبه بحصان طروادة استيطاني في أراضي الهنود غرب الميسيسيبي. إذ سرعان ما اتضح أن حلم الدولة في الغرب لم يكن سوى كابوس لا يختلف عن كوابيس الشرق، ولا بد من أن يصبح هذا «الوطن الأبدي» للهنود جزءاً من الولايات المتحدة [كما يقول]. . . يبدأ بمستوطنة على غرار مستوطنات الغزاة، ثم يتحول إلى ولاية يسميها «كنعان الهندية Indian Canaan»(١١)، وسيبقى دائماً وأبداً مرتعاً للتمدين والتبشير ليفعم الهنود بالروح الأميركية ويُفْتَنوا بعصر الأنوار الذي تجسده الولايات المتحدة. أما القوانين والوظائف اللازمة لإدارة حياة الهنود فستُعدها لهم الحكومة الفيدرالية. بذلك سيبقون في هذا الوطن إلى الأبد دون أن يجبرهم أحد على الرحيل أو البيع إلا [!] بعد موافقتهم(١٢). ومع ذلك تبقى السيطرة الكاملة على هذه «الدولة المستقلة، [دولة كنعان الهندية]» للرئيس الأميركي ووزير الحرب(١٣)!

معظم هذه الأفكار عن الدولة الموعودة يعرضها مَكّوي في كتيبٍ بليغِ العنوان هو: «ملاحظات إجرائية حول الإصلاح الهندي: كيف يتقبلون استعمارهم بسرور». ثم يُفصح عن وسيلة هذا الإصلاح في فصل خاص بعنوان: «الخطة الإجرائية الوحيدة لإصلاح الهنود هي استعمارهم»(١٤).

حتى خطة مكوي لاستعمار الهنود في دولتهم الموعودة لم تكن مغرية لشعب الله في ذلك العصر الجاكسوني، عصر التهجير البطولي بامتياز. إنها لا تزال خطراً على نقاوة هذا الشعب في إسرائيله الجديدة وتقصيراً في فتح كنعان وخيانة للعهد الذي أبرمه مع ربه. كل ما كان الرئيس جاكسون وأحبابُه المستوطنون يعنيهم من فكرة الدولة ـ باستعمار أو دون استعمار ـ هو تطهير إسرائيلهم من الكنعانيين الهنود باقتلاع هؤلاء الأشقياء الذين ما زالوا صامدين في بلادهم وترحيلهم بعيداً إلى بلاد إخوان لهم وراء النهر. أما الباقي فتتعهده سكاكينهم الطويلة لاحقاً حين تينع رؤوسهم ورؤوس إخوانهم هناك. بل إن وزارة الحرب نفسها كانت تعلم أن كل فكرة الدولة الهندية، «كنعان الهندية»، (كما عبر عن ذلك المفوض

إدوين جيمس Edwin James لمَكّوي) «مشروع طوباوي. لأن زوال الهنود أمر حتمي، وكل ما نستطيع أن نفعله لهم هو أن نحفر لهم قبوراً»[١٥].

كثير من المؤرخين نسجوا من تفاصيل سياسة جاكسون الهندية ما سموه نظرية الشيطان devil theory[١٦]. فهم يرونه واحداً من رجال الثغور [المهووسين بالقتل][١٧]، ويعتبرونه أحد أكثر محاربي الهنود شراسة، وأكثر مبغضيهم تعصباً، ويتفقون على أنه كان محامياً عنيداً عن سياسة تهجير الهنود[١٨].

في هذا السياق يرسم المؤرخ داڤيد ستانرد David Stannard وجهاً مشرقاً لجاكسون فيقول:

> في عام ١٨٢٨ انتخب أندرو جاكسون رئيساً؛ جاكسون الذي كتب مرةً «لا بد من جَلْد كل فرد من أمة الشيروكي»؛ جاكسون الذي قاد الجيوش ضد الهنود المسالمين ووصفهم بأنهم «كلاب برية»؛ جاكسون الذي يتبجح بالقول دائماً: «إنني أحتفظ بفروات رؤوس كل من أقتلهم»؛ جاكسون الذي كان يرعى بنفسه حملة سلخ وتقطيع جثث الرجال والنساء والأطفال الذين يذبحهم هو ورجاله؛ أندرو جاكسون هذا هو نفسه الذي ظل بعد انتهاء رئاسته يوصي الجيوش الأميركية بأن لا تتوقف عن مطاردة الهنود وقتلهم في مخابئهم رجالاً ونساء وأطفالاً لاستكمال إبادتهم[١٩].

أندرو جاكسون الذي ينتصب تمثاله اليوم أمام البيت الأبيض متقلداً سيفه وممتطياً حصانه الجامح نحو السماء، محاطاً بمدافعه التي أباد بها شعوباً بأكملها؛ أو هجَّرها إلى وطنها الخالد في العالم الآخر، جاكسون هذا كان ولا يزال واحداً من أبرز وجوه ما يسمى مجمع الآلهة الوطني national pantheon الذي يضم مجموعة من الأساطير المؤلّهة. هذا المجمع الذي يقدسه الدين المدني الأميركي اليوم هو شكل آخر من الأوليمپ السماوي الذي يسمو فوق التاريخ ويغْنِي عقول

الأميركيين وقلوبهم، على مر العصور، بالقيم والفضائل الوطنية العظيمة التي يجسدونها. إنهم «الآلهة» الذين خلقوا إسرائيل الله الجديدة God's new Israel وأتمّوا فتح كنعان في تسعين سنة (١٧٧٦ ـ ١٨٦٥) هي العصر الذهبي لهذه الأساطير المؤلهة[٢٠]. أما منزلته في هذا المجمع فتأتي بعد ثلاثة من أكبر آلهة هذا المجمع: جورج واشنطن المحارب فاتح كنعان ومؤسس الرئاسة (انظر فصل «فتح كنعان»)، وتوماس جفرسون رمز الحكمة الديمقراطية، ثم أبراهام لنكولن المسيح الديمقراطي democratic Christ-Figure. أما جاكسون، فقد نال العرش الرابع في هذا المجمع الإلهي لأنه ـ باسم «الدولة الموعودة» ـ طهَّرَ «إسرائيل الله الجديدة» مِن كل مَن بقي فيها من «الكلاب البرية» فقتل من قتل منهم وهَجَّر الآخرين إلى ما وراء الميسيسيپي. وعلى الرغم من منزلته الرفيعة في هذا المجمع فإن عرشه حائر بين السماء والأرض[٢١]. هكذا يصفه أول كاتب لسيرته فيقول:

> كان وطنياً خائناً. كان واحداً من أعظم الجنرالات وكان جاهلاً بفن الحرب. كان كاتباً بليغاً لامعاً دون أن يتمكن من كتابة جملة صحيحة أو أن يتهجى كلمة من أربعة حروف. كان من أنزه خلق الله وكان لا يتورع عن أبشع أنواع الرياء والكذب والخداع. كان ديمقراطياً وكان مستبداً. كان وحشاً مدنياً وكان قديساً سَفّاحاً[٢٢].

بهذه الخصال التي حملته إلى مجمع الآلهة الأميركي أضفى جاكسون على معالم تطهير كل شرق الميسيسيپي ممن بقي فيه من الهنود أنبل العواطف الإنسانية كما جاء في رسالته إلى الكابتن James Gadsden.

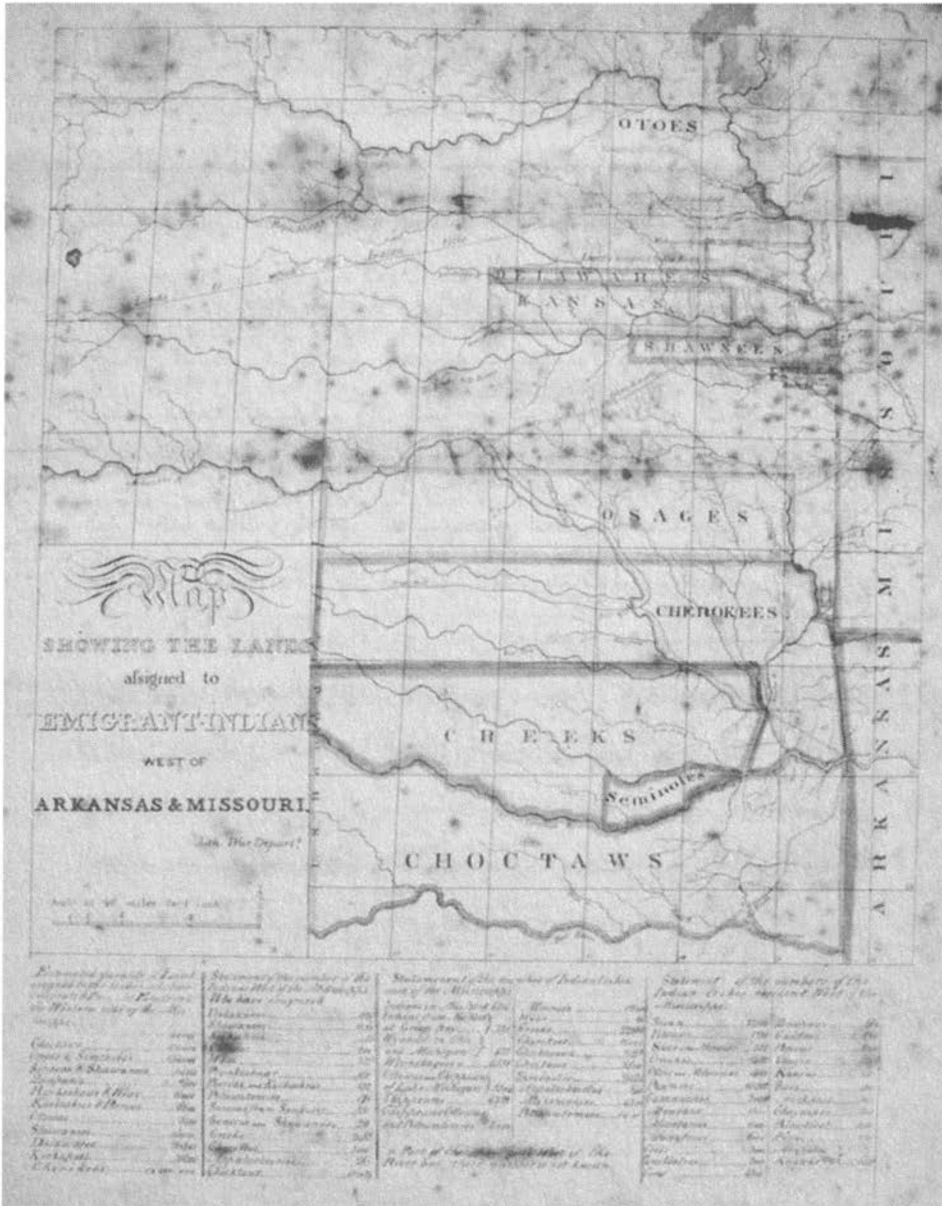
> إنني ملتزم سياسة أخلاقية إنسانية عادلة تجاه الهنود. وبهذه الروح الأخلاقية الإنسانية العادلة أمرتهم بإخلاء أملاكهم على هذا الطرف من الميسيسيپي والرحيل إلى الغرب[٢٣].

وفي رسالة أخرى إلى هنود الكريك Creek الذين أبادهم لاحقا يقول:

بإذن الروح الأعظم[٢٤] في الأعالي وباسم الشعب... أخاطبكم الآن ـ أنا والدكم وصديقكم ـ وأسألكم الإصغاء إلى ما سأقول... أنتم تعلمون أنني أحب أبنائي البيض والحمر وأنني صريح معهم لا أتكلم بلسانين مختلفين بل أقول لهم الحقيقة دائماً.

يا أصدقائي وإخوتي، اسمعوني جيداً. إنكم حيث تعيشون الآن أنتم وأبنائي البيض قريباً من بعضكم لا تعيشون في وئام وسلام. لقد أُتلِفَت قطعان صيدكم وإن كثيراً منكم لن يستطيع أن يعمل أو أن يفلح الأرض. وها إن **أباكم [الرئيس جاكسون] يعرض عليكم وطناً كبيراً جداً هناك وراء نهر الميسيسيپي العظيم حيث مضى بعض من أمتكم، وينصح لكم بأن ترحلوا إليه. هناك لن يزعجكم إخوانكم البيض ولن ينازعوكم الأرض التي تملكون. هناك ستعيشون أنتم وأبناؤكم ما دام هناك عشب ينبت وماء يسيل. هناك ستعيشون بسلام ورفاه، وسيكون لكم هذا الوطن خالداً إلى أبد الآبدين** [...]. قبل سنوات، في خطابي إلى أمة الكريك، أخبرتكم عن هذا الوطن الجديد حيث ستبقون فيه هناك أمة عظيمة، وحيث لن يُقلق إخوانُكم البيض راحتكم... إن الأرض وراء الميسيسيپي هي للرئيس [!][٢٥] وحده، وإنه سيهبكم إياها إلى الأبد... إنني أهب لكم غرب الميسيسيپي ليعيش أبنائى البيض والحمر بسلام ولكي لا تتلطخ الأرض بالدماء من جديد... إن أباكم يحبكم كما يحب أبناءه... وينصح لكم بأن ترحل كل أمتكم إلى حيث يستطيع أن يحميكم ويرعاكم... حيث ستعيشون في ظل قوانينكم أنتم وفي بلاد هي بلادكم إلى الأبد[٢٦].

أول ما فعله هذا الأب الطيب الذي لا يتكلم بلسانين أنه مزق أبناءه الهنود وضربهم ببعضهم واتخذ من بعضهم حرساً أمنياً لمستوطنيه. بل إنه شكل من



خريطة أعدتها وزارة الحرب (١٨٣٦) للمناطق التي خصصت لتهجير الهنود والتي يسميها جاكسون الوطن الأبدي كل هذه المنطقة ابتلعها الاستيطان عندما تأسست ولاية أوكلاهوما

United States, Map Showing the Lands Assigned to Emigrant Indians West of Arkansas & Missouri. Washington: War Department, 1836.

أغرارهم فرقاً عسكرية حاربت معه أهلها وأبناء أمتها إلى أن فقدت هذه المزق كل ما لديها من عناصر المقاومة والصمود ولم يبق أمامها إلا الإذعان للهجرة إلى «الوطن الخالد». وفعلاً فقد نشبت حرب أهلية ضارية بين أبنائه الذين اصطفوا إلى جانب المستوطنين وحاربوا معهم وبين الذين لم يتخدروا بحشيش الوعود من الذين أُطلق عليهم اسم رِدْ ستيكس Red Sticks[٢٧]. كان الأب الطيب يرى أن الانتصار على شعب الكريك سيُتَرجم فوراً إلى سيطرة على معظم أراضيهم الخصبة والغنية بالأنهار. بذلك يروي عطش المضاربين العقاريين إلى مزيد من الأراضي. فلطالما كانت هذه الأراضي وحقولها ومزارع قطنها مطمع المستوطنين الذين استشرست سكاكينهم الطويلة في الوصول إلى رقابها. أما الأب الطيب فلم يُخف هذا الجشع في خطابه أمام الجنود الزاحفين لاغتصابها فقال لهم:

> إن هذه البلاد الجنوبية تنادينا وتدعونا. فهيّا نضمها إلى الاتحاد...
> إنها ستدر علينا أفضل المحاصيل وإن حقولها ومزارعها وأراضيها الخصبة تكفي لزاد الملايين من البشر[٢٨].

بهذه العواطف الصادقة شن جاكسون وصديقه العزيز الجنرال جون كوفي John Coffee حملات دموية على أبنائه هنود الكريك لإخضاعهم وإملاء شروط الهجرة إلى «الوطن الخالد» عليهم. وبعد انتصارات سريعة في تلاشاتشي Tallashtchee وتلاديغا Talladega بدأ جيشه يعاني من نقص من الزاد والعتاد، فاستنجد بحلفائه الشيروكي الذين أمدوه بفرقة عسكرية كاملة يقودها الزعيمَ الأسطوري جونالوسكا Junaluska بينما أمده وليم لاونت William Blount حاكم تنسي بما يحتاجه من زاد وعتاد وبجيش إضافي من ٤٥٠٠ جندي[٢٩].

ما جرى بعد ذلك في معركة هورس شو Horseschoe، مثلاً، كان بتعبير كاتب سيرة جاكسون «مذبحة بطيئة ومضنية a slow laborious slaughter». أما جاكسون نفسه فقال عنها: «لقد حارب العدو [ويقصد أبناءه الحمر الأحباء] بشجاعة أملاها

اليأس عليهم، لكننا في النهاية قطّعناهم تقطيعاً cut into pieces، فكل ضفة النهر التي تحيط بشبه الجزيرة امتلأت بالذبائح»[٣٠]. وهنا، يضيف كاتب السيرة أن جنود جاكسون ارتكبوا فظائع شنيعة. منها مثلاً أن جندياً خبط طفلاً في الخامسة بعقب بندقيته فأرداه قتيلاً، ومنها أن الجنود بعد الانتهاء من المعركة سلخوا كثيراً من ضحاياهم ليصنعوا من جلودهم أعنّة للخيول ومصنوعات جلدية مختلفة للذكرى والتفاخر. ويروي المؤرخ هالبرت Henry S Halbert نقلاً عن الجنود الذين تولوا عملية السلخ أنهم كانوا يسلخون شرائط من جلود ضحاياهم فيبدأون من القسم الأدنى للساق عند الكاحل، ثم يشرطون بسكاكين السلخ الخاصة ثلمين متوازيين بعرض بوصتين أو ثلاث بوصات (من خمسة إلى ثمانية سم تقريباً) حتى الظَّهر ثم يستديرون ويعودون إلى حيث الكاحل الآخر. وبعد أن يقتلعوا هذه الشرائط من جسد ضحاياهم يدبغونها ويضفرونها ويصنعون منها أعنّة للخيول وغير ذلك من المصنوعات الجلدية[٣١].

عند مغيب الشمس أحرق جاكسون الحصن الذي تحول إلى جحيم. لهذا بدأ الهنود يهربون منه بينما كان رصاص الجنود يستقبلهم ويرديهم أرضاً ويُجهّزهم للسلخ في اليوم التالي. ولم يتوقف هذا المهرجان إلا بعد أن أعمى الظلام عيون الجنود وعطلهم عن القتل[٣٢]. أما الذين استطاعوا النجاة من هذه المذبحة فكانوا عشرين هندياً بينهم زعيمهم Menewa الذي تمكن من الزحف إلى قارب على ضفة النهر برغم إصابته بعدة رصاصات ثم سَرَبَ بهدوء في تيار النهر مع عدد من الناجين إلى أقرب سبخة، وتظاهروا بالموت. وهناك ظلوا مختبئين تحت الماء لا يبدو منهم سوى أنوفهم حتى أطبق الظلام وسمح لهم بالهرب. أما أكثر ما كان يضايقهم فهو رائحة الدم، فقد كانت «مياه نهر تالابوسا Tallapoosa حمراء من دم الذبائح المرمية في النهر، حتى إن جندياً عبر بحصانه الأشهب بعد عدة أيام وقال إن حصانه تلطخ بالأحمر»[٣٣]. أما الذين هربوا واختبأوا في كهف قريب فإن جاكسون فضل القضاء عليهم دون قتال حرصاً على سلامة جنوده المتعبين. ولهذا

فقد هدم عليهم الكهف ودفنهم فيه أحياء. وهذا ما كشف عنه خصومه السياسيون عند ترشحه للرئاسة، وذلك للتدليل على ما سموه «وحشية جاكسون وبربريته «cruelty» and «barbarity» of Old Hickory's character»[٣٤]، بل إنهم نشروا تفاصيل فظائعه بأبنائه هنود الكريك في كراس صغير[٣٥]. ومع نهاية الربيع كان جاكسون قد شنّ على هنود الكريك عدة حملات أخرى انتهت باستسلام هؤلاء الأشقياء وتوقيعهم على تنازل عن أجزاء كبيرة من بلادهم (٢٢ مليون آكر أكثر من ثلاثة أضعاف مساحة فلسطين من البحر إلى النهر)، وتجهزوا للرحيل إلى وطنهم الخالد.

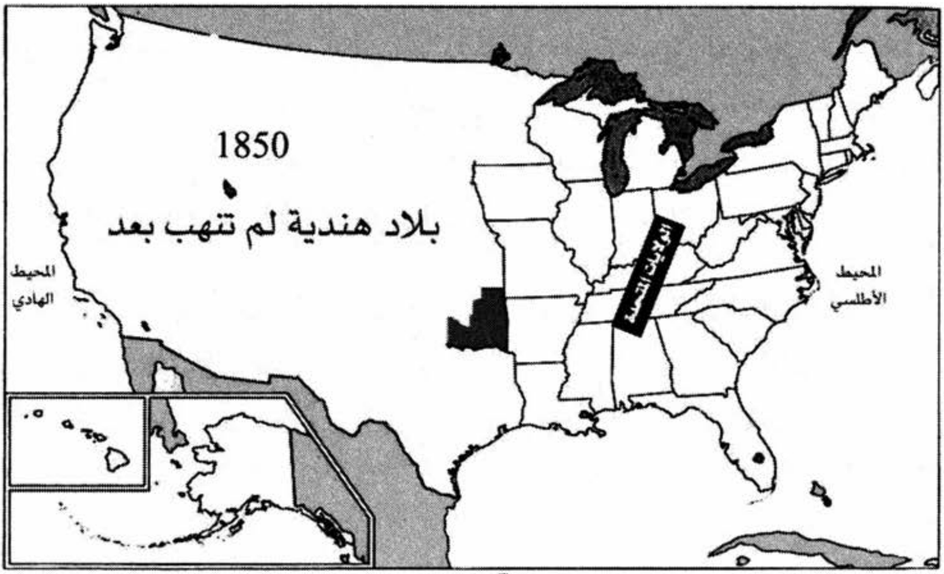
مع صعود نجم الدولة الموعودة وتفشي ظاهرة بوشماتاها في بداية القرن التاسع عشر اختل ميزان القوى لمصلحة المستوطنين الغزاة. ثم إن الانتصارات الأخلاقية المتلاحقة لشعب الله في أراضي الهنود زادت من تدفق المستوطنين من العالم الأبيض[٣٦] وعززت تماسك المستعمرات في ما بينها داخل ما صار يعرف بالولايات المتحدة. ما هو أدهى من ذلك كله هو التدمير المنهجي المتواصل لخصائص الصمود والمقاومة لدى أصحاب هذه البلاد والسيطرة الخانقة على كل مرافق حياتهم، ما جعلهم عالة لا يجدون ما يأكلون ويشربون إلا من «تكية» الغزاة. ففي رسالة من المبشر مَكّوي إلى وزير الحرب، مثلاً، قال:

> شاهدت على مقربة من كايري Carey أطفالاً يجمعون أعشاباً برية ليسلقوها ويأكلوها، ورأيت أمهم في المستنقع تقتلع جذوراً لأطفالها الذين كادوا يموتون من الجوع. رأيتهم يقتاتون من حيوانات نفقت وأنتن لحمها[٣٧].

وفيما كان الهنود يأكلون أعشاب الأرض وينتظرون الدولة الموعودة، كانت الولايات المتحدة تبلع فلوريدا وتقول: هل من مزيد؟ وكانت ميليشيات المستوطنين بالتعاون مع الجيش تغتنم هذه الفرص الذهبية لتنفيذ وصية الكونغرس



الولايات المتحدة عام ١٨١٠ (عن مكتب الإحصاء الأميركي)
1810. Third Census of the United States M252



فيما كان الهنود ينتظرون دولتهم الموعودة تضاعفت مساحة البلاد المنهوبة ثلاثة أضعاف
الولايات المتحدة عام ١٨٥٠ (عن مكتب الإحصاء الأميركي)
Seventh Census of the United States M432.

«بتوسيع أراضي الولايات المتحدة بكل القوى الممكنة»[٣٨]. أما السكاكين الطويلة فلم تكذّب خبراً، ففي أربعين سنة فقط (١٨١٠ ـ ١٨٥٠) ارتفع عدد الولايات المتحدة من خمس عشرة ولاية إلى ثلاثين. (انظر الخريطتين)

ولأن التفويض السماوي بسلب أراضي الهنود كان بحاجة إلى لمسة عصرية تنويرية، فقد تكفلت المحكمة العليا في هذا العصر الجاكسوني البطولي بوضع الأساس القانوني لهذا السلب حين فصلت في قضية سلب ولاية جورجيا ٣٥ مليون آكر (١٤٠ ألف كم مربع) ممّا يعرف بأراضي يازو Yazoo land الهندية. في تلك القضية المرفوعة أمام المحكمة العليا قرر جون مارشال Marshall رئيس المحكمة أنّ تَمَلُّك [المستوطنين] مواطني الولايات المتحدة لأية أرض هندية يسيطرون عليها هو ملكية قانونية، سواء أوافق الهنود على ذلك أم لم يوافقوا. ولست أدري ماذا كان ينتظر الهنود من قاض ورث عن أبيه عشرة آلاف آكر (أكثر من ٤٠ كلم مربع) من أراضي الهنود، سلبها أيام الثورة، بتفويض من الله[٣٩]؟

بعد هزيمة الهنود في حرب ١٨١٢ وما تلاها من تدمير لفيدرالية الزعيم الثائر تكومسه (١٨١٣)، ثم هزيمة رد ستيك Red Stick زعيم شعب الكريك Creek على يد الجنرال أندرو جاكسون وبمساعدة جيش الشيروكي بقيادة جونالوسكا Junaluska (١٨١٤) استشرس شعب الله في التطهير العرقي لهنود الشرق. ومن أجل احترام روح القانون استبقت المحكمة العليا ذلك التطهير بسلسلة من الفتاوى. فبعد أن أفتى القاضي مارشال في تبرير سلب أراضي الهنود الذين ينتظرون دولتهم الموعودة (١٨٢٣)، أفتى أيضاً بمعارضة العرف السائد في القانون الدولي وقال «إن سيادة الولايات المتحدة جَبّت سيادة الشعوب الأصلية على أراضيها». وفي تلك السنة أيضاً أعلن الرئيس مونرو Monroe، من طرف واحد، تقييد سيادة كل الأمم والشعوب الأخرى في القارة الأميركية على أراضيها[٤٠]. ثم تلته إضافة قانونية جديدة اجتهد فيها القاضي مارشال بأن «الهنود شعوب محلية غير مستقلة».

هكذا نضجت شروط تطهير إسرائيل الله من بقايا الكنعانيين بطرد كل من بقي منهم من أوطانهم إلى ما وراء الميسيسيپي حيث «الوطن الأبدي»: دولة كنعان الهندية Indian Canaan. أما الذين أدركوا منذ البداية نفاق اللغة وكذب العواطف، مِثل شعبَيْ فوكس Fox وساوك Sauk، وعرفوا أنها رحلة إلى وطن أبدي في العالم الآخر فقد رفضوا هجرة أوطانهم وفضلوا الموت فيها. لهذا طاردهم شعب الله من غابة إلى غابة ومن جبل إلى جبل إلى أن اصطادهم وذبحهم رجالاً ونساء وأطفالاً بعد معركة ضارية تعرف بحرب بلاك هوك Black Hawk عند ملتقى نهري باد آكس Bad Axe والميسيسيپي(٤١).

٢

على طريق الوطن: حكاية «أوسلو» شيروكية

عند استطلاعكم آراء أمة الشيروكي [حول المعاهدة] سترون أن ٣٠ بالمئة من الشيروكيين يرفضونها فوراً، بل قد تصل نسبتهم إلى ٩٥ بالمئة. لهذا أنذركم من هذه الورقة التي يسميها شيرمرهورن معاهدة.

ـ من تقرير المايجور وليم دايفيس William Davis
إلى وزير الحرب لويس كاس Lewis Cass

لو كنت أعلم أن جاكسون سوف يطردنا من بلادنا لكنت قتلته ذلك اليوم في هورس شو.

ـ الزعيم جونالوسكا Junaluska
الذي أنقذ حياة جاكسون في معركة هورس شو

قلنا لهم إننا نفضل الموت في أوطاننا على أن نرحل، لكنهم سلبوا منا كل أسباب المقاومة. لقد فرقوا ما بيننا وأوهنوا قوانا وأذلونا. لا أعلم كم مات منا على درب الترحيل، ولم استطع إحصاءهم.

ـ الزعيم الهندي ستاندينغ بير Standing Bear

كل الشعوب الهندية في شرق الميسيسيبي تلقت من الرئيس جاكسون رسائل

عاطفية يرجوهم فيها الرحيل إلى «وطنهم الأبدي» قبل أن يتفطر قلبه عليهم. لم يكن الرئيس الطيب الرحيم المغرم بأبنائه الهنود يكذب أو ينافق، لكنه بحكم الاضطرار لم يستطع التعبير عن عواطفه الإنسانية إلا بلغة سياسية إنكليزية ألد أعدائها الأخلاق والعواطف الإنسانية.

كان جاكسون يعلم أن نهر الميسيسبي الذي يعتبر الحد الفاصل بين الولايات المتحدة والوطن الهندي، كما تصور توماس جفرسون، قد تلاشى بسرعة عندما قضم شعب الله لويزيانا وأركنساس وميزوري في الجنوب، وولايات إياوا ووسكنسن ومينيسوتا في الشمال. وكان يعلم أيضاً أن صديقه العزيز السناتور توماس هارت بنتون Thomas Heart Benton قد اشترط أن تكون الروكي ماونتنز Rocky Maountains هي حدود الولايات المتحدة وليس نهر الميسيسيپي [أي بعمق ١٥٠٠ كلم إضافي في أرض الهنود][٤٢]. ثم إنه هو نفسه في رسالته إلى شعب الكريك، كما أشرت سابقاً، أعلن صراحة أن الأرض وراء [نهر] الميسيسيبي هي ملكه وحده[٤٣].

The land beyond the Mississippi Belongs to the President, and to none else.

لهذا فإن شعوباً هندية كثيرة أعيد ترحيلها أكثر من مرة بنفس المبررات العاطفية والإنسانية وغواية «الوطن الخالد إلى الأبد»[٤٤]. لقد سيقوا كالقطعان من «وطن خالد إلى الأبد» إلى «وطن خالد إلى الأبد»، إلى أن ألقي بهم في المنطقة التي تشكل الآن حدود ولاية أوكلاهوما وقيل لهم: «هذا وطنكم الخالد». وعندما توالى زحف المستوطنين من أبناء شعب الله وأصبحت أوكلاهوما الولاية السادسة والأربعين ابتلعت هذا «الوطن الخالد» فقتلت أو طردت من فيه إلى الأبد[٤٥]. وللمزيد من السادية والإيلام فإن هذا الولاية ما زالت تحتفظ باسمها الهندي الذي يعني «بلد الهنود»، فالاسم أوكلاهوما Oklahoma بلغة هنود شكتاو Choctaw مؤلف من كلمتين تعنيان الشعب Okla والأحمر humma[٤٦].

هذا الطِّراد الجاكسوني للهنود من وطن خالد إلى وطن خالد بهدف تطهير مَن بقي منهم حياً بين البحر والنهر (الأطلسي والميسيسيبي) صار مادة للسخرية على لسان الزعماء الهنود. فالزعيم الشيروكي سْپِكلد سنايك Speckled Snake (العجوز المعمّر الذي تجاوز عامَهُ المئة وذاق كل طيبات شعب الله من تدمير الفيدراليات الهندية إلى فتح كنعان على يد جورج واشنطن فإلى ما ألحقه پوشماتاها وجونالوسكا من دمار باسم المفاوضات والمعاهدات والصداقة والسلام وأخيراً إلى هذا الطراد من سراب وطن خالد إلى سراب وطن خالد) يكشف لشعبه حقيقة هذا الوطن الخالد الذي يعرضه الرئيس جاكسون فيقول:

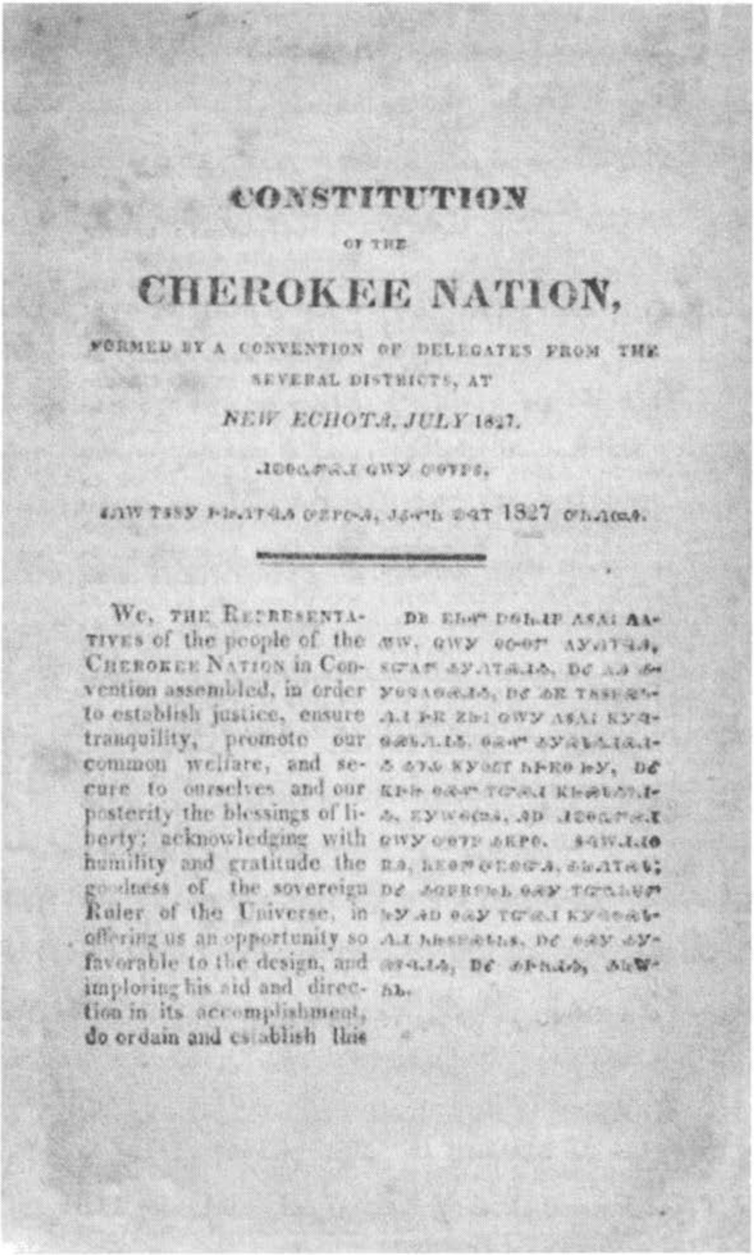
> بعد أن تدفأ الرجل الأبيض بنارنا وشبع من طعامنا وشرابنا راح يتجبر ويتعملق إلى أن طاول رأسه ذرى الجبال وغطت قدماه وجه السهول والوديان فأمسك بقبضتيه بحر الشرق وبحر الغرب ونصّب نفسه رئيساً علينا. ولأنه يحب أبناءه الهنود ويشفق عليهم، فقد طلب منا أن نبتعد عن قدميه قليلاً حتى لا يسحقنا بهما: قدَمٌ تلقينا في البحر وأخرى تكتسح ديارنا وقبور أجدادنا. لكن أبانا الحنون ما زال يحب أبناءه الهنود. لهذا طلب منا أن نبتعد عن قدميه حتى لا يسحقنا بهما. وحين خطب فينا المرة الماضية قال لنا من جديد: «ابتعدوا عني أكثر. ارحلوا إلى ما وراء أكمولغي Ocumulgee»(٤٧)... وقال أيضاً: «إنه سيكون وطنكم الخالد إلى الأبد». وها هو اليوم يقول لنا أيضاً وأيضاً: «إن الأرض التي تعيشون عليها ليست لكم. ارحلوا إلى ما وراء الميسيسيپي وسيكون ذلك وطنكم الخالد إلى الأبد».
> أيها الإخوة، ألن يجيء والدنا الحنون إلى هناك أيضاً؟ [...](٤٨).

منذ أن كان جاكسون قائداً للجيش في ١٨١٢ سمّى أبناءه الهنود الأحباء تارة الكلاب البرية wild dogs، وتارة قطعان من المتوحشين hords of savages، ثم

أعلن أن أفضل طريقة للحصول على بلادهم هي اغتصابها بالقوة، ذلك لأن التفاوض مع الهنود عبث لا يعول عليه. وعلى الكونغرس أن يكف عن اعتبار الهنود أمماً وشعوباً، بل إن [عليه أن] يتعامل معهم على أنهم مجرد مقيمين residents، وأن يتولى بنفسه رسم الحدود لتمتلئ هذه الأرض بالمواطنين الأميركيين الذين يستعمرونها ويستثمرونها(٤٩). وعندما فاز بالرئاسة بأصوات الولايات الجنوبية التي كانت تعقد عليه أملها في أن يطرد الهنود إلى ما وراء الميسيسيپي، لم يخيب أملها أبداً. وكان من أول ما فعله مطالبة الكونغرس بإقرار خطة الترحيل التي طلبها سلفه، وهو ما استجاب له الكونغرس في شتاء/ ربيع ١٨٢٩ ـ ١٨٣٠(٥٠).

أما الشيروكي الذين ظنوا أنهم حلفاؤه، وحاربوا إلى جانبه ضد إخوانهم شعب الكريك وأنقذه زعيمهم جونالوسكا Junaluska من الموت المحتم في معركة هورس شو، فإنهم، قبل أن تدركهم عواطفه الإنسانية، استبَقوا هذه الإجراءات باعلان جمهوريتهم المتحدة United Cherokee Republic وبتعديل دستورهم وتضمينه فقرات واضحة حول الصمود في الأرض ورفض الترحيل(٥١). (وانظر الصورة). وهذا ما أثار حنق ولاية جورجيا التي سارعت إلى استثمار انتخاب جاكسون بأن أعلنت سيادتها المطلقة على كل أراضي الشيروكي. وكما هو منتظر، فقد تنصل جاكسون من كل المعاهدات والالتزامات، متذرعاً بأنه لا يمكن جيش الحكومة الفيدرالية الدخول في حرب مع ولاياتها. وهي ذريعة اعتبرها المستوطنون شحذاً قانونياً لسكاكينهم الطويلة، ورخصة للزحف والقتل والتهجير والاستيطان(٥٢).

جورجيا ومعها كل الولايات الجنوبية ومستوطنيها وجدوا في وصول جاكسون إلى البيت الأبيض فرصة لافتراس ما بقي من أراضي الشيروكي داخل حدود ولاياتهم التي رسموها بأنفسهم. ففي أول شهر من انتخابه رئيساً، مثلاً، سنت ولاية



CONSTITUTION

OF THE

CHEROKEE NATION,

FORMED BY A CONVENTION OF DELEGATES FROM THE SEVERAL DISTRICTS, AT

NEW ECHOTA, JULY 1827.

We, THE REPRESENTATIVES of the people of the CHEROKEE NATION in Convention assembled, in order to establish justice, ensure tranquility, promote our common welfare, and secure to ourselves and our posterity the blessings of liberty; acknowledging with humility and gratitude the goodness of the sovereign Ruler of the Universe, in offering us an opportunity so favorable to the design, and imploring his aid and direction in its accomplishment, do ordain and establish this

دستور الشيروكي مترجماً ومنشوراً باللغتين الشيروكية والإنكليزية
بعد تصديق مبعوثي المناطق عليه في العاصمة الشيروكية نيو إيكوتا (تموز/ يوليو ١٨٢٧)
Constitution of the Cherokee Nation, July 1827.
New Echota, GA: Isaac H. Harris and John F. Wheeler, 1828.

جورجيا عدداً من القوانين ضمت بها كل أراضيهم وأبطلت دستورهم وقوانينهم ومحاكمهم ورفضت الاعتراف بمعاهداتهم مع الحكومة الفيدرالية. ثم انطلقت فكرة التهجير من فوهات بنادقهم عندما أقر الكونغرس قانون الترحيل الذي عَمّ كل الشعوب الهندية الباقية في شرق الميسيسيبي.

كان الهدف النهائي لهذا القانون ابتلاع أراضي الهنود الخصبة واستيطانها بذريعة «الوطن الخالد»[٥٣].

بذلك قدم الكونغرس لجاكسون المبرر القانوني لسياسة اقتلاع الهنود من بلاد آبائهم وأجدادهم وتهجيرهم، وترك لقلبه الطيب تزيين هذا التهجير بأبهى فنون النفاق. ففي عهد جاكسون ومشروعه للوطن الخالد عقدت وزارة الحرب مع الهنود، بل مع زعماء لهم صنعتهم بأيديها، سبعين معاهدة احتيالية نصّت كلها على نهب أراضيهم. كل هذه المعاهدات التي أبرمتها وزارة الحرب تجاوزت الحكومات الشرعية الهندية وطلبت من المفوضين أن يلتقطوا شراذم ليست لهم صفة شرعية لتوقيعها باسم شعوبهم الهندية. وهذا ما فعلوه مع الشيروكي؛ فقد استطاع مفوضو وزارة الحرب شق صفهم الوطني وضرب الزعماء بعضهم ببعض إلى أن انتهى الأمر بأن وقّع زعماء الأقلية Treaty Party على المعاهدات الجاهزة سلفاً. أما وزارة الحرب والحكومة الفيدرالية فلم تعد تعترف بالحكومة الشرعية بل سرعان ما اعتقلت أعضاء المجلس الوطني الشيروكي وسطت على سجلاته[٥٤].

في ٢٩/ ١٢/ ١٨٣٥ تم التوقيع النهائي على معاهدة الترحيل Treaty of New Echota التي تخلى فيها الموقعون الذين لا يمثلون أمة الشيروكي عن بلاد الشيروكي في شرق الميسيسيبي (في جورجيا وآلاباما وكارولينا الشمالية وتنسي) مقابل خمسة ملايين دولار وتكاليف الترحيل إلى الوطن الخالد[٥٥].

وكان حاكم جورجيا جورج غيلمر George R Gilmer (بعد أيام قليلة من سنّ

قانون الترحيل) قد سارع إلى إنذار الشيروكيين بأن يتوقفوا عن استخراج الذهب من أراضيهم، مدعياً أن ملكية هذه الأراضي هي لولاية جورجيا، وبالتالي فإنها هي التي تملك مناجم الذهب. بل إنه اتهم الشيروكيين بأنهم إنما يسرقون ثروات المواطنين الجيورجيين ويعتدون على أملاك شعب الله. وللمزيد من السادية فقد نشر الإنذار في الصحيفة الشيروكي الرسمية Cherokee Phoenix[٥٦].

كذلك سنّ المجلس التشريعي الجورجي قوانين تمنع اجتماع «المجلس الوطني الشيروكي National Council في أي بقعة [من بلادهم] تقع داخل ولاية جورجيا وقبل أن تُذبح البقرة بسنوات، بدأت ولاية جورجيا بفرز أراضي الشيروكي وتقسيمها إلى صنفين: الأراضي الزراعية، ١٦٠ آكر (٦٤٧٤٩٧ متراً مربعاً)، لكل قطعة، وأراضي المناجم الذهبية، ٤٠ آكر (١٦١٨٧٤ متراً مربعاً) للقطعة، ليتم بعد ذلك توزيعها على المستوطنين بالقرعة. وبهذه القرعة استولى مستوطنو شعب الله قانونياً على بيوت ومزارع الفقراء والأغنياء الشيروكيين فطردوهم من ديارهم وبلاد آبائهم وأجدادهم وشردوهم قبل سنوات من موعد انتقالهم إلى وطنهم الخالد وراء نهر الميسيسيبي[٥٧].

أكثر من أربعين ألف مستوطن مسلح اقتحموا عليهم حياتهم واحتلوا كثيراً من بيوتهم ومزارعهم ومراعيهم وغاباتهم ومناجم ذهبهم، ثم راحت أعدادهم تزداد مع كل ذرة ذهب تلمع في أراضي الشيروكي[٥٨]. وقد كان هؤلاء المستوطنون جزءاً من خطة لتنغيص عيش الشيروكيين وطردهم من بلادهم، كما يذهب الراحل پول روغين Michael Paul Rogin أستاذ العلوم السياسية في جامعة كاليفورنيا/ بيركلي الذي يرى أن هؤلاء المستوطنين لم يقتحموا بلاد الشيروكي إلا بتشجيع من حكومة جورجيا. فبتشجيعها وتواطؤ مجلس تشريعها صادر هؤلاء المستوطنون مزارع الأغنياء والفقراء واستولوا على بيوتهم ومواشيهم وقطعانهم. ولكي يكون النهب قانونياً فقد أجبروا بعضهم على توقيع عقود إيجار وشراء احتيالية طردوهم بعدها إلى الجبال والغابات وفرضوا عليهم مجاعة جماعية[٥٩].

كانت ولاية جورجيا الوجه الآخر لأندرو جاكسون. لا نعرف مَن منهما روحُ مَن، ومَن يجسد مَن. ليست هناك من ولاية عاقرت التحريض العدواني على طرد الهنود من بلادهم، وليست هناك هيئة تشريعية صاغت قرارات لسلب الهنود ونهبهم وطردهم من بلادهم، وليست هناك صحافة خصصت مساحات هائلة لتزيين هذا الطرد والحض عليه مثل ولاية جورجيا. كانت الأغنية الشائعة على كل شفة ولسان في هذه الولاية:

كل ما أطلبه من هذه الكون

زوجة صبية حسناء ومزرعة كبيرة

هناك في الشمال عند أمة الشيروكي(٦٠)

وكانت جورجيا في ١٨٠٢ قد أبرمت مع الحكومة الفيدرالية اتفاقاً «تنازلت» فيه الولاية عن ادعاءاتها بملكية المناطق الهندية التي تضم الآن ولايتي آلاباما والميسيسيپي لقاء مليون و٢٥٠ ألف دولار نقداً، على أن تتولى الحكومة الفيدرالية إقناع الهنود ببيع هذه الأراضي «سلماً» والهجرة منها إلى «الوطن الخالد». ثم تولت السكاكين الطويلة قضم بلاد الشيروكي بتنسيق مع حكومة جورجيا ومجلسها التشريعي. هكذا وجد الهنود أنفسهم وجهاً لوجه مع وحشية المستوطنين، بينما راحت الحكومة الفيدرالية تتنصل من التزاماتها في معاهدة ١٨٠٢ بحمايتهم من جشع المستوطنين وتَغَوُّلِ ولايتهم. ففي تلك المعاهدة التزمت الولايات المتحدة للشيروكي احترام حقهم في الاحتفاظ بالأراضي التي يرفضون بيعها. وعندما مضى أكثر من عقد لم يبع فيه الشيروكيون شبراً من أراضيهم جن جنون المستوطنين الجورجيين وحكومتهم. وهذا ما شجع على الاعتقاد بأن تكاتف السكاكين الطويلة مع الحكومة والمشرعين سيضطر الحكومة الفيدرالية إلى الإسراع بسن قانون الترحيل وتهيئة الأجواء لعقد معاهدة جديدة تجبر الهنود على بيع أراضيهم بالتي هي أحسن. . . وإلا. ومع ازدياد اعتداءات

السكاكين والقوانين رفع زعماء المجلس الوطني الشيروكي عريضة إلى الرئيس جاكسون طالبوا فيها بحمايتهم والوفاء بالمعاهدات المعقودة معهم، لكن أباهم جاكسون الذي يحبهم، (تقديراً منه لتفانيهم في الحرب إلى جانبه ضد إخوانهم هنود الكريك، واعترافاً بفضل زعيمهم جونالوسكا الذي أنقذ حياته في معركة هورس شو)، تنصل من كل هذه الالتزامات وخَيّر الشيروكيين بين الانصياع لحكومة ولاية جورجيا وقوانينها أو... الرحيل[٦١].

كانت هذه الإجراءات التشريعية سيفاً مُصلتاً على رقاب الشيروكيين. لقد حاولوا المقاومة ما استطاعوا، بل إنهم لجؤوا إلى المحكمة العليا. وكانت أخر قضية كسبوها حين أقرت هذه المحكمة ورئيسها جون مارشال John Marshall بأن الشيروكي أمة ذات سيادة على أراضيها وأن المعاهدات صريحة في رسم حدود بلادهم. لكن لا جورجيا أذعنت ولا الرئيس جاكسون وافق، بل إنه قال غاضباً، وباحتقار: «لقد حكم جون مارشال حكماً، فليذهب الآن وينفذه بنفسه». وهذا ما وضع أمة الشيروكي أمام خيارين مرين، أحلاهما توقيع المعاهدات التي يملي شعب الله كل شروطها، وليس على الزعامات اللقيطة سوى أن يبصموا عليها بالأصابع العشر[٦٢]. مساخر كان شعب الله يبتذل بها الأخلاق وروح القوانين ابتذالاً عبر عنه المؤرخ والمفكر السياسي الفرنسي دو توكڤيل Alexis de Tocqueville أفضل تعبير حين قال ساخراً: «إنه ليس هناك من سلاح لتدمير البشر أفضل من تدميرهم بسلاح شديد الاحترام للقوانين الإنسانية[٦٣]»!

في سجلات الكونغرس مذكرة شيروكية (٢ يونيو/ حزيران ١٨٣٦) رفعها للمجلس زعماء شيروكيون[٦٤] كانوا في واشنطن ضمن وفد يمثل المجلس الوطني الشيروكي National Council. المذكرة تعرض للآذان الصماء في الكونغرس وجوهاً من ابتذال حكومتهم وحكومة ولاية جورجيا للأخلاق والقوانين، أقتطف هنا بعضاً مما ورد فيها:

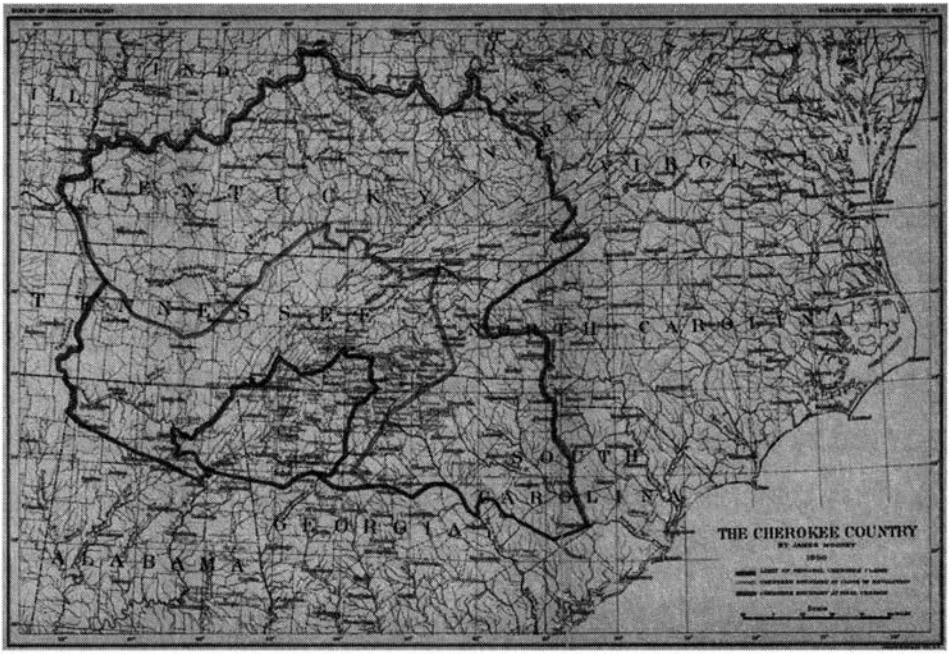
تقول حكومة الولايات المتحدة إنها تريد ترحيل الشيروكي من

بلادهم انطلاقاً من موقف إنساني. فلنر إذن كيف عبّرت عن إنسانيتها فعلاً. الحقيقة الواضحة أننا لا نرى من هذه الدعوى الإنسانية سوى أن جنسنا يُدَمّر بسياسة الجشع وأرضنا تسلب بقوة السلاح. أما حكومة جورجيا فإن كل ما رأيناه من دوافعها الإنسانية هو انتهاكها لكل المعاهدات بين الولايات المتحدة وأمة الشيروكي. فعندما أردنا استثمار مناجم الذهب في بلادنا أصدر المجلس التشريعي الجورجي قانوناً يعاقبنا على ذلك. وبموجب هذا القانون أوقَفَت جورجيا عدداً كبيراً من أبناء شعبنا وسجنتهم وعذبتهم. بل إنها، باسم الإنسانية، قتلت بعضاً منهم رمياً بالرصاص وسنّ مجلسُها التشريعي [. . .] قانوناً أبطل ملكية الشيروكيين لأراضيهم وبيوتهم ومزارعهم، وقانوناً يحرّم قبول دعاويهم أمام المحاكم. . . ومن هذه المواقف الإنسانية أن الزعيم جون روس John Ross عاد من مفاوضات واشنطن ليجد أن بيته وأملاكه ومزارعه قد صودرت وأن عائلته طردت من بيتها. ثم إنه لما دخل البيت في العاشرة ليلاً وجد نفسه غريباً، فقد طردت عائلته من البيت قبل أيام واستولت عليه عائلة أحد المبشرين. هكذا أمضى ليلته على السطح. وفي الصباح نزل إلى الباحة ليرى قطعانه وماشيته شاردة حول المكان. أما محصول الذرة وغلال الحقول فقد بعثرت وأتلفت. وللمرة الأخيرة في حياته ألقى نظرة على شجرة السنديان العجوز عند سور الحديقة. كانت تلقي بظلالها فوق قبر أبيه الغالي وقبر رضيعه العزيز. وكان فوق أغصانها العالية سرب من الطواويس التي كانت دائماً بهجة لناظريه. هكذا ودعها إلى الأبد وامتطى صهوة حصانه لينطلق بحثاً عن عائلته تحت عاصفة مطرية هوجاء، ثم ليجدهم أخيراً في العراء على حدود تنسي(٦٥).

ترحيل الشيروكي من بلادهم التي عاشوا فيها منذ آلاف السنين من أفجع فصول

«الوطن الخالد»، بل صار رمزاً لوحشية التهجير والقتل والإبادات الممنهجة التي يُلبسها شعب الله الإنكليزي حيثما حلّ ورحل لباس المحبة والعواطف والأخلاق والإنسانية. كانت معاهدة الترحيل Treaty of New Echota المشؤومة التي أبرمها «شراذم» ليست لهم صفة شرعية قد منحت الشيروكي سنتين للانتقال إلى وطنهم الخالد غرب الميسيسيبي. ولأن الحكومة الأميركية تعلم أن الذين وقعوا الاتفاقية لا يمثلون أمة الشيروكي فإنها منذ اليوم الأول لجّت في صيد الخراف الضالة وإغرائهم بالرحيل، لكن دون جدوى تذكر. كذلك تعاضدت السكاكين والقوانين والعواطف النبيلة على بلوغ هذه الغاية ولم تفلح. مضت السنتان والشيروكيون يعيشون حياتهم العادية كأن شيئاً لم يكن. لقد رفضوا ترك بيوتهم ومزارعهم وفضلوا الصمود والبقاء[٦٦].

وكان الزعيم جون روس John Ross قد حاول طمأنة الشعب إلى أنه، باسم المجلس الوطني الشيروكي الشرعي، سيسعى إلى الطعن في المعاهدة بعد أن جمع عريضة وقعها آلاف المواطنين وتوجه بها إلى واشنطن. لكن مساعيه لم تفلح، فقد رفضت واشنطن استقباله والاستماع إليه لأنها ـ وهي تحب أن تفسر الديمقراطية على هواها ـ لم تعد تعترف بالحكومة الشرعية للشيروكيين ولا يعنيها المجلس الوطني المنتخب بشيء. لقد «فصّلت» للشيروكيين سلطة وطنية على قياس مطالبها، ولتذهب الديمقراطية إلى الجحيم. حتى الجنرال جون وول John E. Wool نفسه في تقريره إلى وزارة الحرب قال: «إن من العبث الحديث [عن الرحيل] إلى بشر يجمعون على رفض المعاهدة ويقولون إنها لا تخصهم، وإن شعبهم لم يعقدها ولم يوافق عليها... بل إن كثيراً منهم قالوا إنهم يفضلون الموت على مغادرة البلاد»[٦٧]. وقد كان متوقعاً أن يسخر الرئيس جاكسون من تقرير الجنرال وول، بل وأن يعتبره إهانة للرئيس ولمجلس الشيوخ وللشعب الأميركي. ثم كانت المفاجأة أن المايجور وليم دايفيس William Davis الذي عُيِّن لتسجيل من سيرحل من الشيروكيين وتقييم ممتلكاتهم ثنّى على آراء الجنرال وول



بلاد الشيروكي التي صارت تشكل أجزاء كبيرة من ولايات كنتكي وتنسي وآلاباما
وجورجيا وكارولينا الشمالية والجنوبية وغرب فرجينيا
خريطة أعدها عالم الإثنيات جيمس موني عام ١٩٠٠
The Perry Casta Library, the University of Texas at Austin.

وأرسل إلى واشنطن رسالة أبلغ، رسالةً وصف فيها حقيقة «أوسلو» الشيروكية وما تعنيه فعلاً للشيروكيين(٦٨).

تقرير المايجور وليم دايفيس إلى وزير الحرب لويس كاس
٥ مارس/ آذار

أعتقد أن واجبي تجاه الرئيس ووطني وتجاهكم يملي عليّ أن أعرض أمامكم وقائع الاجتماع في نيو إيكوتا [أوسلو زمانها] بين عدد ضئيل جداً من الشيروكيين والسيد شيرمرهورن Schermerhorn حيث لُفِّقَت فيه معاهدة باسم كل أمة الشيروكي Whole Cherokee nation.

أعلم جيداً أن عليّ أن لا أحشر أنفي في هذه المسألة، لكنني

اكتشفت أنكم لم تتلقوا معلومات أمينة عن المسألة، وأنكم اعتمدتم على تقارير متحيزة وليست أمينة كتبها شخص لا يريد أن يطلعكم على الحقيقة. [لهذا] قررت أن لا أسكت، وخاصة أنني أرى أنكم خُدعتم خداعاً سافراً من قبل الكاهن «جي إن شيرمرهورن» الذي أوليتموه ثقتكم. وإنني لأعلن لكم بصراحة وحزن أنه عند استطلاعكم آراء أمة الشيروكي [حول المعاهدة] فإن ٩٠ بالمئة منهم يرفضونها فوراً، بل قد تصل نسبتهم إلى ٩٥ بالمئة منهم. فعند إبرام المعاهدة صوّت لها. . . أقل من ٣٠٠ شخص، بمن فيهم النساء والأطفال، برغم الطقس الرائع الموائم للتصويت. وكان الهنود قد أُعلِموا بهذا الاجتماع منذ فترة طويلة وعرضت عليهم مغريات [رشى] كثيرة تُهدى إلى كل من يصوت لمصلحة المعاهدة. غير أن شيرمرهورن لجأ إلى أبرع الوسائل وأمكرها من أجل إخفاء ضآلة عدد الحاضرين والمصوتين. إن الذين أبرموا هذه المعاهدة [عن أمة الشيروكي] كانوا لجنة تشكلت من الحاضرين. وقد استمدوا تخويلهم من رئيس الحاضرين وسكرتيره حتى لا ينفضح أمرهم. إن خطة السيد شرمرهورن الواضحة هي إخفاء العدد الحقيقي لخداع الشعب والحكومة. أما الوفد، شاهد الزور، الذي أخذه إلى واشنطن فليست له أية صفة رسمية كأي مجموعة أخرى يمكن التقاطها لهذه الغاية. لهذا أنذركم بأن **هذه الورقة التي يسميها شيرمرهورن معاهدة** إذا ما أُرسلت إلى مجلس الشيوخ وصُدقت فإنها ستجلب الكثير من المتاعب للحكومة وستؤدي إلى تدمير أمة [الشيروكي]. إن الشيروكي أمة مسالمة لا تعتدي على أحد، لكنكم قد تدفعونها إلى اليأس والإحباط لأن هذه المعاهدة [التي لم توافق عليها] لا يمكن تنفيذها إلا بقوة السلاح(٦٩).

وهكذا كان. لكن شعب الشيروكي الذي لا ينام على ضيم حاكَمَ «عصابة» المعاهدة وأنزل بهم ما يستحقونه من عقاب[٧٠].

كان الهدف من تعيين الجنرال وول وإرساله على رأس فرق عسكرية إلى بلاد الشيروكي هو نزع أسلحة الشيروكي خوفاً من مقاومة مسلحة، لكن غضب واشنطن من تقاريره واتهامَ المستوطنين له باللين والتعاطف مع الشيروكيين أدت إلى إعفائه من مهمته وتعيين الجنرال وينفيلد سكوت Winfield Scott مكانه[٧١].

مع اقتراب موعد الترحيل (٢٣مايو/ أيار ١٨٣٨) لم يتسجل سوى ألفي مواطن، كلهم من عصابة حزب المعاهدة Treaty Party الذي لا تعترف الولايات المتحدة إلا به ممثلاً شرعياً لشعب الشيروكي. ولهذا أعطى الجنرال سكوت أوامره بحصاد البشر من بلاد الشيروكي في جورجيا وكارولينا الشمالية وتنسي وآلاباما:

> على الضباط القادة في كل حصن ومحطة مفتوحة أن يطوقوا ما استطاعوا من الهنود ويُحضِروهم إلى أقرب محطة. وعليهم أن يكرروا هذه العملية إلى أن يَجمَعوا أكبر عدد ممكن من الأسرى ويرسلوهم مخفورين بحرس مناسب إلى أقرب مركز من مراكز التهجير الثلاثة Cherokee Agency وRoss Landing وGunter's Landing. ويجب تكرار هذه العمليات مرة بعد مرة إلى أن يتم تجميع كل الهنود لتهجيرهم[٧٢].

هكذا انتشرت فرق الصيد المدججة بالأسلحة النارية في مختلف مناطق بلاد الشيروكي. لم تستثن من ذلك كوخاً في غابة أو كهفاً في جبل. كانت تقتحم على الناس بيوتهم في ساعات نومهم وصحوهم وطعامهم وتخطف النساء من مخادعهن والأطفال من ملاعبهم والرجال من حقولهم ثم تسوقهم بالسياط والسبّ واللعن أميالاً طويلة على دروب الجبال والغابات إلى أقفاص الهجرة[٧٣].

في السادس من يونيو حزيران ١٨٣٨ اعتُقِل معظم الهنود في حدود ولاية جورجيا، بينهم نحو ٥٠٠ من هنود الكريك الذين استعصوا على سكاكين أندرو جاكسون قبل عام أو عامين. وفي هذا اليوم كتب الجنرال سكوت تقريره إلى الجنرال ناتنيال سميث Nathaniel Smith متباهياً بأن «كل هنود جورجيا باستثناء بعض الأسر التي فرت إلى الغابات والجبال صاروا في اليد»[٧٤].

عالِم الإثنيّات جيمس موني James Mooney الذي عاش بين الشيروكي سنوات طويلة يصف ما جرى على لسان عدد من ضحايا هذا «الوطن الخالد» فيقول:

> بأمر من [الجنرال] سكوت انتشر الجنود في كل مكان من بلاد الشيروكي حيث أقيمت معسكرات اعتقال لتجميع الهنود وترحيلهم. ومنها انطلق الجنود يصطادونهم بالبنادق وأسنَّة الحراب من الأكواخ المخفية في غياهب الغابات أو عند أطراف الغدران الجبلية. كانوا يعتقلون كل من فيها، كيفما كانوا وأينما وجدوا. ما أكثر الأسر التي رُوِّعَت ساعة العشاء بالبنادق والحراب فأوقف أهلها وسيقوا بالضرب واللطم والشتائم أميالاً طويلة فوق الأراضي الوعرة ليحشروا بعد ذلك في زرائب [. . .]. وفي كثير من الحالات كانت بيوتهم تحرق أمام أعينهم بأيدي [المستوطنين] الخارجين على القانون الذين كانوا يرافقون الجنود ليسرقوا البيوت وينهبوا ما فيها. كذلك كانوا يستولون على مواشي الهنود وقطعانهم قبل أن يتم الجنود مهامهم. بل إنهم لم يتورعوا عن نبش قبور الهنود وسرقة ما فيها من فضة وأشياء ثمينة تدفن عادة مع موتاهم. ولقد قال لي أحد المتطوعين (صار لاحقاً كولونيلاً في الجيش الفيدرالي): «لقد خضت الحرب الأهلية ورأيت الرجال يمزقون ويذبحون بالآلاف، لكن ترحيل الشيروكي كان أفظع ما رأيت في حياتي»[٧٥].

كذلك كتب الجندي جون بورنت John G. Burnett في يومياته، واصفاً

ما رآه بأم العين:

أُوقِفَ الرجال وسيقوا إلى الزرائب. أما النساء فجرهن الجنود من بيوتهن وهن لا يفهمن ما يقوله لهن الجنود. الأطفال فـصُلوا عن آبائهم وسيقوا إلى الزرائب حيث التحفوا السماء وناموا على الأرض، وغالباً ما كان الجنود يَنكزون العجائزَ والواهنين برأس الحربة نكزاً أليماً ليسرعوا إلى الزريبة.

في أحد البيوت، وأثناء الليل حدث موت فجائي. فقد مات طفل كان مستلقياً على جلد دب. النساء كن يجهزن الطفل للدفن، لكنهن اعتقلن وطردن من البيت قبل أن يدفِنّ طفلهن. ولا أعرف ما حصل لجثة الطفل بعد ذلك.

وفي بيت آخر كانت هناك أم ضعيفة منهكة، لعلها أرملة. وكان عندها ثلاثة أطفال صغار، أحدهم رضيع حديث الولادة. حين قيل لها إن عليها أن ترحل جمعت أطفالها حول قدميها وراحت تصلي صلاة بلغة الشيروكي، ثم ربّتت ظهرَ كلبها وقالت لهذا الصديق: «وداعاً». وفيما كانت تمشي وتحمل رضيعها على ظهرها وتمسك طفليها بيديها أصيبت بذبحة قلبية أراحتها من عذابها. لقد سقطت أرضاً والطفل الرضيع على ظهرها، أما الطفلان الآخران فكانا يبكيان(٧٦).

الأب إيان جونس Evan Jones رافق مجموعة من ١١٠ شيروكي إلى حظائر الهجرة ثم واكب ترحيلهم إلى وطنهم الخالد فكتب في يومياته في ما كتب:

١٦ يونيو، معسكر هتزل Hetzel على مشارف كليفلاند:

الشيروكي الآن جميعاً في الأسر. لقد انتُزِعوا من بيوتهم، وحُشروا في حصون ومواقع عسكرية كيفما كان. ففي جورجيا مثلاً لم يُسمح لأحد بأن يحمل معه أي شيء باستثناء ما عليه من ملابس. البيوت

الجميلة ذات الأثاث الرائع أخليت للّصوص الذين كانوا يرافقون الجنود مثل الذئاب الجائعة. كان هؤلاء الوحوش ينهبون البيوت ويعرون ضحاياهم العزل من كل ما يملكون. النساء اللواتي اعتدن الرفاه والنعيم أجبرن على الرحيل مشياً على الأقدام تحت حراب هؤلاء الأجلاف الغلاظ. لقد قتلوا مشاعرهن بالصراخ النذل البذي. إنه مشهد يوجع القلب. أملاك الكثيرين سلبت وبيعت أمام أعينهم بأثمان بخسة. وقد حصل هذا لحظة الاعتقال والنقل إلى المعسكرات حيث كان الجنود يتفرجون وأيديهم على الزناد. أما الأسرى الأشقياء فكانوا ينظرون إلى دموع زوجاتهم وهلعهن الفاجع بحال من الإحباط والغضب. كان الأطفال يحيطون بهن ويتلببن بثيابهن خائفين مذعورين، خاصة أن الباعة والمشترين كانوا يجردونهم من كل ما يملكون. الأسر الشيروكية التي كانت قبل أيام تنعم بأطيب العيش وأفخره صارت الآن في فقر مدقع. أما الذين سمحوا لهم بالعودة إلى منازلهم لبيعها بإذن خاص فإنهم لم يجدوا مواشيهم وأحصنتهم وأدواتهم الزراعية وأثاث بيوتهم. لقد نهبت واختفت. . .

الزعماء الشيروكيون كتبوا للجنرال سكوت يرجونه بأحر العبارات وألطفها تأجيل هذا الترحيل إلى أن ينتهي فصل الأمراض لكنهم لم يسمعوا جواباً. وها هم جميعاً يشحنون الآن. . . ومن المعجزات أن ينجو رُبْعُهم من الموت بين براثن هذا الطقس العنيف. إنهم خائرون تماماً وفي حال من اليأس الشديد.

٣٠ ديسمبر/ كانون الأول

نحن الآن في طريقنا إلى أركنساس [حيث الوطن الخالد] لقد قطعنا ٥٢٩ ميلاً (٨٧٧ كلم)، وما زال أمامنا أكثر من ٣٠٠ ميل (٤٨٢ كلم). كان هنالك برد شديد أنزل بهؤلاء العراة وجعاً وأمراضاً

كثيرة. وإنني متخوف من أن هذا العذاب الذي نزل بهم سوف يقضي على من بقي منهم.

في انتظار عبور الميسيسيبي

عبور نهر الميسيسيبي من أقسى مراحل هذا الترحيل وأشنعها. فقِطَعُ الجليدِ الهائلة تجعل العبور خطراً جداً. هنا على ضفة النهر الشرقية مكثنا في انتظار ذوبان الجليد. لكن البرد القارس جعل انتظارنا لايطاق كما عبر عن ذلك جورج هيكس George Hicks رئيس الحامية في رسالته التالية:

[. . .] صادَفَنا [في طريقنا] بردٌ شديد، برد الخريف وصقيع الشتاء. الناس الذين معنا منهكون وشبه عراة. لقد جهدنا في مساعدتهم لكننا نواجه أمراضاً كثيرة لا حصر لها، فمنذ ٢١ أكتوبر حتى اليوم (١٣ يناير) فقدنا ٣٥ ضحية. معظمهم شيوخ وأطفال. عددنا لا يزيد على ١١٠٠ ونحن الآن على مسافة عشرين ميلاً من النهر الذي لا نستطيع عبوره بسبب الجليد. إننا ننتظر هنا منذ أسبوعين، لا نستطيع أن نسافر لأن عدداً من حاميات الشيروكي يجب أن تعبر قبلنا. . . الطرق في حال مزرية لأن الجليد المتراكم فوق الأرض عميق جداً(٧٧).

أما الزعيم الأسطوري جونالوسكا Junaluska الذي قاد فيلقاً من جنود الشيروكي وحارب إخوانه شعب الكريك إلى جانب جيوش جاكسون، وهيأ له كل أسباب الانتصار في معركة هورس شو، بل وأنقذ حياته من الموت المحتم، فقد اعتقل هو أيضا وألقي به في زرائب التهجير(٧٨). وخلال عملية الترحيل سيق جونالوسكا مع مجموعة الأب جيسي بوشهِد Jesse Bushhead لكنه تمكن من الفرار هو ومجموعة من خمسين شيروكياً إلى أن اصطادته فرقة من الجيش مع ٢٥ من رفاقه بالقرب من نَكسفيلل Knoxville على حدود تنسي، فصفدوه في سلاسل الحديد

وشحنوه مخفوراً إلى «الوطن الخالد». وهنا قال نادماً، حيث لا ينفع الندم: «لو كنت أعلم أن جاكسون سوف يطردنا من بلادنا لكنت قتلته ذلك اليوم في هورس شو»[٧٩]. ثم إنه قبيل موته أحب أن يدفن في أرض آبائه وأجداده. وفعلاً فقد تمكن من الهرب من ذلك الوطن الخالد. وعندما علمت حكومة كارولينا الشمالية بوصوله تكرمت عليه بمنحه جنسيتها وبقطعة من الأرض المنهوبة من شعبه، اعترافاً بشجاعته وفضله في إنقاذ حياة جاكسون.

لم يكن ترحيل هنود الجنوب إلى وطنهم الخالد سوى مسيرة نحو الموت[٨٠]. إنها مسيرة موت بأمر من الرئيس [جاكسون]، لا تختلف نسبة ضحاياها الهائلة عن ضحايا مسيرة الموت المنسوبة إلى باتان Battan Death March أيام الحرب مع اليابان، ١٩٤٢[٨١]. لقد ساق حلفاءَه الشيروكي وجنودَهم الذين حاربوا معه وأنقذوه من الموت كالقطعان إلى معسكرات اعتقال حشروا فيها أشهراً طويلة في ظروف قاتلة للروح والجسد معاً انتظاراً لساعة الترحيل إلى منفاهم القسري[٨٢]. وفي الخريف سيقوا من جديد في عَبّارات خشبية مسطحة مكشوفة أو مشياً على الأقدام أكثر من ألف ميل عبر تنسي وكنتكي والينويز وميزوري. هكذا

> عانوا، [كما يقول شاهد معاصر]، من الوهن والإرهاق الشديد وتدهور أحوالهم الصحية. فآخر مجموعة مررنا بها كانت تضم نحو الفي شخص... وكان الطريق يغص بالبشر على مدى أكثر من ثلاثة أميال (خمسة كلم تقريباً). وباستثناء بعض المرضى والضعفاء الذين ينقلون في عربات تجرها الثيران فإن معظم هؤلاء كانوا يمشون على أقدامهم، بمن فيهم النساء والأطفال والعجائز اللواتي يقتربن من حافة قبورهن. وكنا نراهم يمشون حفاة فوق أرض من جليد أو من أوحال وعلى ظهورهم أحمال ثقيلة. ولقد علمنا أنهم كانوا يدفنون ١٤ أو١٥ [إنساناً] منهم عند كل محطة يقفون فيها، وأنهم كانوا يمشون ستة أميال [عشرة كيلومترات] في اليوم[٨٣].

وعلى غرار كل مسيرات الموت التي نظمتها الأخلاق والعواطف الإنسانية للرئيس جاكسون وغيره من رؤساء شعب الله فإن هذه المسيرة نحو «الوطن الخالد»

> رمت هؤلاء الأشقياء عن سابق عمد وإصرار في مناطق يعلم [الرئيس جاكسون] مسبقاً أنها موبوءة بالكوليرا وغيرها من الأوبئة الفتاكة.
>
> في كل هذه المسيرات كانت الحكومة تطعم الهنود طحيناً فاسداً ولحماً منتناً وتتعمد أن تسوقهم تحت البَرَد والبرد الشديد. لم يمر يوم دون سقوط عدد من الموتى في هذه الأحوال المميتة التي أجبروا فيها على الرحيل. وعندما وصلوا إلى ما يسمى بالوطن الهندي راحوا يتساقطون واحداً بعد الآخر جياعاً أو مرضى. أكثر من نصف الذين اعتقلوا وسيقوا بالقوة إلى «الوطن الموعود» ماتوا. وهو معدل موت لا يختلف عما لاقاه كل هنود الولايات الجنوبية... وكذلك فعلوا بهنود الشمال... ما حصل في شمال أميركا كان أفظع بكثير من أية محرقة[٨٤].

□ □ □

عندما توالى زحف المستوطنين من أبناء شعب الله إلى ما وراء الميسيسيبي وأصبحت أوكلاهوما الولاية السادسة والأربعين ابتلع شعب الله هذا «الوطن الخالد» وقتلوا من فيه من الهنود أوجرفوهم منه إلى معسكرات موت بطيء تسمى بالمعازل[٨٥].

الهوامش

(١) Vine Deloria Jr., *Custer Died for Your Sins:* An Indian Manifesto,(University of Oklahoma Press,1988), pp. 28-48.

(٢) Andrew Jackson, John F. Brown, William White, *Messages of Gen. Andrew Jackson: with a short sketch of his life,* (Concord, N.H., J.F. Brown and W. White, 1837), See «Seventh Annual Message, December 2, 1835,» Pp. 311-354.

(٣) Ibid., 39-68.

(٤) Washington to the President of the Congress, June 17, 1783, John Clement Fitzpatrick, editor, *The Writing of George Washington from the Original Manuscript Sources, 1745-1799, 39* vols. (Washington, U.S. Government Printing Office, [1931-1944]), vol. 27: pp, 16-18.

لخطة الترحيل جذور عميقة في السياسات البريطانية و«الأميركية» تجاه الهنود في القرنين السابع عشر والثامن عشر فالحكومات الاستيطانية في القرن السابع عشر افتتحت هذه الخطة بتحريم بعض المناطق المنهوبة من بلاد الهنود على وجودهم فيها أو عودتهم إليها.

Russell Thornton, «The Demography of the Trail of Tears Period: A New Estimate of Cherokee Population Losses,» *in Cherokee Removal: Before and After* by William L. Anderson (Editor), (University of Georgia Press, 1991), p. 75.

أما القرن الثامن عشر فقد تخفت هذه الخطة في مطاوي سياسة المفاوضات والمعاهدات التي كانت تجرف الهنود أمام زحف المستوطنين في بلاد آبائهم وأجدادهم وتمنع عليهم أن تتلفت إليها عيونهم أو قلوبهم. كل الرؤساء الأميركيين عملوا على جرف الهنود الذين استعصت رقابهم على السكاكين الطويلة خارج ما أصبح يسمى الولايات المتحدة، فسياسة جورج واشنطن رسمت خطاً حدودياً حاداً بين الهنود وبين الأراضي التي استولى عليها شعب الله. وتوماس جفرسون أيضاً تبنى فكرة التبادل بين أراضي الهنود في شرق الميسيسيبي والأراضي «الفارغة» في لويزيانا. كذلك فعل الرئيس جيمس ماديسون حين اتخذ إجراءات مماثلة في محاولة لترطيب خواطر الهنود بعد حرب ١٨١٢ الوحشية التي قادها الجنرال أندرو جاكسون.

Ronald N. Satz, *American Indian Policy in the Jacksonian Era,*(Lincoln, University of Nebraska Press [1974, ©1975), pp. 4-5.

(٥) وزير الحرب جون كالهون John C Calhoun أحد أبرز الداعين إلى الترحيل أيام الرئيس مونرو هو الذي أقنعه بسياسة تبادل الأراضي، تماماً كما فعل خلفه وزير الحرب بيتر بورتر Peter P. Porter مع الرئيس جون كوينسي آدامس.

Ibid.

وفعلاً، ففي٢٧ يناير/ كانون الثاني ١٨٢٥ كتب الرئيس مونرو رسالة إلى الكونغرس عبّر فيها عن سعادته بخطة الترحيل إلى ما وراء نهر الميسيسيبي وعسّلَها بكثير من المبررات الأخلاقية

والإنسانية. ومما جاء في هذه الرسالة:
إن ترحيل الهنود من الأراضي التي يسكنون فيها الآن... لن يحميهم من الدمار المحقق وحسب بل سيمدهم بالخير والسعادة... إن الهدف الأكبر الذي ينبغي تحقيقه هو ترحيل هذه القبائل إلى الأراضي التي خصصت لهم بشرط أن تكون مرضية لهم وهذا يتم بعد منح كل قبيلة قطعة من الأرض يقبلون الانتقال إليها ولا بد من أن نزودهم بنظام حكم يحمي ملكهم من الغزو، ونعينهم على شيء من التقدم والتمدن. مثل هذه الحكومة التي يوافق عليها الهنود... ستحول دون اقتحام أملاكهم، وتعلمهم فن الحياة المتمدنة وتجعلهم قوما متمدنين. وهذا هدف ذو أهمية بالغة ومع تشكيل حكومتهم ستتوقف الحروب بيننا وبينهم، وتتناغم حركتهم مع حركتنا مما سينعكس بالآثار الحميدة على كل الأراضي الأميركية حتى المحيط الهادي.
Francis Paul Prucha (editor), *Documents of United States Indian Policy*, (University of Nebraska Press, 1996), p. 39.
وكان برفقة الرسالة تقرير من وزير الحرب كالهون John Calhoun عن السكان الهنود في المناطق التي صارت تسمى بالولايات المتحدة، وعن مساحة الأراضي التي لم تسلب منهم بعد، وعن التكاليف المتوقعة لترحيلهم إلى وسكنسن Wisconisn.
Albert G. Ellis, «Recollection of Rev. Elazar Williams,» *Wisconsin Historical Collections*, Vol. viii, (1877-1879), pp. 322-352.

(٦) من أبرز هؤلاء «الأصدقاء» المعنيين بترحيل الهنود وإنشاء وطن لهم وراء الميسيسيبي توماس مككِنّي Thomas L. McKenney رئيس المكتب الهندي، ووليم كلارك William Clark, مدير الشوون الهندية في سانت لويس، ولويس كاس Lewis Cass حاكم مقاطعة ميشيغان.
Francis Paul Prucha, «Andrew Jackson's Indian Policy: A Reassessment,» *The Journal of American History*, Vol. 56, No. 3 (Dec., 1969), pp. 527-539.

(٧) *Statutes at Large of the United States of America*, (Boston, Charles C. Little and James Brown, 1846), III,
منذ تلك الفترة بدأ بعض صانعي القرار المشغولين بالنقاء العرقي في واشنطن يتحدثون عما سموه بتبادل الأراضي بعد أن صارت فكرة الترحيل سياسة رسمية في ربيع ١٨٢٥.
James D. Richardson (editor), *A Compilation of the Messages and Papers of the Presidents*, (Washington, 1902), Vol. II, Part 1, p. 261.
في تلك السنة قدم الرئيس مونرو عدداً من الاقتراحات لتبادل الأراضي مع الهنود وضمان النقاء العرقي لشعب الله، وتضمنت رسائله كل ما يلزم لترويض الهنود وتأهيلهم لدخول بيت الطاعة.
American State Papers: Indian Affairs, (Washington D C, 1834), Vol. II, pp. 541-542.
وبتعليمات من إدارة الرئيس مونرو (يونيو/ أيار ١٨٢٥)، اجتمع الجنرال وليم كلارك Willia Clark مع ممثلين عن هنود أوساج Osage وكانسا Kansa في كاستر هيلل Caster Hill بميسوري وأقنعهم بالتنازل عن مناطق تشكل اليوم أجزاء كبيرة من ولايتي أوكلاهوما وكنساس في مقابل وعد بنقلهم إلى وطن دائم وراء الميسيسيبي. وفي خريف تلك السنة خطت الحكومة خطوتها العملية الأولى نحو إعداد هنود الشمال الشرقي لطردهم نهائيا إلى ما وراء الميسيسيبي.

Statutes at Large of the United States of America, op. cit., Vol. vii, pp. 240-244, 272.

(٨) Ibid.

(٩) Isaac McCoy Collection, «Correspondence,» Kansas Historical Society Library, Topeka, Kansas, cited in George A. *Schultz, An Indian Canaan, Isaac McCoy and the Vision of an Indian State,* (University of Oclahoma Press, © 1972). p. 86.

(١٠) «Records of the Proceedings of His Excellency Lewis Cass, His Excellency James B Ray, General John Tipton-Commissioners, appointed to treat with Indians owing lands in the State of Indiana, in the year 1826,» in Ibid., p 86.

(١١) George A, Schultz, *An Indian Canaan: Isaac McCoy and the Vision of an Indian State,* (Univ of Oklahoma Pr; New edition edition (June 1972).

(١٢) Isaac McCoy, *Remarks on the Practicability of Indian Reform: Embracing their Colonization,* (Boston: Printed by Lincoln & Edmands, 1827), pp. 17, 40-42.

(١٣) Ibid, chapter 4, «The only feasible plan for reforming gthe Indians, is that of colonizing them.» pp. 25-32.

ليس هناك مَن كشف الحقيقة الاستعمارية لمشروع هذه الدولة الهندية أفضل من المؤرخ إيموري ليونس Emory Lyons في كتابه عن مَكّوي وخطته لاستعمار الهنود، وذلك في كتاب خاص انظر:

Emory J. Lyons, Isaac McCoy: *His Plan and Work for Indian Colonization. History Series No. 1. Fort Hays Kansas State College Studies,* (Topeka, Kansas State Printing Plant, 1945), p. 25-

(١٤) Ibid., pp. 20-24; Isaac McCoy, *Remarks on the Practicability of Indian Reform,* op. cit., pp. 32-36; George A. Schultz, *An Indian Canaan, Isaac McCoy and the Vision of an Indian State,* op. cit. p. 100; Lela Barnes, (edotor), «Journal of Isaac McCoy, 1828,» *Kansas Historical Quarterly,* August 1936 (vol. 5, no. 3, pages 227 to 277; McCoy to [Johnston] Lykins, Nov. 18, 1828, *McCoy Correspondence;* McCoy, *History of Baptist Indian Missions: Embracing Remarks on the Former and Present Condition of the Aboriginal Tribes and Their Settlement Within the Indian Territory, and TheirFuture Prospects,* (Washington: Wm. M. Morrison, 1840), pp. 345-358.

(١٥) George A, Schultz, *An Indian Canaan,* op. cit., 184.

(١٦) F. P. Prucha, «Andrew Jackson's Indian Policy: A Reassessment,» *The Journal of American History,* Vol. 56, No. 3 (Dec., 1969), pp. 527-539. see p. 527.

(١٧) مستوطنو الثغور كما يراهم دو كريفيكور (انظر فصل «فتح كنعان») لا يبدون أفضل من فصيلة من الحيوانات اللاحمة لقد أفرغوا كل حقدهم ونزعاتهم الإجرامية في أجساد هؤلاء الهنود. إنهم مهووسون بالقتل وقد وجدوا في هذه الثغور المتعة والحرية المطلقة لإرواء عطشهم للدم وكان من أبرز رموز هذه الثغور أن يتزنر المستوطن حول خصره بعدد هائل من فروات رأس الهنود.

Michel Guillaume St Jean de Crèvecoeur, *Sketches of Eighteenth Century America:*

More «Letters From an American Farmer» (New Haven, Yale University Press, 1925) pp. 88-89.

(١٨) F. P. Prucha, «Andrew Jackson's Indian Policy,» op. cit., 527.

أبرز من نسج حول جاكسون «نظرية الشيطان» كما يقول پروكا Prucha هو المؤرخ أوسكار هاندلين Oscar Handlin. وهاري وليم Harry Williams, وريشارد كرنت Richard N. Current وفرانك فرايدل Frank Freidel انظر:

Prucha, «Andrew Jackson's Indian Policy,» op. cit., 527.

(١٩) David Stannard, *American Holocaust: Columbus and the Conquest of the New World,* (Oxford University Press, 1992). pp. 121-122.

(٢٠) Michael Fellman, «the Earthbound Eagle: Andrew Jackson and the American Pantheon,» *American Studies*, Vol. 12, No. 2 (fall 1971), p.67.\

(٢١) Ibid., p.68.

(٢٢) James Parton, *Life of Andrew Jackson* (Boston: Ticknor and Fields, 1866, 1887.), I, vii.

(٢٣) Jackson to James Gadsden, Oct. 12, 1829, John Spencer Bassett; David Maydole Matteson (ed.), *Correspondence of Andrew Jackson.*, (Washington, D.C., Carnegie Institution of Washington, 1926-35), 81.

(٢٤) الروح الأعظم Great Spirit (وبلغة كثير من الشعوب الهندية واكن تانكا Wakan-Tanka) هو الاسم الذي يطلقه الهنود على الله وقد استخدمه جاكسون هنا للإمعان في النفاق والكذب.

(٢٥) لم يكن غرب الميسيسيپي محتلاً بعد.

(٢٦) Indian Board, for the Emigration, Preservation, and Improvement of the Aborigines of America, Documents and Proceedings relating to the Formation and Progress of a Board in the City of New York: for the emigration, preservation, and improvement, of the aborigines of America. July 22, 1829, pp. 4-6 (New York, Vanderpool & Cole, printers),pp. 4-6

(٢٧) John Reid and John H. Eaton, *The Life of Andrew Jackson, Major General, in the Service of the United States, Comprising a History of the War in the South, from the Commencement of the Creek Campaign, to the Termination of Hostilities before New Orleans* (Philadelphia, 1818; reprint, edited by Frank L. Owsley, Jr., University, 1974), p.2.

(٢٨) (Nashville) *Clarion,* 6 June 1812 and 27 July, 1813.

(٢٩) Jackson to Major James Baxter, 2 March 1814, *Andrew Jackson Papers,* 1st Series, Letters and Orders, Library of Congress. and Jackson to Brig. Gen. T.A. Smith, 4 October 1815, *Andrew Jackson Papers,* 3rd Series, Library of Congress. William

Holland Thomas, «Remarks of Mr. Thomas,» *Weekly Standard,* (Raleigh, NC), December 8, 1858.

(٣٠) James Parton, *The Life of Andrew Jackson,* 2 vols. (New York, 1861), 1:518; Jackson to Governor Blount, 31 March 1814, Bassett, *Correspondence,* op. cit., 1:491; Henry S Halbert, T H Ball, Frank Lawrence Owsley, *The Creek War of 1813 and 1814,* (Chicago, 1895: reprint, edited by Frank L. Owsley, Jr., University of Alabama Press, [©1969]), 276-277.

(٣١) *Lyman Copeland Draper Papers,* Series YY, Vol. 10, State Historical Society of Wisconsin.

(٣٢) *The Autobiography of Sam Houston,* ed. Donald Day and Harry Herbert Ullom, (Norman OK, 1954), 13; James Parton, *The Life of Andrew Jackson,* op. cit., 519.

(٣٣) Thomas L. McKenny and James Hall, *The Indian Tribes of North America,* 3 vols. (Edinburgh, 1933), 2:182-186.

(٣٤) Thomas M. Owen, *History of Alabama and Dictionary of Alabama Biography,* Vol. 1 (Chicago, 1921), 702.

(٣٥) By the order of Andrew Jackson, *A Review of the Battle of the Horseshoe, and of the Facts Relating to the Killing of Sixteen Indians on the Morning After the Battle, by the Orders of Gen. Andrew Jackson,* 1828. (Indiana University, Lilly Library: War of 1812 Collection).

(٣٦) بحسب مكتب الإحصاء الأميركي ارتفع عدد سكان الولايات المتحدة من ٥ ملايين عام ١٨٠٠ بينهم ٩٠٠ ألف مستعبد أسود إلى ١٧ مليوناً في عام ١٨٥٠ بينهم ثلاثة ملايين ومئتا ألف مستعبد أسود.

(٣٧) George A. Schultz, *An Indian Canaan,* op. cit. pp. 76-77.

(٣٨) «Report and Resolution of October 15, 1783,» *Journal of the Continental Congress,* (Washington DC, United States Government Printing office), Vol. xxv, pp. 681-693.

(٣٩) Leonard Baker, *John Marshall: A Life in Law,* (Macmillan 1974), p. 80.

(٤٠) Albert K Weiberg, *Manifest Destiny: A Study of Nationalist Expansionism in American History,* (Chicago, Quadrangle Books, 1963), pp.73-89.

(٤١) Cicil Eby, *«The Disgraceful Affair,» The Black Hawk War* (New York, w, w, Norton, 1973), pp.243-261.

أما البقية الباقية من شعب السيمنول فظلوا يقاومون ويرفضون شروط السلام الاستيطانية. حتى ستينيات القرن العشرين كان هنود السيمنول من أصلب المحاربين الذين واجههم شعب الله. إن إرسال ٣٠ ألف عسكري لسنوات طويلة لم يكن كافياً لإخضاعهم. انظر:

Fairfax Dawney, *Indian Wars of the U.S. Army 1776-1865,* (Doubleday, 1963), pp. 116-117.

(٤٢) Sidney Lens, *The Forging of the American Empire*, (New York, Crowell, 1971), p. 100.

(٤٣) Documents and Proceedings relating to the Formation and Progress of a Board in the City of New York, op. cit., p.5.

(٤٤) من هذه الشعوب هنود الشاوني Shawnee وپوتاواتومي Potawatomi وليني لوناپه Lenni Lenape وويانـدوت Wyandot وبيوريا Peoria، وساك وفوكس Sac and Fox، وكيكاپو Kickapoo.

(٤٥) John W. Morris and Edwin C. McReynolds, *Historical Atlas of Oklahoma*(University of Oklahoma Press, 1966), see map 76.

(٤٦) Muriel H. Wright, *Chronicles of Oklahoma, Contributions of the Indian people to Oklahoma,* (Digital Library, Oklahoma State), Volume 14, No. 2. June, 1936. Page 156.

(٤٧) موقع أكمولغي Acumlgee في ولاية جيورجيا اليوم هو نصب وطني تذكاري، يضم معبداً هندياً قديما وآثاراً وعاديات فخارية باقية من حضارة هنود الآبالشي الميسيسيپيين تعود إلى ٢٥٠٠ ق. م. ولعل أهم ما في أكمولغي هو بعض الآثار التي تدل على حضارات بشرية متعاقبة منذ ١٧ ألف سنة معلومات مستقاة من بروشور الپارك الوطني Ocmulgee National Park, Georgia.

(٤٨) Samuel G. Drake, *Biography and History of the Indians of North America:* From Its First Discovery, (Boston, Benjamin B Mussey & Co, 1851), p. 450.

(٤٩) Theda Perdue & Michael D. Green, *The Cherokee Removal: A Brief History with Documents*, (Bedford/St. Martin's, 2005), p. 17; Richard Drinnon, *Facing West: The Metaphysics of Indian-Hating and Empire-Building,* (University of Oklahoma Press; Reprint edition 1997), p. 128

(٥٠) An Act to provide for an exchange of lands with the Indians residing in any of the states or territories, and for their removal west of the river Mississippi. *A Century of Lawmaking for a New Nation: U.S. Congressional Documents and Debates, 1774 - 1875,* (Statutes at Large, 21st Congress, 1st Session,) pp. 411-413.

(٥١) Eric Lemont, «Overcoming the Politics of Reform: The Story of the Cherokee Nation of Oklahoma Constitutional Convention,» *American Indian Law Review,* Vol. 28, No. 1, 2003/2004, pp. 1-34.

(٥٢) Theda Perdue & Michael D. Green, *The Cherokee Removal, op cit*., pp. 18-19.

(٥٣) Ronald N. Satz, *American Indian Policy in the Jacksonian Era,* op. cit. pp. 3, 11.

(٥٤) Ibid, pp. 29, 34-35.

وقع معاهدة الترحيل الأولى (١٨٣٤) عن الشيروكي ثلاثة من زعماء حزب المعاهدة Treaty Party، علماً بأن معظم رفاقهم في الحزب لم يوافقوا عليها، بل إن الكونغرس لم يصدق عليها معترضاً على بعض ما فيها.

Thurman Wilkins, *Cherokee Tragedy; The Story of the Ridge Family and the Decimation of a People,* (New York] Macmillan 1970), p. 261; Charles C Royce, «The Cherokee Nation Of Indians: A Narrative of their Official Relations with the Colonial And Federal Governments,» *Fifth Annual Report Of the Bureau of Ethnology to the Secretary of the Smithsonian Institution* (Washington D. C., Government Printing Office, 1887),275; Alethea Bass, *Cherokee Messenger,* 1936 (University of Oklahoma Press, 1995), p. 17.

(٥٥) Alethea Bass, Ibid., p. 171, Russell Thornton, «The Demography of the Trail of Tears Period» op. cit, p. 78; Thurman Wilkins, *Cherokee Tragedy, op.* cit., pp. 285-289, 291-292.

كان زعماء الأقلية (وعلى رأسهم إلياس بودينو Elias Boudinot وجون ريدج John Ridge) يزعمون أنه ليس أمام الشيروكي من خيار سوى التفاوض مع الولايات المتحدة على مبادلة أراضي الشيروكي بأرض في غرب الميسيسيپي. الأمر الذي أثار الذعر لدى كثير من الشيروكيين وزعمائهم، وعلى رأسهم John Ross خوفاً من أن تنتهز الولايات المتحدة هذه الفرصة وتوقع معاهدة مع أقلية لا تمثلهم. لهذا لجأ المجلس الوطني الشيروكي إلى عزل ريدج من المجلس وإقالة بودينو من رئاسة تحرير صحيفتهم الرسمية Cherokee Phoenix، وذلك لضمانِ إجماعِ المجلس والشعب الذي انتخبه على الصمود ورفْضِ السقوط في فخ «الوطن الخالد». ثم تأكدَ ذلك عندما لم ينجح واحد من زعماء هذه الأقلية (حزب المعاهدة) من النجاح في الانتخابات التالية فغالبية الشيروكي عارضوا الترحيل وأرادوا المقاومة والصمود. ومع ذلك فبرغم هذه المعارضة الشديدة التي عبرت عنها الانتخابات بوضوح فإن حزب المعاهدة بتواطؤ مع حكومة الغزاة أرسلوا وفداً إلى واشنطن برئاسة جون ريدج للتفاوض على الترحيل إلى الوطن الخالد. وقد استقبلتهم الحكومة الأميركية بحفاوة واتفقت معهم على عقد مفاوضات الترحيل في عاصمتهم السليبة إيكوتا Echota بولاية جورجيا الآن. أما أعضاء المجلس الوطني الذي يتزعمه جون روس فقد رفضوا ما جاء في المعاهدة وأرسلوا عريضة إلى مجلس الشيوخ انتهت في سلة المهملات. كانت المعاهدة قد منحت الشيروكيين مدة سنتين للاستعداد للرحيل، غير أن الناس العاديين لم يصدقوا حقيقة ما جرى. واستمروا في زراعة حقولهم وحياتهم العادية. وحين وصل جنود الولايات المتحدة في ربيع ١٨٣٨ لاقتلاعهم لم يكن هناك من هو مستعد للرحيل لكن الجنود بدأوا يصطادونهم واحداً واحداً ويحشرونهم في حظائر قتلتهم فيها حرارة الصيف والأمراض والمياه الآسنة ونذالة زعماء حزب المعاهدة انظر.

Theda Perdue & Michael D. Green, *The Cherokee Removal:*op. cit. pp. 21-24.

(٥٦) Alethea Bass, Ibid., pp. 13-14, 50, 52-57, 59, 75.

(٥٧) Theda Perdue, «The Conflict Within, Cherokee Removal, Before and After,» *in Cherokee Removal: Before and After* by William L. Anderson. op. cit. 70-71.

(٥٨) Michael Paul Rogin, *Fathers and Children: Andrew Jackson and the Subjugation of the American Indian,* (New York: Knopf, 1975), pp. 132, 218-219, 355.

(٥٩) Ibid., 219-220.

(٦٠) «All I ask in this creation / Is a pretty little wife and a big plantation / Way up yonder in the Cherokee Nation.» Samuel Carter, III *Cherokee Sunset: A Nation Betrayed* (Garden City, NY: Doubleday, 1976), 72, cited in John Ehle, *Trail of Tears: The Rise and Fall of the Cherokee Nation* (New York: Doubleday, 1988),, 213.

(٦١) Theda Perdue & Michael D. Green, *The Cherokee Removal:* op. cit., pp.71-74.

(٦٢) بتشجيع من جورج واشنطن (١٧٧٦) شنت جيوشه وميليشيات الاستيطان أشرس غاراتهم على أراضي الشيروكي الذين لم يستعيدوا عافيتهم بعد من الحرب الفرنسية. وقد أدت هذه الغارات الوحشية إلى حرق أكثر من خمسين مدينة من مدنهم وتدمير الكثير من بلداتهم وقراهم ومزارعهم التي أبيد أهلها أو هربوا إلى الغابات ومغاور الجبال. كانت جيوش الغزو لا تكتفي بتدمير القرى والمدن بل تتعمد نشر المجاعات بإتلاف الحقول والمحاصيل وأهراءات الذرة، ففي بلدة واحدة أتلف الغزاة ستة آلاف بوشل bushels (١٥٣ طناً) من الذرة. أما الأسرى فقد قتلوهم جميعاً، رجالاً ونساء وأطفالاً، وحازوا المكافآت التي رصدها المشرعون في كارولينا الشمالية لسلخ الرؤوس، وهي ٧٥ باونداً للرأس وهذا ما فت في عضد المقاومة الشيروكية، ووضع حداً نهائياً لمشاركة المستوطنين في الثورة على الإنكليز. ثم إنهم في نهاية الثورة وجدوا أنفسهم أمام مستقبل مهدد، لهذا فإن رقاب كثير ممن نجوا من سكاكين المستوطنين والمجاعات كانت جاهزة لسكاكين الوطن الخالد انظر:

David Stannard, *American Holocaust,* op cit., p. 121; Theda Perdue & Michael D. Green, *The Cherokee Removal*, op cit., p. 7; Russell Thornton, *American Indian Holocaust and Survival: A Population History Since 1492,* (University of Oklahoma Press; Reprint edition (March 15, 1990), p. 116.

(٦٣) Ronald N. Satz, «Rhetoric Versus Reality: The Indian Policy of Adrew Jackson,» *in Cherokee Removal: Before and After* by William L. Anderson. op. cit. 34.

(٦٤) وكان منهم :

John Ross, John Martin, James Brown, Joseph Vann, John Bengem Lewis Ross, Elijah Hicks and Richard Fields.

(٦٥) «Memorial of Protest of the Cherokee Nation. June 22, 1836.» Printed in the *United States Congressional Serial Set* as House Document 286, 24th Congress, 1st Session.

(٦٦) Theda Perdue & Michael D. Green, *The Cherokee Removal,* op cit., p. 167.

(٦٧) Alethea Bass, *Cherokee Messenger,* 1936. op. cit., 171; Chrles Royce, Charles C Royce, «The Cherokee Nation Of Indians,» op. cit., 286

(٦٨) Grant Foreman, *Indian Removal: The Emigration of the Five Civilized Tribes of Indians,* (University of Oklahoma Press, 1953), p. 269; William M Davis to the Secretary of War, March 5, 1836 Charles C Royce, «The Cherokee Nation Of Indians,» op. cit., pp.284-285

(٦٩) Royce, «The Cherokee Nation Of Indians,» op. cit., pp.284-286.

(٧٠) لم يشأ شعب الشيروكي أن يُفلتَ الذين أبرموا معاهدة الترحيل المشؤومة من العقاب فما إن وصل الزعيم الوطني جون روس John Ross مع المجموعة الثالثة عشرة والأخيرة من المهجّرين حتى عقد مجلساً (١٣ يونيو/ حزيران ١٨٣٩) حضره كل من بقي من الزعماء إضافة إلى الحكومة الموقتة التي تشكلت قبل وصوله. وبعد أيام من المناقشات وتبادل الآراء انتخبوا حكومة جديدة يرضى عنها كل الشعب. في هذه الأثناء وصل عدد من زعماء حزب المعاهدة، لكنهم سرعان ما أدركوا أنهم «لا أهلاً ولا سهلاً» فهربوا خوفاً على حياتهم.

Grant Foreman, *Indian Removal: The Emigration of the Five Civilized Tribes of Indians,* op. cit. 291-292; Thurman Wilkins, *Cherokee Tragedy,* op. cit., pp. 330-333.

كانوا يعلمون أنهم سيُسألون عما ألحقوه بشعبهم حين تفردوا خلسةً بتوقيع هذه المعاهدة التي لم يوافق عليها أحد غيرهم، وكانوا يعلمون أن الإغراءات المالية الموعودة التي أرادوا إغراق المواطنين فيها وإلهاءهم بها ليست بديلاً من الوطن ولن تخدع أحداً. وفعلاً فقد دعا رئيس المجلس الوطني الشرعي جون روس إلى تطبيق ما يعرف بقانون الدم القديم old Blood Law على كل من وقع على هذه المعاهدة المشؤومة لأنهم مسؤولون عن التفريط بالوطن وعن سقوط هذا العدد الهائل من الضحايا. هكذا أقيمت محكمة غيابية للمتهمين إلياس بودينو Elias Boudinot ومايجور ريدج Major Didge وجون ريدج John Ridge وستاند واتي Stand Watie وجيمس ستار James Starr وجون أدير بل John Adair Bell وجورج أدير George W Adair، وحكم عليهم بالإعدام إلا إذا حضروا واعترفوا بجريمتهم أمام الشعب. ثم تشكلت فرق موت طاردت الهاربين وأعدمتهم واحداً واحداً انظر:

John Ross to Matthew Arbuckle, June 22, 1939, *The Papers of Chief John Ross,* 1: 717; Grant Foreman, *Indian Removal: The Emigration of the Five Civilized Tribes of Indians,* op. cit. 294-295; Thurman Wilkins, *Cherokee Tragedy,* op. cit., p.341; John Adair Bell and Stand Watie to Arkansas Gazette, reprinted in Niles National Register. 5 October, 1939, 85.

(٧١) Thurman Wilkins, *Cherokee Tragedy,* op. cit., p. 295.

(٧٢) Winfield Scott, «Removal Order No. 34,» May 24, 1838, *Journal of Cherokee Studies* 3 (Summer 1978), P.147.

(٧٣) James Mooney, «Myths of the Cherokee,» *Nineteenth Annual Report of the Bureau of American Ethnology*, (Washington, DC: Government Printing Office 1900), p.130.

(٧٤) General Winfield Scott to Nathaniel Smith, Cherokee Agency, June 6, 1838, NARA, BIA, RG 75.

(٧٥) James Mooney, *Historical Sketch of the Cherokee,* (Aldine Transaction 1975), p.124.

(٧٦) Russell Thornton, «Cherokee Population Losses during the Trail of Tears: A New Perspective,» *Ethnohistory,* Vol. 31, No. 4 (Autumn, 1984), pp. 290-291.

(٧٧) Theda Perdue & Michael D. Green, *The Cherokee Removal,* op cit., pp. 171-178.

(٧٨) William Holland Thomas, «Remarks of Mr. Thomas,» Weekly Standard, (Raleigh, N. C.) December 8, 1858, James Mooney», Myths of the Cherokee,» op, cit., pp. 164-165.

(٧٩) James Mooney, «Myths of the Cherokee,» op, cit., pp. 164-165.

ومن جديد، هرب جونالوسكا وعاد إلى بلاده ثم إنه بعد فترة طيبت ولاية كارولينا الشمالية خاطره بقطعة أرض وبلوحة على قبره تعترف بفضله.

(٨٠) David Stannard, *American Holocaust*, op cit., p. 123.

(٨١) Jesse F. Battan, «The Word Made Flesh: Language, Authority, and Sexual Desire in Late Nineteenth-Century America,» *Journal of the History of Sexuality,*Vol. 3, No. 2 (Oct., 1992), pp. 223-244; Sharleen N. Nakamoto, «World War II Recollected: Museum and Exhibit Reviews,» *The Public Historian,* Vol. 24, No. 4 (Fall 2002), pp. 141-150.

(٨٢) David Stannard, *American Holocaust,* op cit., p. 123.

(٨٣) Grant Foreman, *Indian Removal,* op. cit., pp. 305-306.

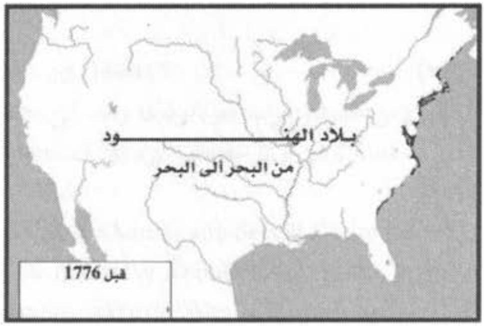
(٨٤) David Stannard, *American Holocaust,* op cit., pp. 124-125. Also see, John W. Et Al Morris, *Historical Atlas of Oklahom,* (Univ of Oklahoma Press; 1986), map 76.

(٨٥) John W. Morris and Edwin C. McReynolds, *Historical Atlas of Oklahoma* (University of Oklahoma Press, 1966), see map 76.

نهاية المطاف

The End of the Trail

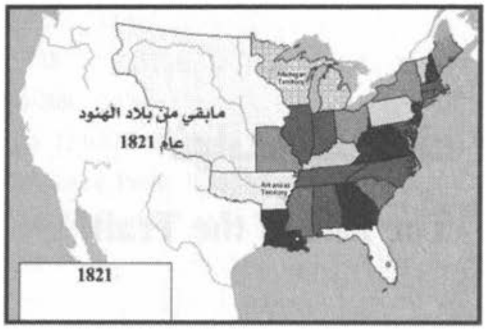
خطف الشقيقتين



1



2



3



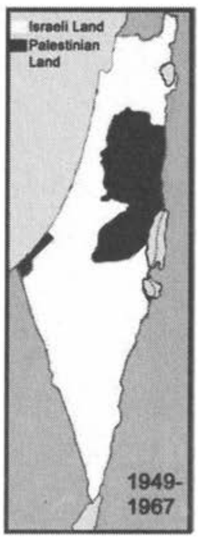
4



1- فلسطين 1947



2- التقسيم



3- 1949-1967



4- حاليـــاً

في أحشاء الوحش

نحن قوم نعيش في أحشاء الوحش
وهذا الوحش هو الولايات المتحدة

ـ الزعيم الهندي الراحل رسل مينس **Russel Means**
مخاطباً مؤتمر الأمم المتحدة عن حقوق الإنسان
(جنيف، ١٩٧٧)

لم يكد هنود الشرق يصحون من سكرة «الدولة» و«الوطن الخالد إلى الأبد» حتى وجدوا أنفسهم في «معسكرات اعتقال» concentration camps[١] تُسمى المعازل reservations.

والمعازل كما يصفها الجنرال وليم شيرمن William T Sherman «قطع من الأرض يحدق بها اللصوص البيض من كل جانب»[٢]. أما الغاية من إنشائها، فهي أن تكون شكلاً آخر من الإبادة تتولاه السلطة الهندية Bureau of Indian Affairs نيابة عن الغزاة، كما يُفصِّل ذلك المؤرخ روبرت ترينِرت Robert Trennert في كتاب له بعنوان «بدلاً من الإبادة Alternative to Extinction»[٣].

لم تنشأ هذه المعازل إلا بعد أن استنفدت سياسة الترحيل والإبادات المباشرة

أغراضها ولم يبق أمام اكتمال فكرة أميركا (احتلال الأرض واستبدال شعب بشعب، وثقافة وتاريخ بثقافة وتاريخ) سوى تكنيس هذه النفاية الباقية من الكنعانيين الهنود والحَجْرِ عليهم لكي يموتوا بطيئاً بطيئاً بعيداً عن العيون. وفعلاً، فما أن حمل «القدر المتجلي» مستوطني شعب الله إلى أرض «الوطن الهندي» وأصبحت أوكلاهوما الولاية السادسة والأربعين حتى تبخرت هذه «الدولة الهندية»[٤] إلى الأبد وصارت ذكراها واحدة من خرافاتِ من استطار بعقولهم الصَّرَع.

فاجعة هؤلاء الكنعانيين بدولتهم الموعودة تكمن أولاً وأخيراً في حسن ظنهم، بل في توهمهم أن شعب الله يفهم لغة غير لغة القوة، وفي أنه سيرد لهم ما سلبه منهم طائعاً طيّب النفس دون قتال أو مقاومة. وفاجعتهم الأقسى كانت في جهلهم بأن فكرة أميركا المنسوخة من فكرة إسرائيل الأسطورية تتناقض مع وجود كيان غير كيانهم في أرض كنعان، وتتعارض جذرياً مع وجود بشر غير شعب الله، أي إنها في تناقض جوهري ومقدس مع وجودهم نفسه. لهذا كانت إبادة هؤلاء الكنعانيين الحمر مقصودة لذاتها، فأرض ما تسمى اليوم الولايات المتحدة ما زالت بعد أربعة قرون من غزوها واستيطانها شبه خاوية وتتسع لأكثر من مليار إنسان إضافي ويكفي أن نذكر أن مساحة ثلاث ولايات (داكوتا الجنوبية ووايومنغ ومونتانا) هي أكبر من مساحة أربع دول أوروبية (فرنسا وهولاندا وبلجيكا والنمسا) مجتمعة، ومع ذلك فإن عدد سكان هذه الولايات الثلاث مجتمعة هو مليونان و٣٦٧٢٢١ نسمة، أي أقل من ثلثي عدد سكان لبنان[٥].

وليم مديل William Medill مفوض الشؤون الهندية (ثم حاكم أوهايو لاحقاً) هو الذي طرح فكرة حَجْر الهنود في المعازل على إدارة الرئيس التاسع پولك James Polk (جاكسون دموي آخر)، وذلك لحماية الثغور التي تشحذ فيها سكاكين المستوطنين. وعلى الرغم من أن المقصودين بالعزل يومها كانوا هنود هذه الثغور، فإن الفكرة تحولت إلى سياسة عامة في التقرير السنوي عن الهنود

(١٨٤٨) الذي تضمن كثيراً من التفاصيل، لعل أهمها الرفض القاطع لفكرة الدولة الهندية. أما الهنود الذين كانوا ينتظرون الوطن والدولة فكان عليهم أن يختاروا بين أمرين: إما الموت بطيئاً في المعازل أو الإبادة[٦].

هنالك اليوم ٥٢ مليون آكر (٢١٠٤٨٣كم٢) من أراضي هذه المعازل تزعم الولايات المتحدة أنها تحتفظ بها وديعة «للقاصرين» الهنود [وهي ثلث ما كانت عليه هذه الوديعة سنة ١٨٨١][٧]. ومعظم هذه الأراضي، على غير ما كان يتوقع أصحاب فكرة المعازل، تَبَيَّنَ أنها غنية بالنفط والغاز والفحم الحجري والأورانيوم وغير ذلك من ثروات الأرض الباطنية التي كانت خافية عن عيون عبيد الجشع[٨].

هذا الوضع الشاذ الذي فرضته الولايات المتحدة على الهنود ليس نكثاً وخيانة لوعودها الكثيرة بالدولة والوطن الخالد للهنود وحسب، بل هو أيضاً انتهاك فاضح لكل الاتفاقات والمعاهدات التي أبرمتها هذه الشعوب مع الحكومة الفدرالية والتي تؤكد جميعاً أنه ليست هناك من جماعة عرقية في ما يسمى اليوم الولايات المتحدة تستطيع أن تدعي لنفسها شرعية السيادة السياسية أكثرمن هذه الشعوب الهندية. وهو ما تنكره أو ما تحاجج فيه وتبرره وترسم منطقه وأخلاقه عصابة التاريخ المنتصر في الإعلام والفن وفي مختلف حقول العلوم الإنسانية. فعقيدة الاختيار الإلهي (ما يسمى اليوم الاستثناء الأميركي)، ولا سيما حين تقترن بجشع «ثروة الأمم»، تتحول لدى المرضى بنرجسيتها إلى تفويض مطلق بالاجتياحات والتدمير والنهب والقتل والإبادات. وهي على مستوى الواقع تنكر أو تخفي حقيقةَ أنَّ تَوَحُّشَ الجشع عند تماسيح ثروة الأمم يتطلع دائماً إلى نهب الثروات الباطنية في أراضي الهنود الحمر وغير الحمر.

عالِم الإنسانيات الراحل «دارسي مك نيكل D'Arcy McNickle» وفريق عمله يصفون وضع الهنود في معازلهم اليوم بأنهم «أمم أسيرة captive nations». وهم

بهذا التوصيف إنما يعبرون عن حقيقة السلطة الوهمية للحكومات الهندية وعن قسوة الحَجْر المضروب على الهنود في معازلهم[٩].

صحيح أن هذه المعازل مغلقة على المجتمع الأميركي، لكن اكتشاف الكنوز الباطنية فيها جعل انغلاقها يتآكل قليلاً قليلاً، ما استدعى صياغة جديدة لبُنى هذه الحكومات الهندية الوهمية ووظائفها بما يخدم سيطرة عبيد الجشع على استخراج هذه الكنوز وتدفقها ونهبها. وهذا ما خلق وضعاً اقتصادياً وسياسياً جديداً حَوَّل هذه المعازل المتناثرة داخل الكيان الأميركي إلى بؤر استعمارية أشبه بمزارع تربية المواشي التي تطعمهم لحمها وشحمها وتنفخ كروشهم. ولعل أَلأَمَ ما في نكد الدنيا على هؤلاء الكنعانيين الهنود هو هذا التناقض الفاحش بين كنوز معازلهم الغنية وعيشهم على بطاقات الإعاشة[١٠]. فبالإضافة إلى الاحتياطي الضخم من مصادر الطاقة، تضم أراضي الهنود ثروة كبيرة من المياه والسمك والخشب والمناطق العذرية[١١]. ومع ذلك فهنود المعازل اليوم هم الأشد فقراً وجوعاً ومرضاً والأسوأ مسكناً وكساءً وتعليماً بين كل الجماعات العرقية في الولايات المتحدة[١٢].

في سياق الصياغة الجديدة لبنى ووظائف الحكومات الهندية، بما يُرضي وحشية الجشع، طُرحت أشكالٌ من التنمية لهنود المعازل راعت تجذير هذا التناقض الفاحش بين كنوز أرضهم وخواء بطونهم، وأعدت كل الأخلاق والقوانين والوسائل اللازمة لسحق هؤلاء الذين ظلوا أكثر من مئتي سنة يلهثون وراء سراب الدولة الهندية.

في ظل هذه الشروط تمكن شعب الله من أن يبعثر، أو يشتت، أو يقضي على أكثر من خمسمئة أمة وشعب كانوا يعيشون في هذه المنطقة التي كانت تسمى الولايات المتحدة كما يروي آلڤن جوزفي في كتاب له بهذا العنوان «500 Nations». فهنود الشايين Cheyennes وحلفاؤهم هنود آراپاهو Arapahos، مثلاً،

شُحنوا من بلادهم في مونتانا، عند مصب نهر پاودر Powder، أكثر من ١٥٠٠ كلم، إلى معزل في أوكلاهوما، سبقهم إليه أبناء أعمامهم الجنوبيون. وقد مات منهم في أقل من سنة أكثر من ثلثهم، إما من عذاب الرحلة أو من الملاريا وغيرها من الأمراض الغريبة عن بيئتهم الأصلية. وأمام محاولاتهم المتكررة والمأساوية للهرب من هذا المحجر والعودة إلى بلادهم، أعاد شعب الله نقلهم أكثر من ١٥٠٠ كلم شمالاً إلى معزل جديد، ولكن ليس قبل أن يُقتل منهم عدد كبير على أيدي القوات النظامية وميليشيات المستوطنين[١٣].

منذ المرحلة الجاكسونية وغواية الدولة الخالدة، أعادت الولاياتُ المتحدة صياغةَ سياستها الهندية بما يستدرج من لم يمت بالسيف منهم رويداً رويداً إلى التخلي عن أوطانهم ليموتوا جوعاً وقهراً في هذه البؤر الاستعمارية المذررة والمتناثرة في طول هذه البلاد وعرضها (انظر الخريطة في آخر الفصل). ثم إن الجشع إلى ثروات أراضيهم أدى إلى مسخ هذه الأمم الهندية من أمم في حالة الأسر إلى قطعان من المواشي في حظائر مغلقة أو بؤر استعمارية تسمى المعازل[١٤].

هذه البؤر الاستعمارية التي يعيش فيها الهنود هي اختراع أنكلو سكسوني بامتياز. إنها من أخبث وألطف أنواع الاستعمار المُعَسَّل بجرعة سُمِّيَّة قاتلة من التسلط تحقنها فيهم سلطتهم الهندية أو ما يعرف باسم «مكتب الشؤون الهندية» Bureau of Indian Affairs. هكذا نشأت علاقة فريدة بين الحكومة الأميركية وهذه البؤر الاستعمارية الداخلية لا تختلف عن علاقة المزارعين بقطعان مواشيهم، ونشأ معها أنموذج نشاز من التنمية هو «تنمية اللاتنمية» أو تنمية الاهتراء والاضمحلال التي أجبرت هؤلاء الأشقياء على أن يكونوا عالة كسيحة على غزاة بلادهم ولصوص أرضهم وثرواتهم[١٥].

لكنْ. . . ، إضافةً إلى مذلة اقتصاد العالة وفتكه بالأجساد والأرواح، فإن غنى معازل الهنود بالمواد الخام والثروات الباطنية كان حافزاً لاستشراس شعب الله في

تدمير لغاتهم وثقافاتهم وأديانهم وأنظمتهم الاجتماعية[١٦]. كذلك كان سبباً إضافياً لإمعان عبيد الجشع في نهب هؤلاء الهنود وإفقارهم وفرض تنمية الاهتراء والاضمحلال عليهم. يكفي أن نذكر، مثلاً، أن الشركات المتوحشة التي تستثمر المواد الخام والثروات الباطنية في هذه المعازل استوردت يداً عاملة باهظة التكاليف من كل مكان ورفضت استخدام اليد العاملة الهندية المحلية الرخيصة في المعزل كما تفعل عادة في أميركا اللاتينية والعالم الثالث[١٧]. أما لماذا، فجوابه في هذا الشكل الشاذ من «تنمية اللاتنمية» أو «تنمية الاهتراء والاضمحلال» التي رعتها السلطة الهندية العليا المعروفة باسم مكتب الشؤون الهندية Bureau of Indian Affairs. سلطة كانت وما زالت من أفتك أسلحة الغزاة في خلق هذه المعازل وتحويلها إلى ما يشبه مزارع المواشي، وكانت وما زالت المسؤول المباشر عن نهب ثروات هذه المعازل وشقاء أهلها وتعزيز استعمارها[١٨]. أما الولايات المتحدة فإنها ما زالت، حتى هذه اللحظة[١٩]، تتخفى وراء هذه «السلطة» التي تسعفها بكل ما يلزمها لنهب ما بقي من أرض الهنود، والقضاء بذلك على البقية البقية من أكثر من خمسمئة أمة وشعب كانوا يعيشون في حدود ما صار يسمى الولايات المتحدة قبل وصول الآلهة[٢٠].

في الثامن من سبتمبر/ أيلول عام ٢٠٠٠، وفي احتفال بمرور ١٧٥ على إنشاء مكتب الشؤون الهندية حضره كثير من الزعماء الهنود قدم كيفين غوفر Kevin Gover مساعد وزير الداخلية للشؤون الهندية والمسؤول المباشر عن مكتب الشؤون الهندية اعتذاراً تاريخياً عن سياسات المكتب وأفعاله، وخاصة منها ذلك التدمير الممنهج للشعوب الهندية المعترف بها وغير المعترف بها. وكيفين غوفر هندي أميركي من شعب پاوني Pawne في أوكلاهوما. وقد كان لاعتذاره وقع الصاعقة على إدارة الرئيس بيل كلينتون وعلى معظم أبناء شعب الله في الولايات المتحدة. أما زعماء الهنود فقد اختلفت آراؤهم بين من رحب وتمنى لو كان الاعتذار باسم الحكومة الأميركية وليس باسم مكتب الشؤون الهندية وبين من قال

«إن العنصرية صفة ملازمة لهذا المكتب ولن تبرحها، وإن مليون اعتذار وبيان حزين طافح بالدموع كاعتذار غور لن ينفع في شيء لأنه لن يرد لنا شيئاً مما فقدناه[٢١]. ومهما كانت ردة الفعل فإنّ من المضحكات المبكيات أن ينتظر مسؤولو هذا المكتب ١٧٥ سنة حتى يعتذروا لشعوبهم عما ألحقوه بها من كوارث.

ومما قاله غور في هذا الاعتذار:

> ليست هذه مناسبة للاحتفال، بل يجب أن تكون مناسبة للاعتبار وإعادة النظر. إنها مناسبة للحقيقة المؤلمة التي لا بد من الإفصاح عنها بعد كل هذه السنوات الطويلة، وهي: بدلاً من أن يعمل هذا المكتب لخدمة الهنود عمل على إيذائهم وإلحاق أفدح الأضرار بهم. نعم. يجب أن تكون هذه مناسبة للندم contrition... فمنذ البداية كان هذا المكتب أداة بيد الولايات المتحدة لتحقيق طموحاتها في بلاد الهنود... وكانت أولى مهماته تهجير الشعوب الهندية بالتهديد والقوة. [وبعد أن عدد غوفر قائمة طويلة من جرائم المكتب، قال:] لا بد من الاعتراف بأن نشر الأوبئة المتعمد، والقضاء على قطعان الجواميس، واستخدام الكحول المسممة لقتل العقل والجسد، والقتل الجبان للنساء والأطفال، كل ذلك كان سبباً في إنزال أفدح الكوارث بالشعوب الهندية[٢٢].

منذ إعلان ما يسمى الاستقلال، لجأ شعب الله إلى وسائل قانونية وإدارية وعسكرية لتفريغ استقلال الشعوب الهندية من معناه ولغم سيادتهم على أراضيهم وثرواتهم الدفينة بألف حيلة وحيلة، لعل أخطرها إنشاء هذه السلطة العليا للهنود عام ١٨٢٤ تحت مسمى مكتب الشؤون الهندية[٢٣] الذي ضاق برائحة فساده وغشه المسؤولون الأميركيون قبل الهنود. بل لم تمض ثلاثون سنة على إنشائه

حتى وصف السناتور توماس هارت بنتون Thomas Hart Benton فساده «الذي يعشش فيه بأنه أسوأ فساد، وأنه استفحل وصار يستعصي على التدقيق والمراجعة»[٢٤].

منذ بداية القرن الماضي، مثلاً، لجأت حملةُ نهب الأرض إلى استبدال الغزو والمعاهدات الاحتيالية بصفقات ورشى وعقود إيجار طويلة الأمد مع هذه السلطة المعينة من وزارة الداخلية كانت نتائجها أسوأ من الغزو والمعاهدات الاحتيالية.

ففي عام ١٨٨١ عندما دمَّرَ وَهْمُ «الوطن الخالد» مقاومةَ الهنود وحَشَرهم في المعازل، كان الهنود يسكنون فوق ١٥٦ مليون آكر من الأراضي (أكثر من ٦٣١٣٠٩ كلم²)، أي ما يقارب مساحة فرنسا. وفي العشرين سنة التالية (١٩٠٠) انخفضت هذه المساحة إلى نصفها تقريباً فلم يبق منها سوى ٨٥ مليون آكر (٣٤٣٩٨٢ كلم²). ثم تدنّت في عام ١٩٢٨ إلى ٣٠ مليون آكر (١٢١٤٠٥ كلم²)، ما يعني أن السلطة الهندية فرّطت في أقل من نصف قرن بأرض مساحتها ١٢٦ مليون آكر (٥٠٩٩٠٣ كلم²)، أي ما يعادل مساحة خمسين بلداً مثل لبنان[٢٥]. وهذا ما زاد من شقاء الهنود وفقرهم وعزز من استعمارهم وحصر قوتهم ولقمة عيشهم في ما يتصدق عليهم به غزاة بلادهم ولصوص ثرواتهم. ففيما كانت الأرض تُسلب من تحت أقدامهم، كان الكونغرس يشرع قوانين جديدة[٢٦] تسمح للمستوطنين باستيطانها ولعبيد الجشع باستثمارها ونهب ثرواتها[٢٧].

أول جولة في هذه المأثرة الأميركية كانت في ١٨٧١ عندما قرر الكونغرس وقف التعاهد مع الشعوب الهندية بعد أن ابتلعها الوحش في أحشائه ولم يعد يعترف بها أمماً مستقلة ذات سيادة، بل جماعات محلية مقيمة residents يتولى شؤونها وزير الداخلية عبر السلطة [مكتب الشؤون الهندية] التابع له مباشرة[٢٨]. ثم تلاه قانون الجرائم الكبرى[٢٩] الذي فرض سلطة الغزاة القضائية على الأراضي الهندية لأول

مرة وأخضعها بذلك لقوانينه ومحاكماته. وهذا ما فتح الباب لفرض أكثر من خمسة آلاف قانون أميركي على الأراضي الهندية[٣٠]. وفي ١٨٨٧ صدّق الكونغرس على قانون المحاصصة[٣١] الذي صيغ عمداً لتمزيق ما لم يتمزق بعد من النسيج الاجتماعي الهندي ونسف كل أمل في التحرر من اقتصاد العالة. فما إن تم التحاصص حتى بدأ افتراس هذه المعازل بموجب قانون «فائض أراضي المعازل»[٣٢] وهو مدرسة في فن الاستيطان[٣٣]. ففي تقرير لجنة الشؤون الهندية في مجلس الممثلين اعتراف بأن

> الهدف الأساسي من مشروع القانون هو اقتحام أراضي المعازل وإعدادها للاستيطان. أما البنود التي تتظاهر بنفع الهنود فليست سوى معاذير للاستيلاء على أراضيهم واحتلالها. صحيح أن الاحتلال باسم الجشع سيئ جداً. أما أن يتم هذا الاحتلال باسم الإنسانية وباسم مساعدة الهنود فإنه أسوأ بكثير[٣٤].

حتى إن السناتور هنري تلر Henry Teller حذر مجلس الشيوخ من هذه الحمية الإنسانية المصطنعة تجاه الهنود قائلاً: «بعد سنوات قليلة جداً سيلعن الهنود كل هؤلاء الذين تظاهروا بمحبتهم والدفاع عنهم لتمرير هذا القانون»[٣٥]. أما على الأرض حيث تبخرت الدولة وأحلامها وسيق الهنود إلى المعازل

> فلم يبق من معزل هندي داخل الولايات المتحدة لم ينتهكه المستوطنون. لقد لجأوا إلى كل وسيلة ممكنة لاقتحام أراضي الهنود، وقدموا أعذاراً لا أول لها ولا آخر لإخضاع هذه الأراضي لطموحاتهم الاستيطانية[٣٦].

كما جاء في التقرير السنوي لمفوض الشؤون الهندية لعام ١٨٧٩. أما تقرير رابطة الحقوق الهندية Indian Rights Assoc، فيرى أن لهذا القانون هدفاً واحداً هو سلب أراضي هذه المعازل وتصفية القضية الهندية برمتها[٣٧].

وفعلاً فقد سلب الاستيطان أخصب أراضي المعازل وأغناها بالثروات، وتهافت المستوطنون على ما بقي من الأراضي العشبية الغنية في كنساس ونبراسكا وداكوتا (الشمالية والجنوبية)، وعلى الغابات الكثيفة ذات التربة السوداء في مينيسوتا ووسكنسن، والأراضي الغنية بالثروات الباطنية من غاز ونفط ومعادن في أوكلاهوما. ففي ١٨٨٧، مثلاً، كان هنود سيستون سو Sisseton Sioux يملكون ٩١٨ ألف آكر (٣٧١٥ كم٢) من الأراضي العذراء الغنية سلب منها الاستيطان بموجب قانون المحاصصة وفساد السلطة الهندية ثلثيها (٦٠٠ ألف آكر= ٢٤٢٨كم٢). ويروي المؤرخ جيمس أولسون James Olson سلسلة طويلة وفاجعة من هذه المساحات التي سطا عليها المستوطنون في معازل الهنود[٣٨] بينما يذكر القانوني الهندي Kirke Kickingbird أن مساحة الأراضي المنهوبة من هذه المعازل في عام ١٩٣٠ كانت أكثر من مئة مليون آكر (٤٠٤٦٩٠ كلم٢ أو ما يعادل مساحة ٣٨ بلداً مثل لبنان)[٣٩]. لكن أسلحة نهب أراضي هذه المعازل لم تقتصر على القوانين أو على فساد السلطة الهندية، بل شملت المحاكم التي ظن فيها الهنود خيراً فخذلتهم وساهمت في تجريدهم من آخر ما بقي لهم من هذه القارة التي كانت بلادهم وبلاد أبائهم وأجدادهم[٤٠].

وكغيره من هذه القوانين الكثيرة التي صارت من أفتك أسلحة النهب والإبادة، فقد أثخن قانون المحاصصة هنود المعازل فشتَّتَ الكثيرين منهم وبعثرهم في أحشاء المجتمع الأميركي ثم امتصّهم وتمثّلهم فقضى على هنديتهم عرقياً وثقافياً وسياسياً ودينياً واجتماعياً ولغوياً كما بينت ذلك في «أميركا والإبادات الثقافية». ومنذ البداية، أراد صانع القرار لهذه الشعوب الهندية أن تتلاشى نهائياً وأن يُمحىٰ ذكرها من الذاكرة الإنسانية. وفي مثل هذا يقول مفوض الشؤون الهندية فرانسيس لوپ Francis E, Leupp: لا بد من النظر إلى هذه القوانين على أنها هي ومكتب الشؤون الهندية الذي ينفذها آلة لسحق المجتمع الهندي وتمزيقه[٤١].

ومع بداية القرن الماضي (١٩٠٦) سن الكونغرس قانون Burke[٤٢] الذي وضع

المعازل وهنود المعازل تحت وصاية وزارة الداخلية (تماماً كما هي الوزارة الوصية على المحميات الطبيعية والغابات وحيوانات هذه الغابات). فقد أدرك المسؤولون أن فرض الوصاية على المعازل سيمكنهم من التحكم بنهبها ويصطفي الكروش التي ستنتفخ بها، ما يسمح للاقتصاد الأميركي بالتطور والنماء، ولاقتصاد العالة الهندي بتحقيق التلاشي المطلوب والفناء. وهذا ما عبرت عنه حرفياً دراسة أعدتها لجنة خاصة Committe of One Hundred في الكونغرس[٤٣]. وللمزيد من اللؤم كان لا بد من واجهة هندية [سلطة صورية] تتولى تحقيق كل هذه الأهداف النبيلة لهؤلاء الأوصياء. . . وتجعل من هذه المعازل بؤراً استعمارية أشبه بمزارع لتربية المواشي[٤٤].

كل ما كانت تحتاج إليه هو أن تفتتح في كل معزل مكتباً لدفن الموتى تسميه سلطة أو حكومة هندية.

هذا النجاح الباهر لتجربة السلطة الهندية هو الذي شجع الحكومة الأميركية على تكرارها على المستوى المحلي في كل معزل. وقد تجلى ذلك بسنّ قانون «إعادة تنظيم الهنود»[٤٥] استبدلت فيه كل الحكومات الهندية التقليدية بما يسمى المجالس القبلية Tribal Concils وبإشراف كبيرهم الذي علمهم السحر «مكتب الشؤون الهندية». هذه المجالس القبلية أو حكومات المعازل هي بنية ممسوخة عن مكتب الشؤون الهندية صاغتها حكومة الغزاة لتعمل في إطار «الدستور» الذي كتبه رسميو مكتب الشؤون الهندية نفسه. هكذا أُعِدَّت صيغة «ديمقراطية» جاهزة (صُنِعَ في أميركا) جرى بموجبها استفتاء في كل معزل تَلاعبَ مكتبُ الشؤون الهندية بنتائجه لينسجم مع الديمقراطية المنشودة ويحقق الأهداف التي سُنّ القانون لأجلها. وقد دُشِّن هذا الزخم الديمقراطي الأميركي في معزل هوبي Hopi بأريزونا حيث قاطع التصويت ٨٥ بالمئة من الناخبين الهنود، لكن المفوض الهندي جون كولير John Collier عَدَّ هؤلاء المقاطعين بين الموافقين الذين صوتوا بنعم حتى بدا وكأن مئة بالمئة من هنود هوبي صوتوا بنعم، أو إنهم خرجوا جميعاً

بمظاهرة تأييد لتدمير حكومتهم الشرعية واستبدالها بحكومة عميلة[٤٦]! أما المجالس التي أنشئت بهذه الطريقة في بقية المعازل فأثبتت فعلاً أنها مسوخ مشوهة عن السلطة الهندية. كل ما عليها هو توقيع اتفاقيات وعقود تخدم الاستيطان والمستوطنين. أما إذا اتخذت قرارات مهمة فإن عليها أن تنال موافقة وزير الداخلية أو من ينوب عنه في مكتب الشؤون الهندية[٤٧].

بهذه الثروات الهائلة المنهوبة كان من المفترض أن يكون دخل الهندي أعلى دخل فردي في الولايات المتحدة[٤٨]. وللأسف فإن عقود الاستثمار التي وقعها مكتب الشؤون الهندية نيابة عن «القاصرين» الهنود ثم ختمت عليها حكوماتهم المحلية لم يفد منها سوى المستوطنين وتماسيح ثروة الأمم، وبعض الفتات لطواويس السلطة. إن نهب ثروة هؤلاء الأشقياء التي تتدفق بالمليارات على مصارف أميركا وتمد اقتصادها بالقوة وتخلق ملايين فرص العمل المحرمة على الهنود كان ولا يزال من أنجع وسائل الإبادة. أما أقوى البراهين على هذا الجدل الأميركي الحميم بين الإبادة والنهب فليست في هيروشيما وناغازاكي ومجاهل ڤيتنام ونيكاراغوا، وليست في رحلة العالم العربي إلى نهاية التاريخ مكفناً بالعباءات ومشيعاً بفتاوى أكل لحم البشر، بل هنا في أحشاء الوحش؛ هنا حيث يعيش الهنود رحلتهم الأخيرة من الافتراس إلى الهضم.

وإنك لتجد أقوى البراهين على هذا الجدل الإبادي هنا عند مناجم الذهب في قضاء شانُن الهندي Channon County الذي يعتبر من أفقر أقضية الولايات المتحدة؛ هنا حيث ترى في مرابع هذا القضاء مشاهد لا تراها في الصومال أو راوندا ولا حتى في أبشع كوابيس فرانتز فانون. «فالولايات المتحدة، [كما يقول وورد تشرشل أحد أعمدة الحركة الهندية]، تتزعم أكثر أنظمة الاستعمار الداخلي تطوراً وإحكاماً على وجه الأرض، وإن ولاياتها الاستيطانية لا تزال إلى الآن تنتهج سياسات إبادة لشعوبها الأولى». هؤلاء الجياع على أبواب اللئام هنا في قضاء شانُن يعيشون فوق أرض غنية خيرة هي ملك لشعب لاكوتا Lakota

بموجب معاهدة فورت لارمي Fort Laramie. وفي هذه الأرض من الثروات الباطنية المنهوبة ما يكفي لأن يجعل دخل أصحابه في شأنُن أعلى من دخل المتصدقين عليهم. وحده منجمُ الذهب الذي تمص عظامه شركة هومستيك Homestake (إحدى شركات هيرست Hearst) من أرضهم، أرض آبائهم وأجدادهم، مثلاً، هو أغنى منجم ذهب في كل الغرب الأميركي. وقد درّ هذا الكنز الهندي على كروش وول ستريت مليارات الدولارات. ومع ذلك فحين لجأ هنود لاكوتا إلى المحاكم لإنصافهم من هذا الانتهاك لمعاهداتهم مع حكومة الولايات المتحدة ومن هذه اللصوصية السافرة رُفضت دعواهم بحجة أنها تافهة «frivolous»[٤٩]!

وللزعيم الهندي الراحل رسل مينس بيان حزين يفصل فيه كيف دمر «مكتب الشؤون الهندية» شعبَ اللاكوتا وبلادهم، ويروي كيف ضيع هذا المكتب ٩٠ بالمئة من أراضي اللاكوتا

> التي أقرت الولايات المتحدة في أكثر من معاهدة بأنها وطن شعب اللاكوتا إلى الأبد. كل هذه الأراضي اغتصبت اغتصاباً غير شرعي بواسطة وكلاء مكتب الشؤون الهندية وبإجراءات ومصايد احتيالية. فليس هناك شبر من الأرض تنازل عنه شعب اللاكوتا برضاه. ما هو أسوأ من ذلك أن النظر إلى خريطة بلادنا التي تُمسخ يوماً بعد يوم لا يعكس ما لاقاه شعبنا من عذابات وشقاء وأذى، ذلك أن البقية الباقية من أرض المعزل [العشرة بالمئة] يستثمرها غير الهنود بموجب عقود إيجار احتيالية نظمها مكتب الشؤون الهندية العديم الضمير. صحيح أن قانون إعادة تنظيم الهنود كان يهدف إلى تجريدنا من أراضينا، لكن مكتب الشؤون الهندية هو الذي تولى ذلك. إنه وكالة مهمتها القضاء على الهنود وقضاياهم التي يزعم أنه يعمل من أجلها[٥٠].

وبعد أن يعدد الكوارث المؤلمة التي أنزلتها الحكومة الأميركية ومكتب الشؤون الهندية بشعب لاكوتا[٥١] ينتهي إلى أن ذلك كله يدل على حقيقة مرة، هي أن هذه المعازل الهندية بؤر استعمارية. ولأنها محاطة من كل الجهات بالأراضي التي سلبتها الولايات المتحدة فإنه يمكن القول إنها مستعمرات داخلية. ولهذا فإن هذه الشعوب المستعمَرة في المعازل هي الجماعات الأقل دخلاً بين كل الجماعات والطبقات والفئات الأميركية الأخرى. وبسبب فقرهم القسري فإنهم الأكثر جوعاً والأسوأ تغذية والأكثر مرضاً، والأعلى في نسبة الانتحار وموت الأطفال[٥٢].

أما شعب الله، فما زال في إنسانيته الكثير، لقد أغلق في وجوههم كل أمل في حياة كريمة لائقة وفتح لهم أبواباً كثيرة على وطنهم الخالد في العالم الآخر. يكفي أن نذكر أن هنود هذه المعازل اليوم لا يستطيعون أن يشتروا أو يبيعوا أو يرهنوا أو يستأجروا أرضاً في معزلهم الذي يعيشون فيه دون موافقة وزارة الداخلية الأميركية الوصية على حياتهم وعلى حرياتهم وأرزاقهم ومصائرهم. ولأن كل أميركا تعيش في أشداق نظام ربوي متوحش، فإن معظم أشكال البيع والشراء والعمل والدراسة وأشكال الحياة بدءاً من الولادة وانتهاءً بالدفن تعتمد على الاعتماد المصرفي الذي لا يملك الهندي مؤهلاته. ولكي تتضح هذه الصورة في بلد يولد فيه الإنسان ويموت بالربا، فلنفترض مثلاً أن الرهنيات المصرفية Mortgages حجبت اليوم عن المزارعين الأميركيين وعن معدات مزارعهم. النتيجة الحتمية لهذا الانتحار الربوي هو أن سكان ولايات الغرب الأوسط الزراعية الغنية كلها سيجدون أنفسهم بعد أقل من عشر سنوات وقد صاروا وهنود المعازل إخوة في الفقر والشقاء. ثم إن المكتب أو السلطة الهندية وضعت كل العقبات اللازمة في وجه الهندي للحفاظ على شقائه. فلو أن لديه القدرة على أن يبنى لنفسه بيتاً ليسكن فيه فإن مكتب الشؤون الهندية يمنعه أو يصادر أرضه بحجة أنه لم يحسن عمله (كما ينص قانون المحاصصة على ذلك). ولطالما كانت هذه ذريعة لسلب أراضي الهنود. كذلك لا يستطيع الهندي التصرف بميراثه من

الأرض، حتى خارج المعزل، ولا بدخله من النفط لأن حكومة الولايات المتحدة من طريق مكتب الشؤون الهندية تحجز هذه الثروات مباشرة باسم الوصاية.

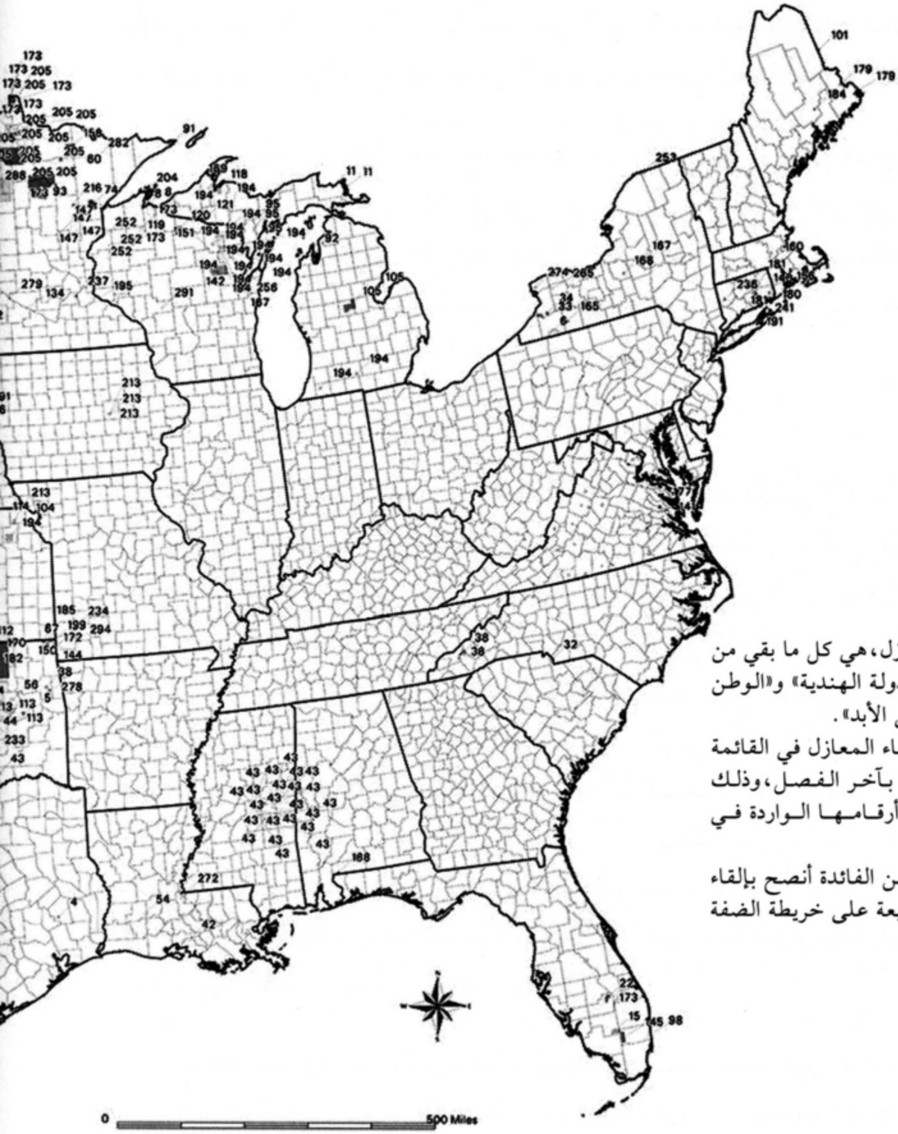
حالة الهندي اليوم يصفها رامون روبيدو Ramon Roubideaux زعيم هندي من شعب سو Sioux كما يأتي: إننا في مصيدة. وكلما حاولنا التخلص من هذه المصيدة أمسك بنا مكتب الشؤون الهندية ورمانا فيها من جديد. وإن تحرير الهندي اليوم مرتبط أولاً وأخيراً بتصفية سلطته المسماة مكتب الشؤون الهندية لوضع الحكومة الأميركية مباشرة أمام مسؤولية احتلالها(٥٣).

□ □ □

في زحام هذه الفواجع، اكتشفت ساديّةُ «ثروة الأمم» في شقاء الهندي شيئاً مسليّاً. لِمَ لا تجعل منه «فرجة» أو «سلعة سياحية» تدر ملايين الدولارات على جيوب شعب الله؟ فما أكثر الناس الذين يعشقون رؤية هذا الوحش العجيب قبل أن ينقرض نهائياً. هناك اليوم عشرات الشركات السياحية التي تفننت في ترقيص هذا «القرد» الكنعاني في منتجعات سياحية خاصة تتوافد عليها أفواج العجائز والأطفال والفضوليين من كل فج عميق. هناك اليوم عشرات البقع السياحية التي اقتطعت شركاتُ السياحة بعضها من المعازل وحولتها إلى منتجعات سياحية، وأقامت بعضها في مناطق جغرافية ذات طبيعة ساحرة مثل ضفاف نهر وسكنسن حيث استحضرت إليها هنوداً من أفقر المعازل ليعوضهم شعب الله عن «الوطن الخالد إلى الأبد» بما قد يرميه إليهم السائح المذهول بأشكالهم وملابسهم ورقصاتهم. وخاصة حين يتصور مبتسماً مع واحد منهم.

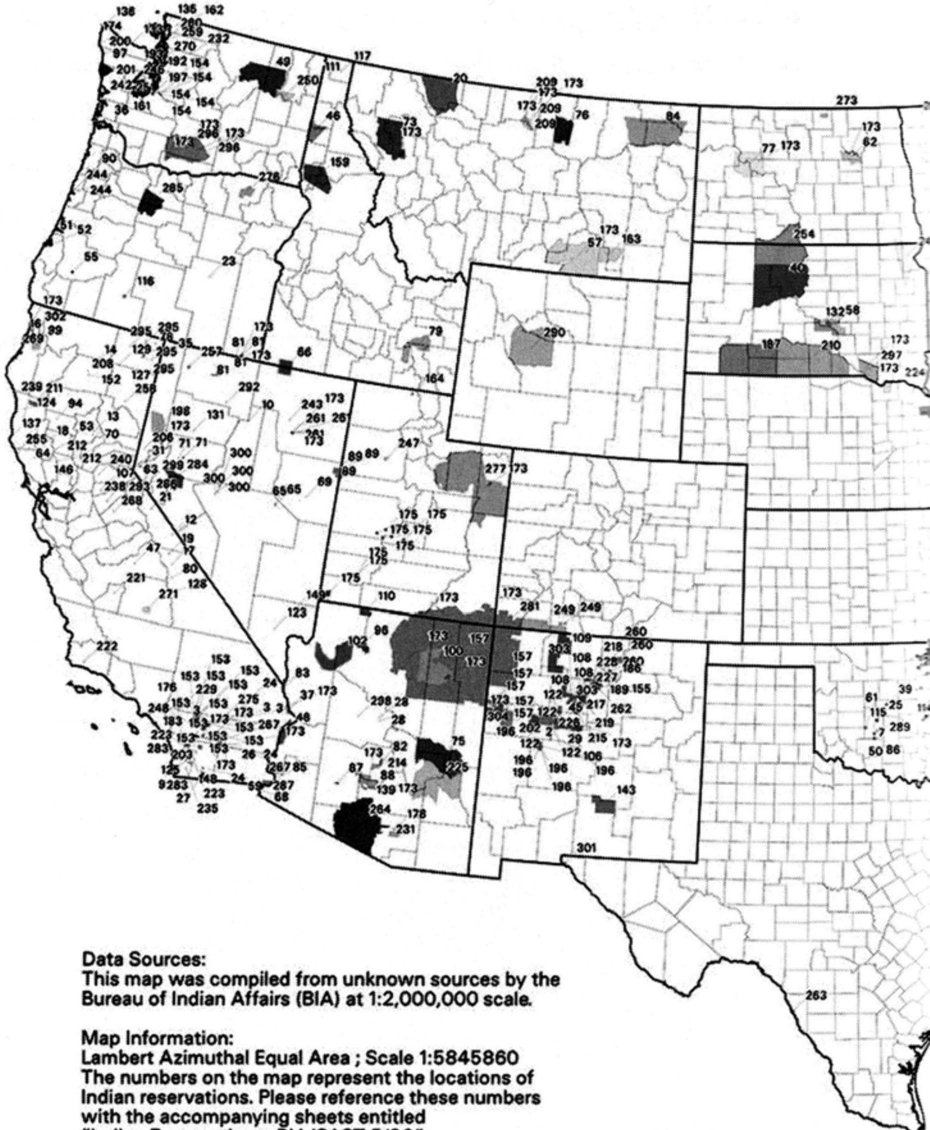
وعلى طريقة استديوهات هوليوود هيأت لهم الشركات السياحية قرى خاصة من الخيام الهندية التقليدية ليتجول بينها هنود شبه عراة مطلوسون بخمسة ليترات من الألوان الفاقعة ومزينون بريش أمة كاملة من الطيور الملونة، وتسمعهم بين الحين والآخر يعوون بما يُطرب الرجل الأبيض ويزيده قناعة بحكمة انقراض هؤلاء

Continental United States



٣٠٤ معازل، هي كل ما بقي من حلم «الدولة الهندية» و«الوطن الخالد إلى الأبد».
انظر أسماء المعازل في القائمة المرفقة بآخر الفصل، وذلك حسب أرقامها الواردة في الخريطة.
ولمزيد من الفائدة أنصح بإلقاء نظرة سريعة على خريطة الضفة الغربية.

Indian Reservations in the



Data Sources:
This map was compiled from unknown sources by the Bureau of Indian Affairs (BIA) at 1:2,000,000 scale.

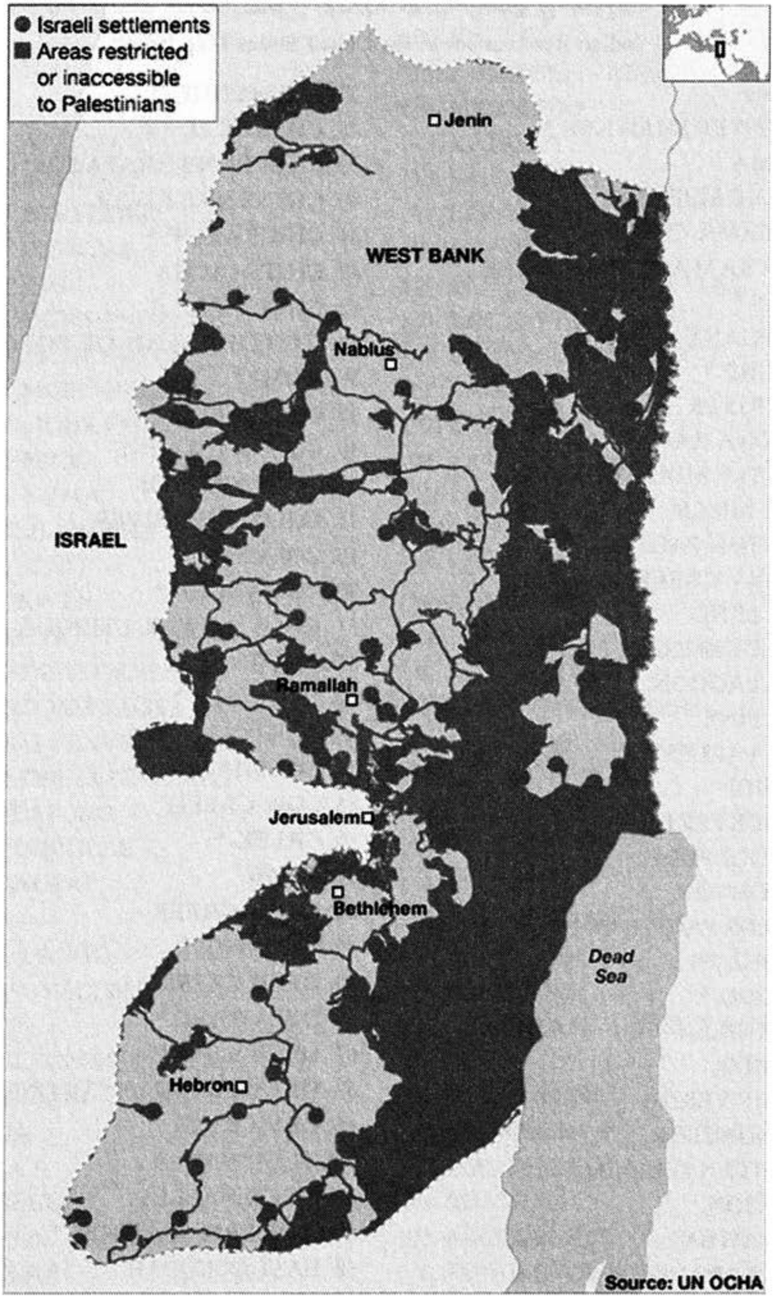
Map Information:
Lambert Azimuthal Equal Area ; Scale 1:5845860
The numbers on the map represent the locations of Indian reservations. Please reference these numbers with the accompanying sheets entitled "Indian Reservations- BIA/CAST 5/96".

الوحوش. لقد استخدمت هذه الشركات كل براعة مخرجي هوليوود لتدريب عدد من أبناء هذا المعزل أو ذاك على تمثيل الصورة النمطية التي تفننت مئات المواهب والعبقريات على مدى مئات السنين في طبعها في الذاكرة الإنسانية عن هذا الهندي بالغلط، والكنعاني الذي أبيد نيابة عنا ـ نحن الكنعانيين حقيقة ـ بالغلط. فلكي يكتمل استيطان الأرض واستيطان العقل واستيطان التاريخ لا بد من استيطان الذاكرة الإنسانية أيضاً.

العجوز الهندية واهيني Waheenee من هنود هيداستا Hidasta لم تجد ما تعبر به عن حال الهنود بعد رحلة مئتي سنة مع «الدولة الموعودة» و«الوطن الخالد إلى الأبد» سوى هذه الكلمات الموجعة:

> في بعض الأماسي، أجلس أمام نهرنا؛ نهر ميزوري العظيم. الشمس تغيب، والغسق يذوب في المياه، وتلوح لي في تلك الظلال قريتنا الهندية. وفي هدير النهر أسمع جلبة المحاربين تموج مع قهقهات الصغار والكبار. لكنني أحلم! نعم. إنها ليست إلا أحلام امرأة عجوز، فأنا لا أرى إلا أشباحاً، ولا أسمع إلا هدير المياه. ثم تنفجر الدموع في عينيّ لأنني أعرف أن محاربينا ذبحوا، وأن حياتنا الهندية انتهت إلى الأبد[٥٤].

Israeli settlements in the West Bank



مستوطنات ومعازل الضفة الغربية. انظر خريطة المعازل الهندية في الصفحة السابقة

Source: United Nation Office for the Coordination of Humanitarian Affairs

ثبت بأسماء المعازل الهندية حسب أرقامها في الخريطة
Indian Reservations in the United States Map Index

0 No Data
1. ABSENTEE SHAWNEE *
2. ACOMA
3. AGUA CALIENTE
4. ALABAMA-COUSHATTA
5. ALABAMA-QUASSARTE CREEKS *
6. ALLEGANY
7. APACHE *
8. BAD RIVER
9. BARONA RANCH
10. BATTLE MOUNTAIN
11. BAY MILLS
12. BENTON PAIUTE
13. BERRY CREEK
14. BIG BEND
15. BIG CYPRESS
16. BIG LAGOON
17. BIG PINE
18. BIG VALLEY
19. BISHOP
20. BLACKFEET
21. BRIDGEPORT
22. BRIGHTON
23. BURNS PAIUTE COLONY
24. CABEZON
25. CADDO *
26. CAHUILLA
27. CAMPO
28. CAMP VERDE
29. CANONCITO
30. CAPITAN GRANDE
31. CARSON
32. CATAWBA
33. CATTARAUGUS
34. CAYUGA *
35. CEDARVILLE
36. CHEHALIS
37. CHEMEHUEVI
38. CHEROKEE * #
39. CHEYENNE-ARAPAHOE*
40. CHEYENNE RIVER
41. CHICKASAW *
42. CHITIMACHA
43. CHOCTAW * #
44. CITIZEN BAND OF POTA-WATOMI *
45. COCHITI
46. COEUR D'ALENE
47. COLD SPRINGS
48. COLORADO RIVER
49. COLVILLE
50. COMANCHE *
51. COOS, LOWER UMPQUA & SIUSLAW
52. COQUILLE *
53. CORTINA
54. COUSHATTA
55. COW CREEK
56. CREEK *
57. CROW
58. CROW CREEK
59. CUYAPAIPE
60. DEER CREEK
61. DELAWARE *
62. DEVILS LAKE
63. DRESSLERVILLE COLONY
64. DRY CREEK
65. DUCKWATER
66. DUCK VALLEY
67. EASTERN SHAWNEE *
68. EAST COCOPAH
69. ELY COLONY
70. ENTERPRISE
71. FALLON

72. FLANDREAU INDIAN SCHOOL
73. FLATHEAD
74. FOND DU LAC
75. FORT APACHE
76. FORT BELKNAP
77. FORT BERTHOLD
78. FORT BIDWELL
79. FORT HALL
80. FORT INDEPENDENCE
81. FORT MCDERMITT
82. FORT MCDOWELL
83. FORT MOHAVE
84. FORT PECK
85. FORT YUMA
86. FT. SILL APACHE *
87. GILA BEND
88. GILA RIVER
89. GOSHUTE
90. GRANDE RONDE
91. GRAND PORTAGE
92. GRAND TRAVERSE
93. GREATER LEECH LAKE
94. GRINDSTONE
95. HANNAHVILLE
96. HAVASUPAI
97. HOH
98. HOLLYWOOD
99. HOOPA VALLEY
100. HOPI
101. HOULTON MALISEETS
102. HUALAPAI
103. INAJA
104. IOWA *
105. ISABELLA
106. ISLETA
107. JACKSON
108. JEMEZ
109. JICARILLA
110. KAIBAB
111. KALISPEL
112. KAW *
113. KIALEGEE CREEK *
114. KICKAPOO *
115. KIOWA *
116. KLAMATH *
117. KOOTENAI
118. L'ANSE
119. LAC COURTE OREILLES
120. LAC DU FLAMBEAU
121. LAC VIEUX DESERT
122. LAGUNA
123. LAS VEGAS
124. LAYTONVILLE
125. LA JOLLA
126. LA POSTA
127. LIKELY
128. LONE PINE
129. LOOKOUT
130. LOS COYOTES
131. LOVELOCK COLONY
132. LOWER BRULE
133. LOWER ELWAH
134. LOWER SIOUX
135. LUMMI
136. MAKAH
137. MANCHESTER
138. MANZANITA
139. MARICOPA
140. MASHANTUCKET PEQUOT
141. MATTAPONI +
142. MENOMINEE
143. MESCALERO
144. MIAMI *
145. MICCOSUKEE
146. MIDDLETOWN
147. MILLE LACS
148. MISSION
149. MOAPA

150. MODOC *
151. MOLE LAKE
152. MONTGOMERY CREEK
153. MORONGO
154. MUCKLESHOOT
155. NAMBE
156. NARRAGANSETT
157. NAVAJO
158. NETT LAKE
159. NEZ PERCE
160. NIPMOC-HASSANAMISCO +
161. NISQUALLY
162. NOOKSACK
163. NORTHERN CHEYENNE
164. NORTHWESTERN SHOSHONE
165. OIL SPRINGS
166. OMAHA
167. ONEIDA #
168. ONONDAGA
169. ONTONAGON
170. OSAGE
171. OTOE-MISSOURI *
172. OTTAWA *
173. OUT
174. OZETTE
175. PAIUTE
176. PALA
177. PAMUNKEY +
178. PASCUA YAQUI
179. PASSAMAQUODDY
180. PAUCATAUK PEQUOT +
181. PAUGUSETT +
182. PAWNEE *
183. PECHANGA
184. PENOBSCOT
185. PEORIA *
186. PICURIS
187. PINE RIDGE
188. POARCH CREEK
189. POJOAQUE
190. PONCA *
191. POOSEPATUCK +
192. PORT GAMBLE
193. PORT MADISON
194. POTAWATOMI #
195. PRAIRIE ISLE
196. PUERTOCITO
197. PUYALLUP
198. PYRAMID LAKE
199. QUAPAW *
200. QUILLAYUTE
201. QUINAULT
202. RAMAH
203. RAMONA
204. RED CLIFF
205. RED LAKE
206. RENO-SPARKS
207. RINCON
208. ROARING CREEK
209. ROCKY BOYS
210. ROSEBUD
211. ROUND VALLEY
212. RUMSEY
213. SAC AND FOX #
214. SALT RIVER
215. SANDIA
216. SANDY LAKE
217. SANTA ANA
218. SANTA CLARA
219. SANTA DOMINGO
220. SANTA ROSA
221. SANTA ROSA (NORTH)
222. SANTA YNEZ
223. SANTA YSABEL
224. SANTEE
225. SAN CARLOS
226. SAN FELIPE
227. SAN ILDEFONSO

228. SAN JUAN
229. SAN MANUAL
230. SAN PASQUAL
231. SAN XAVIER
232. SAUK SUIATTLE
233. SEMINOLE *
234. SENECA-CAYUGA *
235. SEQUAN
236. SHAGTICOKE +
237. SHAKOPEE
238. SHEEP RANCH
239. SHERWOOD VALLEY
240. SHINGLE SPRING
241. SHINNECOCK +
242. SHOALWATER
243. SHOSHONE
244. SILETZ
245. SISSETON
246. SKOKOMISH
247. SKULL VALLEY
248. SOBOBA
249. SOUTHERN UTE
250. SPOKANE
251. SQUAXON ISLAND
252. ST. CROIX
253. ST. REGIS
254. STANDING ROCK
255. STEWARTS POINT
256. STOCKBRIDGE MUNSEE
257. SUMMIT LAKE
258. SUSANVILLE
259. SWINOMISH
260. TAOS
261. TE-MOAK
262. TESUQUE
263. TEXAS KICKAPOO
264. TOHONO O'ODHAM
265. TONAWANDA
266. TONIKAWA *
267. TORRES MARTINEZ
268. TOULUMNE
269. TRINDAD
270. TULALIP
271. TULE RIVER
272. TUNICA-BILOXI
273. TURTLE MOUNTAINS
274. TUSCARORA
275. TWENTYNINE PALMS
276. UMATILLA
277. UINTAH AND OURAY
278. UNITED KEETOOWAH BAND OF CHEROKEE *
279. UPPER SIOUX
280. UPPER SKAGIT
281. UTE MOUNTAIN
282. VERMILION LAKE
283. VIEJAS
284. WALKER RIVER
285. WARM SPRINGS
286. WASHOE
287. WEST COCOPAH
288. WHITE EARTH
289. WICHITA *
290. WIND RIVER
291. WINNEBAGO #
292. WINNEMUCCA
293. WOODFORD INDIAN COMMUNITY
294. WYANDOTTE *
295. XL RANCH
296. YAKAMA
297. YANKTON
298. YAVAPAI
299. YERINGTON
300. YOMBA
301. YSLETA DEL SUR
302. YUROK
303. ZIA
304. ZUNI

الهوامش

(١) Carlos B. Embry, *America's Concentration Camps: The Facts About Our Indian Reservations* (David McKay Co. 1956).

(٢) Forbes Parkhill, *The Last of The Indian Wars*,(Cronwell-Collier Press, 1961), p. 32.

(٣) Robert A.Trennert Jr. *Alternative to Extinction: Federal Indian Policy and the Beginnings of the Reservation System, 1846-51*, (Temple Univ Press, 1975).

حَشْرُ البقيةِ الباقية من الشعوب الهندية في هذه المعازل كان ركناً أساسياً من أركان السياسة الهندية بعد ترحيل هنود الشرق إلى «وطنهم الخالد للأبد». صحيح أن الفكرة قديمة قِدَم الاستعمار البريطاني لشمال أميركا جسّدها المبشرون في ما يعرف «بمدن الصلاة praying towns».

John Eliot, *A late and further manifestation of the progress of the gospel amongst the Indians in New-England: declaring their constant love and zeal to the truth: with a readiness to give accompt of their faith and hope, as of their desires in church communion to be partakers of the ordinances of Christ: being a narrative of the examinations of the Indians, about their knowledge in religion, by the elders of the churches* (London: Printed by M. S., 1655), reprinted in 1834, Vol.4, p. 269.

إلا أن سياسة الترحيل أغنت عنها بل كانت أطيب ثمراً، ولا سيما في عهد جاكسون وإنشاء ما يسمى الحاجز الهندي Indian Barrier وهو خط أرادت منه الحكومة الأميركية أن ترمي وراءه بكل الهنود باسم حمايتهم من عدوان المستوطنين البيض.

Joseph D. Ibbotson, Samuel Kirkland, «The Treaty of 1792, and the Indian Barrier State,» *New York History*, Vol. 19, No. 4 (October 1938), pp. 374-391.

ففي ١٨٣٢ (أي في عهد جاكسون) أجرت الحكومة تجربة خائبة على المعازل على ضفة نهر إياوا Iowa حشرت فيها من بقي من هنود ساك أند فوكس Sac and Fox لكن الهنود الغاضبين استطاعوا الإفلات من هذا الحجز وهربوا بعيداً إلى الغرب.

Alonzo Abernathy, «Early Iowa Indian Treaties and Boundaries.» *The Annals of Iowa* 11 (1914), 251-252.

كذلك حشرت الولايات المتحدة (١٨٦٤) كل من بقي على قيد الحياة من هنود دينيه Dene مدة أربع سنوات في منطقة بوسك رودونو Bosque Rodono بنيو مكسيكو بعد أن أجبرتهم على تلك المسيرة المعروفة بالمسيرة الطويلة Long Walk ثلاثمئة ميل (أكثر من ٥٠٠ كلم) بعيداً عن mxkil في أريزونا واحتجزتهم في ظروف وحشية دون طعام أو مأوى مناسب ليموتوا كالذباب. وفعلاً فقد مات أكثر من نصفهم في هذا المعسكر. وقصة هذا الحجز مروية بتفصيل في.

Lynn Robinson Baily, *The Long Walk: A History of the Navaho Wars, 1846-1868*, (Pasadena, California, Westernlore Publicationm 1978)

ومن ذلك أيضاً أن الولايات المتحدة ضربت حصاراً غذائياً على هنود لاكوتا في ١٨٧٧ بعد أن

احتجزتهم في معسكرات إلى أن أجبرت المجاعة زعماء هذا الشعب على التنازل عن منطقة بلاك هيلز Black Hills الغنية بالثروات الباطنية والمياه للغزاة انظر.

Edward Lazarus, *Blafck Hills/White Justice: The Sioux Nation versus the United States, 1775 to the Present,* (HarperCollins; 1991), pp.71-95.

وفيما حاولت قوانين ١٨٣٤ إعادة تنظيم السياسة الهندية بما يناسب «الوطن»، فقد كان من المتوقع كما كان كثير من رجال الكونغرس يعتقدون أن هذه «الدولة الهندية» غير عملية وغير دستورية كما يصفها الرئيس جون كوينسي آدامس John Quincy Adams.

«Regulating the Indian Departments,» 23 Congress, 1st session, *House Report 474,* Serial 263, pp. 33-37.

ثم إنه ليست هناك من ضمانة بأن المستوطنين لن يقتحموا هذا الوطن الخالد إلى الأبد ويبتلعوه إلى الأبد.

(٤) John W. Morris and Edwin C. McReynolds, *Historical Atlas of Oklahoma* (University of Oklahoma Press, 1966), see map 76.

في ذروة هذا المد الاستيطاني المشفوع بالقدر المتجلي صرح الرئيس جيمس بولك James Polk (وهو آخر الجاكسونيين الصقور) أمام الكونغرس متباهياً بأن القدر المتجلي لم يقتلع وطن الهنود وحسب، بل إنه وهب الولايات المتحدة مليوناً و٩٣ ألف ميل مربع إضافي من الأرض، أو ما يعادل نصف مساحة الولايات المتحدة قبل ذلك.

James K. Polk. Fourth Annual Message December 5, 1848, pp. 7-8.

وهذا ما عزز سياسة الاستيطان ووضعَ سكاكينه الطويلة على رقاب شعوب هندية جديدة، أهمها شعوب السهول Plains Indians مثل هنود الأباشي Apache والكومانشه Comanche واللاكوتا Lakota. وصار من الواضح أن الهنود لا يستطيعون أن ينشئوا دولتهم الخاصة ما دام شعب الله سيلتهمها عاجلاً أو آجلاً. لهذا بدأ المسؤولون في الإدارة الهندية يرون ضرورة أن يُحجر على الهنود في مناطق قفراء نفراء لا تعني المستوطنين. وفيها تسعى الحكومة الأميركية إلى قتل هنديتهم بتعليمهم أسلوب حياة البيض. ومن هذه الأفكار العنصرية ولدت المعازل.

(٥) مساحة الولايات الثلاث (ساوث داكوتا، وايومنغ، مونتانا) هي ٨٣٣٨٩٥ كلم^2 وعدد سكانها هذا العام ٢٣٦٧٢٢١ نسمة. أما مساحة الدول الأوروبية الأربع (فرنسا وهولندا وبلجيكا والنمسا فهو ٧٩٦٥٨٠ كلم^2. بينما يبلغ عدد سكانها أكثر من مئة مليون نسمة. لهذا كانت إبادة الكنعانيين الهنود مقصودة لذاتها. ولهذا لا بد من التنبيه إلى أن هذا الإلحاح على «يهودية دولة إسرائيل» كما يردده الصهاينة اليوم ليس إلا استحضاراً حديثاً وقديماً، عبرانياً وأميركياً، لتناقض فكرة إسرائيل المبدئي والجوهري والمقدس مع «الدولة الفلسطينية» ومع الوجود الفلسطيني نفسه. ومن يروج لذلك، بجهل أو بخبث، إنما يروج لنهاية فلسطينية لا تختلف عن نهاية الهنود الحمر.

(٦) United States. Office of Indian Affairs / Annual report of the commissioner of Indian affairs, for the years 1846-1850, *Annual report of the commissioner of Indian affairs for 1848,* (Washington, Wendell and Van Benthuysen) pp. 386-391.

وعن وليم مديل:

Benjamin Perley *The political register and congressional directory: a statistical record of the Federal Officials...1776-1878.* (Boston: Houghton, Osgood and Company, 1878), p. 235

(٧) على الرغم من أن المعاهدات مع الهنود ما زالت، قانونياً، تحمل صفة دولية فإن الولايات المتحدة كانت وما زالت تتعامل مع الهنود على أساس أنهم «مشكلة داخلية». وقد كان ذلك واضحاً منذ البداية حيث تولت وزارة الحرب هذه المهمة التي انتقلت بعد ذلك إلى وزارة الداخلية وليس إلى وزارة الخارجية. حتى جون مارشال John Marshall رئيس المحكمة العليا الذي تحدث كثيراً عن كيانات هندية ذات حكم ذاتي وعن معنى «الأمة» و«المعاهدة» أفتى بأن العلاقة بين الولايات المتحدة والأمم الهندية تشبه العلاقة ين الوصي والقاصر. وهذا ما تبنته الحكومة الفيدرالية وحكومات الولايات في تعاملها مع الهنود.

Francis Paul Prucha, *American Indian Treaties: The History of a Political Anomaly,* (University of California Press 1997), p. 15.

(٨) Daniel H. Israel, «Drafting Indian Reservation Resource Contracts,» *Natural Resources & Environment,* Vol. 3, No. 1, Drafting Agreements (Winter 1988),pp. 15-18, 49.

في عشرينيات القرن الماضي تبين أن هذه المعازل الفقيرة البور التي خصصت ليموت فيها الهنود ببطء تكتنز ثروات معدنية هائلة. ففي ١٩٢١ مثلاً كشفت شركة ستاندرد أويل عن وجود احتياطي هائل من النفط في معزل ناڤاهو Nafajo.

Anita Parlow, *Cry Sacred Ground Big Mountain U S A,* (Christic Institute Press 1988), P. 30.

وعلى مدى العقود الثلاثة التالية تبين أن كثيراً من الثروات كامنة في أراضي هذه المعازل تحت أقدام الأشقياء الهنود، فالمعازل الغربية بشكل خاص تكتنز كميات هائلة من الفحم والنفط والزيت الحجري والغاز الطبيعي والخشب والأورانيوم. إن ٤٠ بالمئة من الفحم المنخفض الكبريت، و٨٠ بالمئة من احتياطي اليورانيوم، ومليارات براميل الزيت الحجري موجودة في معازل الهنود. ففي معزل ناڤاهو وحده ما يقدر بمئة مليون برميل من النفط و٢٥ تريليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي و٨٠ مليون رطل من الأورانيوم و٥٠ مليار رطل من الفحم. أما معزل Northern Cheyenne في مونتانا فقائم على طبقة من الفحم بسمك ٦٠ قدماً ويقدر الجيولوجيون أن معزل Jicarilla Apache في نيو مكسيكو يكتنز تريليوني قدم مكعب من الغاز الطبيعي ومليون برميل من النفط.

James S Olson and Raymond Wilson, *Native Americans in the Twentieth Century,* (University of Illinois Press; 1984), p. 181.

(٩) D'Arcy McNickle et al, *Captive Nations: A Political History of American Indians,*(American Indian Policy Review Commission, Task Force #7, Reservation and Resource Development and Protection, 1976) and *Captives within a free society federal policy and the American Indian* (historical review prepared for the American

Indian Policy Review Commission) by D'Arcy McNickle et al. (Washington D. C., United States Government Printing Office, 1977). See chapter 1, pp. 47-82.

إصطلاح «أمم أسيرة» أو «أمم في حالة أسر «ينطبق على وضع الهنود قبل اكتشاف ثروات معازلهم، ويصور علاقتهم مع حكومة الولايات المتحدة التي تأسرهم أو تحجر عليهم في هذه المعازل. أما الهنود في مرحلة الاستعمار الاقتصادي فإنهم يختلفون عن مستعمرات أميركا في الجزيرة العربية أو أميركا اللاتينية في أن هذه المستعمرات الهندية موجودة داخل حدود ما صار يعرف اليوم بالولايات المتحدة، أي إنها مستعمرات داخلية. وهذه من أخبث أنواع الاستعمار الناتج من شكل سُمّي قاتل من التسلط السياسي الاقتصادي حيث إن شعب الله يُصدّر نسبة كافية من أبنائه ليحلوا محل السكان الأصليين انطلاقاً من فكرة أميركا (احتلال أرض الغير واستبدال شعب بشعب.. الخ). وهو ما اصطلح عليه في أمكنة أخرى بالاستعمار الاستيطاني، وبذلك يصبح السكان الأصليون كياناً أو كيانات صغيرة مستعمَرة داخل حدود بلادهم وبلاد آبائهم وأجدادهم تماماً كحالة الاستعمار الاستيطاني في فلسطين اليوم.

Ibid., see Ward Churchill, *Struggle for the Land: Native North American Resistance to Genocide, Ecocide, and Colonization*,(City Lights Publishers; 2002) pp. 24-26.

(١٠) في عام ١٩٩٤ أجرت منظمة ائتلاف الجوع Hunger Coalition دراسة عن أسرة هندية تشترك في برنامج الإعاشة الغذائية في المعازل الهندية FDPIR وكشفت عن واقع يعصر القلوب لهؤلاء الذين كانوا يظنون أن شعب الله فعلاً سيسمح لهم بالعيش في «وطن خالد إلى الأبد». وقد تبين في هذه الدراسة أن بطاقات الإعاشة نفسها غير ناجعة وفعالة في هذه المعازل، ذلك أن معظم أسر هذه المعازل تعيش بعيداً جداً عن مكتب البرنامج، وأن كثيراً من المخازن التي يتولاها البيض فقط لا تقبل بطاقات الإعاشة، فضلاً عن أن هذه المخازن نفسها بعيدة جداً عن مساكن المنتفعين بالبطاقات.

Charles L. Usher, et al.,, *Evaluation of the Food Distribution Program on Indian Reservations* (FDPIR). Washington, D.C.: Food and Nutrition Service. U.S. Department of Agriculture, (1990).

ثم تبين أن معظم هذه الأغذية الممنوحة تُميت قبل أن تُقيت، فهي كما يقول عنها الزعيم ليتل إيغل Little Eagle سموم ذات نسبة عالية من الدهون والنشويات والصوديوم.

A. Little Eagle, «Commodity Program Gets Radical Facelift.» *Indian Country Today*. (July 20, 1994): A1-A2.

وفعلاً، فقد صرحت مؤسسات صحية عديدة (هندية وأميركية) بأن مرض السكري قد تحول إلى وباء بين الذين يعيشون على بطاقات الإعاشة في هذه المعازل، وليس هناك أي دليل على الاهتمام بمعالجته أو حصره.

Janette S. Carter,. *Statement of the American Diabetes Association and the Native American Diabetes Association*. (Issued under the auspices of the American Diabetes Association, 1994).

وقد جرت الدراسة على سبعة من هذه المعازل بعد أن انتشر خبر المجاعات والأمراض فيها على

المستوى الوطني، ولم يعد بالإمكان قتل هؤلاء الأشقياء دون شهود.

J. Larry Brown. (1987). «Hunger in the U.S.» *Scientific American,* 256, pp. 37-41

وتدل أرقام مكتب الإحصاء (١٩٩٠) في سبعة معازل غنية بالثروات على نسبة الذين يعيشون تحت خط الفقر من مجمل سكان المعزل كما يأتي:

	تحت خط الفقر ١٠٠٪	تحت خط الفقر ٥٠٪	مجمل نسبة الفقراء
معزل بلاك فيت	٤٧	٢٣,٧	٧٠,٧٪
معزل كرو	٤١,٧	١٨	٥٩,٧٪
معزل فلات هيد	٢٢,٩	٩,١	٣٢٪
معزل فورت بلكناپ	٤٥,٣	٢٣,٣	٦٨,٦٪
معزل فورت بِك	٣١,٦	١٦	٤٧,٦٪
معزل شايين	٤٨,٦	٢٣	٧١,٦٪
معزل روكي بويز	٤٧,٥	١٦,١	٦٣,٦٪

Official Poverty and Deep Poverty Rates: State of Montana's Seven Indian Reservations. 1990 Census, (Based on all residents of the Reservations, regardless of race).

(١١) See Sara. Levitan, and William B. Johnston, *Indian Giving: Federal Programs for NativeAmericans* (Baltimore: Johns Hopkins Univ. Press, 1975), pp. 124- 150; Americans for Indian Opportunity (AIO), *Indian Tribes as Developing Nations; A Question ofPower: Indian Control of Indian Resource Development* (Albuquerque, NM: Americans for Indian Opportunity, Inc., 1975), pp.1-9.

وتختلف هذه المعازل في أنواع وأحجام واستثمارات ما فيها من مصادر خام. فبعض هذه الشعوب ترفض المساس بأراضيها رفضاً مطلقاً نابعاً من تقاليدها وعلاقتها المميزة بالطبيعة لهذا. فبرغم كل توحش «ثروة الأمم» لم يُستثمَر من هذه الثروات سوى جزء بسيط منها. أما بالنسبة إلى أنواع هذه الثروات الطبيعية وأحجامها فيمكن قراءة

Joseph G. Jorgenson, et al., *Native Americans and Energy Development* (Cambridge, MA: Anthropology Resource Center, 1978) p.6.

ولا سيما مقالة جورغنسن الافتتاحية التي تشير بوضوح إلى أن أكبر مصادر الطاقة في الولايات المتحدة بما في ذلك اليورانيوم موجودة في هذه المعازل.

Ibid., p.16.

(١٢) Carlos B. Embry, *America's Concentration Camps,* op. cit., p. ix

(١٣) يمكن قراءة أوديسة هذا الشعب بين المعازل في:

Donald J Berthrong, *The Cheyenne and Arapaho Ordeal: Reservation and Agency Life in the Indian Territory, 1875-1907,* (The Civilization of the American Indian Series), (University of Oklahoma Press 1976), pp. 148-181.

(١٤) D'Arcy McNickle et al, *Captive Nations,* op. cit., pp. 47-82.

(١٥) هذه الأنواع من البؤر الاستعمارية داخل كيان إمبراطوري مثل الكيان الأميركي تُخلق عادة لتضمن تدفق الثروات على اختلافها من هذه البؤر إلى اقتصاد الكيان. ولعل أفضل من فصّل هذا النوع من العلاقات الاقتصادية الشاذة بين العاصمة الاستعمارية وبين ذيولها أو تَبَعها هو أندريه غندر فرانك Andre Gunder Frank في:

Andre Gunder Frank, *Capitalism and Underdevelopment in Latin America: Historical Studies of Chile and Brazil* (New York: Monthly Review Press, 1967).

والفكرة ليست من إبداعه فهي اقتباس وتطوير اقتصادي لاصطلاح الاستعمار الداخلي الذي أطلقه الإسكتلنديون والولشيون بعد الاستعمار الإنكليزي لبلادهم، ولعل أول من استخدمه في السياق الهندي هو عالم الإنسانيات الشيروكي روبرت توماس Thomas K. Thomas انظر مقالته في:

«Colonialism: Classic and Internal,» in *New University Thought,* Vol. 4, No.4 (Winter 1969), pp. 37-44.

(١٦) Jim Richardson, and John A. Farrell, «The New Indian Wars,» *Denver Post*, Special Reprint, November 20-27, 1983.

(١٧) Cardell K. Jacobson, «Internal Colonialism and Native Americans: Indian labor in the United States from 1871 to World War II,» *Social Science Quarterly 65*, (1984) pp. 158-71.

(١٨) Gary Anders, «The Internal Colonization of Cherokee Native Americans,» *Development and Change* 10 (1979), pp. 41-55 and «Theories of Underdevelopment and the American Indian,» *Journal of Economic Issues* 40 (1980), pp. 681-701.

إنها كما يصفها الاقتصادي ريشارد نافزيغر Richard Nafziger مجرد أداة لخدمة الرأسمالية الصناعية والسياسة والثقافة السائدة.

Richard Nafziger, «Transnational Corporations and American Indian Development,» in Roxanne Dunbar Ortiz, ed. *American Indian Energy Resources and Development* (Santa Fe, NM: Native American Studies, University of New Mexico, 1980), pp. 9-38.

وهي تعني ارتهان قرار هذه السلطة لمستعمري أرضها بعد تدمير كل مقاومتهم وإخضاعهم ثم استدراجهم من فخ إلى آخر إلى أن أوقعت من بقي على قيد الحياة منهم في هذه المعازل.

(١٩) على خطى غزاة فلسطين تسعى إدارة الرئيس أوباما، كما جاء في تقرير للمجلس الوطني للهنود الأميركيين National Congress of American Indians لاغتصاب الأرض التي شهدت مذبحة وونددد ني Wounded Knee وما حولها. وهذا يشمل ٧٢٨٤٣ متراً مربعاً من أرض وونددد ني الهندية بما فيها من ثروات باطنية ومياه. وتسعى الولايات المتحدة إلى تحويل هذه البقعة المقدسة التي دفنت فيها ضحايا مجزرة وونددد ني الشهيرة إلى «پارك» وطني Nationasl Park بعد موافقة الكونغرس على ذلك. أما الهنود الذين يعيشون هناك فلم يستشاروا أو يحسب لهم حساب في هذا التعدي على أملاكهم.

NCAI report (April 7, 2010) and see Ewen MacAskill, «New battle for Wounded Knee: sale of massacre site exposes tribal tensions,» *The Guardian* May 1, 2013.

(٢٠) Alvin M. Josephy Jr., 500 Nations: *An Illustrated History of North American Indians,* (Knopf; 1994)

(٢١) Brian Stockes, «Gover Apologizes for Atrocties of the Past,» *Indian Country Today,* September 20, 2000' Kevin Gover, «It's Our Shame That's Killing Us,» Indian Country Today, February 2, 2002.

(٢٢) Remarks of Kevin Gover, Assistant Secretary-indian Affairs: Address to Tribal Leaders, Friday, September 8th, 2000 on the Occasion of the Ceremony Acknowledging the 175th Anniversary of the Establishment of the Bureau of Indian Affairs (Washington, DC), *Journal of American Indian Education,* Volume 39 Number 2, Winter 2000 Special Issue 3.

(٢٣) في عام ١٨٢٤ أسس وزير الحرب جون كالهون ما سمي مكتب الشؤون الهندية Bureau of Indian Affairs بديلاً من إدارة الشؤون الهندية، إيماناً منه بأن قضايا الهنود يجب أن تكون تحت سيطرة الحكومة الفيدرالية.

House Doc. 146,19 Cong., 1 sess., (ser. 138).0

وقد افتتح المكتب في ١٦ مارس/ آذار ١٨٢٤، وصدّق الكونغرس على التأسيس في ٩ يوليو ١٨٣٢.

U.S. Stat., IV, 564.

وفي ١٨٤٠ نقل الكونغرس المكتب من وزارة الحرب إلى وزارة الداخلية على اعتبار أن الهنود صاروا مشكلة داخلية.

S. Stat., IX, 395.

ووزارة الداخلية الأميركية تختلف عما نعرفه عنها في بقية أنحاء العالم فهي تعنى بالبيئة والمحميات الطبيعية وما فيها من حيوانات... إلخ.

(٢٤) Thomas Hart Benton, *Thirty Years' View; or, A History of the Working of the American Government for Thirty Years, from 1820 to 1850,* vol. 1 (New York: D. Appleton & Co., 1854-1856), p.21.

قبل إعلان هذا الاستقلال كانت كل الشعوب الهندية تتمتع باستقلالها (راجع الملحق). وقد عوملت من قبل التاج البريطاني نِدّياً على هذا الأساس. كان التاج يرى أن من مصلحته إنشاء علاقات ندية مع الحكومات الهندية والاعتراف بحقوق هذه الحكومات والشعوب في الأراضي التي لم يتنازلوا عنها أو يبيعوها. لهذا فقد لجأ التاج في بعض الأحيان إلى رسم حدود لا تتجاوزها المستوطنات ولا يخترقها المستوطنون بل كثيراً ما قضت المصلحة نقل المستوطنين من أراضي الهنود أو إعادتها اليهم (ولو موقتاً).

Dorothy V. Jones, *Licence for Empire: Colonialism by Treaty in Early America,*

(University of Chicago Press; 1982), p.100; Adam Shortt and Arthur G Doughty (ed.) *Documents relating to the constitutional history of Canada, 1759-1791* (Ottawa, Nabu Press, 1970), pp. 119-123; Harold E. Fey and D'Arcy McNickle, *Indians and OtherAmericans: Two Ways of Life Meet* (New York: Harper and Brothers, 1959), pp. 49-51.

ومع بلوغ الجاكسونية ذروتها في عام ١٨٧١ صار التسلط على الهنود شبه مؤكد. ولهذا أصدر الكونغرس حكمه بتحريم عقد أي معاهدة جديدة مع الهنود. ومع الثمانينيات تمكن شعب الله من حشر معظم الشعوب الهندية في المعازل: «لقد سيقوا من بلادهم كما تساق قطعان الماشية ـ اقتلعوا منها اقتلاعاً وطردوا، ووضعت عليهم الوصاية والرقابة الصارمة، وعُمِّدوا، وفي النهاية... ذبحوا، أو تحولوا إلى قرابين».

Carlos B. Embry, *America's Concentration Camps,* op., cit. p. xiv

ثم ازداد القيد قسوة وإيلاماً مع صدور قانون المحاصصة General Allotment Act الذي فرز الأراضي الهندية إلى قطع لتوزيعها وتيسير نهبها بعد تدمير نظام الملكية الجماعية، ومع قانون إعادة تنظيم الهنود Indian Reorganization Act الذي سلب صلاحيات الحكومات الهندية لمصلحة السلطة الوطنية العليا (مكتب الشؤون الهندية التابع لوزارة الداخلية).

Lyman Tyler, *History of Indian Policy* (Washington, D.C.: United States Department of the Interior, Bureau of Indian Affairs, 1973), pp. 95-124, 125-150.

هكذا أمعنت السلطة الهندية في اصطياد وتشجيع هنود المعازل على هجرها والذوبان في المدن الكبيرة مثل شيكاغو ومينيابوليس ولوس أنجلس تماشياً مع تعليمات الكونغرس (١٩٥٣) القاضية بإنهاء كافة التزامات الحكومة الفيدرالية تجاه الهنود.

James E. Officer, «The American Indian and Federal Policy,» in Jack O. Waddell and O. Michael Watson (eds.) *The American Indian in Urban Society* (Boston: Little, Brown and Com- pany, 1971), pp. 8-65; Raymond V. Butler, «The Bureau of Indian Affairs: Activities Since 1945,» *The Annals of the American Academy of Political and Social Science,* 436: 359-69 (1978), p. 52.

هناك الآن ما لا يقل عن ستة أجيال من هذه الشعوب الهندية التي قاومت وضحت وماتت للحفاظ على تلك الأجزاء الباقية من بلادهم التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم لأجيال ضاربة في القدم. أما الترحيل القسري الذي عانى منه هؤلاء الأحفاد فلم يقتصر على التستر بما يسمى الوطن الخالد، بل لحق بهم إلى جحور المعازل أيضاً. وهذا ما يمكن ملاحظته من ظروف الشتات التي صنعتها سلطتهم الوطنية بفسادها واستهتارها بمصير أهلها. ولعل مثلاً واحداً من إحصاء ١٩٨٠ يوضح بشاعة ما جرى فمن إحصاء ١٩٨٠ تبين أن نصف الهنود الذين تعترف بهم الحكومة الأميركية تم إغراؤهم بهجر معازلهم ليسهل القضاء على هنديتهم وتذويبهم داخل المجتمع الأميركي، ولا سيما في المدن الكبرى.

United States Bureau of Census, *1980 Census of Population, Characteristics of the Population* (Printing Office, 1983), Vol.I, pp. 201-212.

وبعد عشر سنوات، أي في إحصاء ١٩٩٠، ارتفعت النسبة. انظر:

National Congress of the American Indian (NCAI). Briefing Paper (Washington D. C. NCAI, April 1991).

كل الهنود الذين لم تعترف بهم حكومة الولايات المتحدة (وعددهم أكبر من الرقم الرسمي: مليون و٩٠٠ ألف) هم فعلياً دون أرض ومتناثرون في كل أطراف البلاد.

Jack D Forbes, «Undercounting Native Americans: The. 1980. Census and the Manipulation of Racial. Identity in the United. States,» *WicQZo Sa Review,* Vol. 6, Spring 1990, pp. 2-26.

ولم يكن هذا التمزيق البشري بريئاً أو طبيعياً فأهم عوامل هذا التمزيق مستمدة من السياسة الرسمية التي انتهجتها حكومات الولايات المتحدة على مدى أكثر من قرنين، ثم تولت كبرها السلطة الهندية.

(٢٥) U.S. Bureau of the Census, op. cit., Series J 16-19, p. 430.

(٢٦) The Culture Act of 1873, the Desert Land Act of 1877, the Timber and Stone Act of 1878, the Homestead Act of 1862.

(٢٧) Joseph G. Jorgenson, «A Century of Political Economic Effects on American Indian Society», op. cit., p. 13;

(٢٨) Act of Congress, Ch. 120, 16 Stat. 544,566 (1871) now codified as 25 U.S.C. 71.

(٢٩) Act of Congress Ch. 341, 24 Stat. 362, 385, now codified at 18 U.S.C. 1 153; also known as the Seven Major Crimes Act.

(٣٠) Robert N. Clinton, «Develop-ment of Criminal Jurisdiction on Reservations: A Journey through a Jurisdictional Maze,» *Arizona Law Review,* Vol. 18, No. 3 (1976), pp. 503-83.

(٣١) Act of Congress, General Allotment Act, Act of Feb. 8, 1887 (24 Stat. 388, ch. 119, 25 USCA 331).

(٣٢) See Act of May 29, 1908, 35 Stat. 460; Act of Aug. 15, 1894, 28 Stat. 337-38; Act of May 27, 1902, 32 Stat. 245, 263; Act of Apr. 23, 1904, 33 Stat. 254.

(٣٣) صدرت القوانين الخاصة بالأراضي الفائضة في المعازل على مدى ثلاثة عقود ابتداءً من ١٨٨٧، ما هيأ أولاً لتوزيع بعض هذه الأراضي ووضع ما سمي الفائض لمصلحة الاستيطان. ومع اكتشاف الثروات الباطنية في هذه الأراضي زاد الأمر تعقيداً بسبب (١) استشراس الحملة الاستيطانية و(٢) جشع تماسيح الشركات الصناعية (٣) ونزع السيادة عن هذه المعازل ووضع أملاك الهنود فيها تحت وصاية الحكومة الأميركية.

Seymour v. Superintendent 368 U.S. 351 (1962)

وقد أقرت المحكمة العليا بأن الكونغرس فَرَضَ على الهنود التخلي عن الأراضي الفائضة من طرف واحد وأنه أراد ما هو أكثر من فتح المعازل للاستيطان فالتحليل والمقارنة يكشفان أن هذه القوانين

صممت من أجل هدف واحد هو اعتماد إجراءات قانونية لاغتصاب الأرض.

Act of May 29, 1908, 35 Stat. 458; Act of May 29, 1908, 35 Stat. 460; Act of July 1, 1892, 27 Stat. 62.

ولا أدل على ذلك من أن الحكومة الأميركية نصبت نفسها وصية على هذه الأراضي ثم أعدتها للاستيطان تحت هذه المظلة «القانونية». وما هو أكثر تواضعاً من ذلك أنها استخدمت ريع هذه الأراضي في تمويل البعثات التبشيرية و«التمدينية» لتدمير هندية الهنود ولغاتهم وثقافاتهم وأديانهم.

Stat. 254, art. Ill; art. V:1 - 2 -6. See also the acts of 1907 (34 Stat. 1230) and 1910 (36 Stat. 448). Justice Marshall discussed these acts in Rosebud Sioux Tribe, 430 U.S. at 621.

(٣٤) H.R. Rep. No. 1576, 46th Cong., 2d Sess. 10 (1880).

(٣٥) 11 Congress Records. 783 (Jan. 20, 1881).

(٣٦) *Report of the Commissioner of Indian Affairs* XLIV (1879).

وقد جاء في التقرير السنوي الخامس لرابطة الحقوق الهندية أن لهذا القانون هدفاً واحداً هو سلب أراضي هذه المعازل من الهنود والتصفية الكاملة للقضية الهندية.

(٣٧) Fifth Annual Report of the Indian Rights Assoc. 5-6 (1887); 14 Rep. of the American Bar Association. 14-25 (1891).

(٣٨) James Olson and Raymond Wilson, *Native Americans in the Twentieth Century*,op. cit., pp. 82-83.

(٣٩) Kirke Kickingbird, *One Hundred Million Acres*,(MacMillan Publishing Company,1973)

(٤٠) Institute For Government Research, *The Problems of Indian Administration* (1927) (Meriam Report), Also cited by Francis Prucha in his introduction to D. Otis, The Dawes Act and the Allotment of Indian Lands, (1973). pp. 99-131.

(٤١) Rebeccak L. Robins, «Self Determination and Subordination: The Past, Present and Future of American Indians,» in Annette James (ed.) *The State of Native America: Genocide, Colonization, and Resistance,* (South End Press, 1992) P.35.

(٤٢) Act of Congress Burke 34 Stat. 182 (1906).

(٤٣) U.S. House of Representatives, Committee of One Hundred, The Indian Problem: Resolution of the Committee of One Hundred Appointed by the Secretary of Interior and Review of the Indian Problem (Washington, DC: H. Doc. 149, Ser. 8392, 68th Cong., 1st Sess., 1925).

(٤٤) Mark Frank Lindsey, *The acquisition and government of backward territory in international law, being a treatise on the law and practice relating to colonial expansion,* (London, Longmans, Green and Co., 1926); Robert K. Thomas, Colonialism: Classic and Internal,op. cit.,, pp. 37-44.

(٤٥) Indian Reorganization Act (ch. 576, 48 Stat. 948, now codified at 2 5 U.S.C. 461-279, also known as the «Wheeler-Howard Act.»

(٤٦) Oliver LaFarge, Running Narrative of the. Organization of the Hopi Tribe of Indians, 1936, unpublished journal in the LaFarge Collection, (University or Texas) pp. 24-54.

(٤٧) Rebeccak L. Robins, «Self Determination and Subordination:...» op. cit., p. 95.

(٤٨) من النتائج المتوقعة لظهور هذه المسوخ «الديمقراطية» في المعازل ذلك الكم الهائل من التعدين أو حفر المناجم منذ أربعينيات القرن الماضي، وخاصة ما يتعلق منها بالطاقة فكل مناجم الأورانيوم والمعامل الخاصة بها التابعة لهيئة الطاقة الذرية U. S. Atomic Energy Commission كانت وما زالت في معازل الهنود فمنجم آناكوندا Anaconda الذي يعتبر أكبر منجم أورانيوم في العالم كان في معزل لاغونا بوبلو Laguna Pueblo بنيو مكسيكو.

Ward Churchill and Winona LaDuke, «Native North America: The Political Economy of Radioactive Colonization,» *in State of Native America,* op. cit., pp. 241-266.

كل بقعة في ولاية أريزونا تضاء أو آلة تعمل على الكهرباء إنما تصلها من مولدات تعمل على الفحم الحجري المستخرج من معزل ناڤاهو.

Alvin Josephy, «Murder of the Southwest,» Audubon Magazine, September 1971, P. 42.

ومع ذلك..

(٤٩) Word Churchill, *Fantasies of the Master Race: Literature, Cinema, and the Colonization of American Indians,* (City Lights Publishers, 2001), pp. xiii-xivm, xix, and see Edward Lazarus, *Black Hills/White Justice: The Sioux Nation versus the United States, 1775 to the Present,* (Harpercollins; 1991), pp.106, 412-413.

(٥٠) Word Churchill,, *Struggle for the Land,* op. cit, 405-406

البيان لرسل مينس والصياغة لوورد تشرشل.

(٥١) ويروي رسل مينس كيف احتكر المستوطنون لأنفسهم مياه نهر الميزوري والمياه الجوفية، وحرموا شعب لاكوتا منها ثم يقول: «لم يبق لنا اليوم شيء من المياه التي قاتل أجدادنا من أجل أن تبقى لنا، فالسدود على نهر الميزوري اليوم احتكرت المياه كلها لغير الهنود، أما ما بقي لنا من مياه جوفية فقد لوثوا معظمها بالصناعة أو بالمناجم.

ثم ينتقل ليفصل كيف جَرَّدَتهم الولايات المتحدة من الاستقلال والسيادة على بلادهم كما أقرت بذلك في كل معاهداتها واعترفت بأن شعب اللاكوتا أمة مستقلة ذات سيادة. كذلك سلبتهم حق تقرير المصير وحقهم المطلق في تشكيل حكومتهم ونظامهم التشريعي والتحكم باقتصادهم ووسائل تنظيم حياتهم الاجتماعية. لقد رفضت الولايات المتحدة رفضاً قاطعاً الإقرار بحق تقرير المصير للشعوب الهندية ومعها بالطبع شعب لاكوتا. فعلى صعيد الحكومة كان لشعب لاكوتا وما

زال شكله الحكومي الخاص الذي اعترفت به الولايات المتحدة حين عقدت المعاهدات معه، لكنها منذ ١٩٣٦ واستناداً إلى قانون إعادة تنظيم الهنود، تدخلت يميناً وشمالاً في شؤونه الداخلية. وأسوأ ما في ذلك أنها فرضت حكومة غريبة عن الشعب وعن حياته وثقافته ودستوراً صاغة مكتب الشؤون الهندية.

أما على صعيد القضاء والتشريع فقد فرضت الولايات المتحدة سلطتها القضائية من جانب واحد على أراضي لاكوتا وفقاً لما سمته قانون الكبائر السبع Seven Major Crimes Act، وبدأت بتوسيع دائرته في بلاد الهنود سنة بعد سنة وقانوناً بعد قانون. ومع كل توسع جديد يخسر الهنود وتتبدد ممتلكاتهم وحقوقهم وحرياتهم واستقلال بلادهم ونظامهم القضائي لهذا صار للحكومة الأميركية ورجال أمنها السلطة المطلقة.

على صعيد النظام الاجتماعي الذي يقدم السعادة لشعب لاكوتا فقد تدخلت الولايات المتحدة في كل شاردة وواردة لشل هذا التنظيم أو نسفه من جذوره. وفعلاً، حققت أهدافها عبر مكتب الشؤون الهندية المعين من قبل الحكومة الأميركية وصياً على الشعوب الهندية. لم يكتف مكتب الشؤون الهندية بتدمير النظام الاجتماعي بل إنه مسخ الحكم في لاكوتا وأعاد صياغته ليفرغه من أية سلطة ومعنى. كل الأشكال الاجتماعية الفاعلة استبدلت بصيغة حكومية مستبدة ومطلقة ولا تمثل الشعب... وهذا انتهاك فاضح لحق تقرير المصير.

ومع استمرار الولايات المتحدة في سرقة أراضي هذا الشعب ونهب مياهه عمدَت إلى تدمير اقتصاده بما يخدم اقتصادها. وفي خضم ذلك لم تكن بلاد شعب لاكوتا ومياهه سوى مجرد مادة خام لاقتصادها زاعمة أن ذلك سيفيد شعب لاكوتا. وهنا لا بد من وضع ألف علامة استفهام على هذه المنة بعد أن حولت شعبنا إلى مجرد أشياء. إنها لم تكن منة بل كارثة فنسبة البطالة والفقر من أبناء هذا الشعب بلغت أكثر من تسعين بالمئة على الرغم من أن هذا الشعب كان دائماً شعباً منتجاً لا يعرف البطالة والفقر. ثم إن ثروة بلاد لاكوتا ومياهها ومقومات حياتها سلبت منها شبراً شبراً وغراماً غراماً، ووضعت في خدمة المستوطنين ورفاههم.

إضافة إلى ذلك هناك الإشعاع النووي والتلوث الكيميائي الذي سممت به البقية الباقية من المياه ولوازم الحياة، ما أدى إلى نسبة عالية من السرطان والولادات المشوهة وغير ذلك من الأمراض والعاهات. فمع كل منجم جديد أو مشغل يورانيوم أو مولد كهرباء أو مصنع كيماوي إضافي تتفاقم الحالة المزرية لحياتنا أكثر وأكثر. وعلى الرغم من إحجام الولايات المتحدة عن تشغيل اليد العاملة في المعازل فإنها هي وشركاتها العملاقة مصرة على استخدام بعض المغفلين في مصانع «الأوبئة» لينتهي بهم الحال إلى المرض والموت. إن منجم Laguna Pueblo الذي قيل إن كنز اليورانيوم فيه سيسقط علينا المن والسلوى كان عالي الإشعاع، ما أدى إلى تلوث المياه وأساس البيوت والأبنية والطرقات والمزارع، فقتل اقتصادنا التقليدي وجعل حياة الناس محفوفة بالموت من كل جانب .

Word Churchill,, *Struggle for the Land,* op. cit, pp. 405-419.

(٥٢) Ibid. pp. 418-419.

(٥٣) Angie Debo, The Five Civilized Tribes of Oklahoma; report on social and economic

conditions. (Philadelphia Indian Rights Association, 1951) pp. 35-47; Carlos B. Embry, *America's Concentration Camps*, op. cit 34-35, 49, 203, 210.

وكتاب إمبري يصور حياة الهندي في المعازل وألوان الشقاء التي نزلت به على أيدي سلطته الوطنية المسماة مكتب الشؤون الهندية. وسأحاول هنا نقل بضع فقرات مما جاء فيه:

معظم هنود اليوم الذين ولدوا في هذه المعازل احتجزوا فيها كالمجذومين منذ إنشائها في القرن التاسع عشر. فالهندي الذي يولد قاصراً ويموت قاصراً وتحتاج حياته إلى وصاية البيض عليه ظلّ حتى سنة ١٩٣٥ لا يستطيع الخروج من معزله بدون إذن من وزير الداخلية، مع بعض التسهيلات الخاصة للشخصيات VIP اللازمة لدوام البؤس. هذا المفوض الهندي المعين من وزير الداخلية يعتبر نفسه قيصراً داخل المعزل، فهو الوصي وهو القيم. ووفقاً للقوانين المعمول بها يستطيع هذا المفوض أن يعاقب أي هندي كما يشاء وكيف يشاء، ويستطيع أن يطرد أو يجرد أي زعيم هندي من صلاحياته، ثم إن كثيراً من هؤلاء «الشخصيات» الهندية تعتقد نفسها عرقاً متفوقاً ومفوضاً بسلطات لا حصر لها في التعامل مع «عرق منحط».

حتى هذا اليوم ما زال الهندي مستعبداً، فقد عزل كالمجذوم المحتقر غير المؤهل للعيش مع الأبيض المتحضر. وقد أنزلت به كل هذه الكوارث من طريق مكتب الشؤون الهندية التابع لوزارة الداخلية. هذا المكتب حكومة محنطة وكان يجب إلغاؤها يوم ألغي مكتب حكومة السود Freedman's Bureau for Negros.

مسألة تجنيس الهنود زادت من عذاباتهم ومن واقع الوصاية عليهم ففيما يتمتع الهندي اليوم بحرية «هجر» معزله هناك الكثير من المنغصات التي تجعله يتردد إذا ما قرر ذلك. ولهذا فإن فرص الهجرة من المعازل ضئيلة جداً. على الهندي الذي يهجر معزله أن يتنازل، ودون تعويض عن كل حق له في أرض المعزل وعن كل حق له في أموال شعبه التي تحتجزها وزارة المالية الأميركية باسم «وديعة». عليه أن يدخل المجتمع الأميركي بصفة Pauper معوز معتال. وبهذه البداية يجب توقيفه قانونياً بحجة الصعلكة أو التشرد Vagrancy. أحد الهنود الذين منحوا الجنسية، ذهب إلى مركز الاقتراع لينتخب، ولأنه من أصل هندي فإن المطلوب منه أن يثبت أنه يحسن القراءة والكتابة باللغة الإنكليزية. وعلى الرغم من أنه يحمل درجة ماجستير (ماستر من جامعة في كارولينا الشمالية)، فإن الموظف الأبيض لم يسمح له بالاقتراع، مدعياً أنه لا يعرف القراءة والكتابة، بل قال له: لن تقترع حتى لو بقيت هنا طول اليوم ولو كانت لديك مئة شهادة جامعية.

ويروي سام أهكيه Sam Ahkeah أحد زعماء هنود نافاهو كيف أمرته الحكومة بالتخلص من الأحصنة لديه، ثم من الماعز، ثم من الخراف، وهددته بالاعتقال إذا لم ينصع لأوامرها ويتخلص من هذه القطعان التي يعيش على مواردها. وقال إن الحكومة تقوم بالاعتقالات لأبسط الأسباب فإذا اشتكى عليك رجل أبيض يعتقلونك ويرمونك في السجنِ بتهمة أي شيء يخطر على بالهم. وإذا قلت شيئاً لا يعجبهم يعتقلونك... فجأة يأتيك أحدهم ويقول لك لقد خالفت القانون وبذلك يسوقونك إلى السجن، ولا تستطيع أن تفعل شيئاً، إنهم يقولون للقاضي ما يحلو لهم وهو يحكم عليك بما يحلو له، ولهم، ومن المساخر أن القضاة ورجال البوليس معينون من قبل مكتب الشؤون الهندية ويتقاضون رواتبهم منه.

إن التجار البيض، بدعم من مكتب الشؤون الهندية يسيطرون على المعزل سيطرة كاملة وعلى

الرغم من أن معاهداتنا لا تخولهم العمل في أرضنا فإن مكتب الشؤون الهندية أجّرهم الأرض ورخّص لهم دون أن يستشيرنا. إنهم يستغلوننا ويستغلون أرضنا لقاء فتات تستهلكها الأعمال الإدارية.

(٥٤) Kent Nerburn (ed.), *The Wisdom of the Native Americans: Including The Soul of an Indian*, (New world Library 1999). p. 55.

ملحق:

أولاد الأرض العذراء

Children of Terra Nullius

(«الهنود الحمر».. لا هنود، ولا حمر)



أمم وشعوب الأرض العذراء
من AAA Native Art

١

ضباع في الفردوس

أوروبا التي تركها كولومبس وراءه عندما أبحر إلى العالم الجديد كانت أقل تحضراً من الأرض التي يبحر إليها

ـ فليكس كوهن، فيلسوف التشريع الأميركي

لـم أر هـندياً أو هـندية دون جواهر، وأقراط، وعقـود، وخواتـم من ذهـب. كـل البنات كـن يتحلين بالـجواهر المذهبة حول أعناقهن.

ـ الأب الفرنسيسكاني المؤرخ بيدرو سيمون 1623

«كل ذهب القصور الملكية والكنائس في أوروبا، بجدرانها وأيقوناتها ومذابحها، منهوب من بلاد هؤلاء الذين يطلق عليهم اسم الهنود الحمر. وكل ما كان في أوروبا من ذهب قبل اكتشاف أميركا لم تكن قيمته تزيد على مئتي مليون دولار. لكنه بعد أقل من قرن واحد من غزو العالم الجديد تضاعف وتضاعف إلى أن زادت قيمته على مليار وستمئة مليون دولار»[(١)].

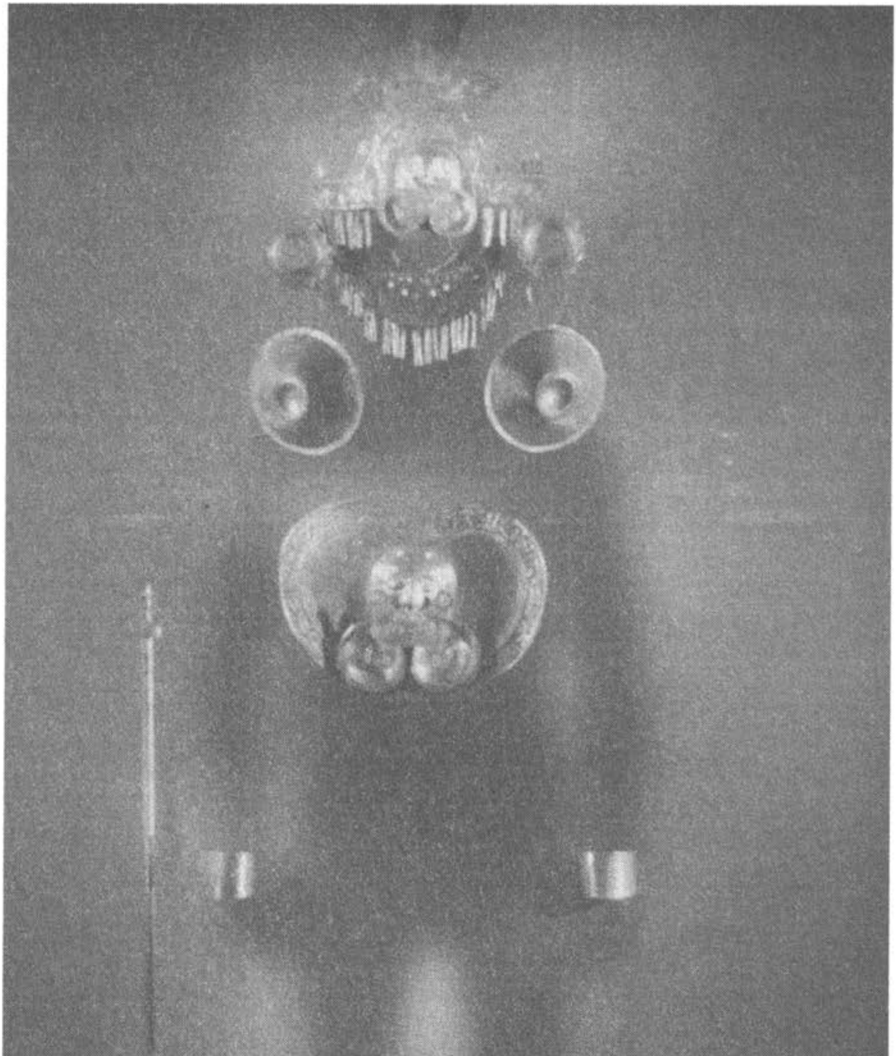
قبل اكتشاف العالم الجديد، كان معظم ما في أوروبا من ذهب مسروقاً من بلاد العرب أيام الحروب الصليبية أو من ساحل الذهب (ما يعرف اليوم بغانا وتوغو وبنين وغينيا، على ساحل أفريقيا الغربي). هذا الذهب المسروق من أفريقيا وبلاد

العرب قبل اكتشاف أميركا كان بتقدير عالم الإنسانيات إريك وولف Eric Wolf يزيد، يومها، على ثلثي ثروة أوروبا من هذا المعدن المعبود[٢].

مِن قبل أن يصل الغزاة إلى العالم الجديد وتَسْكَرَ أعينُهم ببريق ذهب الهنود، كانوا يحلمون بعالمِ ألفِ ليلةٍ وليلةٍ أميركيةٍ وبجبالٍ من الذهب والفضة وأنهار تتدفق بالعبيد. كان المبحرون إلى ما يُسمى اليوم كولومبيا مسكونين بأسطورة الذهب الذي ظنوا أنه يكسو وجه المياه في بحيرة غواتاڤيتا Guatavita على ارتفاع أربعة آلاف متر فوق سطح البحر، ذلك أن القصص التي رواها كولومبس عن القارة التي تفيض ذهباً وعسلاً طاشت بألبابهم. لقد سحرتهم أسطورة الرجل الذهبي «إلدورادو El Dorado» (الملك الهندي «زيپا Zipa») الذي قيل إنه كان يغطي جسده في كل عام بغبار الذهب ثم يسري إلى عرض البحيرة بقارب محمل بالذهب فيرميه في الماء، ثم يرمي نفسه ليغتسل من غبار الذهب ويسبح عائداً إلى ضفة الأسطورة.

حتى يومنا هذا، لا يزال ذهب هذه البحيرة مادةَ دراسةٍ غنية للجغرافيين وعلماء الآثار والإنسانيات والمشعوذين والباحثين عن الذهب، يروي بعض فصولها عالم الآثار البريطاني وُرْويك براي Warwick Bray في «ذهب إلدورادو» فيذكر مثلاً أن الجغرافي الألماني ألكسندر ڤون همبولدت Alexander Von Humboldt بعد زيارته لبحيرة غواتاڤيتا في بعثة اكتشافٍ أميركية (عام ١٨٠١)، أجرى حسابات معقدة خلص فيها إلى أن قيمة الذهب المدفون في البحيرة يعادل ثلاثمئة مليون دولار، أي أكثر من مجموع ذهب أوروبا قبل اكتشاف أميركا[٣].

كل ما كانت تحتاجه أوروبا من فضة وذهب وثروات لتصبح ما أصبحت عليه في مسرح العالم وجَدَتْه في بلاد «الهنود». فالمؤرخ الفرنسي فرنان بروديل Fernan Brudel في كتابه «الحضارة والرأسمالية *Civilization and Capitalism*» يرى أن المنهوب من ذهب الهنود في الستين سنة الأولى من الغزو أضاف إلى خزائن



إلدورادو، «شبح الأسطورة». متحف الذهب، بوغوتا
Museo del Oro, Bogota

الجشع الأوروبي ما بين ١٨٠ و٢٠٠ طن من الذهب[٤]. بذلك كسد ذهب أفريقيا لدى الأوروبيين الذين لم يعد يرون في تلك القارة سوى منجم للعبيد. أما عن الفضة المنهوبة من ذلك الجبل الملحمي بوتوسي Potosi على ارتفاع أربعة آلاف متر فإن ما سَكَّهُ الغزاة منها في المكسيك وحدها يقدر بملياري دولار[٥].

هذه الثروة المنهوبة من بلاد الهنود وأرواحهم قلبت طبيعة النظام الاجتماعي في كثير من البلدان الأوروبية، وهلهلت ثروات كثير من بلدان العالم. من ذلك مثلاً أن العملة الفضية في الدولة العثمانية «آقچه akçe» فقدت نصف قيمتها[٦]، وكانت من الأسباب المبكرة التي أسقمت تلك الإمبراطورية الخلاسية وجعلت منها ما سمي بعد ذلك الرجل المريض. بهذه الثروة المنهوبة رجح الميزان لمصلحة قوى الغزو الأوروبية التي بدأت تتحكم بأسواق العالم، ثم أدت إلى توحش «ثروة الأمم» قبل أن يُدَبِّج آدم سميث Adam Smith مانيفستو «خنْزَرَة» البشر بنحو قرنين.

وفي «ثروة الأمم» صفحات كثيرة تتحدث عن عواصف التضخم التي هبت على العالم بُعَيْد اعتصار الفضة من جبل بوتوسي وتعميده بدم السود ولحم الهنود[٧]. فما إن خطف بريق الفضة أبصار الغزاة حتى بدأت أساطيل النخاسين تشحن آلاف المستعبدين الأفارقة ليموتوا قريباً من السماء. كانوا يموتون إرهاقاً وغربةً وقهراً في مناجم هذا الجبل المعجون بالفضة. هكذا كان الموت يسابق سفن العبيد في المحيط الأطلسي وهي تمخر آلاف الكيلومترات من شواطئ أفريقيا إلى شواطئ عبيد الجشع الذين تَعلّموا أن استعباد الهنود وموتهم أرخص وأيسر وأدعى لمرضاة الله.

كذلك استنفد الغزاة كل ما بقي من أرواح الهنود وأجسادهم في استخراج الفضة فساقوا بعضهم مئات الأميال مشياً على الأقدام ليموت كثير منهم قبل أن يموتوا في أحشاء الجبل. لم يكتفوا باستنزاف جسد الهندي، بل فرضوا على أهله أن يزودوه يومياً بالطعام والشموع التي يحتاج إليها في غياهب المنجم. كان هذا

الشقي ينزل إلى قبره الفضي العميق صباح الاثنين ولا يخرج إلى الضوء حتى مساء السبت. وفي تلك الظلمات، كان عليه أن يقتلع ١٢٥٠ كيلو غراماً من أفلاذ الفضة يومياً. وكان عليه أن يملأها في أكياس، ثم يجرها أو يدفعها في النفق السفلي الضيق الطويل، ثم يحملها بعد ذلك على ظهره أو كتفيه ويتسلق بها السلالم الملتوية مئات الأمتار إلى أن يصل، إذا وصل حياً، إلى بوابة النفق الأعلى ـ ويا ويله إذا ما مرض أو تباطأ أو عجز عن اقتلاع الوزن المطلوب. هنا يجبرونه على العمل يوم الأحد، أو يفرضون عليه وعلى أهله غرامة مهلكة، أو يجبرون واحداً من أسرته على تأدية ذلك الواجب المقدس[٨]. هكذا مات أربعة من كل خمسة من هؤلاء الهنود المستعبدين[٩]. وهكذا ابتلعت أحشاء هذا الجبل أرواح ثمانية ملايين هندي كي تُصدّر إلى خزائن الملوك في أوروبا مليارات من قطع اللجين[١٠].

بدمهم وخيرات بلادهم وجهلهم بوحشية «ثروة الأمم» وخِدْنِها الدموي «رب الجنود»، صنع الهنود أكبر طفرة اقتصادية في تاريخ البشرية ليعيش اليوم من نجا منهم في خناق الفقر والبؤس والتشنيع. فجبل بوتوسي اليوم، بعد أن علكه الغزاة واعتصروا الفضة من لحمه، كتلةٌ هائلة من الصخر المكسر والعظام يسميها الهنود من أحفاد أولئك الضحايا بالجبل الباكي «هواكاجاشي» Huakajachi. هنا تعيش الأجساد البالية لهنود اليوم على هذه النفايات علّها تعثر فيها على ما عميت عنه عيون الغزاة. أما مدينة بوتوسي المجاورة للجبل فصارت متحفاً للشقاء[١١] على غرار شانون Channon وغيرها من مدن الذهب الهندية في ما يسمى اليوم الولايات المتحدة[١٢].

لكن إسبانيا لم تنعم بمنهوباتها طويلاً، إذ سرعان ما نالت جزاء بَشَمِها واستكراشِها عندما بدأت القوى الاستعمارية تتناهش ويأكل بعضها بعضاً. كانت هذه الثروات المنهوبة من بلاد الهنود تتطاير من يد لص لآخر[١٣] إلى أن سيق معظمها بالقوة والحيلة والقرصنة إلى مغارة الإنكليز الذين استخدموها في بناء

الأساطيل والجيوش وفي استعمار معظم بقاع العالم.

لم يكتف البريطانيون بالغزو وحده، بل استخدموا معه القرصنة والشركات الخاصة[١٤] لنهب أميركا ونهب ما نهبته إسبانيا من أميركا. فحين يضطرمُ شبق الربح والتوسع ويستَعِرُ الإيمان بوجوب تطهير الأرض من أهلها يصبح العنف والنهب والاستيطان جريمة مقدسة ritual crime ترضي الله وترضي ظِلَّ الله المستوي على عرش بريطانيا. هذا المزيج الوبائي من جنون القوة والتعصب؛ من «عبادة الجشع» وعقيدة «الاختيار الإلهي»، كان يعصف بأشرعة القراصنة الإنكليز في البحر، ويحصد أرواح الهنود وثرواتهم في البر والبحر.

هكذا كست إسبانيا بشحمها ولحمها المنهوبَيْن عظامَ الجزيرة البريطانية، فتحولت في أقل من قرن إلى قوة هزيلة، حتى إن المؤرخ تيودور فِهرنباك Theodore Reed Fehrenbach يذكر أن كل ما بقي في إسبانيا من الدولارات الفضية أيام الثورة الأميركية كان أقل مما في مستعمرات إنكلترا الأميركية وحدها[١٥].

منذ البداية، وبمباركة التاج البريطاني وتمويله، انطلق القراصنة الإنكليز يعربدون في البر والبحر. في البر، كانوا يصطادون الهنود والأفارقة ويتاجرون بأجسادهم وأرواحهم. وفي البحر، كانوا يغيرون على سفن النهب الإسبانية ويحصدون ما فيها من ثروة وبشر. بذلك حقق التاج البريطاني أرباحاً لم يحلم بها أجشع اللصوص، خاصة بعد تأسيس شركة «فرجينيا» Virginia Company التي أنشأت أول مستعمرة إنكليزية دائمة في العالم الجديد تعرف باسم «جيمستاون» Jamestown[١٦].

فريدريك تيرنر Frederic Jackson Turner فيلسوف الثغور الحربية يرى أن «الحرية الدينية لم تكن، كما يشاع، السبب الأول للهجرة أوالفضيلةَ الأحب إلى قلوب المهاجرين الأولين ممن يُسمَّون الحجاج والقديسين، بل كانت تأتي في المرتبة الثانية بعد «فضيلة النهب»؛ نهب الأرض وخيرات الأرض، ونهب البشر وأرواح

البشر[١٧]. وفعلاً، فقبل أن يلفظ الكابتن جون سميث John Smith مؤسس أول مستعمرة إنكليزية دائمة في العالم الجديد آخر أنفاسه اعترف بأن «وظيفة الدين لم تكن سوى خدمة المنفعة» التي كان يسعى إليها هو ومَن معه مِن الصحابة المستوطنين[١٨]. كانوا يبحثون عما يشبه بوتوسي؛ عن جبال الفضة والذهب التي عميت عنها عيون مَن سبقهم مِن السلف الصالح. ولتحقيق مثل هذه الأحلام الذهبية تأسست شركة ڤرجينيا وأُنشِئت أول مستعمرة إنكليزية دائمة في العالم الجديد ـ جيمستاون Jamestown؛ تلك الخلية السرطانية التي زرعتها «فكرة أميركا» ومنها تفَشَّت في جسد هذا الكوكب كلُّ أخلاق وأيديولوجيا وسياسات ما صار يعرف بعد ذلك بالاستعمار الاستيطاني من أوستراليا إلى فلسطين[١٩]. بذلك تطورت في «فكرة أميركا» جدلية النهب من أجل الإبادة والإبادة من أجل النهب لتنكث وجود الهنود خيطاً خيطاً، ولتصنع منهم مخلوقات خرافية ليس لها اسم ولا أرض ولا تاريخ ولا ذاكرة.

حين لم يعثر المستوطنون الإنكليز على بوتوسي الأحلام الذهبية انكبوا على بوتوسي الفِراء، فاصطادوا ما استطاعوا من كلاب البحر[٢٠] التي ابتلتها طبيعتها بأثمن الفراء وأبهاه. وهذا ما أدى إلى تدمير أنظمة بيئية بكاملها وإتلاف الكثير من أنواع الحياة البرية التي كان الهنود يعيشون عليها[٢١]. وقد تولت شركة «خليج هَدْسُن» Husdon Bay Company تجارة هذا الذهب الحي لمصلحة الملك شارل الثاني Charles II الذي رَخّص لها وموَّلها مما سلبه قراصنته من الإسبان، وأعدها لإغراق أسواق أوروبا بالفراء. كان البريطانيون يصنعون من فراء كلب البحر أغلى أنواع القبعات، ولا سيما أنه فراء عازل للماء. وهذه خصيصة غنية بالمعاني والفوائد في أجواء جزيرتهم وأجواء أوروبا قبل اختراع المظلة[٢٢].

بفراء كلب الماء وحده، امتصت بريطانيا الكثير من فضة إسبانيا وذهبها، إذ بلغت قيمة ما استوردته إسبانيا من فراء كلب البحر في عام ١٧٥٠ أكثر من ٢٦٣ ألف باوند إنكليزي (ما يعادل اليوم ٣٩ مليون باوند)[٢٣]. ثم استعرت حمى هذه

التجارة بعد أن شحت مصادر هذا الفراء النادر في العالم القديم، واستعرت معها حمى القتل والتوسع في أراضي الهنود فأضرَمت حروباً تعرف بحروب كلب الماء، لعل أبرزها حرب الملك وليم William (١٦٨٩ ـ ١٦٩٧)، وحرب الملكة آن Ann (١٧٠٢ ـ ١٧٠٣)، وحرب الملك جورج George (١٧٤٤ ـ ١٧٤٨)[٢٤].

٢

أكّالون نكّارون

نحن نطعمك، وأنت تقتلنا

ـ الزعيم الهندي بوهاتن (1609)

سلبتنا بلادنا.. ولم تكتف...
أطعمناك اللحم والذرة فجرّعتنا السم

ـ الزعيم الهندي رِدْ جاكيت (1811)

الهنود أكثر شعوب الأرض التي أجرت اختبارات زراعية وتفننت في إنتاج المحاصيل التي لم يعرفها العالم وليس لها من أسماء إلا في لغاتهم.

ـ عالم الإنسانيات الأميركي جاك وذرفورد

ما جنته حضارتنا الإنسانية من مهارات الهنود في الزراعة والصناعة والقانون كان أثرى وأنفع وأدوم مما أعطته طبيعتهم الخيرة. لقد جلب الإسبان معهم أحدث التقنيات الأوروبية لتذويب الذهب الهندي، لكنها لم تنفعهم بسبب الحاجة إلى المزيد من الأوكسجين في تلك المرتفعات الشاهقة، ما اضطرهم إلى أن يعتمدوا كلياً على المحترفين الهنود ويستعينوا بتقنياتهم المتطورة بمقياس ذلك العصر[٢٥].



الغازي كورتس في حضرة مونتزوما إمبراطور الأزتك التاسع،
رسم من مكتبة الكونغرس
Reception of Hernando Cortez by Emperor Montezuma, 1519
(Courtesy of the Library of Congress)

وتروي هرمينا پوتغييتر Hermina Poatgieter (من الجمعية التاريخية بمينسوتا Minnnesota Historical Society) كيف بُهِتَ الغزاة الأُول أمام المزروعات الهندية التي لم يَرَوْها من قبل كالبطاطا، والتبغ، والذرة، والأڤوكادو، والفستق السوداني، والبندورة (الطماطم)، والأناناس، والقرعيات المختلفة، والفليفلة بأنواعها. بل إن أكثرهم لم يدركوا أهميتها وظنوا أنها من مأكولات «المتوحشين». لقد دجن المزارع الهندي أكثر من أربعين صنفاً زراعياً من أجل الغذاء والنسيج والدواء. لهذا لم يكتشف الأوروبيون، على مدى هذه القرون الخمسة من عمر غزوهم للعالم الجديد، نبتة واحدة مفيدة في الغذاء أو النسيج أو الدواء لم يسبقهم الهنود إلى اكتشافها وتطويرها[٢٦]. وتقول المؤلفة إن الغزاة شاهدوا حقولاً واسعة من الشوكولا، وإن الغازي كورتس Hernando do Cortes لاحظ الإمبراطور الهندي مونتِزوما Montezuma يشرب رغوة الشوكولا foaming chocolate [Chocolate mousse] في كأس من ذهب. وكان الهنود يُحَلّونها بالعسل. ثم إن كورتس تذوقها فأعجبته، وحملها معه إلى أوروبا. لكنها لم تنتشر إلا بعد أن خطر لأمير إسباني أن يتذوقها. ومع مرور مئات السنين ظلت العناصر الأساسية التي استخدمها الهنود في صناعة الشوكولا هي الأساس في صناعتها الحديثة[٢٧].

القطن، مثلاً، كان يُزرع في الهند والعالم العربي منذ زمن بعيد، لكن أوروبا لم تعرفه ولم تستعمله إلا في حالات استثنائية، ذلك لأنه كان غالياً وكان نسجه صعباً نظراً إلى خيوطه القصيرة (أقل من نصف إنش/١٣ ملم). فاللغة الإنكليزية، مثلاً، لم تعرف تعبير «ملابس القطن cotton cloth» إلى أن وصل قطن العالم الجديد إلى جزيرتها[٢٨]. لهذا لم يَشِع استعمالُ القطن والقطنيات في أوروبا إلا بعد اكتشاف قطن الهنود الذين كانوا يزرعونه في المناطق التي سميت لاحقاً بولايتيْ كارولينا الجنوبية وجورجيا، وكان طوله خمسة أضعاف طول قطن العالم القديم (أكثر من ٦٠ ملم).

كل أوروبا، يومها، كانت «مطلوسة» بالصوفيات بدءاً من القبعة وانتهاءً بالسروال.

لم يكن ينعم بملابس الحرير سوى الأمير أو أشباه الأمير. لكن أغرب ما في قصة قطن الهنود أن الأوروبيين الذي أصروا على تصوير الهندي في السينما والرسم والأعمال الأدبية والتاريخية عارياً لا يستره شيء أصيبوا بالذهول أمام جمال نسيج الملابس القطنية التي كان يلبسها الهنود، حتى إنهم ظنوا أنها مصنوعة من الحرير وبنوا على ذلك أن أرض العالم الجديد قريبة جداً من الصين[٢٩]. يكفي المرء أن يزور اليوم أي متحف للتاريخ الطبيعي أو للهنود الأميركيين في واشنطن أو دِنڤر Denver أو بوسطن ليرى روائع من النسيج القطني تعود إلى مئات السنين قبل كولومبس. ففي متحف بوسطن للفنون الجميلة Museum of Fine Arts, Boston، مثلاً، مجموعة مذهلة من هذه التحف المنسوجة ببراعة فنية ورسوم مرهفة، منها السجاد، والأغطية، والعباءات، و«التنانير»، والأحذية المطرزة بالخرز ومختلف المعادن، ولوحات نسيجية تصور مشاهد من حياتهم المفترى عليها. أما من لا يستطيع زيارة هذه المتاحف فأنصح له بمشاهدة الصور الساحرة التي تعرضها مؤرِّخة الفن الهندي رِبِكّا ستون ـ ميللر Rebecca Stone-Miller في كتبها ـ صور لمكتشفات نسيجية هندية بديعة، يعود بعضها للألف الثامن قبل الميلاد. وفي كتابها «أن تنسج للشمس *To Weave for the Sun*» آيات ساحرة من هذا الفن المجهول[٣٠].

مع تدفق القطن الهندي على أوروبا وبناء أول مصانع النسيج تغيرت ملابس فقرائها وأغنيائها. في البداية، كانوا ينسجون القطن بتقنيات الهنود، ذلك أن مِنسج «النّول loom» لم يظهر في بريطانيا حتى سنة ١٧٣٣ (بعد أكثر من مئتي سنة على اكتشاف أميركا). ثم إنه مِن رحم هذا القطن الهندي المتدفق بسخاء وُلدت الحاجة إلى الحلج والغزل والنسج وغير ذلك من بشائر الثورة الصناعية[٣١].

ومع تصنيع القطن ووفرة صيد العبيد، سوداً وهنوداً، زادت محاصيل القطن الهندي من ثلاثة آلاف «بالة» في عام ١٧٩٠ إلى قرابة خمسة ملايين «بالة» في عام ١٨٦٠، ما جعل القطن الهندي أهم صادرات العالم الجديد وأهم واردات بريطانيا

ومصانع نسيجها، بل صار في عام ١٨٥٠ يشكل نصف صادراتها. وهذا ما هَوَّشَ جشع المستوطنين إلى المزيد من أراضي الهنود جنوب ما يسمى اليوم الولايات المتحدة، وكان سبباً في تجييش الرئيس أندرو جاكسون Andrew Jackson حملات إبادة وترحيل للشعوب الهندية مثل شكتاو Choctaw وشيكاساو Chicasaw وكريك Creek وشيروكي Cherokee وسِمينول Seminole مع بعض القبائل الصغيرة التي ضاعت قبورها في هذا الزحام(٣٢).

لكن نسيج القطن لم يكن ليزدهي ويبدع ويجري بأنهار الذهب في بريطانيا ومستعمراتها الأميركية لولا تقنيات الصبغ الهندية ولولا الصبغيات التي لم تعرفها أوروبا من قبل. فعندما وصل كولومبس إلى العالم الجديد كان لدى الهنود ١٠٩ ألوان صبغية متميزة تمكنت خبرتهم الطويلة وبراعتهم من تركيب طيفها الواسع من سبعة أصباغ طبيعية، وهي ألوان قوية بهية ما زالت إلى اليوم تحتفظ بجمالها وتألقها في منسوجاتهم المعروضة في المتاحف التي يزيد عمر بعضها على ألفي عام. إن اسم البرازيل الذي أطلقه الغزاة على ما يعرف اليوم بدولة البرازيل مشتق من اسم صبغة أرجوانية كان الهنود يطلقون عليها اسم برازيلين Brazilin ويستحضرونها من شجرة تسمى «برازيل».

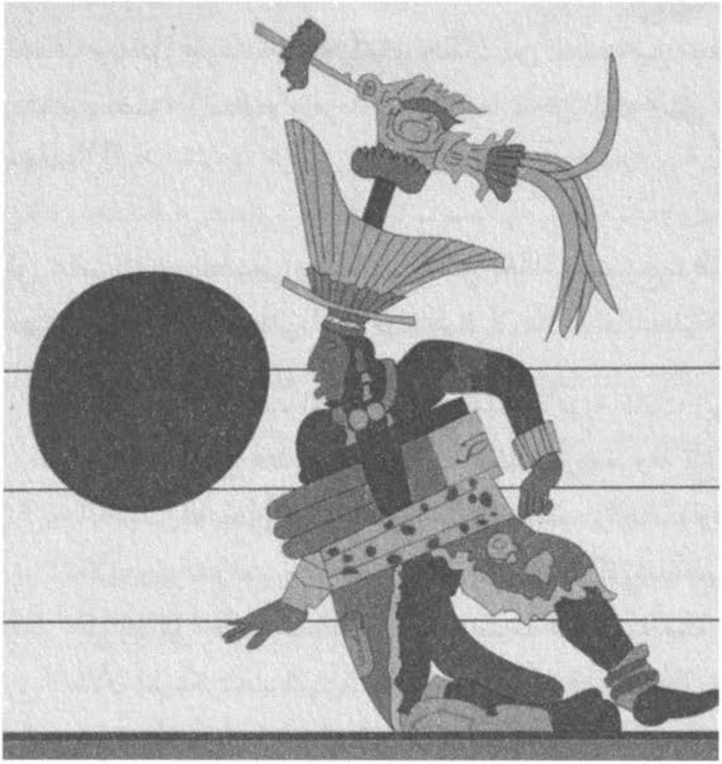
في هذا السياق يروي عالم الإنسانيات الأميركي إريك وولف Eric Robert Wolf في كتابه «أوروبا والشعوب التي ليس لها تاريخ *Europe and the People without History*» أن الهنود طوروا تقنيات معقدة جداً ليستولدوا صبغة القرمز من جسد أنثى حشرة القرمز التي كانوا يربونها في مزارع الصبار. إن غراماً واحداً من هذه الصبغة يحتاج إلى أكثر من ١٥٠ حشرة قرمز أنثى. وبالطبع فقد استولى الغزاة على هذه المزارع وسخروا أصحابها الهنود للعمل فيها إلى أن صار القرمز ثاني صادرات المستعمرات الاسبانية إلى أوروبا بعد الفضة(٣٣).

في القرن التاسع عشر خطت الصناعة في أوروبا خطوة كبيرة بمادة جديدة من بلاد

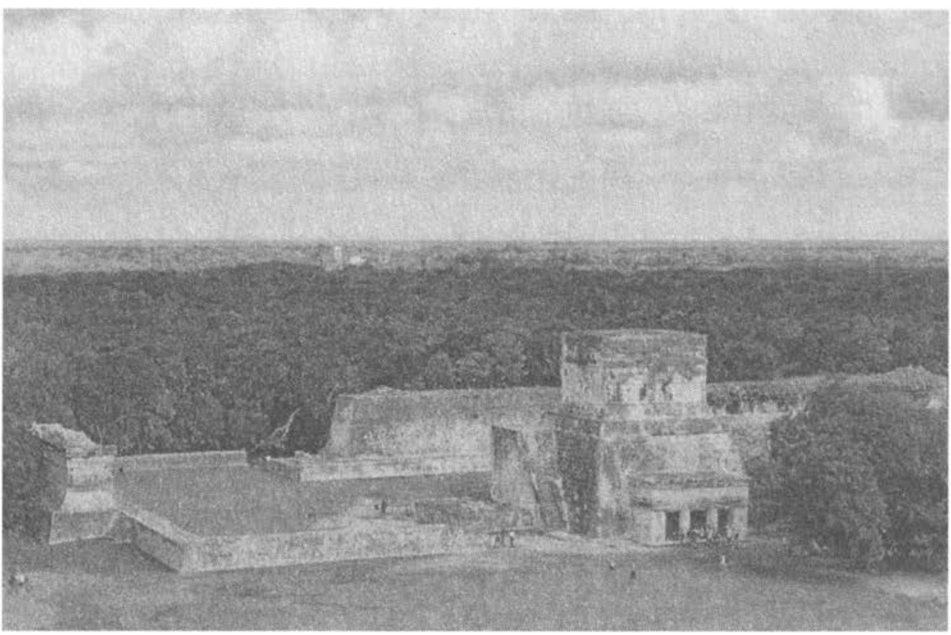
الهنود هي المطاط (أو الكاوتشوك كما كان يسميه الهنود cqauechuoc). وتدل الآثار المكتشفة على أنهم كانوا يستخدمونه منذ آلاف السنين، وأنهم كانوا يستخرجون النسغ من شجر المطاط ويعالجونه بالنار ويزيلون رائحته الكريهة وصمغيته ليصنعوا منه، من جملة ما يصنعون، الأحذية، والحبال، والقوارير، وكرات اللعب، والمعاطف الواقية من المطر، وعوازل السقوف والجدران والقوارب. أما الغزاة الإسبان الذين استحوذهم الذهب والفضة والثروة السريعة فلم يعيروه اهتماماً في البداية، بل إنهم عزفوا عن لمسه ظناً منهم بأنه كائن شيطاني. وتذكر حوليات كولومبس الأولى بكثير من التوجس أن الهنود كانوا يصنعون منه كرات يلعبون بها؛ كرات تكر وتفر وتتقافز كأنها كائنات حية[٣٤]!

ماذا حدث لهذه الكرات «الشيطانية» التي تكر وتفر وتتقافز كأنها كائنات حية؟ إنك تجدها اليوم في كل أنحاء العالم، في ملاعب التنس، وملاعب كرة السلة التي لا تختلف كثيراً عن ملاعب الهنود (كما كشفت حفريات مدينة ميلتا *Milta* المكسيكية). ثم إن في متحف Peabody بجامعة هارفرد صوراً لهذه الملاعب المسورة بجدران حجرية والتي اكتُشِف منها الآلاف، من أريزونا شمالاً إلى حدود الأنديز جنوباً)، إضافة إلى ملاعب كرة القدم وغيرها من ألعاب الكرة التي غيرت طبيعة الرياضة على وجه الأرض. كان اللاعبون الهنود يشكلون فريقين متنافسين ويلعبون بهذه الكرة أنواعاً كثيرة من الرياضات التي كانت جزءاً من حياتهم وتسلياتهم. ولطالما صوّرها رسامو تلك الأيام في لوحات منتشرة في المتاحف الأميركية. في المقابل، نجد أن كل رياضات أوروبا قبل اكتشاف العالم الجديد كانت تتمحور حول القتل؛ قتل الأيائل، والدببة، والطيور، والأرانب، والجواميس، والبشر. حتى تلك الرياضات التي كانت لا تتضمن القتل الفعلي كالرماية لم تكن إلا تدريباً على إتقان القتل[٣٥].

ولولا تقنيات تَقْسِيَة المطاط التي تُنسب الآن إلى المكتشف الأميركي شارل غوديير Charles Goddyear لاستحال أو لتغير تصميم سياراتنا ودراجاتنا وطائراتنا وسفن



في الأعلى «لاعب الكرة»، رسم على مزهرية من حضارة المايا تعود إلى سنة ٦٥٠
وفي الأسفل صورة ملعب الكرة الكبير Gran juepo de Peloto من حضارة المايا (المكسيك) قبل وصول كولومبس بأربعمئة سنة.



فضائنا وشكل طرقاتنا ومطاراتنا، ولكان من المستحيل تمديد أشرطة الكهرباء لننعم بالضوء والدفء والرفاه، أو لربما تأخر ذلك حتى اكتشاف مادة عازلة جديدة(٣٦).

في عالم الدواء الطبيعي، كما في عالم الغذاء والنسيج، ظلت الصورة النمطية للهندي الجاهل المتوحش اختراعاً وافتراءً لا علاقة له بالحقيقة.

> فمعظم العطاءات الأميركية في علم الأدوية كانت إلى زمن قريب جداً من أصل هندي. . . وكانت مكتشفة ومعروفة قبل أن تطأ قدما الطبيب الأبيض أرض أميركا بزمن بعيد. ولطالما رفضها الأطباء الأوروبيون واعتبروها سحراً وشعوذة قبل أن يُقِرّوا بأهميتها ويتبنوها. بل إن كل الأبحاث الطبية على الطبيعة الأميركية منذ ٤٠٠ سنة إلى الآن لم تكتشف شيئاً لم يكن معروفاً لدى الهنود. وهنا علينا أن نتذكر أن أوروبا التي تركها كولومبس وراءه عندما أبحر إلى العالم الجديد كانت في كثير من شؤونها أقل تحضراً من الأرض التي كان يبحر إليها(٣٧).

في الزراعة، يرى عالم الإنسانيات جاك وذرفورد Jack Weatherford أن الهنود القدامى كانوا من أكثر الشعوب التي أجرت اختبارات زراعية في حقول خاصة فتفننوا في إنتاج أنواع مختلفة من المحاصيل وفقاً لطبيعة التربة والرطوبة وضوء الشمس. بذلك أنتجوا أنواعاً من الخضار والفواكه لم يعرفها العالم وليست لها أسماء في أي لغة غير لغاتهم، مثل آكا aca وآنو anu وأشيرا achira وپاپا papa وليزا liza ولوكي luki وماكا maca، إضافة إلى ثروة من المحاصيل الزراعية مثل الفستق السوداني والمنيهوت cassave وأنواع مختلفة من الفاكهة. «ولدينا الآن أدلة قاطعة على أنهم كانوا يزرعون أنواعاً كثيرة من القرعيات والفاصولياء منذ نحو عشرة آلاف سنة»، وأنهم «يزرعون البطاطا منذ ثمانية آلاف سنة»(٣٨).

لم يتركوا حول مدنهم وقراهم شبراً من الأرض صالحاً للزراعة إلا زرعوه، لكنهم لم يستنزفوا الأرض، بل صانوا خصبها وعطاءها؛ صانوا التربة والماء، وتآخوا مع كل ما يدب على الأرض ويسبح في الماء ويطير في الهواء ليعيشوا حياة متناغمة مع الطبيعة. كان لدى حكوماتهم مهندسون تولوا أنسنة السفوح المتحدرة من الجبال الشاهقة وتأهيلها للزراعة والري. بذلك نحتوا فيها مصاطب حرثوها وزرعوها، وسمحوا لمياه المطر بأن ترشح منها إلى حواصل صخرية وصلوها بقنوات للري تُفتح وتغلق عند الحاجة، فإذا ما ارتوت حقول الجبال فُتحت تلك القنوات لتسيل منها المياه نحو المزارع في السهول[٣٩].

ولا تزال آثار هذه الحقول والمصاطب التي دمرها الغزاة شاهدة على فداحة جرائم الاستعمار الاستيطاني الذي لا يكتفي باقتلاع الشعوب من بلادها ووجودها، بل يستشرس في محو معالمها ومقابرها وكل أثر لها من الذاكرة الإنسانية. لقد استطاع بعض علماء الآثار والإنسانيات الكشف عن كثير من قنوات مياه الري والشرب التي طُمرت تحت الردم والوحل والأتربة والحصى في دليل جديد على وحشية الإبادة ونزوعها إلى الكمال والإتقان، وفي شهادة حزينة على روعة المشهد الزراعي الذي أوغل التاريخ المنتصر في طمس آثاره[٤٠]. (هنا أنصح من يزور بوسطن بأن يعرج على متحف علم الآثار والأعراق بجامعة هارڤرد Peabody Museum of Archaeology and Ethnology and Native Americans. هنا سيجد عينة من أفران القرميد التي كان الهنود منذ عصور ما قبل التاريخ يحولون فيها حبات الذرة التي يزرعونها في حقولهم إلى فُشار/ پوپ كورن pop-corn، هذا «النُّقل» المحبب اليوم إلى أطفالنا وإلى معظم جمهورالسينما).

هؤلاء الذين حششوا بفكرة أميركا المستمدة من فكرة إسرائيل الأسطورية فاعتادوا قراءةَ التاريخ المنتصر بعمى عقلي مطبق كما يقرأ المتدينون ما ورد في التوراة عن تاريخ فلسطين لن يقتنعوا بفداحة جريمة محو أمم من ذاكرة التاريخ. وليس من المستغرب أن لا يصدقوا.

إن القسم الأعظم من المحاصيل الزراعية في الولايات المتحدة هو مزروعات هندية، كالبطاطا، والتبغ، والمطاط، والذرة، والقطن والبندورة (الطماطم)... إلخ.

ما هو أغرب من ذلك أن أوروبا ظلت طويلاً ترفض منتجات الهنود الزراعية كما ترفض أفكارهم عن الديمقراطية وحرية المرأة... وحتى عقود قريبة، كانوا يعتبرون البندورة (الطماطم)، وخاصة نوعها الكروي المسمى تفاح الحب love apple، فاكهة سحرية مسمومة. ولا أدري ما إذا كان أبناء جيلنا يعرفون أن اكتشاف الوجبة الهندية العريقة رقائق الذرة المحمصة (كورن فليكس Corn flaxe) قد غيَّرَ عادة الإفطار في الولايات المتحدة وفي أنحاء كثيرة من العالم[٤١].

الذرة الهندية اليوم هي ثالث أهم المحاصيل الزراعية في العالم بعد القمح والرز، وهي واحدة من أهم مصادر الدخل القومي الأميركي حيث تزرع في ما يعرف بحزام الذرة الذي تتشكل منه ولايات الوسط الغربي الأميركي. ومِن قبل أن تطأ قدما كولومبس أرض العالم الجديد، كانت الذرة تزرع من جنوب القارة الأميركية إلى شمالها، حتى إن المكتشفين الفرنسيين تحدثوا بإعجاب عن مساحات شاسعة من حقول الذرة التي شاهدوها في وادي ما صار ما يسمى سانت لورنس Saint Lawrence وعلى طول ضفاف نهري أوهايو والميسيسيبي[٤٢]. كذلك إن أوائل المستعمرين الإنكليز لم يصدقوا أعينهم أمام المساحات الهائلة المزروعة بالذرة، ولهذا تفننوا في إتلاف حقولها وأهراءاتها لنشر المجاعات بين الهنود، ففي غارة واحدة، كما يروي المؤرخ جيمس أكستل James Axtell في كتابه ما بعد كولومبس *After Columbus*، أتلف المستوطنون الإنكليز لفيدرالية البوهاتن [ڤرجينيا اليوم] كمية من الذرة كافية لإطعام أربعة آلاف إنسان سنة كاملة[٤٣].

عالِم النبات والوراثيات جورج بريدل George Breadle الحائز جائزة نوبل يرى أن «تطوير الذرة على أيدي الهنود كان من أهم منجزات البشرية في تهجين المزروعات». فقد طور الهنود أكثر من ١٥٠ نوعاً من الذرة، بل إن هنود الماندان

Mandans الذين كانوا يعيشون في داكوتا طوَّروا نوعاً منها ينضج في ستين يوماً[٤٤].

وفي ملحمة مذهلة (٧٦٨ صفحة) عن التأثير الاجتماعي للبطاطا، يقول عالم الجينات وأمراض النبات ردكليف سلامان Redcliffe Nathan Salaman: إن الهنود عند بداية الغزو كانوا ينتجون أكثر من ثلاثة آلاف نوع من البطاطا، علماً بأن الولايات المتحدة اليوم لا تنتج أكثر من ٢٥٠ نوعاً منها. كانت زراعة البطاطا التي لم يعرفها العالم قبل اكتشاف أميركا منتشرة من جنوب القارة حتى ما صار يعرف اليوم بولايات الجنوب الغربي للولايات المتحدة[٤٥]. وعلى الرغم من كل الخرافات التي شاعت حولها في أوروبا فقد كان لاكتشافها أثر أعظم من جبل الفضة. من تلك الخرافات أنها تسبب مرض الجذام بسبب شكلها البشع، وأنها «نبتة الشيطان»، وأن أكلها وأكل البندورة (الطماطم) والسكر وغير ذلك من مزروعات الهنود خطيئة لأنها غير مذكورة في الكتاب المقدس[٤٦]!

خمسة عقود مضت على حيرتي من ولوع الرسام ڤنسنت ڤان غوغ Vincent Van Gogh بالبطاطا وحقولها وفلاحيها وهم يزرعونها أو يقتلعونها من الأرض، أو يجمعونها في أوعية أو أكياس. هل حُبه لمذاقها وراء هذا العدد الهائل من اللوحات التي خصها بها، سواء في حقولها، أو أسواقها، أو لحظة تقشيرها، أو في ما يعرف بالطبيعة الصامتة، أو في لوحة أكلة البطاطا «The Potato Eaters» التي تعتبر من أوائل أعماله الرائعة. اليوم، لم يعد لدي شك في أن هذا العدد الهائل من اللوحات التي تركها ڤان غوغ عن البطاطا لم يكن مجرد غرام بمذاق البطاطا، بل ربما كان تعبيراً عن تفطر قلبه مع جوع الفقراء الذين يحيطون به وتجسيداً للتأثير الاجتماعي الهائل الذي أحدثته بطاطا الهنود في أوروبا القرن التاسع عشر. في ذلك الكوخ الريفي الذي لا يكاد مصباح الزيت المدلى من السقف يبدد عتمته، اختار ڤان غوغ ألوان الفقر الداكنة ليصوّرَ بها عشاء عائلة من الفلاحين تتحلق حول طاولة مربعة مهترئة ليس فوقها من قوت الدنيا سوى إبريق

وقصعة كبيرة من البطاطا. أربع نساء ورجل واحد تنطق قسمات وجوههم القاسية والشاحبة بأفصح ما كانت بطاطا الهنود تعنيه لفقراء أوروبا. وجوه شقية يكاد المتأمل لأيديها حول القصعة، يرى عظام أصابعها ويسمع كل ما في سريرة فلاحي أوروبا وفقرائها في ذلك الزمان.

هل من المستغرب إذن أن يفرد آدم سميث صاحب «ثروة الأمم» فقرة خاصة للأهمية الاقتصادية والاجتماعية لاكتشاف بطاطا الهنود؟ إن هذه الهدية الهندية في رأيه

> تتفوق على القمح لأن عطاء حقلها أسخى من عطاء حقل القمح بثلاثة أضعاف. ولهذا فإنها ستزيد من الإنتاج العام ومن عدد السكان وأسعار الأراضي، وستشكل طعاماً ممتازاً للطبقات الدنيا، وتجعل الرجال أقوى بدناً والنساء أبهى طلعة[٤٧].

بنى صاحب «ثروة الأمم» ملاحظاته عن الأهمية الاقتصادية والاجتماعية لبطاطا الهنود من تجربة العالم القديم مع زراعة الحبوب والمحاصيل التي تتعرض في دورة نمائها فوق الأرض لمخاطر الرياح، والبَرَد، والمطر الغزير، والثلج، والطيور، والحشرات، وما عانته أوروبا من مجاعات عند تعرض هذه الزراعات للتلف بسبب الآفات والأنواء القاسية.

لهذه الأسباب وغيرها يرى المؤرخ الفرنسي فرنان برودل Fernand Braudel أن البطاطا والطعام الهندي عموماً هما ما أنقذ أوروبا من تلاحق المجاعات التي أثرت على التزايد الطبيعي للسكان، ففي القرن الحادي عشر وحده عانت فرنسا من إحدى عشرة مجاعة[٤٨]. أما المؤرخ الأميركي ألفرد كروسبي Alfred W. Crosby فيعتقد أن زراعة بطاطا الهنود لم تنقذ أيرلندا من المجاعات وحسب، بل إنها ـ بعد قرن واحد من زراعتها ـ أدت إلى زيادة عدد الأيرلنديين ثلاثة أضعاف[٤٩].

٣

آباء الاتحاد والدستور والحكومة الأميركية

(إلى توماس هوبس)

لا نريد مدارسكم. إنها ستعلمنا أن نذهب إلى الكنائس. ولا نريد كنائسكم. إنها ستعلمنا أن نتقاتل حول [معنى] الله. لا نريد أن نتعلم ذلك. نعم نحن قد نتخاصم حول أشياء دنيوية من هذه الأرض، لكننا أبداً لا نتقاتل حول الله. ولا نريد أن نتعلم ذلك.

ـ الزعيم الهندي هينموت تويالكت (شيف جوزيف)
من هنود نيه بيرسيه

قبل أن يأتي إخواننا البيض ليمدنونا ما كان عندنا سجون، لأنه لم يكن عندنا مجرمون. لم يكن لبيوتنا أقفال لأنه لم يكن عندنا لصوص. وعندما يكون بيننا فقير دون حصان أو مسكن أو غطاء نتسارع لنهديه كل ما يحتاج. نعم كنا «غير متمدنين».

ـ الزعيم لام دير من هنود لاكوتا

كانت طريقة حياة الهنود تحدياً كبيراً للقيم والمثاليات الأوروبية عن السلطة والخضوع للسلطة؛ خضوع الأطفال والنساء لسلطة الذكر الأكبر، وخضوع

التلاميذ للمعلم، وخضوع العمال لرب العمل، وخضوع عامة الناس لظل الله المستوي على عرش السلطة. وقد استشرس الغزاة على مدى أكثر من أربعة قرون في القضاء على هندية من نجا منهم من الإبادة ونسف أسس ثقافتهم وأديانهم ولغاتهم وحياتهم الاجتماعية، واقتلاعهم من الذاكرة الإنسانية. إن جريمة اقتلاع كل أمم وشعوب أميركا من أسمائهم وتسميتهم جميعاً الهنود وحدها تستأهل عملاً مستقلاً، لكنني، تفادياً «للخروج عن السكة» سأستعرض بعض خطوطها العريضة في الحاشية(٥٠).

الهنود هم الذين جعلوا من أميركا عالماً يختلف عن أوروبا، بدءاً من الفُشار ورقائق الذرة المحمصة (كورن فليكس) وانتهاء بالدستور والديمقراطية وكراهية الاستبداد والطغيان ومعايير الجمال. حتى عهدٍ غير بعيد، كان دَهنُ الوجوه بالمعجون الأبيض الزينةَ الأرستقراطية المحببة لنساء أوروبا. أما اليوم فإن نساء أوروبا وأميركا ينفقن مليارات الدولارات سنوياً للسفر إلى الشواطئ والمنتجعات والجلوس ساعات طويلة تحت أشعة الشمس لتلويح أجسادهن بلون الذهب أو البرونز، وهو لون بشرة هؤلاء الذين نسميهم زوراً الهنود الحمر.

الهنود هم الذين علموا الغزاة البريطانيين معنى النظافة وأهمية الاغتسال كل صباح. فلطالما غثت نفوسهم من الرائحة الكريهة التي كانت تفوح دائماً من «الحجاج» الإنكليز الذين جاؤوا على متن السفينة مايفلور وأسسوا مستعمرة پليموث. ولقد جهد الهنود في إقناع رسل الحضارة بضرورة الاغتسال اليومي وبأن النظافة ليست شراً، لكن عبثاً. يقول روبرت لويب Robert Loeb مؤرخ ما يُسمى الحجاج:

> معظم هؤلاء الحجاج تعودوا شظف العيش crude way of living في إنكلترا. لهذا قال هندي لآخر قبل أن يصل [المستوطن الحاج] جون: ستجد أنه هو وعائلته على غرار كل الذين هنا [من

المستوطنين] تفوح منهم رائحة كريهة، خاصة حين تضطر إلى أن تكون معهم في مكان مغلق، [ويضيف المؤرخ لويب مفسراً] ذلك أنهم لا يغتسلون ولا يعرفون الحمّام. . . ومما يزيد الأمر سوءاً أنهم لا ينظفون ثيابهم سوى مرة أو مرتين في السنة. وبما أنهم جميعاً تفوح منهم نفس الروائح الكريهة فإنك لا تجد أحداً منهم يستهجنها(٥١).

لكن قليلاً جداً من الباحثين الأميركيين يعترفون كما يقول فليكس كوهن Felix Cohen أحد ألمع فلاسفة التشريع في الولايات المتحدة، في دراسة له بعنوان «أمركة الإنسان الأبيض Americanizing the White Man»:

«إن التغيير الذي طرأ على حياة الإنسان الأبيض في أميركا بسبب المعلمين الهنود كان أكبر من أي تغيير أحدثه المعلمون البيض. . . إننا إذا خسرنا ما أهدتنا الروح الهندية فإننا قد نكون على استعداد للتنازل كاملاً عن حرياتنا كما اضطر الأوروبيون إلى ذلك. . .

إن حق التصويت للمرأة والرجل، وأنموذج الولايات داخل ما نسميه الاتحاد، وعادة اعتبار الزعماء خدما للشعب وليس سادة عليهم، والإلحاح على أننا يجب أن نحترم تنوع البشر واختلاف أحلامهم، كل هذا أخذناه عن حياة الهنود كما كانت قبل وصول كولومبس. حتى المساهمة الأميركية الوحيدة في قاموس الحكومة الديمقراطية اتضح أنها كلمة مستعارة من اللغة الهندية. فحين استخدم [الرئيس] أندرو جاكسون كلمة «أو كاي O.k.» وصارت على كل شفة ولسان في أميركا ثم في العالم، سخر منه الأرستقراطيون في الكونغرس، ظناً منهم أنه يستخدم الحرفين الأولين من كلمتي All Correct، وأنه إنما أخطأ في التهجئة (وقد كان بارعاً في هذه الأخطاء). لكن «أو

كاي» (أو أوكه كما يلفظها هنود شكتاو Choctaw) تعني في لغتهم: «تم الاتفاق». كانوا يستخدمونها في مجالس [الحكم] للتعبير عن الموافقة على ما يقوله المتكلم. وكان الرئيس جاكسون قد سمعها منهم عندما كان يفاوضهم وهو برتبة جنرال[٥٢].

المؤرخون الأميركيون الذين يفكرون على غرار أسلافهم الرومان من منظار الانتصارات العسكرية والاجتياحات لم يستطيعوا أن يروا كيف أن الأميركيين الأوائل [السكان الأصليين] علمونا الزراعة، ونظام الحكم، والرياضة، والتربية، وصاغوا نظرتنا إلى الطبيعة والإنسان. إن مؤرخينا الذين تتلمذوا على أيدي الألمان والإنكليز لم يستطيعوا أن يروا أميركا إلا ظلاً شاحباً لأوروبا، ولهذا تجاهلوا كيف أن الأميركي الهندي لا يزال يعلمنا كيف تحل مشكلاتنا المعقدة مع الأرض والتعليم والحكم والعلاقات الإنسانية التي لم تجد أوروبا لها حلولاً ملائمة.

الملحمة الحقيقية لأميركا كانت وما زالت وستظل ملحمة «أمركة الإنسان الأبيض»، ملحمة تحويل أولئك الجياع المسكونين بالخوف، المتعصبين الذين جاؤوا إلى هذه الشطآن مع كولومبس وجون سميث. لقد حصل شيء ما لهؤلاء المهاجرين. بعضهم بقي كما كان أوروبياً متعصباً خاضعاً لسلطة الحكام، وآخرون تأمركوا وتعلموا من الهنود التسامح والود والتحرر من قيود الخضوع لسلطة الحاكمين. لقد تعلموا من الهنود أن الزعيم الذي لا يخدم المجتمع ويملي عليهم ما يفعلون وما لا يفعلون هو زعيم محتقر مرفوض.

إن أوروبا التي تركها كولومبس وراءه عندما أبحر إلى العالم الجديد. . . لم يكن في كل ممالكها وإمبراطورياتها، على صعيد

السياسة، ما يشبه الدستور الديمقراطي لفيدرالية الأركوا Iroquois Cofederacy وما يتضمنه من فقرات خاصة بحقوق الناس في سن القوانين أو تعديلها، أو في الاستفتاء الشعبي، أو في إقالة المسؤولين بتصويت شعبي، أو في حق المرأة في الاقتراع. أما على الصعيد الاجتماعي، فلم يكن في العالم القديم نظام يكفل المسنين والعجائز والمعوَّقين، ويؤمن ضد البطالة كما كان لدى هنود الإنكا Incas. أية أمة أوروبية [كما يتساءل المؤرخ وليم برسكوت William Prescot] كان لديها ما لدى هنود الإنكا من تدابير قانونية كثيرة ضد الفقر. كانت هذه التدابير شاملة كاملة بحيث إنه لم يكن في تلك البلاد الواسعة إنسان واحد يعاني من الحاجة إلى الطعام أو اللباس في زمن القحط.

من [هنود] أميركا جاء الحلم باليوتوبيا وبأن يكون الناس كلهم أحراراً. منهم تعلمنا أن الحكم ليس وقفاً لحق الملك الإلهي [كما كان في كل أوروبا]، بل ما يرتضيه الشعب وينفق عليه المحكومون.

بهذا وبكثير غيره ساهم الهنود في تحضير أوروبا. إن الأخبار التي وصلت أوروبا عن مجتمعات العالم الجديد، كما يقول فرانسيسكو دو ڤيتوريا Francisco de Vitoria أستاذ اللاهوت والأخلاق في جامعة سالامنكا (١٥٣٢)، هي التي قدمت مثلاً يحتذى في تأسيس العلاقات الدولية على العقل، وهيأت الأسس لقيام قانون دولي ليس حكراً على دين واحد، إذ ما إن اطلع [المشرع الفيلسوف] هوغو غروتيوس Hugo Grotius على ملاحظات ڤيتوريا عن المجتمعات الهندية حتى راح ينسج منها قماشة القانون الدولي الحديث. وقد كان هو أيضاً متأثراً بالنماذج الهندية للحكومة العادلة [غروتيوس هو أحد ثلاثة وضعوا القانون الدولي الحديث بناءً على القانون الطبيعي،

أما الآخران فهما فرانسيسكو دو فيتوريا وألبريكو جنتيلي Alberico Gentili].

وهنا يجب أن نعترف بأن أفكار جون لوك John Locke عن التسامح، والثورة، والمساواة الطبيعية التي ينبغي للإنسان أن ينشدها بالتمرد على الطغيان لم تتحدر من تاريخ [أوروبا] البعيد بل من [العالم الجديد] وراء الأطلسي. كذلك وجد [ميشال دو] مونتاين Montaigne ومونتسكيو Montesquieu وفولتير Voltair و[جان جاك] روسو Rousseau ومعاصروهم في ديمقراطية هنود أميركا، وفي الحرية والمساواة والتآخي لدى الهنود ضوءاً للإنسانية المعذبة وشعلة لإحراق نفايات الطغيان. إن الحماسة للحرية التي أزكاها هنود أميركا في ثورة المستعمرات الإنكليزية والمستعمرات الإسبانية أيضاً تحولت إلى شعلة ملتهبة...

أما هؤلاء الذين اعتادوا قراءة تاريخ الغزاة فلن يقتنعوا بسهولة، مهما قدمت لهم من الأدلة، بأن قيم الديمقراطية الأميركية والحرية والتسامح ليست ذات أصول أوروبية، بل مستمدة من الأرض الأميركية ومن حياة الشعوب الأصلية في هذه الأرض(٥٣).

شهادة هذا الرجل المنصف الذي أرسى دعائم الفلسفة التشريعية في الولايات المتحدة والذي يوصف بأنه «مهندس العدالة» ليست يتيمة ولا إطلاقية. فمنذ الموجة الاستعمارية الأولى كانت معرفة سلوك الهنود وثقافاتهم وأديانهم وعاداتهم وحكوماتهم مسألة حياة أو موت يتوقف عليها نجاح فكرة أميركا؛ فكرة احتلال أرض الغير، واستبدال شعب بشعب، وثقافة بثقافة وتاريخ بتاريخ. فبالإضافة إلى شهادات الكشافة والتجار والمغامرين الذين فضلوا العيش بين الهنود، أجرى مفوضو المستعمرات للشؤون الهندية علاقات شبه يومية مع الأمم الهندية،

وخاصة مع اتحاد هنود الإركوا Iroquois الذي ضم في البداية خمس أمم هندية هي موهوك Mohawk، أونيدا Oneida، أونونداغا Onondaga، كايوغا Cayuga، وسينيكا Seneca، ثم انضمت إليه أمة جديدة هي توسكارورا Tuscarore، فأصبح يعرف باسم اتحاد الأمم الست. ثم إن «كونغرس المستعمرات» أنشأ إدارة خاصة للشؤون الهندية (١٧٧٥) تولاها بنجامين فرانكلين وجورج واشنطن اللذان تفاوضا مباشرة مع سفراء اتحاد الأمم الهندية الست التي «كانت لقرون كثيرة خلت أمماً مستقلة محكومة بمبادئ ديمقراطية. وكانت فلسفة هذه الأمم للحرية والعدالة قد تجسدت في قوانين البلاد والفصل بين السلطات، وحقوق الإنسان[٥٤]. وصيغت دستورياً في ما صار يعرف بقانون السلام الأعظم Great Law of Peace الذي كان له تأثير هائل على الدستور الأميركي وبنية الحكومة الأميركية نفسها[٥٥]. وفعلاً فقد كان بنجامين فرانكلين وتوماس جفرسون ومعظم ما يسمى الآباء المؤسسين متشبعين بأفكار البنية السياسة لاتحاد الإركوا التي تضمنت مبدأ الفصل بين السلطات الثلاث، ونظام المساءلة والمحاسبة، وقوانين خاصة لحماية الحريات التي تتجسد اليوم بوثيقة الحقوق Bills of Rights[٥٦].

في ربيع ١٧٧٦، وفيما كان أعضاء «كونغرس المستعمرات» يتباحثون في «الجذور البيضاء للسلام White Roots of Peace» أو ما يعرف بكتاب الحياة عند هنود الإركوا Iroquois Book of Life، الذي «أوحى به كائن روحاني مولود من عذراء يدعى ديغانا ويدا Degana Wida»[٥٧]، قرروا تعيين جورج مورغن George Morgan أول إداري للشؤون الهندية[٥٨]. وقبل أن يبدأ هذا الكونغرس بخطوات جدية للانفطام عن أمه «بريطانيا» أو ما يُسمى زوراً الاستقلال، طلب من مورغن التفاوض مع الهنود وعقد أول معاهدة «سلام» هندية ـ أميركية. وقد أوصاه جون هانكوك John Hancock رئيس الكونغرس في رسالة التكليف بمراعاة طقوس «الجذور البيضاء للسلام» و«ديبلوماسية عقود الخرز» كأن يحمل معه «حزاماً يمثل

السلام مزيناً بثلاث عشرة جوهرة [رمزاً للمستعمرات الثلاث عشرة]، و٢٥٠٠ عقد من الخرز، جرياً على عادة صانع السلام الهندي[٥٩]. وفعلاً فإن سجلات «كونغرس المستعمرات» تؤكد أن «ديبلوماسية الخرز» التي لجأت إليها المستعمرات في تفاوضها مع الهنود هي التي فتحت أعينهم على بنية الحكومة الهندية وفصلها بين السلطات الثلاث، ونظام المساءلة والمحاسبة للحكام، والحقوق التي يجب أن يتمتع بها المواطنون[٦٠].

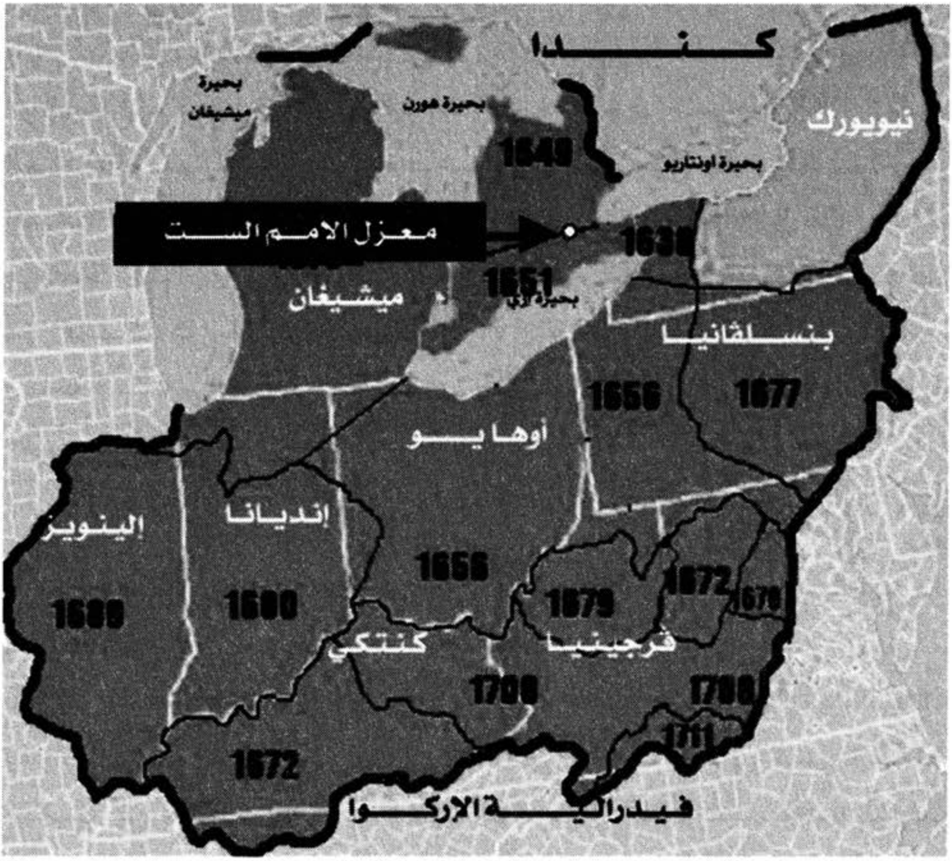
هكذا أبرمت أول معاهدة «سلام» بين الولايات المتحدة والهنود تحت «شجرة السلام» حيث استطاع المفوض مورغن إقناع الزعماء الهنود بالحياد في الحرب بين المستوطنين الثوار والجيش البريطاني. ولكي يؤكد صدق الولايات المتحدة بأنها ستحترم استقلالهم وسيادتهم على بلادهم ولن تجبرهم على القتال بجانبها، فقد قدم لزعماء الهنود الحزام المرصع بثلاث عشرة جوهرة (رمز المستعمرات الثلاث عشرة التي تحولت إلى ولايات). وفي طقس رمزي دفن المتعاهدون بلطة حربية تحت «شجرة السلام»، ثم أقام المفوض المنافق مع الهنود صلوات «الغلايين المقدسة» من أجل دوام هذا السلام[٦١].

معظم التفاصيل ـ على غرار معظم حقائق التاريخ الأميركي ـ كانت مُخفاة في الزوايا المظلمة. فهذا الكشف عن ديبلوماسية عقود الخرز التي تتضمن الجذور الفلسفية لقانون السلام الأعظم وتأثيره على الدستور الأميركي لم ير النور إلى أن اكتُشِفت أوراق المفوض جورج مورغن بمحض المصادفة في زاوية منسية من عالم التاريخ. هذه الأوراق التي اكتُشِفت في سقيفة بيت العجوز سوزانا مورغن Susannah Morgan (٨٤ سنة) زوجة حفيد ـ حفيد جورج مورغن، والتي تضمنت مراسلاته مع جورج واشنطن وتوماس جفرسون وجون هانكوك والجنرال بنديكت آرنولد Benedict Arnold لا تكمن أهميتها في الكشف عن تأثير «قانون السلام الأعظم» على الدستور الأميركي وبنية الحكومة الأميركية وحسب، بل في توثيق وعد جورج واشنطن للهنود بأن تكون لهم ولايتهم [دولتهم] التي سيحترم

استقلالها وسيادتهم عليها وحقهم في أن يضموها إلى الاتحاد الأميركي ويجعلوها الولاية الرابعة عشرة كما توثق ذلك أيضاً في معاهدة فورت بيت ١٧٧٨[٦٢]. أما الهنود الذين نمشي اليوم على خطاهم، فقد استسلموا للوعود المعسولة ولم يصيخوا السمع إلى تحذيرات الكولونيل البريطاني بتلر Butler الذي قال لهم «إن هؤلاء الأميركيين يريدون غشكم وخداعكم، ومن الحماقة تصديقهم لأن هدفهم هو اغتصاب كل بلادكم وتدميركم»[٦٣]. و«هو ما فعلوه حقاً». يومها كانت مساحة المستعمرات الثلاث عشرة التي تشكلت منها الولايات المتحدة لا تزيد على خمسة بالمئة من مساحتها الحالية، بينما كانت الدولة الموعودة للإركوا وغيرهم من الشعوب الأصلية في الجنوب والغرب تشكل باقي أراضي الهنود التي قرضها جورج واشنطن ومَنْ خَلَفَه مِن المستوطنين شبراً شبراً وشكلوا منها ولاية إضافية.

أين صارت هذه الدولة التي وعد واشنطن باحترام سيادتها واستقلالها وحدودها، وماذا حل بهذه الأمم التي كانت تملأ الأرض؟ هذا ما جعلني أمضي أياماً في التنقيب عن هؤلاء الأشقياء ودولتهم الموعودة في محفوظات مكتب الشؤون الهندية وفي خريطة ما يُسمى اليوم الولايات المتحدة، فلم أعثر لهم على أثر. كل ما وجدته شتات من المهجرين مشرذم ومتناثر في أربع ولايات هي نيويورك، وويسكنسن، وأوكلاهوما، ونورث كارولينا. ثم إنني، بالمصادفة، عثرت على جُحر في جنوب كندا قريب من الحدود الأميركية لا يشبهه إلا مخيم فلسطيني بائس يسمى معزل الأمم الست Six Nations Reservation، حشر فيه ٢٣ ألف شقي هم نسل من لم تصل إلى رقبته سكين الإبادة من هذه الأمم الست. (انظر الخريطة).

وكان مورغن الذي وعدهم بالدولة باسم واشنطن قد تعلم الكثير عن ثقافة الهنود وطقوسهم وبراءتهم من جاره بنجامين فرانكلين الذي أخذ عنهم فكرة الاتحاد وأفكار الدستور وبنية الحكومة. فهناك أكثر من وثيقة تروي كيف أن زعيم هنود



فيدرالية الإركوا (الأمم الست)، وتواريخ انضمام مناطقها. وكانت تضم أجزاءً كبيرة من ثماني ولايات حالية. اليوم، كل ما أبقاه الاستيطان من الفيدرالية ومن الدولة التي وعد بها واشنطن هو هذا المعزل الصغير الذي يشير إليه السهم
الأصل من Original taken from: Jesuit Relations and English Colonial Records

الإركوا كَنّاسَتيغو Cannassatego، بعد أن ضاق ذرعاً بمفاوضة كل مستعمرة على حدة، هو الذي نصح بنجامين فرانكلين قبل ثلاثة عقود من تصديق الدستور قائلاً، كما ورد مُوَثَّقاً في صلب معاهدة لانكستر Treaty of Lancaster (حزيران/ يونيو ١٧٤٤):

إن أجدادنا الحكماء أقاموا اتحاداً ودياً بين الأمم الخمس. . . وهذا ما جعلنا أقوياء مهابين، وأعطانا سلطاناً ورجحاناً في علاقاتنا مع

الأمم الأخرى. إننا اتحاد قوي. فإذا ما اتبعتم هذه السبل التي اتبعها أجدادنا فإنكم ستكتسبون قوة وقدرة عظيمة، ولن تتنازعوا في ما بينكم بعد ذلك مهما أصابكم[٦٤].

وفعلاً، كما ورد في أوراق بنجامين فرانكلين، فإنه بعد الاجتماع مع ممثلين عن الأمم الست، اقترح إنشاء مجلس للمستعمرات، ودعا إلى تشكيل حكومة موحدة ومجلس أعلى ينتخبه ممثلو الشعب في المستعمرات المختلفة[٦٥]. ثم إنه في رسالة إلى جيمس پاركر James Parker حض المستعمرات على إنشاء حكومة موحدة على غرار حكومة الهنود، وقال لهم بأسلوب تحريضي محرج:

أليس عجيباً أن ست أمم من الجهال المتوحشين استطاعت أن تقيم اتحاداً في ما بينها وأن تصونه وتحافظ عليه على مدى عصور كثيرة، بينما ترى مستعمراتنا الإنكليزية أن مثل هذا الاتحاد غير عملي، علماً بأن هذا الاتحاد أكثر من ضروري لها، وسيعود عليها بفائدة كبيرة[٦٦]؟

وقد أدى تحدي هؤلاء «الجهال المتوحشين» لأبناء الحضارة إلى قيام اتحاد بين المستعمرات صار يعرف بالولايات المتحدة الأميركية ووضع ميثاق الحقوق والدستور في محاكاة واضحة لبنية الحكومة الهندية ودستورها. بل إن خطة فرانكلين للمجلس الأعلى Grand Council لاتحاد المستعمرات كانت صورة طبق الأصل عن المجلس الأعلى لاتحاد أمم الإركوا الست[٦٧]. ثم إن توماس جفرسون واضع ما يُسمى إعلان الاستقلال ووثيقة الحقوق اعترف للهنود بفضلهم، وعبر عن إعجابه بحكومتهم وعن تفوقها على الحكومات الأوروبية. بل إنه بعد عودته من مفاوضاته مع هنود الشيروكي في الجنوب قال:

إن لكل مواطنيهم حقاً مقدساً في التصويت جاهلاً كان أو عالماً، صغيراً كان أو كبيراً، لأنهم جميعاً أسياد أنفسهم ومتساوون في

الحرية. إنهم يرفضون أن يتخذوا قراراً لشعوبهم ما لم يتدارسوه من كل جوانبه في مجالسهم الشعبية، وما لم توافق عليه الأكثرية أو يوافق عليه بالإجماع[٦٨].

هذه الخصائص الديمقراطية التي تميزت بها صناعة القرار عند الهنود أزعجت حكام المستعمرات الذين كانوا [في مفاوضاتهم مع الهنود] يطلبون منهم أن يتخذوا قراراً عاجلاً[٦٩].

وبمقارنة سريعة بين دستور الإركوا ودستور الولايات المتحدة (انظر الملحق) تُفضح كل عجرفة التاريخ المنتصر حول الديمقراطية والدستور وميثاق الحقوق Bill of Rights ويتبين أن الآباء الحقيقيين للاتحاد والدستور والحكومة الأميركية هم هؤلاء «الجهال المتوحشون».

في بداية القرن الماضي نشر المؤرخ العرقي پول والس Paul Wallace (أحد ألمع الباحثين في الدراسات الألغونكية Algonquian والإركوية Iroquoian) كتاباً مذهلاً بعنوان «الجذور البيضاء للسلام كتاب الحياة عند [هنود] الإركوا»[٧٠] خلص فيه إلى أن الاتحاد الهندي هو المثال والحافز على تحول المستعمرات الثلاث عشرة إلى ولايات متحدة أميركية، ففي ظلال «شجرة السلام العظيمة» ولدت «السلطات الثلاث» لأول مرة في التاريخ البشري هنا في العالم الجديد تحت اسم المجلس الأعلى Grand Council لاتحاد هنود الإركوا. وهو ما حاكته بنية الحكومة الأميركية حرفياً[٧١]. فمجلسهم التشريعي كان مؤلفاً من جناحين: مجلس ممثلين [نواب]، ومجلس شيوخ Elders. بينما كانت السلطة القضائية تعرف باسم «مجلس النساء» Women's Council[٧٢]. فهنود أونونداغا كانوا يمثلون الرئاسة في السلطة التنفيذية. أما السلطة التشريعية فكان لها جناحان هما مجلس الشيوخ ويضم هنود موهاوك وهنود سينيكا ويُدعون الإخوة الحكماء، ومجلس ممثلين (نواب) ويتألف من هنود توسكارورا وكايوغا وأونايدا ويدعون بالإخوة الفتيان[٧٣].

وقد ظلت هذه المجالس تحكم شعوب الاتحاد الهندي إلى أن قضى عليها وباء الاستيطان وألقى بمن نجا منها في قماقم صغيرة تسمى المعازل reservation. فعند زرع «شجرة السلام» في فيلادلفيا قال الزعيم جِيْك سوامپ Jake Swamp من هنود موهاوك (أحد شعوب اتحاد الإركوا):

في بدايات الزمان... أوصانا الخالق بوصية واحدة، وهي أن نشكر أمنا الأرض على عطاياها... غير أننا، في عصر الظلمات من تاريخنا، قبل نحو ألف سنة... ظهر فينا الفساد وتفشى الظلم واشتعلت بيننا الحروب. عندها بعث الخالق فينا رسولاً هو صانع السلام الأعظم The Great Peace Maker يبشر برسالة الصلاح والعدالة، من أجل أن نهيئ مستقبلاً أفضل لأطفالنا وأحفادنا. لهذا فإنه استدعى كل المتحاربين، وقال لهم إنهم لن يروا الراحة ما داموا يتنازعون ويتحاربون. ثم إنه بالمنطق الحصيف والحجة البالغة والروحانيات السامية أقنع المتحاربين بأن يدفنوا أسلحتهم ويزرعوا فوقها شجرة السلام المقدسة. ثم حلق نسر في الأجواء ممسكاً بخمسة سهام بين مخلبيه، رمزاً لوحدة الأمم الهندية المجتمعة [وقد استعارت الولايات المتحدة هذا الرمز في ختمها الرسمي الذي نجده على قفا ورقة الدولار (في الجهة اليمنى) حيث يمسك النسر بثلاثة عشر سهماً رمزاً للمستعمرات الثلاث عشرة التي تشكلت منها الولايات المتحدة كما أوصاهم زعيم هنود الإركوا كَنّاسَتيغو](٧٤).

وعندما سمع مساعد الأمين العام للأمم المتحدة الدكتور روبرت مولر Robert Muller هذه الكلمة قال: «لا ريب في أن هذا أقدم جهد لنزع السلاح في تاريخ البشرية»(٧٥).

ثم إن الرسول «صانع السلام» أعطى الناس شرعة العدالة التي تدعى «قانون السلام

الأعظم». وهي، كما يقول الزعيم أورن ليون Oren Lyon (من حلقة الحكماء الهنود) شرعةٌ للبشرية بكل أنواعها وأصقاعها لكي يكون العدل والسلام أساس قانون الأرض. أما حقوق الناس، فإنها تشمل حرية التعبير، وحرية التدين، وحق المرأة في المشاركة في الحكم. بينما يبقى مبدأ الفصل بين السلطات ونظام المساءلة والمحاسبة جوهر بنية الحكومة الهندية التي تعلمها زعماء المستعمرات الإنكليزية من الهنود[٧٦].

طبعاً، هناك خلاف بين قانون السلام الأعظم الهندي وبين الدستور الأميركي. وهو خلاف فضائحي أكثر إثارةً من التشابه بينهما، ذلك أن استعراض الصفات التي يجب أن تتوافر في الزعماء كما ينص الدستوران، والنظر في الحقوق السياسية للمرأة، وتأمل نظام العدالة، وغير ذلك من القضايا الدستورية سيؤدي إلى إعادة النظر في كل الأسس التي قامت عليها الحكومة الأميركية.

لننظر، مثلاً في نظام العدالة لدى الإركوا ونظام العدالة الأميركي. فالمحكمة العليا لدى الإركوا التي أنشئت قبل مئات السنين من إنشاء المحكمة العليا الأميركية عُهدت بكاملها إلى النساء. ونساء الهنود، منذ تلك الفترة المظلمة من التاريخ الأوروبي كنّ يتولين أعلى المناصب الحكومية ويشاركن الرجال في الزعامة الدينية والسياسية. كذلك كنّ يملكن حق إنهاء زعامة أي زعيم بعد إنذارات ثلاثة، وحق النقض في قضايا الحرب والسلم، إضافةً إلى حق التملك المطلق الذي كنّ يتمتعن به.

ولننظر أيضاً في الصفات التي يجب أن تتوافر في رجل السياسة هنا وهناك. إن الشروط التي يجب أن تتوافر في المرشحين للكونغرس، نظرياً، تقتصر على العمر والجنسية والإقامة. أما عملياً فإن المال هو عصب اللعبة الانتخابية وعصب صناعة القرار في الكونغرس الأميركي. إنه كما يصفه وزير مالية ولاية كاليفورنيا جس أنره Jesse M. Unruh بحق «حليب أم السياسة» Money is the mother's milk of

politics، بينما نجد أن قانون السلام الأعظم يستنبط معاييره من أسس أخلاقية فيشترط في رجال الدولة ونسائها أن يكونوا شرفاء أمناء يزكيهم الشعب، وينص في حيثيات هذه الأسس الأخلاقية على أن قلوب زعماء من هذا المعدن النبيل لا بد أن تنبض بحب السلام لشعوب الأرض والإحسان والرحمة لشعوب الاتحاد(٧٧).

٤

لهذا لا أبيع بلادي

عندما وطئت أقدامهم [الإنكليز] على هذه الأرض كانوا جائعين، متعبين لا حول لهم ولا قوة فأنقذهم أجدادنا مما هم فيه وفرشوا لهم وأطعموهم وكسوهم، غير أن هؤلاء البيض كالثعابين السامة؛ في البرد تبدو ضعيفة واهية لكن ما إن تشعر بالدفء حتى تلسعك وتميتك.

ـ الزعيم الهندي تكومسه، 1811

صحيح أن مئات الأمم التي كانت تعيش في ما يسمى اليوم الولايات المتحدة قد تختلف في ثقافاتها ولغاتها، لكنها تبقى مجتمعات «أمومية matriarchal» متشابهة في أسلوب الحياة والحكم. لم تكن أديان هذه الأمم تقدس الحياة الإنسانية وحدها بل كانت تقدس كل أنواع الحياة، باعتبارها مخلوقات الله (الذي يسمونه: الروح الأعظم) كانوا يؤمنون بأن الإنسانية أسرة واحدة لا بد من احترام حقوق كل فرد فيها، ويرون في الحيوانات والنباتات إخوة وأخوات لهذه الأسرة الإنسانية، لأن كل مخلوق شكل من أشكال الطبيعة لا تكتمل قامة الحياة من دونه. هذا ينطبق على الإنسان كما ينطبق على العضويات الضئيلة التي تفسخ المواد الميتة في التربة وتعيدها إلى الأرض لتكتمل دورة حياتها. لهذا كانوا يعتقدون بأن كل الكائنات تتنفس من نفس واحد ويغارون على حياة الحيوان كما يغارون على حياة أبنائهم وإخوانهم.

وإذن، لم يكن دفن الأسلحة تحت «شجرة السلام» مجرد حكاية من الماضي، بل كانت عقيدة تسكن قلوبهم وعقولهم. فحروبهم ليست ما نعرفه من حروب العنف والدمار والنهب واستعراض الجثث، بل كانت مهرجاناً لاستعراض الشجاعة والبطولة والمهارات. لهذا كان الغزاة المدججون بالجشع والنار وعقيدة الاختيار يسخرون من مفهوم الحرب لديهم ويتسلون بصيدهم. «ففي دراسة ميدانية لهنود السهول الذين صورتهم هوليوود وكل روايات التاريخ المنتصر مثلاً أعلى للعنف والعدوان يقول عالم الإنسانيات جورج غرينل George B. Grinell الذي عاش فترات طويلة بين الشعوب الهندية:

> بين هنود السهول الذين أعرفهم جيداً، يعتبر لمس العدو من أشنع أنواع التعبير عن العدوانية. أن تقوم بضرب العدو دون أن تؤذيه عمل من أعمال الفروسية. إن من مظاهر الشجاعة وتقاليدها أن يمضي الرجل إلى الحرب وليس في يده سلاح يؤذي عدوه من بعيد، فحمل الرمح أكثر شجاعة من حمل السهم، وحمل البلطة القصيرة أولى من حمل الرمح. أما أعظم مظاهر الشجاعة فأن تسعى إلى الهيجا دون سلاح[٧٨].

كذلك حالُ توادِّهم وتراحمهم مع عالم الحيوان والنبات. فعندما كانوا يصطادون غزالا أو جاموساً أو يقطعون غصناً يطلبون الصفح منه قائلين: «اغفر لي يا أخي الصغير». وحين يأكلون مزروعاتهم يقولون: «إنك تقيتني الآن، لكن جسدي سوف يعود إلى الأرض ذات يوم ليقيت جذورك». هذا ما علمهم رسولهم «صانع السلام الأعظم» بعد أن أوصاهم بأن يدفنوا أسلحتهم في الأرض ويزرعوا فوقها «شجرة السلام» ويُؤاخوا كل الكائنات[٧٩].

> الأزهار العاطرة أخواتنا. الغزال والحصان والنسر العظيم كلهم إخوتنا. القمم الصخرية، ندى المروج، ودفء جسد الحصان، كلها

أبناء هذه الأسرة الواحدة. . . هذه المياه التي تشع وهي تجري في سواقيها وأنهارها ليست مياهاً إنها دماء أجدادنا. . . الهواء عند الإنسان الأحمر ثمين لأن كل ما على هذه الأرض يتنفس منه. الحيوانات والأشجار وبنو البشر كلهم يتنفسون من نفس واحد. إن الريح التي وهبت جدنا الأكبر بأول شهيق هي التي استردت منه زفيره الأخير. . . هذه الأرض أمنا. والمكروه الذي يصيبها يصيبنا. مَن يبصق على الأرض فإنما يبصق على نفسه. هذا ما نعلم: إن الأرض لا تعود إلى الإنسان بل إن الإنسان هو الذي يعود إلى الأرض. هذا ما نعلم: كل الأشياء متمازجة كما الدم الذي يوحد العائلة. . . الإنسان لا ينسج شبكة الحياة بل هو خيط في هذا النسيج. وما يفعله لهذا للنسيج إنما يفعله لنفسه[٨٠].

بهذا الاحترام للأرض ولكل أنواع الحياة، عاش الهنود في تحاب وتناغم مع الطبيعة وما في الطبيعة مِن كائنات. لم يأخذوا من هذه الطبيعة أكثر مما كانوا يحتاجون إليه، لأن رسول «الروح الأعظم» أوصاهم بأن يتركوها للأجيال التالية كما وجدوها. لكن الأوروبيين لم يسخروا من هذه المفاهيم ويحتقروها ويشنعوا عليها وحسب، بل إنهم حاولوا استئصالها من حياة الهنود لأنها عرقلت مسيرة زحفهم واستيطانهم. أرادوا أن يغروا الهنود بالمال لعلهم يبيعونهم ما عجزوا عن سلبه من بلادهم بالقوة والاحتيال. ولم يكن الهنود يعرفون معنى بيع الأرض. فالأرض يرونها «عارية مردودة»؛ إنها ملك لكل أنواع الحياة لا تباع ولا تشترى. «كيف نستطيع أن نبيع أو نشتري السماء ودفء الأرض؟ ما أغرب هذه الأفكار!»[٨١].

حين أخفق المفاوضون البيض في معاهدة فورت كروسينغ Fort Crossing (٧ أيلول/ سبتمبر ١٨٧٩) في إقناع الزعيم الهندي كروفوت Crowfoot ببيع بلاده، تقدم منه أحد المفاوضين ونشر أمامه كومة من الدولارات لإغرائه وإغوائه. وأدرك

الزعيم الهندي أن مفاوضه المتعجرف بطيء الفهم فانحنى إلى الأرض والتقط بكثير من الاحترام حفنة من الطين كوّرها ثم وضعها في النار، وقعد صامتاً إلى أن تحولت إلى قرميدة صلبة. عندها أخرجها وقال لمفاوضِه: «تفضل الآن، وضعْ أوراقَ دولارتك في النار لنرى ما إذا كانت ستصمد كما صمد طين هذه الأرض». قال المفاوض الأبيض: «لكنها ستحترق. إنها مصنوعة من ورق». وهنا قال الزعيم الهندي: «هه، وإذن فإن دولاراتك أوهى وأبخس من هذه الحفنة من طين الأرض. ما نفع دولاراتك إذا كانت النار تحرقها، والريح تسفعها والماء يعطبها». ثم إنه ببسمة مقصودة التقط حفنة رمل من ضفة النهر وأعطاها للمفاوض الأبيض قائلاً: «تفضل الآن فعُدَّ حبات الرمل فيما أعدُّ أنا دولاراتك التي تريد أن تشتري بها أرضنا». قال المفاوض: «لكن عمري كله لا يكفي لعَدّ حبات الرمل بينما أنت ستعد الدولارات في بضع دقائق». وهنا قال الزعيم الهندي: «وإذن فإن عمر دولاراتك قصير، أما أرضنا فباقية إلى الأبد. إنها لن تزول ما دامت هناك شمس تشرق ومياه تتدفق. وستبقى هذه الأرض تعطي الحياة للإنسان والحيوان والنبات سنة بعد سنة. ولهذا لا نبيعها»[٨٢].

الهوامش

(١) Walter Prescott Webb, «The Frontier and the 400-year Boom,» in The Turner Thesis: *Concerning the Role of the Frontier in American History*. George Rogers Taylor, ed., (Lexington, Mass.: D.C. Heath and Company, 1949), p. 138.

ما لم أشر إلى المصدر فإن معظم المعلومات الأساسية في هذا الفصل مستقاة من أعمال فيلسوف التشريع الأميركي فيليكس كوهين Felix Cohen وعالم الإنسانيات جاك وذرفورد Jack Weatherford ورائد الكتابة الإنكليزية عن هنود شمال أميركا توماس مورتون Thomas Morton فلهم جميعاً الفضل والشكر.

(٢) Eric R. Wolf, *Europe and the People Without History,* (Berkeley, University of California Press, 1982), p.39.

(٣) Warwick Bray, *The Gold of El Dorado :* [catalog of an exhibition held at] The Royal Academy, Piccadilly, London, 21 November 1978-18 March 1979; Garcilaso de la Vega, The Incas: *The Royal Commentaries of the Inca: 1539-1616,* trans. Maria Jolas, (New York, Avon, 1961) p. 162.

(٤) Fernand Braudel, *Civilization and Capitalism, 15th -18th Century,: The Stucture of Everyday Life,* trans. Sian Reynolds, (New York: Harper & Row, 1982) Vol. I,, p. 476.

(٥) John Crow, *The Epic of Latin America*, (Berkeley: University of California Press, 1980), p. 267.

(٦) John A. Garraty and Peter Gay, *The Columbia History of the World,* (Harper & Row 1972), p. 613.

(٧) Adam Smith, *The Wealth of Nations*, (New York, Random House 1937), pp. 191-202.

(٨) David p. Werlich: *Peru: A Short History* (Illinois University Press, 1978), p.43.

(٩) John Crow, *The Epic of Latin America,* op. cit., 269.

(١٠) Edwardo Galeano, *Open Veins of Latin America, Five Centuries of the Pillage of a Continent* (New York: Monthly Review Press, 1973), p. 50.

(١١) Ibid., 269.

(١٢) نهب ثروات الهنود التي تتدفق بالمليارات على مصارف الولايات المتحدة، وتمد اقتصادها بالقوة، وتخلق ملايين فرص العمل يعتبر من أنجع وسائل الإبادة الحديثة.

Ward Churchill, *Fantasies of the Master Race: Literature, Cinema, and the Colonization of American Indians,* (Monroe, ME: Common Courage Press, 1992), p. 231; Andrew L Yarow, «Beneath South Dakota's Black Hills», *The New York Times,* August 9, 1987;J. Kappler, 11 Satat. *Indians Affairs: Laws and Treaties* - Vol. II:

Treaties, (Washington, D.C.: Government Printing Office, 1904), pp. 594-596.
وانظر كذلك منير العكش، تلمود العم سام، **الأساطير العبرية التي تأسست عليها أميركا**، (منشورات رياض الريس).

(١٣) Fernand Braudel, *Civilization and Capitalism, 15th -18th Century: The Perspective of the World,* trans. Sian Reynolds, (New York: Harper & Row, 1984) Vol. III,, p. 208.
والعرب تنسب البشم إلى الحيوانات التي تهلك به سَلْحاً.

(١٤) افتراس ثروات الهنود في أسرع وقت ممكن، وبأقصى جشع ممكن، بعد إبادة معظم هنود حوض الكاريبي، اضطرّ الإسبانَ إلى البحث عمن يصطاد لهم المزيد من العبيد ويشحنهم من أفريقيا إلى مناجم الفضة والذهب في بلاد الهنود. كان هناك دور منطقي بين كثافة النهب وكثافة الاستعباد، وكان هناك جدل حيوي بين النهب من أجل الإبادة والإبادة من أجل النهب. ولسوء حظهم، لم يكن لديهم من السفن ما يفي بهذه المهمة النبيلة، إذ كانت سفنهم منهمكة في شحن الثروات المنهوبة إلى إسبانيا وشحن المؤن والمزيد من اللصوص والمجرمين إلى العالم الجديد. هكذا سارعت سفن اللصوص والنخاسين الآخرين إلى النجدة، وقد كان أبرزهم إليزابيت ملكة بريطانيا التي وظفت ما يعرف باسم «كلابها البحرية» Elizabeth's Sea Dogs، وفي طليعتهم النخاس الإنكليزي جون هوكنس John Hawkins والقرصان الشهير فرانسيس درايك Francis Drake لهذه المهمة انظر:

Hugh Bicheno, *Elizabeth's Sea Dogs: How England's Mariners Became the Scourge of the Seas,* (Conway Publishing, 2012). See chapter 4 and 6.

منذ الرحلة الأولى، أدرك درايك ما في المغارة الإسبانية من كنوز، وعرف أن شحن العبيد للمستعمرات الإسبانية لن يدر عليه إلا الفتات. هكذا أنشأ، وبرعاية الملكة إليزابيت الأولى وتمويلها أول شركة قرصنة في العالم، وبدأ يغير على المنهوبات الإسبانية أينما وجدها انظر:

Samuel Eliot Morrison, *The Great Explorers: The European Discovery of America,* (New York, Oxford University Press, 1978), p. 677.

في إحدى غاراته على سفن النهب الإسبانية، استولى درايك على غنيمة تقدر بملايين الدولارات ويروي فرانسيس برتي Francis Pretty (أحد بحارته) أنهم استولوا في تلك الغارة على ثلاثة عشر صندوقاً من سبائك الفضة وستة أطنان من الفضة غير المسبوكة، إضافة إلى ثمانين رطلاً من الذهب الخالص انظر:

Francis Pretty, «We took the Silver and Left the Man,» in Frank MacShane, *Impressions of Latin America,* (New York, Morrow, 1963) p. 11.

ولم تقتصر قرصنة درايك على البحار، فقد أغار كذلك على ما استطاع من المستعمرات الإسبانية على شواطىء تشيلي والبيرو وأميركا الوسطى والمكسيك. ولكي يرضي ربه وجلالة ملكته، فقد أغار على الكنائس الكاثوليكية وسرق منها الغالي والرخيص، من جواهر التماثيل إلى ذهب الصلبان، ثم أهدى معظم هذه الغنائم المقدسة إلى الملكة إليزابيت التي خلعت عليه لقب فارس. ومن تلك الهدايا تاج وصليب مصنوعان من فضة بوتوسي ومرصعان بالجواهر المسروقة من كنائس الكفار (المصدر السابق، ص ٧٢٠).

نجاح تجربة درايك في القرصنة وما حققته من منجزات وطنية ودينية شجع البريطانيين على تأسيس عدد كبير من شركات القرصنة التي حظيت برعاية التاج ومباركته، على مدى ذلك القرن الذي نهبت فيه ثروات الهنود، وظلت تنشط في البر والبحر وتسرق ما سرقه الإسبان. وعندما شحت مصادر القرصنة انتقلت إلى تجارة العبيد وصيدهم وشحنهم إلى مستعمرات الإنكليز الأميركية، في رحلات منظمة يرعاها التاج الذي لا تغيب عن مملكته الشمس، بل بلغ الزهد بالملك شارل الثاني Charles II أن منح شركة المغامرين الملكيين Company of Royal Adventurers رخصة احتكار تجارة العبيد لمدة ألف عام. انظر:

Eric *Williams, Capitalism and Slavery,* (New York, Russell and Russell, 1961), p. 31.

من أهم شركات القرصنة والنخاسة شركة Hudson Bay Company التي كان يملك معظم سهامها الأمير أنطوني آشلي كوبر Anthony Ashley Cooper Earl of Shaftsbury أمير شافتسبري في عام ١٦٦٣. وقد كان هذا النخاس واحداً من مالكي مستعمرتي كارولينا الشمالية والجنوبية، وكان في خدمة تجارته بالعبيد فيلسوف «التسامح البريطاني» جون لوك John Locke الذي فلسف له أخلاق النخاسة وحرر له دستور مستعمرتيه. لهذا، وعلى عادة شعب الله الإنكليزي في تبجيل مجرميه، أطلق اسمه على النهرين اللذين يصبان في خليج شارلستون، نهر كوبر Cooper ونهر آشلي Ashley. ولهذا فليس غريباً أن ينسب المؤرخون صناعة «العصر الذهبي للقرصنة» إلى الإنكليز. انظر:

George Powell, «A Pirate's Paradise,» in The *Gentleman's Magazine,* Vol. CCLXXVI, N.S. 52, Jan-June 1894, p. 23.

٤٠٠ سنة مضت، وما زالت هذه القرصنة نشطة في البر والبحر لم تعد قرصنة هذه الأزمنة تكتفي باستخدام السفن. إن لديها الآن سفناً حديثة أكثر حيوية ونشاطاً هناك اليوم سفن قرصنة اسمها «الديمقراطية»، وسفن قرصنة اسمها «التدخل الإنساني»، وسفن قرصنة اسمها «حقوق الإنسان»، وسفن قرصنة اسمها USAID، وسفن قرصنة اسمها «سندات الخزينة»، وسفن قرصنة اسمها «الحجز على الأرصدة»، وسفن قرصنة اسمها «الحصار والعقوبات الاقتصادية»، وسفن قرصنة اسمها «الاستعمار الداخلي» وغير ذلك من السفن التي تشكل أساطيل «ثروة الأمم».

(١٥) Theodore Reed Fehrenbach, *Fire and Blood: A History of Mexico,* (New York, Collier 1973), p.294.

ويذكر عالم الإنسانيات وولف Eric R. Wolf أن ثلاثة أخماس سبائك الذهب والفضة المنهوبة من الهنود دفعتها إسبانيا إلى دائني التاج وغير التاج في نهاية القرن السادس عشر.

Eric R. Wolf, *Europe and the People Without History,*,op. cit., p.

(١٦) Ibid., p. 161.

(١٧) Frederic Jackson Turner, *The Frontier in American History,* (New York, Holt, Rinehart and Winston 1920), p.13.

(١٨) Edward Arber, ed., *Travel and Works of Captain John Smith,* (Edinburgh, 1910) Vol. II, pp. 927-928.

(١٩) Robert A Hecht, *Continents in Collision: The Impact of Europe on the North American*

Indian Societies (University Press of America, 1980), p.65.

(٢٠) ومن أسمائها «القندس». أما اسم «كلب البحر» فينسبه الدميري في «حياة الحيوان الكبرى» إلى المحدث [مجد الدين] بن دحية.

(٢١) Frederic Jackson Turner, *The Frontier in American History,* op. cit., p.13; Hermina Poatgieter, *Indian Legacy: Native American Influences on World Life and Culture* (Julian Messner, 1982), p 33.

(٢٢) K[enneth] G[ordon] Davies, *The North Atlantic World in the Seventeenth Century,* (University of Minnesota Press, 1974)pp. 68-74.

(٢٣) E. E. Rich, *History of the Hudson Bay Company,* 1670-1870, with a Foreward by Winston Churchill, (London: Hudson's Bay Record Society, 1958-59), p. 530 (I)

(٢٤) William A. Starna and José António Brandão, «From the Mohawk-Mahican War to the Beaver Wars: Questioning the Pattern,» *Ethnohistory* 51, no. 4 (Fall 2004) pp. 739-740 (I)

لم يمض نصف قرن على إنشاء أول مستعمرة إنكليزية حتى أنشبت «ثروة الأمم» مخالبها في لحم الفريسة الاستعمارية وجعلت منها تجارة عِملتُها النارُ والتوراة ودم الهنود. فأقطعت الأراضي ومن على الأراضي المستعمرة في شمال أميركا ومنطقة الكاريبي للشركات التي يملكها التاج البريطاني والكروش العَلِيَّة. إن شركة Hudson Bay مثلاً كانت تملك أرضاً أوسع من كل أوروبا الغربية وكانت هذه الشركات ـ إضافة إلى غنائمها من ذهب الأرض وخيرات الأرض وأرواح أهل الأرض ـ تجني أرباحاً فاحشة من تجارة العبيد ومن الخدمات التي تقدمها لسفن قراصنة جلالته. فميناء شارلستون في مستعمرة كارولينا مثلاً، كان يوفر للقراصنة ميناءً يختبئون فيه ويتزودون بما يحتاجون إليه من مؤن وعتاد ورجال مستعدين لمهاجمة سفن الإسبان التي تحمل الفضة والذهب والعبيد إلى إشبيلية. كانت المستعمرة الإنكليزية كما يصفها توماس جفرسون مجرد اقطاعية ملحقة ببيوت تجارية لندنية انظر:

Fernand Braudel, *Civilization and Capitalism,* op. cit., vol. III, p.401.

(٢٥) Jeffrey A. Cole, *The Potosí mita, 1573-1700: Compulsory Indian Labor in the Andes,* (Stanford University Press1985), p. 3.

(٢٦) Hermina Poatgieter, *Indian Legacy:,* op. cit.,pp. 57, 59, 60.

وتقول مؤلفة الكتاب: «إن كثيراً من مزروعات الهنود نسبت زوراً إلى شعوب أخرى مثل التبغ والذرة والفستق السوداني والبطاطا، وإن من أقدم الخضار التي زرعوها الكوسى واليقطين والأفوكادو والفليفلة بأنواعها. ثم إنه بالإضافة إلى الشوكولاتة، هناك الفانيلا وسكر القبقب maple. أما بالنسبة إلى ما نسميه الفستق السوداني فإن الإسبان هم الذين نقلوه إلى أفريقيا في القرن السادس عشر، ومن المفارقات أن الأفارقة الذين شحنوا عبيداً هم الذين نقلوه إلى مستعمرات بريطانيا في شمال أميركا بعد نحو قرن، حيث أصبح من أحب ما يأكله الناس، هذا المحصول الهندي يعتبر اليوم دخلاً قومياً لأكثر من خمسة وخمسين بلداً، أولها الهند، وتليها الصين، ثم نيجيريا، بينما تأتي الولايات المتحدة في المرتبة الرابعة. أما الأناناس الذي كان يعتبر

من الفواكه الأساسية التي قدمها الهنود للإنسانية، فيروي مؤرخ إسباني أن الملك فرديناند أحبها كثيراً عندما تذوقها، وصارت من الفواكه المفضلة لديه. وعندما تعلم الأوروبيون كيف يزرعونها انتشرت في باقي أرجاء الأرض».

Ibid, pp. 61, 63, 66, 67.

(٢٧) Ibid., p.63.

(٢٨) يرجع قاموس أكسفورد Oxford أول استعمال لكلمة قطن cotton في اللغة الإنكليزية إلى عام ١٥٩٤. أما قاموس Merriam Webster فيرى أنها مستعارة من اللغة العربية قطن.

(٢٩) Jack Weatherford, *Indian Givers, How the Indian of the Americas Transformed the World,* (Balantine Books, 1988), pp. 43-44

و«الطلس» عند العرب الثوب الخلق المتسخ.

(٣٠) Rebecca Stone-Miller, *Art of the Andes: from Chavín to Inca,* (London: Thames and Hudson, 2002), p. 17, and *To Weave for the Sun: Ancient Andean Textiles,* (Thames & Hudson 1995).

(٣١) Subhash C. Anand, *Handbook of technical textiles.* (Woodhead Publishing. 2000) pp. 87-88; Eric Broudy, *The Book of Looms,* (University Press of New England.1993) pp. 148, 151; Jack Weatherford, Indian Givers, op. cit., p. 44.

(٣٢) Eric R. Wolf, *Europe and the People Without History,* op. cit., pp.279-280; Fernand Braudel, Civilization and Capitalism, op. cit., Vol. III, pp. 572-573; Weatherford, p. cit., p. 44,

(٣٣) Eric R. Wolf, *Europe and the People Without History,* op. cit., p. 140; Wayne P. Armstrong, «Natural Dyes,» HerbalGram, 1994) 32: 30-34; Weatherford, op. cit., p. 44.

(٣٤) Hermina Poatgieter, *Indian Legacy:* op. cit., (Julian Messner, 1982), p.87.

(٣٥) Ibid., p. 145.

(٣٦) Eric R. Wolf, *Europe and the People Without History*, op. cit., p.325.

قبل هذه الخطوة (١٨٢٧)، كانت البرازيل تنتج ٧٢ طناً من المطاط سنوياً، لكنها في نهاية ذلك القرن راحت تنتج ٢٠ ألف طن سنوياً.

(٣٧) Felix S. Cohen, *The Legal Conscience: Selected Papers of Felix S. Cohen,* Lucy Kramer Cohen (ed.), (Archon Books 1970), p.319,and *The American Scholar*, Vol. 21, No.2 (Spring 1952), pp. 177-191.

(٣٨) Weatherford, p.62 ; see L Kaplan's chapter, «Variation in the Cultivated Beans,» in T. F. Lynch (ed), *Guitarrero Cave: Early Man in the Andes* (Academic Press Inc., 1980); G. W Beadle, «The Ancestry of Corn,» *Scientific American,* Vol. CCXLII (1980), 1, pp.96-103; Redcliffe N. *Salaman, The History and Social Influence of the Potato* (Cambridge University Press, 1985), p.x.

(٣٩) Hermina Poatgieter, *Indian Legacy*, op. cit., p. 28.

(٤٠) Weatherford p.63.

(٤١) Felix S. Cohen, *The Legal Conscience*: op. cit.,, p.319.

(٤٢) Hermina Poatgieter, *Indian Legacy,* op. cit., p. 69.

(٤٣) James Axtell, *After Columbus: Essays in the Ethnohistory of Colonial North America* (Oxford University Press, 1990) P. 133, 199.
ما يُسمى اليوم عيد الشكر الذي يقال إن الاحتفال به لأول مرة جرى في بليموث سنة ١٦٢١ كان في الواقع عيد حصاد الذرة الذي يحتفل به الهنود منذ آلاف السنين. وقد كان عيداً دينياً يشكرون فيه الله على ما أعطاهم من غذاء يقتاتون به في الشتاء.

(٤٤) George Breadle, The Ancestry of Corn, *Scientific American*, 242 (1980), pp. 112-119.

(٤٥) Redcliffe N Salaman, *The History and Social Influence of the Potato,* op. cit.,, p.1.

(٤٦) Fernand Braudel, *Civilization and Capitalism,* op. cit., Vol. I, p. 170.

(٤٧) Adam Smith, *The Watlth of Nations*, op. cit., pp.160-161.

(٤٨) Fernand Braudel, *Civilization and Capitalism,* Vol.I, op. cit., p. 74.

(٤٩) Alfred W. Crosby, *The Columbian Exchange: Biological and Cultural Consequences of 1492,* (Greenwood Press 1972), p. 166.

(٥٠) ليتصور القارئ أن مكتشفاً من العصور الغابرة وصل بالمصادفة إلى القارة الأوروبية التي لم تكن معروفة في زمانه فأطلق عليها اسم «الهند»، وسمى سكانها جميعاً هنوداً، ما جعل كل شعوب الأرض في عصره يحذون حذوه فيظنون أن شعوب هذه القارة لم يكن لهم أسماء وأنهم جميعاً هنود. هكذا صار الفرنسي هندياً، والألماني هندياً، والهولندي هندياً، والإنكليزي هندياً، والإيطالي هندياً، وكذلك حال البقية الباقية من شعوب القارة الأوروبية.
هذا بالضبط ما فعله كولومبس والغزاة من بعده بشعوب العالم الجديد وأممه، التي كانت أكثر عدداً وتنوعاً من شعوب أوروبا، فالمنطقة التي تسمى اليوم الولايات المتحدة وحدها كانت تضم أكثر من ٥٠٠ أمة وشعب، لكل منهم اسمه وثقافته وخصائصه الاجتماعية انظر:
Alvin M. Josephy Jr, *500 Nations An Illustrated History of North American Indians,* (Alfred a Knopf Inc. 1994).
هذه التسميات القسرية التي تبدو مثل نكتة سمجة ليست بريئة، فهي سلاح من أسلحة الإبادة، هدفها محو وجود أمم وشعوب من الذاكرة البشرية والإيحاء بأن بلادهم مجرد أرض عذراء لم تعرف البشر إلا ساعة وصول الغزاة إليها ليمنحوها اسمها وشهادة ميلادها. أنت مثلاً لا تستطيع أن تتصور فرنسا من دون فرنسيين، ولا ألمانيا من دون ألمان، ولا فلسطين من دون فلسطينيين.
لهذا فقد استهل معظم الغزاة الأوروبيين تأسيس دولهم بهذه المفخرة، فالفرانك (الفرنسيون الآن)، حين غزوا بلاد الغال Gaul سموها فرانكرايش Frankreich الذي ترقق وتلطف لاحقاً ليصبح فرنسا. والجزيرة البريطانية كانت تعرف باسم ألبا Alba أو ألبيون Albion لكن الغزاة الذين كانوا يسمون أنفسهم الملائكة (!) Angels حين احتلوا جزءاً كبيراً منها في القرن الأول الميلادي أطلقوا عليها اسم بلاد الملائكةِ England. وهذا ما فعلوه في معظم البلدان التي

استعمروها مباشرة أو بواجهة من وكلاء محليين كما حصل في زيمبابوي التي صار اسمها روديسيا، والجزيرة العربية التي صار اسمها السعودية، وفلسطين التي أراد الغزاة محو اسمها من الخريطة وتمترسوا بألف كذبة وكذبة لمحو اسم شعبها من الوجود. ولعل ألأم ما في هذه السياسة نفي الصفة الفلسطينية عن الفلسطينيين الذين ما زالوا يعيشون في بلادهم فلسطين المحتلة، والإصرار على تسميتهم عرب إسرائيل للإيحاء بأنهم طارئون، فهم إما بدو رحل أو إنهم في أحسن تقدير جزء من أي شعب عربي آخر.

أما كولومبس الذي اكتشف العالم الجديد بالغلط كما يصطدم السائر في منامه بجدار، فقد ظنه في البداية أرض الهند فسمى كل أهله الهنود، لكن الغزاة الأوروبيين لم يتراجعوا عن هذا الاسم حتى بعد أن أدركوا الحقيقة وعرفوا أن هناك مئات الشعوب التي تسكن هذا العالم منذ آلاف السنين. وقد تفنن الإنكليز في إطلاق الأسماء الغريبة على سكان مستعمراتهم الأميركية، بعضها من العهد القديم كالكنعانيين وبعضها من قواميسهم الهجائية كالمتوحشين savages وأبناء البراري wild people وحمر الجلود redskins والصيادين hunter والرحل roamers، لكنهم أبداً لم يسموهم بأسمائهم إلا حين يضطرون إلى النفاق، كما هي الحال في معاهداتهم مع هذا الشعب (الهندي) أو ذاك. وهم بذلك إنما ينسفون أي معنى لوجودهم الوطني وحقهم في أن يكونوا شعوباً وأمماً تعيش في بلاد مستقلة وذات سيادة.

إضافة إلى طمس أسماء البلاد والعباد، اختفت معظم أسماء الأنهار والبحيرات والمناطق، كما اختفت المدن والقرى الهندية التي علت فوقها مدن حديثة، وذلك لاستئصال الرحم التي ولدت منها تلك الشعوب وللإغراق في تضليل التاريخ وخداع الذاكرة الإنسانية. ففكرة أميركا المقتبسة من فكرة إسرائيل التاريخية لا تكتفي باحتلال أرض الغير، بل تحتاج أيضاً إلى عنصرين آخرين ضروريين هم استبدال شعب بشعب، واستبدال ثقافة بثقافة وتاريخ بتاريخ. أما محو الأسماء والمدن فكرم على درب. هذا ما فعله الإنكليز أيضاً في أوستراليا ونيوزيلانده ومئات الجزائر والبقاع التي غزوها. إنهم لم يجدوا فيها من يستحق الحياة، أي لم يجدوا فيها أحداً. أما البقية الباقية ممن يتكرمون عليه بالوجود فوحوش غابات و«عرب رحل لا يستأهلون وطناً ولا وجوداً»، (كما وصفهم صاموئيل آدم درايك Samuel Adam Drake أحد جنرالات الحرب الأهلية).

Jack D. Forbes, *The Indian in America's Past,* (Englewood Cliff, Prentice Hall, 1964), p. 212.

وإمعاناً في هذا المحو الوجودي حُرمت بقايا هذه الشعوب النسبة إلى الأسماء الجديدة أيضاً، فكل الذين يعيشون في ڤرجينيا أو جورجيا مثلاً يمكن وصفهم بالڤرجينيين أو الجورجيين إلا أبناء الشعوب الأصلية الذين ولد آباؤهم وأجدادهم ودفنوا في هذه البلاد. أكثر من ذلك، فإن الولايات المتحدة التي لا يعترف دستورها بحدود جغرافية احتكرت اسم أميركا لنفسها. فكل الشعوب التي تعيش في شمال القارة الأميركية وجنوبها تسمى بأسماء بلدانها كندا كندي، فنزويلا فنزويلي، كوبا كوبي، أرجنتين أرجنتيني إلا شعب الولايات المتحدة فإنه أميركي لكن باستثناء السكان الأصليين الذين تشملهم قائمة الطارئين hyphenated على الرغم من أن اسم أميركا ـ في الأرجح ـ مستمد من لغاتهم الأصلية انظر:

Marijo Moore (ed.), *Eating Fire, Testing Blood: An Anthology of American Indian*

Holocaust, (Thunder's Mouth Press) p. 34.

وسواء كان اسم أميركا مشتقاً من لغات السكان الأصليين أم من اسم المكتشف الإيطالي أميريغو سبوتشي Amerigo Vespocci فقد احتكرت الولايات المتحدة لنفسها هذا الاسم وحرمت منه كل شعوب القارة وأولهم سكانها الأصليون. ولهذا الاحتكار جذور في الدستور الأميركي الذي لا يعترف بحدود للولايات المتحدة، وفي السياسات التي تماهي بين القارة الأميركية والولايات المتحدة «بإرادة إلهية» كما يقول الرئيس جون كوينسي آدمس في مذكراته انظر:

Paul E. Teed, *John Quincy Adams, Yankee Nationalist,* (Nova Science Pub. Inc., 2006) p. 71.

وفي «فكرة أميركا» التي يعبّر عنها الأيديولوجيون مثل آرثر بيرد Arthur Bird الذي يعتبر الولايات المتحدة جمهورية كونية، ويجب أن تصبح أكبر من الأرض نفسها حيث سوف «يحدها من الشرق سفر التكوين (بداية الخلق) ومن الغرب يوم القيامة (نهايته)».

Arthur Bird, *Looking Forward, A Dream of the United States of the Americas in 1999* (New York, L. C. Childs & Son, 1899), pp.7-8.

وهذا ما يردده عدد كبير من كتّاب الولايات المتحدة وسياسييها الذين ألحوا على طرد كل ما هو غير أوروبي من الملكوت الأميركي انظر:

D. Hicks, *A Short History of American Democracy* (Boston 1949) p.1.

بل إن روبرت ويتمور صاحب «صانعي العقل الأميركي» يرى أن هذا العقل أبيض كلياً وخالص البياض لا مكان فيه لغير البيض أو المتأبيضين مثل كوندوليسا رايس، كولين پاول، باراك أوباما وغيرهم من أعضاء نادي العم توم.

Robert Clifton Whittemore, *Makers of the American Mind* (Morrow, 1964) p. xii.

ويستطيع القارئ أن يجد كثيراً من التفاصيل عن هذه الإبادة الثقافية والاجتماعية في كتاب منير العكش «لعنة كنعان الإنكليزية، أميركا والإبادات الثقافية»، منشورات رياض الريس، بيروت ٢٠٠٩، أما بالنسبة إلى السود المتأبيضين فانظر فصل «أنكل أوباما ولسانه المشقوق في كتاب منير العكش أميركا والإبادات الجنسية: ٤٠٠ سنة من الحروب على الفقراء والمستضعفين، منشورات الريس، بيروت، ٢٠١٢.

(٥١) Robert Loeb, Jr. *Meet the Real Pilgrims* (Garden City, New York, Doubleday, 1979), pp. 23,87.

وانظر في إصرار الهنود على تعليم الحجاج عادة الاغتسال اليومي.

Feenie Ziner, *Squanto* (Hammden Conn., Linner Books, 1989), p. 141.

(٥٢) وفي اللغة الإنكليزية اليوم أكثر من مئتي مفردة مأخوذة من لغة هنود ألغونكين Algonquin، منها totem hickory, moose, racoon, caucus, tamarak ومئة أخرى من هنود شمال مكسيكو، بعضها تحدر من الفرنسية أو الاسبانية مثل caribou, toboggan, mackinow، إضافة إلى أكثر من مئتي مفردة من هنود مكسيكو، منها maize tobacco, hammock, canoa، وكلمات عديدة من هنود الجنوب مثل chili, tomato, barbecue, pecan, coyote، chocolate hurricane, potato, avocado. أما الكثرة الكاثرة من المفردات الهندية فنجدها في أسماء الأماكن كالولايات والمدن

والأنهار والبحيرات. فما زالت ٢٦ ولاية أميركية تحمل اسماً هندياً: آلاباما، آلاسكا، أركنسا، أريزونا، كونتكت، أيداهو، إلينويز، آياوا، كنساس، كنتكي، مساتشوستس، ميشيغن، مينيسوتا، ميسيسيبي، ميزوري، نبراسكا، نيومكسيكو، نورث داكوتا، أوهايو، أوكلاهوما، ساوث داكوتا، تنسي، تكساس، أوتا، وسكنسون، وايومينغ.
وهناك مدن أميركية كثيرة ما زالت تحتفظ بأسمائها الهندية مثل شيكاغو، كنساس، ميامي، ميلواكي، أوماها، سياتل إلخ، وكذلك الحال بالنسبة إلى الأنهار والبحيرات والجبال انظر في هذا.
Hermina Poatgieter, *Indian Legacy,* op. cit., pp. 149, 150, 152.

(٥٣) Felix S. Cohen, *The Legal Conscience: Selected Papers of Felix S. Cohen*, Lucy Kramer Cohen (ed.), (Archon Books 1970), p.319,and The American Scholar, Vol. 21, No.2 (Spring 1952), pp. 177-191.
وتأتي أهمية هذه الشهادة من أن كاتبها (١٩٠٧ ـ ١٩٥٣) من ألمع رجال القانون في الولايات المتحدة، وأنه هو الذي أرسى دعائم الفلسفة التشريعية الأميركية، وصاغ قانون الهنود الاتحادي ويوصف بين رجال القانون الأميركيين بأنه «مهندس العدالة» كما يدل على ذلك كتاب داليا تْسَك ميتشِل Dalia Tsuk Mitchell عنه بعنوان:
Architect of Justice: Felix S. Cohen and the Founding of American Legal Pluralism
ومن أعماله، إضافة الى المرجع المذكور أعلاه:
On the Drafting of Tribal Constitutions (American Indian Law and Policy) (University of Oklahoma Press 2007); *Felix S. Cohen's Handbook of Federal Indian Law,* (Five Rings Corporation 1986); *and systems and legal ideals;: An essay on the foundations of legal criticism* (Great Seal Books 1959).

(٥٤) انظر محاضر لقاءات كونغرس المستعمرات مع سفراء الأمم الهندية أيام الثورة الأميركية في:
John Butler, Index: *Papers of the Continental Congress, 1774-1789,* see the:«Transcripts of meetings between the United States and Indian Ambassadors During the American Revolution,» (Smithsonian Institute Press, 1978).

(٥٥) Hermina Poatgieter, *Indian Legacy:,* op. cit., see pp. 18-21.

(٥٦) John Butler, *Index: Papers of the Continental Congress,* op., cit.

(٥٧) يعتقد هنود اتحاد الإركوا أن من أوحى بقانون السلام الأعظم وتنسب إليه فكرة الاتحاد بين الأمم الخمس، وتعود إليه «الجذور البيضاء للسلام «وأرسى مفاهيم الثورة على العقل القديم من أجل خلق عقل جديد هو كائن روحاني غريب اسمه ديغانا ويدا DeganaWidah. ويقولون إنه ظهر بين شعب الهورون Huron عند الضفة الشمالية لبحيرة أونتاريو، وأنه غريب عن كل أبناء الأمم الخمس، وأنه ابن امرأة عذراء(!). أما اسمه الذي يعني «سيد كل شيء» فقد أوحى به «الروح الأعظم Great Spirit» [وهو الاسم الذي يطلقه الهنود على الله] الذي أرسله لإرساء السلام بين الأمم والدعوة إلى عقل جديد New Mind. ويعتقد الهنود أيضاً أنه بفضل أفكار ديغانا ويدا الخلاقة انتهت الحروب والنزاعات بينهم وحل محلها الود والسلام في ظل اتحاد منيع عاش مئات

السنين ولم يتقوض إلا حديثاً بنار الغزاة البيض ودهائهم انظر في ملحمة ديغانا ويدا:
Paul A. W. Wallace, *White Roots of Peace: Iroquois Book of Life,* (Clear Light Pub 1994).

(٥٨) Letter from John Hancock to George Morgan (Apr. 19, 1776), reprinted in G. Morgan, Morgan Papers, Doc. No. 2 (1776) (preserved by Colonel George Morgan Document Company, Santa Barbara, California).

(٥٩) Mike [Kanentakeron] Mitchell, «The Birth of the Peacemaker,» in Barbara K. Barnes (eds,.) *Traditional Teaching* (North American Indian Travelling College1984). pp. 22-28.

(٦٠) John Butler, *Index: Papers of the Continental Congress,* op., cit. (transcripts of meetings between the United States and Indian ambassadors during the American Revolution).

(٦١) Letter from John Hancock to George Morgan (Apr. 19, 1776), reprinted in G. Morgan, Morgan Papers, (1776), op., cit., Doc. No. 8..; see also «A Treaty, Held at the Town of LANCASTER, In Pennsylvania, By the Honourable the Lieutenant-Governor of the Province, And the Honourable the Commissioners of the Provinces Of VIRGINIA and MARYLAND With the IINDIANS of the SIX NATIONS, in JUNE, 1744. (Indian Treaties Printed by Benjamin Franklin, 1736-1762 (Philadelphia: Historical Society of Pennsylvania, 1938).

(٦٢) Louis W. Thompson, «Historian Gregory Schaaf Strikes a Mother Lode of History Among a Neighbor's Keepsakes», Vol. 7, No. 3 (January 24, 1977). Also see Article 5 and 6 in» U.S. Treaty with th- Delawares» Fort Pitt, PA, 1778; original in the U.S. National Archives, printed in Charles Kappler, ed., Washington, DC: U.S. Government Printing Office, 1904.

(٦٣) Ibid.
هذه النصيحة البريطانية اقتضتها في تلك الفترة الحرب الدائرة بين البريطانيين ومستوطني مستعمراتهم الأميركية الثائرين عليهم، وليس حباً بالهنود ولا أدل على ذلك من أنهم حين خسروا الحرب أمام المستوطنين تنازلوا لهم عن كل ما بين أيديهم من أراضي حلفائهم الهنود الذين حاربوا إلى جانبهم.

(٦٤) Cannasatego to Colonial Officials, «A Treaty, Held at the Town of LANCASTER, In Pennsylvania, op. cit.,; Felix S. Cohen, *The Legal Conscience: Selected Papers of Felix S. Cohen*, op. cit., p. 321.

(٦٥) Leonard Larrabee, ed., *The Papers of Benjamin Franklin*, vol. 5 (New Haven: Yale. University Press, 1959), 387-92. Benjamin Franklin first proposed the creation of a

colonial Grand Council in the Albany Plan of Union: One General Government may be formed in America... administered by a president General... and a grand Council to be chosen by the representatives of the people of the several colonies «Benjamin Franklin,» «Albany Plan of Union», (Albany, N.Y., July 10, 1754), Queen's State Paper Office; cited in Gregory Schaaf, *The Great Law of Peace and the Constitution of the United States of America,* (special ed. 1987) (privately printed) at 2.

(٦٦) Felix S. Cohen, *The Legal Conscience: Selected Papers of Felix S. Cohen,* op. cit., p. 321.

(٦٧) Leonard Larrabee, ed., *The Papers of Benjamin Franklin,* vol. 5, op. cit., 387-392.

(٦٨) Felix S. Cohen, *The Legal Conscience: Selected Papers of Felix S. Cohen,* op. cit., p. 321.

(٦٩) Thomas Jefferson, cited in Felix S. Cohen, *The Legal Conscience: Selected Papers of Felix S. Cohen,*op. cit., p. 321.

(٧٠) Paul Wallace, *The White Roots of Peace,*op, cit.

(٧١) Mike [Kanentakeron] Mitchell, «The Birth of the Peacemaker,» in Barbara K. Barnes (eds,.) *Traditional Teaching,* op.cit., p. 37

(٧٢) Arthur C. Parker, «The Constitution of the Five Nations or the Iroquois Book of the Great Law (1916).» (The University of the State of New York's Bulletin, 184), April, 1916).

(٧٣) Ibid., p. 70.

(٧٤) Office of the Indian Education, Minnesota Department of Education, *American Indian History, Culture and Language: Curriculum Framework Contributions,* (d. N/A) p. 36

والزعيم سوامب مدير مشارك في جمعية شجرة السلام The Tree of Peace. وكان في الذكرى الخمسمئة لاجتياح القارة الأميركية قد سافر حول العالم لزرع شجرة السلام، بما في ذلك العاصمة واشنطن.

(٧٥) Ibid.

وقد ظل الدكتور مولر في منصبه لمدة أربعين سنة. ويعرف بأنه فيلسوف الأمم المتحدة.

(٧٦) Oren Lyons, «Elders Circle Communique,» (1986) cited in Gregory Schaaf, *The Great Law of Peace and the Constitution of the United States of America,* op. cit.

وحلقة الحكماء التي ينتمي إليها الزعيم أورن ليون هي حلقة ثقافية وقوة ضغط تضم حكماء عدد من الأمم الهندية وقد تأسست عام ١٩٧٧.

(٧٧) Arthur C. Parker, *The Constitution of the Five Nations or the Iroquois Book of the Great Law* (1916), op. cit., pp. 30, 38.

(٧٨) George Bird Grinnell, «Coup and Scalp among the Plains Indians,» *American*

Anthropologist, New Series, Vol. 12, No. 2 (Apr. - Jun., 1910), pp. 296-310.

(٧٩) Hermina Poatgieter, *Indian Legacy:*, op. cit.,p. 31.

(٨٠) من خطبة سياتل seattle، زعيم هنود دواميش Duwamish انظر:

Bob Blaisdell (ed), *Great Speechs by Native Americans* (Dover Publications, Inc, 2000), pp. 117-120.

(٨١) المصدر السابق.

(٨٢) Jim Thunder, «Crowfoot Valued land More Than Government Money,» *Windspeaker,* Vol. V, Issue 9, (1987), p.35. For Chief Crowfoot and Black Foot Crossing Treaty (Sep. 1879) see, Hugh Dempsey, *Crowfoot, Chief of the Black Feet,* (University of Oklahoma Press, 1988), pp. 93-197.



بعد اعتراف الكونغرس رسمياً بالجذور الهندية للدستور الأميركي سكّت الإدارة دولاراً ذهبياً تخليداً لقانون السلام الأعظم تظهر فيه السهام الخمسة رمز الأمم الخمس الأولى وعقد الخرز الذي تتوسطه شجرة السلام. وفي الوجه الآخر للدولار صورة امرأة هندية تحمل تكذيباً لكل الصور التي قدمتها هوليوود عن الهنود.



قانون السلام الأعظم ودستور الولايات المتحدة

هذه مقتطفات من العرض المقارن الكامل لدستور اتحاد الإركوا الهندي ودستور الولايات المتحدة قدمه أستاذ ومدير الدراسات الأميركية في جامعة ولاية كاليفورنيا بشيكو Chico البروفسور غريغوري شاف Gregory Schaaf في الكونغرس الأميركي أمام لجنة مجلس الشيوخ للشؤون الهندية Select Committee on Indian Affairs United States Senate بتاريخ الثاني من كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٧ States Senate.

تم تنظيم هذه الجلسة الخاصة، كما تقول وثيقة الكونغرس، «اعترافاً بمساهمة اتحاد شعوب الإركوا في ظهور (أو نشوء) الدستور الأميركي»، حيث ترأسها السناتور دانيال إنواي Daniel K. Inouye وشارك فيها سبعة من شيوخ المجلس. للاطلاع على عرض البروفسور شاف ووقائع الجلسة كاملة ٣٩٢ صفحة)، انظر:

Hearing before the Select Committee on Indian Affairs, United States Senate, One hundredth Congress, first session, S. Con. Res. 76,(U. S. Government Printing House, 1988). For Schaaf see pp. 57-121.

□ □ □

مدخل الدستورين

Great Law of Peace

Kaiamerekowa
of the Haudenasuaunee,
Iroquois Confederacy

Founded by the Great Peacemaker,
Time Immemorial

Opening Oration
(Wampums 1,2,3).

I am, [the Peacemaker]...with the statesmen of the League of Five Nations, plant the Tree of Peace. Roots have spread out... their nature is Peace and Strength. We place at the top of the Tree of Peace an eagle... If he sees in the distance any danger threatening, he will at once warn the people of the League. If any man or any nation outside the Five Nations shall obey the laws of the Great Peace. They may trace back the roots to the Tree [and] be welcomed to take shelter. The smoke of the Council Fire of the league shall ever ascend and pierce the sky so that other nations who may be allies may see the Council Fire of the Great Peace [the eternal flame of liberty at the center of the United Nations].

U.S. Constitution

Constitution of the United States
(In Convention, September 17,1787)

Preamble.

We the people of the United States, in order to form a more perfect union, establish justice, insure domestic tranquility, provide for the common defense, promote the general welfare, and secure the blessings of liberty to ourselves and our posterity, do ordain and establish this Constitution for the United States of America.

في السلطات

Wampum 9. Grand Council
(IO-X, TLL)

Powers are Vested in the Elder Brothers and Younger Brothers:

1. All the business of the Five Nations Confederate Council shall be conducted by the combined bodies of the Confederate [Chief Statesmen]. First the question shall be passed upon by the Mohawk and Seneca [Chief Statesmen - the Elder Brothers], then it shall be discussed and passed by the Oneida and Cayuga [Chief Statesmen, who later added the Tuscarora, thus the Confederacy became the Six Nations].

Article I. Legislative Department
Section I. Congress

Powers are Vested in Senate and House:

1. All legislative powers herein granted shall be vested in a Congress of the United States, which shall consist of a Senate and House of Representatives.

في اختيار الزعماء السياسيين

Wampum 17. Grand Council

Selection of Chief Statesmen:

1. The right of bestowing the title [of Chief Statesman] shall be hereditary in the family.1 The females of the family have the proprietary right to the [Chief Statesmanship] title for all time to come. Thus the women nominate the chiefs who hold office as long as the women judge him to be fulfilling his responsibility.

Section 2. House of Representatives

Election of Representatives:

1. The House of Representatives shall be composed of members chosen every second year by the people of the several states, and the electors in each state shall have the qualifications requisite for electors of the most numerous branch of the Legislature.

في مؤهلات الزعماء السياسيين

Qualifications of Chief Statesmen:

Wampum 27. All [Chief Statesmen] of the Five Nations Confederacy must be honest in all things...men possessing those honorable qualities that make true Royaneh [chief statesmen, literally «noble leaders who walk in greatness»]. [There are no age limits, but statesmen with a family and are citizens of one of the Five, now Six Nations, with exception to the Pine Tree Chief. The clan mothers and women evaluate who is qualified to be a chief statesman.]

Wampum 53. When the Royaneh women, holders of a [chief statesman] title, select one of their sons as a candidate, they shall select one who is trustworthy, or good character, of honest disposition, one who manages his own affairs, supports his own family, if any, and who has proven a faithful man to his Nation.

Qualifications of Representatives:

2. No person shall be a Representative who shall not have attained to the age of twenty-five years, and been seven years a citizen of the United States, and who shall not, when elected, be an inhabitant of that state which he shall be chosen.

شغور مناصب الزعماء السياسيين

Wampum 19. When the [Chief Statesman] is deposed [or vacates position] the women shall notify the [Grand Council] through their [runner of their clan], and the [Grand Council] shall sanction the act. The women will then select another of their sons as a candidate and the [Chief Statesmen]

4. When vacancies happen in the representation from any state, the executive authority thereof shall issue writs of election to fill such vacancies.

رئاسة المجلس

Wampum 14. When the Council of the Five [Six] Nations [Chief Statesmen] convene, they shall appoint a speaker for the day. He shall be a [Chief Statesman] of either the Mohawk, Onondaga or Seneca Nation. The next day the Council shall appoint another speaker, but the first speaker may be reappointed if there is no objection, but a speaker?s term shall not be regarded more than for the day.

5. The House of Representatives shall choose their Speaker and other officers;

في العزل

Wampum 19. If at any time it shall be manifest that a [Chief Statesman] has not in mind the welfare of the people or disobeys the rules of this Great Law, the men or the women of the Confederacy, or both jointly, shall come to the Council and upbraid [unseat] the erring [Chief Statesman] through [a man who has no pity].

Officers of the House-Impeachment shall have the sole power of impeachment.

مجالس التشريع

Number of Senators:

1. The Senate of the United States shall be composed of two Senators from each State, chosen by the Legislature thereof, for six years; and each Senator shall have one vote.

(Superseded by Amendment XVII) Proposed May /3, 1912; ratified April 8, /9/3; certified May 3/, 1913.

Classification of Senators:

2. Immediately after they shall be assembled in consequence of the first election, they shall be divided as equally as may be into three classes. The seats of the Senators of the first class shall be vacated at the expiration of the second year, of the second class at the expiration of the fourth year, and of the third class at the expiration of the sixth year, so that one third may be chosen every second; and if vacancies happen by resignation, or otherwise during the recess of the Legislature of any State, the executive thereof may make temporary appointments until the next meeting of the Legislature, which shall then fill such vacancies.

The Council of the Mohawk shall be divided into three parties [each has 3 chiefs totaling 9 chiefs] [The Council of the Seneca shall be divided into 4 parties [each has 2 chiefs totaling 8 chiefs].

[Together, the Mohawk and Seneca parallel the Senate. The chiefs are chosen by the women and hold the position as long as they serve faithfully. Each has an equal voice, but decisions are formed by consensus.]

مـراجـع

Bibliography

BOOKS كتب

Abbot, Abiel, *Traits of Resemblance in the People of the United States of America to Ancient Israel* (Haverhill, Mass., 1799).

Abbot, W. W., ed., *The Papers of George Washington: Colonial Series*, Volume 1, 1748 - August 1755. (Charlottesville and London: University Press of Virginia, 1983).

Abernathy, Alonzo, «Early Iowa Indian Treaties and Boundaries.» *The Annals of Iowa*, 11 (1914) (State Historical Society of Iowa).

Ahrens, Kent, Constantino Brumidi's "'Apotheosis of Washington' in the Rotunda of the United States Capitol," *Records of the Columbia Historical Society*, (Washington, D.C., Vol. 49, (separately bound book, 1973/1974).

Andrews, Kennith R., *Trade, Plunder and Settlement: Maritime Enterprise and the Genesis of the British Empire, 1480-1630*, (Cambridge University Press, 1984).

Aravamudan, Sriniva,s "Hobbes and America." In *The Postcolonial Enlightenment: Eighteenth-century Colonialism and Postcolonial Theory*, eds. David Carey and Lynn Festa. (Oxford: Oxford University Press, 2009).

Arber, Edward, (ed.) *The first three English books on America -1555 A. D..: Being chiefly translations, compilations, &c., by Richard Eden, from the writings, maps, &c. of Pietro Martire, of Anghiera (1455-1526)... Sebastian Münster, the cosmographer (1489-1552)... Sebastian Cabot, of Bristol (1474-1557)... with extracts, &c., from the works of other Spanish, Italian and German writers of the time.* (Birmingham, [Printed by Turnbull & Spears, Edinburgh]1885).

------- (ed.), *Travel and Works of Captain John Smith*, (Edinburgh, 1910) Vol. II.

Armstrong, Herbert W., *The United States and Britain in Prophecy*, (1st Books Library 2002).

Aubrey, John,. *Aubrey's Brief Lives, Ed. Oliver Lawson Dick*, (Boston: David Godine, 1999).

Auslin, David, *The Millennium* (Elizabethtown, N. J., 1794).

Axtell, James, *After Columbus: Essays in the Ethnohistory of Colonial North America,* (Oxford University Press, 1990).

Baily, Lynn Robinson, *The Long Walk: A History of the Navaho Wars, 1846-1868,* (Pasadena, California, Westernlore Publicationm 1978).

Baker, Leonard, *John Marshall: A Life in Law*, (Macmillan 1974).

Barbeau, C. Marius, *Huron and Wyandot Mythology, with an Appendix Containing Earlier Published Records*, (Ottawa, Government Printing Bureau, 1915).

Baritz, Loren, *City on a Hill : A History of Ideas and Myths in America*, (Wiley, 1964).

Barnes, David, *Discourse delivered at South Parish in Scituate, February 22, 1800. The day assigned by Congress, to mourn the decease and venerate the virtues of General George Washington*, (Boston : Manning & Loring, printers).

Barnhart, John D ; *Henry Hamilton, Henry Hamilton and George Rogers Clark in the American Revolution, with the Unpublished Journal of Lieut. Gov. Henry Hamilton*, (Crawfordsville, In: R. E. Banta, 1951).

Baron, David, *The History of the Ten Lost Tribes*, (CreateSpace Independent Publishing Platform 16, 2012).

Bass, Alethea, *Cherokee Messenger, 1936*, (University of Oklahoma Press, 1995).

Bascom, Jonathen, *An oration, delivered February 22, 1800. The day of public mourning for the death of General George Washington*, (Boston: Printed by Samuel Hall, 1800).

Bassett, John Spencer; David Maydole Matteson (ed.), *Correspondence of Andrew Jackson.*, (Washington, D.C., Carnegie Institution of Washington, 1926-35).

Beaumont, Gustave de, Marie; or, *Slavery in the United States: A Novel of Jacksonian America, translated by Barbara Chapman* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1999).

Benton, Thomas Hart, *Thirty Years' View; or, A History of the Working of the American Government for Thirty Years, from 1820 to 1850*, Vol. 1 (New York: D. Appleton & Co., 1854-1856).

Bercovitch, Scavan, *The American Jeremiad*, (University of Wisconsin Press, 1978).

Bergh, Albert. E., ed., *The Writing of Thomas Jefferson*, (Washington, D. C., The Thomas Jefferson Memorial Association of the United States, 1907).

Berthrong, Donald J, *The Cheyenne and Arapaho Ordeal: Reservation and Agency Life in the Indian Territory, 1875-1907*, The Civilization of the American Indian Series, (University of Oklahoma Press 1976).

Beverley, Robert, *The History and Present State of Virginia, In Four Parts. I. The History of the First Settlement of Virginia, and the Government Thereof, to the Present Time. II. The Natural Productions and Conveniencies of the Country, Suited to Trade and Improvement. III. The Native Indians, Their Religion, Laws, and Customs, in War and Peace. IV.* The Present State of the Country, as to the Polity of the Government, and the Improvements of the Land. (Chapel Hill, University of North Carolina Press, 1947).

Bichenon Hugh, *Elizabeth's Sea Dogs: How England's Mariners Became the Scourge of the Seas*, (Conway Publishing, 2012).

Bigelow, Henry, *A Sermon, A sermon, delivered at Castleton, on the 22 of February 1814 : before the W.B. Society, of the County of Rutland, in commemoration of the birth of Washington.* (Middlebury, Vt. : Printed by Timothy C. Strong, 1814).

Bird, Arthur, *Looking Forward, A Dream of the United States of the Americas in 1999*, (New York, L. C. Childs & Son, 1899).

Blaisdell, Bob (ed), *Great Speeches by Native Americans* (Dover Publications, Inc, 2000).

Boddily, John, *A sermon, delivered at Newburyport, on the 22d February, 1800,* (Printed at Newburyport [Mass.] : By Edmund M. Blunt, 1800).

Boorstin, Dniel J., *The Americans: The National Experience* (New York, 1965).

Bradford, William, *Of Plymouth Plantation* (New York, Rutgers University Press, 1952 1952).

Braman, Isaac, *An Eulogy on the Late General George Washington, Who Died, Saturday, 14th December, 1799. Delivered at Rowley, Second Parish, February 22, 1800. by Isaac Braman, A.M. Minister of the Gospel in That Place. Published by Desire of the Hearers* (Haverhill, MA: Seth H. Moore, 1800).

Braudel, Fernand, *Civilization and Capitalism, 15th -18th Century,: The Stucture of Everyday Life,* trans. Sian Reynolds, (New York: Harper & Row, 1982, 1984) Vol. I, III.

Brown, Alexander, *The Genesis of the United States* (Boston, 1890).

Brown, Robert E and B Katherine, *Virginia 1705-1786: Democracy or Aristocracy* (East Lansing, Mich. : Michigan State University Press, ©1964).

Bryan, William A., *George Washington in American Literature, 1775-1865,* (New York, Columbia University Press, 1952).

Burnside, Samuel, *Oration, delivered at Worcester, on the thirtieth of April, A.D. 1813, before the Washington Benevolent Society... in commemoration of the first inauguration of General Washington as President of the United States, etc.* (Isaac Sturtevant: Worcester [Mass.], 1813).

Campbell, Mildered, "Social Origins of Some Early Americans," in James Morton Smith (ed.) *Seventeenth-century America; Essays in Colonial History.* (New York, Norton 1972).

Canup, John, *Out of the Wilderness: The Emergence of an American Identity in Colonial New England,* (Wesleyan University Press, ©1990).

Carle, John J., *A Funeral Sermon, Preached at Rockaway, December 29, 1799, on the Much Lamented Death of General George Washington, Who Departed this Life December 14, 1799, at Mount Vernon, in the Sixty-Eighth Year of His Age* (Morris-Town [N.J.]: Printed by Jacob Mann, 1800).

Carter, Janette S.,. *Statement of the American Diabetes Association and the Native American Diabetes Association.* (Issued under the auspices of the American Diabetes Association, 1994).

Cell, Gillian T., *New Foundland Discovered, English Attempts at Colonisation, 1610-1630,* (London 1982).

Cherry, Conrad, *God's New Israel, Religious Interpretation of American Destiny,* (Chapel Hill, The University of North Carolina Press, 1998).

Chrimes, Stanley B., *English Constitutional Ideas in the Fifteenth Century,* (Cambridge University Press, 1936).

Churchill, Ward, *Fantasies of the Master Race: Literature, Cinema, and the Colonization of American Indians,* (Monroe, ME: Common Courage Press, 1992).

-------, *Struggle for the Land, Native American Resistance to Genocide Ecocide and Colonialism,* (San Francisco, City Lights, © 2002).

Clark, George Rogers, *Clark's Memoir, from English's Conquest of the Country,* (New York, Readex Microprint, 1966).

Clark, Harrison, *All Cloudless Glory, The Life of George Washington. from*

Youth to Yorktown (Washington D. C., Regnery Books, 1995).

Cohen ,Felix S., *The Legal Conscience: Selected Papers of Felix S. Cohen*, Lucy Kramer Cohen (ed.), (Archon Books 1970).

Cole, Jeffrey A., *The Potosí Mita, 1573-1700: Compulsory Indian Labor in the Andes*, (Stanford University Press1985).

Cook, Frederick, *Journals of the Military Expedition of Major General John Sullivan Against the Six Nations of Indians in 1779; With Records of Centennial Celebrations; Prepared Pursuant to Chapter 361, Laws of the State of New York, of 1885*, (Auburn, N.Y., Knapp, Peck & Thomson, Printers, 1887).

Cooper, Samuel, *A Sermon Preached Before John Hancock* (York, 1780).

Copland, Patrick, *A declaration how the monies (viz. seuenty pound eight shillings sixe pence) were disposed: which was gathered (by M. Patrick Copland, preacher in the Royall Lames) at the Cape of Good Hope (towards the building of a free schoole in Virginia) of the gentlemen and mariners in the said ship: a list of whose names are vnder specified, for Gods glory, their comfort, and the incouragement of others to the furthering of the same, or the like pious worke.* (London : Imprinted by F.K., 1622).

Councell of Virginia, *A true declaration of the estate of the colonie in Virginia [microform] : vvith a confutation of such scandalous reports as haue tended to the disgrace of so worthy an enterprise. Published by aduise and direction of the Councell of Virginia*, (London : Printed for William Barret..., 1610).

Crane, Verner Winslow, *The Southern Frontier* (Ann Arbor, University of Michigan Press 1956, ©1929)

Crashaw, William, *A Sermon Preached in London Before the Right Honorable the Lord Lawarre, Lord Gouernour and Captaine Generall of Virginea, and Others of His Maiesties Counsell for that Kingdome, and the Rest of the Aduenturers in that Plantation: At the Said Lord Generall His Leaue Taking of England His Natiue Countrey, and Departure for Virginea, Febr. 21. 1609.* (London: William Welby 1609/10).

Craven, Wesley Frank, *The Legend of the Founding Fathers* (New York: New York University Press, 1956).

--------Dissolution of the Virginia Company (New York, I932).

Crèvecoeur, Michel Guillaume St Jean de, *Sketches of Eighteenth Century America: More «Letters From an American Farmer"*(New Haven, Yale University Press, 1925).

Crosby, Alfred W., *The Columbian Exchange: Biological and Cultural Consequences of 1492*, (Greenwood Press, 1972).

Crow, John, *The Epic of Latin America*, (Berkeley: University of California Press, 1980).

Cruikshank, Ernest Alexander, *The Story of Butler's Rangers and the Settlement of Niagra*, (Welland, Ontario, Tribune printing House, 1893).

Cuningham, Charles E., *Timothy Dwight, 1752-1817*. (New York: Macmillan Company, 1942).

Cunliffe, Marcus, *George Washington - Man and Monument*, (A Mentor Book,1958).

Cushman, H. B., *History of the Choctaw, Chickasaw and Natchez Indians*, edited and with a foreword by Angie Debo, (Redlands Press: Stilwater, Oklahoma., ©1999).

Davies, K[enneth] G[ordon], *The North Atlantic World in the Seventeenth Century*,(University of Minnesota Press, 1974).

Dawney, Fairfax , *Indian Wars of the U.S. Army 1776-1865*, (Doubleday, 1963).

Debo, Angie, *The Rise and Fall of the Choctaw Republic*, (University of Oklahoma Press; 1961).

Delaney, Carol, *Columbus and the Quest for Jerusalem: How Religion Drove the Voyages that Led to America* (Free Press, 2012).

Deloria, Vine Jr., *Custer Died for Your Sins: An Indian Manifesto*,(University of Oklahoma Press,1988).

Dempsey, Hugh, *Crowfoot, Chief of the Black Feet*, (University of Oklahoma Press, 1988).

Derosier, Arthur H. Jr., *The Removal of the Choctaw Indians*,(Knoxville: University of Tennessee Press, 1970).

Dobbins, Henry F, *Their Numbers Became Thinned: Native American Population Dynamics in Eastern North America*, (University of Tennessee Pres, 1983).

Donne, John, "A Sermon upon the eighth verse of the first chapter of the Acts of the Apostles," *Works, ed. Henry Alford* (London, 1836).

Dowd, Gregory Evans, *A Spirited Resistance : The North American Indian Struggle for Unity, 1745-1815*, (Baltimore, Md. : Johns Hopkins University Press, 1992).

Drake, James D, *King Philip's War: Civil War in New England,. 1675-1676*, (Amherst, Universty of Massachusetts Press, 1999).

Drake, Samuel G., *Biography and History of the Indians of North America: From Its First Discovery*, (Boston, Benjamin B Mussey & Co, 1851).

Dreisbach, Daniel L., *Thomas Jefferson and the Wall of Separation Between Church and State*, (New York University, 2002).

Drinnon, Richard, *Facing West: The Metaphysics of Indian-Hating and Empire-Building*, (University of Oklahoma Press; Reprint edition 1997).

Dryden, John, *Religio Laici, 1682, in The Poetical Works of John Dryden*, Edited by W. D. Christie (Globe Edition, London, 1904).

Dwight, Timothy, *The Conquest of Canaan, A Poem in Eleven Books*, (Hartford: Elisha Babcock.1785).

Easton, John, *A Relation of the Indian War, by Mr. Easton, of Rhode Island, 1675*, (Amherst: University of Massachusetts Press,1999).

Eby, Cicil, *"The Disgraceful Affair," The Black Hawk War* (New York, w, w, Norton, 1973).

Edmunds, R. David, *The Shawnee Prophet*, (Lincoln, Neb. : University of Nebraska Press, 1983).

Egly, T. W., Jr., *Goose Van Schaick Of Albany 1736-1789 The Continental Army's Senior Colonel*, (T.W.Egly Jr; 1992).

Eliot, John, *A late and further manifestation of the progress of the gospel amongst the Indians in Nevv-England: declaring their constant love and zeal to the truth : with a readiness to give accompt of their faith and hope, as of their desires in church communion to be partakers of the ordinances of Christ : being a narrative of the examinations of the Indians, about their knowledge in religion, by the elders of the churches* (London : Printed by M. S., 1655), reprinted in 1834, Vol.4.

Elliot, John B., *Contest for Empire, 1500-1775 : Proceedings of an Indiana American Revolution Bicentennial Symposium, Thrall's Opera House, New Harmony, Indiana, May 16 and 17, 1975*, (Indianapolis : Indiana Historical Society, 1975).

Ellis, Albert G., "Recollection of Rev. Elazar Williams," *Wisconsin Historical Collections*, Vol. viii, (1877-1879).

Elmer, Jonathan, *An eulogium, on the character of Gen. George Washington, late president of the United States delivered at Bridge-Town, Cumberland County, New-Jersey, January 30th, 1800*, (Trenton: Printed by G. Craft., MDCCC. [1800]).

Embry, Carlos B., *America's Concentration Camps: The Facts About Our Indian Reservations*, (David McKay Co. 1956).

Endelman, Todd M., *The Jews of Georgian England, 1714-1830: Tradition and Change in a Liberal Society,* (University of Michigan Press, 1999).

Ernst, John Frederick, *A sermon, delivered before the civil and military officers, the members of Franklin and St. Paul's Lodges, and a large and respectable number of the citizens of Montgomery County, and others, in the church at Fort Plain, on January 28th, 1800 In consequence of the death of Lieutenant General George Washington*. (Cooperstown [N.Y]: Printed by Elihu Phinney).

Fehrenbach, Theodore Reed, *Fire and Blood: A History of Mexico*, (New York, Collier 1973).

Fischer, David Hackett, *Albion's Seed: For British Folkways in America*, (New York, Oxford University Press, 1989).

Fiske, Thaddeus, *A Sermon, Delivered Dec. 29, 1799. at the Second Parish in Cambridge, Being the Lord's Day, Immediately Following the Melancholy Intelligence of the Death of General George Washington*, (Boston, James Cutler, 1800).

Fitzmaurice, Andrew, *Humanism and America: An Intellectual History of English Colonisation, 1500-1625.* (Cambridge: Cambridge University Press).

Fitzpatrick, Clement, editor, *The Writing of George Washington from the Original Manuscript Sources, 1745-1799*, 39 vols. (Washington, U.S. Government Printing Office, [1931-1944]).

Flexner, James Thomas, *George Washington*, (Boston : Little, Brown, 1965-1972), Vol. I.

Folsom, Peter, An eulogy on Geo. *Washington, late commander in chief of the armies of the United States of America. Who died December 14, A.D. 1799.: Delivered in the academy, February 22d, A.D. 1800, before the inhabitants of Gilmanton, agreeable to their previous request*, (Printed at Gilmanton [N.H.] : By E. Russell, for the contractors., March, 1800).

Foner, Philips Sheldon, *History of the Labor Movement in the United States, From Colonial Times to the Founding of the American Federation of Labor*, (International Publisher, 1978).

-------, Labor and the American Revolution (Westport, Conn. : Greenwood Press, 1976).

Forbes, Allyn B., ed., *Winthrop Papers*, (5 vols., Boston, 1929-1947).

Forbes, Eli, *An eulogy moralized, on the illustrious character of the late General George Washington, who died on Saturday, the 14th day of December, 1799.: Delivered at Gloucester, on the 22d of February, 1800--in compliance with the recommendations of Congress, the Legislature of this Commonwealth, and the unanimous voice of the town*

aforesaid, (Printed at Newburyport [Mass.]: By Edmund M. Blunt, 1800).

Force, Peter, ed., *Tracts and Other Papers Relating Principally to the Origin, Settlement, and Progress of the Colonies in North America*, (Gloucester, 1963).

Ford, Paul Leicester, *The works of Thomas Jefferson, Correspondence 1793-1798*, (New York, G.P. Putnam's Sons, 1904-05) Vol. viii.

------Thomas Jefferson, Writings, P. L. Ford, ed. (New York, 1892-99).

Foreman, Grant, *Indian Removal: The Emigration of the Five Civilized Tribes of Indians*,(University of Oklahoma Press, 1974).

Fox, Robert, *Thomas Harriot: An Elizabethan Man of Science*, (Burlington, Vt.: Ashgate, ©2000).

Frank, Andre Gunder, *Capitalism and Underdevelopment in Latin America: Historical Studies of Chile and Brazil* (New York: Monthly Review Press, 1967).

Freeman, Douglas Southall,, *George Washington: A Biography*, (New York: Scribner, 1948-[57]).

Gabriel, Ralph Henry, *The Course of American Democratic Thought*, (Ronald, 1956).

Galeano, Edwardo, *Open Veins of Latin America, Five Centuries of the Pillage of a Continent* (New York: Monthly Review Press, 1973).

Gales, Joseph, William Winston Seaton, *Register of Debates in Congress*, Vol. 1. (Washington, Gates and Seaton, 1825).

Garnier, Colonel [John], *Israel in Britain: A Brief Statement of the Evidences in Proof of the Israelitish Origin of the British Race*, (London, Robert Banks and Son, 1890).

Garraty, John A., and Peter Gay, *The Columbia History of the World*, (Harper & Row 1972).

Gay, Ebenezer, *An oration, pronounced at Suffield, on Saturday, the 22'd of Feb. A.D. 1800.: the day recommended by Congress, for the people to*

assemble, publicly to testify their grief, for the death of General George Washington, (Suffield [Conn.]: Printed by Edward Gray, 1800).

Gilbert, John, *Picture Story Book of London; or, City Scenes, with seventy illustrations*, (Published by Jarrold & Sons, London, 1866).

Gottshalk, Paul, *The Earliest Diplomatic Documents of America*, (New York State Historical Society, 1978).

Gray, Robert, *A good Speed to Virginia* (Printed by Felix Kyngston for Welliam Welbie and are to be sold at his shop at the sign of the Greyhound in Pauls Church-yard, 1609).

Graymont, Barbara, *The Iroquois in the American Revolution*, ([Syracuse, N.Y.] Syracuse University Press, 1972).

Guth, Delloyd J., John W. McKenna, (editors), *Tudor Rule and Revolution: Essays for G R Elton from His American Friends*, (Cambridge University Press).

Haller, William, *The Elect Nation: The Meaning and Relevance of Foxe's Book of Martyrs*, (New York, Harper abd Row Publishers, 1963).

Halsey, Francis Whiting, *The Old New York Frontier: Its Wars with Indians and Tories, Its Missionary Schools, Pioneers, and Land Titles, 1614-1800*, (Port Washington, Long Island, N.Y. Ira Friedman, 1901).

Hakluyt, Richard, *The principal navigations, voyages, traffiques, and discoveries of the English nation,* (Glasgo 1904) Vol.8.

Halbert, Henry, S. T. H Ball, Frank Lawrence Owsley, *The Creek War of 1813 and 1814*, (Chicago, 1895: reprint, edited by Frank L. Owsley, Jr., University of Alabama Press, [©1969]).

Hammond, Otis Grant, *Letters and Papers of Major-General John Sullivan, Continental Army* [With portraits.], (Concord, 1930, 39. Collections of the New Hampshire Historical Society).

Hamor, Ralph, *A Trve Discovrse of the Present Estate of Virginia, and the Successe of the Affaires there till the 18 of June, 1614* (London, 1614).

Handlin, Oscar, ed., *Reading in American History*, (Alfred A. Knopf, 1957).

Hardy, Jack, *The First American Revolution*, (International Publishers, 1937).

Harriot, Thomas, *A briefe and true report of the new found land of Virginia: of the commodities and of the nature and manners of the naturall inhabitants. Discouered by the English colon there seated by Sir Richard Greinuile Knight in the eere 1585. Which remained vnder the gouernement of twelue monethes, at the speciall charge and direction of the Honourable Sir Walter Raleigh Knight lord Warden of the stanneries who therein hath beene fauoured and authorised b her Maiestie :and her letters patents: This fore booke is made in English by Thomas Hariot seruant to the abouenamed Sir Walter, a member of the Colon, and there imploed in discouering Cum gratia et priuilegio Caes. Matis Speciali*, (Francoforti ad Moenum Typis Ioannis Wecheli, sumtibus vero Theodori de Bry anno M D XC. Venales reperiuntur in officina Sigismundi Feirabendii [1590]).

Haydon, Colin, *Anti-Catholicism in Eighteenth-Century England, C. 1714-80: A Political and Social Study,* (Studies in Imperialism), (Manchester: Manchester University, 1993).

Hecht, Robert A, *Continents in Collision: The Impact of Europe on the North American Indian Societies* (University Press of America, 1980).

Heckewelder, John Gottlieb Ernestus, *A Narrative of the Mission of the United Brethren Among the Delaware and Mohegan Indians from its Commencement in the Year 1740 to the Close of the Year 1808*, (New York, Arno Press, 1971).

------ *An Account of the History, Manners, and Customs, of the Indian Nations, who Once Inhabited Pennsylvania and the Neighbouring States*, (New York, Arno Press, 1971).

Hickes, George, Peculium Dei: *a discourse about the Jews, as the peculiar people of God*, (London: Kettilby, 1681).

Hicks, John D., *A Short History of American Democracy* (Boston 1949).

Hill Christopher, *The Collected Essays of Christopher Hill: Writing and Revolution in 17th Century England,* (University of Massachusetts Press,1985).

Hill, Rick, et al., Indian Nations of North America, (National Geographic 2010).

Hobbes, Thomas, *Leviathan* [1651]. Ed. Richard Tuck. (Cambridge: Cambridge University Press, 1996).

------- *De Cive: The English Version* [1642]. Ed. Howard Warrender. (Oxford: Clarendon Press. 1983).

------- *Elements of Law Natural and Politic* [1650], Ed. Maurice Goldsmith. (London: Frank Cass, 1969).

Hoeskstra, Kinch, "Hobbes on the Natural Condition of Mankind," in The *Cambridge Companion to Hobbes's Leviathan,* ed. Patricia Springborg. (Cambridge: Cambridge University Press, 2007).

Hofstadter, Richard, *America at 1750: A Social Portrait* (New York, Vintage Books,1973).

Hofstra, Warren, ed, *George Washington and the Virginia Backcountry*, (Madison, 1998).

Hotchkiss, Frederick William, *An oration delivered at Saybrook on Saturday February 22d, 1800 : the day set apart by the recommendation of Congress for the people of the United States to testify their grief for the death of General George Washington ; who died December 14, 1799,* (New-London [Conn.]: Printed by S. Green., 1800).

Hubbard, William, *A Narrative of the Indian Wars in New-England, from the First Planting thereof in the Year 1607, to the year 1677: Containing a Relation of the Occasions, Rise and Progress of the War with the Indians, in the Southern, Western, Eastern and Northern Parts of Said Country*, (Brattleborough: Published by William Fessenden, 1814).

Hudson, Winthrop S., *Religion in America*, (New York, Mcmillan Publishing, 1992).

Huse, Jonathan, *A discourse, occasioned by the death of General George*

Washington, late president of the United States, who died December 14th, 1799: delivered in Warren, (District of Maine.) on the 22d, of February, 1800. At the request of the inhabitants of the town; agreeable to the recommendation of Congress. (Wiscasset, Me 1800, Printed by Henry Hoskins).

Hyde, George E., *A Sioux Chronicle* (The Civilization of the A merican Indian Series), (University of Oklahoma Press, 1993).

Indian Board, for the Emigration, *Preservation, and Improvement of the Aborigines of America, Documents and Proceedings relating to the Formation and Progress of a Board in the City of New York: for the emigration, preservation, and improvement, of the aborigines of America.* July 22, 1829, (New York, Vanderpool & Cole, printers).

Jackson, Andrew, John F. Brown, William White, *Messages of Gen. Andrew Jackson: with a short sketch of his life*, (Concord, N.H., J.F. Brown and W. White, 1837).

------ *A Review of the Battle of the Horseshoe, and of the Facts Relating to the Killing of Sixteen Indians on the Morning After the Battle, by the Orders of Gen. Andrew Jackson, 1828. (*Indiana University, Lilly Library: War of 1812 Collection).

James, Annette (ed.) *The State of Native America: Genocide, Colonization, and Resistance*, (South End Press, 1992).

Jefferson, Thomas, *Notes on the State of Virginia, With Related Documents*, (Boston, Bedford/St. Martins, ©2002).

Jennings, Francis, Empire of Fortune: Crowns, *Colonies, and Tribes in the Seven Years War in America,* (New York: Norton, 1988).

Johansen, Bruce Elliott and Barbara Alice Mann, Encyclopedia of the *Haudenosaunee* (Iroquois Confederacy), (Westport, Conn.: Greenwood Press, 2000).

-------,*The Encyclopedia of Native American Legal Tradition* (Greenwood, 1998).

Johnson, Robert, (Intro. by F. L Hawks) *Nova Britannia: Offering Most*

Excellent fruites by Planting in Virginia. Exciting all such as be well affected to further the same. (London, Printed for Samuel Macham, 1609).

Jones, Dorothy V., *Licence for Empire: Colonialism by Treaty in Early America*, (University of Chicago Press; 1982).

Jordan, Glen, "Choctaw Colonization in Oclahoma," *in America's Exiles: Indian Colonization in Oklahoma,* (Oklahoma City: Oklahoma Historical Society, 1976).

Jorgenson, Joseph G., et al., *Native Americans and Energy Development* (Cambridge, MA: Anthropology Resource Center, 1978).

Josephy, Alvin M. Jr., *500 Nations: An Illustrated History of North American Indians,* (Knopf; 1994).

Kaplan, L., "Variation in the Cultivated Beans," in T. F. Lynch (ed), *Guitarrero Cave: Early Man in the Ande*s (Academic Press Inc., 1980).

Kappler, Charles J., *Indian Affairs: Laws And Treaties*, Vol. II, Treaties. (Washington: Government Printing Office, 1904.).

Kellogg, Louise Phelps, (ed.), *Frontier Advance on the Upper Ohio,* 1778-1779 (Madison, Wis., 1916).

-------, *Frontier Retreat on the Upper Ohio, 1779-1781,* (Baltimore, MD: Clearfield, 2003).

Kelsay, Isabel Thompson, *Joseph Brant, 1743-1807, Man of Two Worlds,* (Syracuse, N.Y., Syracuse University Press, 1984).

Kendrick, Ariel, *An eulogy on General George Washington: delivered at the West Meeting-House in the town of Boscawen, on the 22d of February, 1800, at a meeting of the inhabitants, agreeably to the recommendation of Congress.* (Concord [N.H.], Printed by Geo. Hough., 1800).

Kerr, Adrian, *Ancient Egypt and Us: The Impact of Ancient Egypt on the Modern World*, (Ferniehirst Trading LLC; 2008).

Kickingbird, Kirke, *One Hundred Million Acres*,(MacMillan Publishing Company,1973).

Kingsbury, Susan M ; Herbert L Osgood, *Records of the Virginia Company of London,* (Washington, United States Government, 1905).

Kupperman, Karen Ordahl, *Indians and English: Facing Off in Early America,* (Ithaca, New York, Cornell University Press, 2000).

Kutler, Stanley, *Dictionary of American History,* 10 vols,(New York : Charles Scribner's Sons, 2003).

LaFarge, Oliver, Running Narrative of the. Organization of the Hopi Tribe of Indians, 1936, unpublished journal in the LaFarge Collection, (University or Texas).

Langdon, Samuel, *The Republic of the Israelites an Example to the United States* (Exeter, New Hampshire, 1788).

Larrabee, Leonard, ed., *The Papers of Benjamin Franklin*, vol. 5 (New Haven: Yale. University Press, 1959).

las Casas, Bartolomé de, *A Short Account of the Destruction Indies,* (Penguin Books 1992).

Lawler, John and Gail Gates Lawler, *A Short Historical Introduction to the Law of Real Property*, (Chicago, Published for the Authors by Foundation Press, 1940).

Lazarus, Edward, *Black Hills / White Justice: The Sioux Nation versus the United States, 1775 to the Present*, (HarperCollins; 1991).

Lens, Sidney, *The Forging of the American Empire*, (New York, Crowell, 1971).

Lepore, Jill, *The Name of War: King Philip's War and the Origins of American Identity*, (Knopf, 1998).

Levitan, Sara., and William B. Johnston, Indian Giving: *Federal Programs for NativeAmericans* (Baltimore: Johns Hopkins Univ. Press, 1975).

Lewis, Anna, *Chief Pushmataha : American Patriot : the Story of the Choctaws' Struggle for Survival,* (New York : Exposition Press, ©1959).

Lindsey, Mark Frank, *The acquisition and government of backward territory in international law, being a treatise on the law and practice relating to colonial expansion,* (London, Longmans, Green and Co., 1926).

Linn, John Blair (collated by), *Annals of Buffalo Valley, Pennsylvania, 1755-1855,* (Harrisburg, Pa.: L.S. Hart, printer and binder, 1877).

Locke, John, *A Letter Concerning Toleration,* (Yale University Press, 2003 [1689].

Lodge, Henry Cabot, *George Washington* (American Statesman Series), Vol. II.

Loeb, *Robert, Jr. Meet the Real Pilgrims* (Garden City, New York, Doubleday, 1979).

Loskiel, George Henry, *History of the Mission of the U.B. among the Indians*, Christian Ignatius Latrobe, translator (London: The Brethren's Society for the furtherance of the gospel, 1794).

Lyons, Emory J., *Isaac McCoy: His Plan and Work for Indian Colonization. History Series No. 1. Fort Hays Kansas State College Studies,* (Topeka, Kansas State Printing Plant, 1945).

MacCaffrey, Wallace T. "The Anjou match and the making of Elizabethan foreign policy,» in Peter Clark, A. G. R. Smith, (editors), *The English Commonwealth, 1547-1640* (Leicester University Press, 1979).

Malcolm, Noel, *Aspects of Hobbes.* Oxford: Clarendon Press, 2002.

Malley, John W " Content and Rhtorical Forms in Sixteen Century Preaching," in James Murphy (ed.,) *Renaissance Eloquence: Studies in the Theory and Practice of Renaissance Rhetoric,* (University of California Press, 1983).

Mann, Barbara Alice, *Native American Speakers of the Eastern Woodlands: Selected Speeches and Critical analyses,* (Westport, Conn., Greenwood Press, 2001).

-------- *Iroquoian Women, the Gantowisas,*(New York: Peter Lang,2003).

-------- " The Greenville Treaty of 1795: Pen and Ink Witchcraft in the Struggle for the Old Northwest." *in Enduring Legacies: Native American Treaties and Contemporary Controversies,* (Westport, Conn., Praeger, 2004).

Manuel, Frank E., *The Broken Staff: Judaism through Christian Eyes.* (Harvard University Press, 1992).

Marambaud, Pierre, *William Byrd of Westover, 1674-1744,* (Charlottesville, University Press of Virginia,1971).

Massachsetts Historical Society, *Proceedings of the Massachsetts Historical Society,* Vol, xii, (1871-1873).

Mayo, Bernard, Myths and Men: Patrick Henry, George Washington, Thomas Jefferson, (Harper and Row, 1963).

McCoy, Isaac, *Remarks on the Practicability of Indian Reform : Embracing their Colonization,* (Boston : Printed by Lincoln & Edmands, 1827).

------ *History of Baptist Indian Missions : Embracing Remarks on the Former and Present Condition of the Aboriginal Tribes and Their Settlement Within the Indian Territory, and TheirFuture Prospects,* (Washington : Wm. M. Morrison, 1840).

-------, Isaac McCoy Collection, " Correspondence," Kansas Historical Society Library, Topeka, Kansas, cited in George A. Schultz, *An Indian Canaan, Isaac McCoy and the Vision of an Indian State,* (University of Oclahoma Press, © 1972).

McHugh, Tom, *The Time of the Buffalo* (University of Nebraska Press, 1972).

McKenny, Thomas L. and James Hall, *The Indian Tribes of North America,* 3 vols. (Edinburgh, 1933).

McNickle, D'Arcy et al, *Captives within a free society federal policy and the American Indian* (historical review prepared for the American Indian Policy Review Commission) by D'Arcy McNickle et al. (Washington D. C., United States Government Printing Office, 1977).

Miller, John Chester, *The First Frontier: Life in Colonial America,* (University Press of America, 1986).

Miller perry, *Errand into Wilderness,* (Harvard University Press, 2000).

Mitchell, Mike [Kanentakeron], "The Birth of the Peacemaker," in Bar-

bara K. Barnes (eds,.) *Traditional Teaching* (North American Indian Travelling College1984).

Mooney, James, "Myths of the Cherokee," *Nineteenth Annual Report of the Bureau of American Ethnology,* (Washington, DC: Government Printing Office 1900).

Moore, Marijo (ed.), *Eating Fire, Testing Blood: An Anthology of American Indian Holocaust*, (Thunder's Mouth Press).

Morgan, Edmund S, *The Gentle Puritan: A Life of Ezra Stiles 1727-1795,* (New Haven, Connecticut, Yale University Press, 1962).

Morgan, Philip D., *Slave Counterpoint: BlackCulture in the Eighteenth-Century Chesapeake and Lowcountry,* (Chapel Hill, Published for the Omohundro Institute of Early American History and Culture, Williamsburg, Virginia, by the University of North Carolina, 1998). p.9; Winthrop Jordan, *White Over Black: American Attitudes Toward the Negro, 1550-1812,* (Chapel Hill, Published for the Institute of Early American History and Culture at Williamsburg, Va., by the University of North Carolina Press,1968).

Morris, John W. and Edwin C. McReynolds, *Historical Atlas of Oklahoma* (University of Oklahoma Press, 1966).

Morris, Richard Brandon, *Government and Labor in Early America,* (New York, Columbia University Press, 1946).

Morrison, Samuel Eliot, *The Great Explorers: The European Discovery of America,* (New York, Oxford University Press, 1978).

Morton, Thomas, *New English Canaan; or New Canaan, Containing an Abstarct of New England* (Chrles Green, 1632).

Myers, A. R., (ed.,) *English Historical Documents 1327-1485,* (Oxford University Press, 1969).

Nabokov, Peter ed., 1991), *Native American Testimony: A Chronicle of Indian-White Relations from Prophecy to the Present*, 1492-1992,(Viking Adult; 1991).

Nafziger, Richard, «Transnational Corporations and American Indian De-

velopment,» in Roxanne Dunbar Ortiz, ed. *American Indian Energy Resources and Development* (Santa Fe, NM: Native American Studies, University of New Mexico, 1980).

Nash, Gary B, *Red, White, and Black : The Peoples of Early America*, (Englewood Cliffs, N.J. : Prentice-Hall, 1974).

Nashm, Gary B., "Franklin and Slavery," *Proceedings of the American Philosophical Society,* Vol. 150, No. 4 (Dec., 2006).

Norton, A. Tiffany, *History of Sullivan's Campaign Against the Iroquois; Being a Full Account of that Epoch of the Revolution,* (Lima, N.Y., A.T. Norton, 1879).

Norton, John, *The Journal of Major John Norton, 1816,* (Toronto, Champlain Society, Publications of the Champlain Society, 1970).

O'Brian, Sharon, *American Indian Tribal Governments,* (University of Oklahoma Press, 1989).

Officer, James E., «The American Indian and Federal Policy,» in Jack O. Waddell and O. Michael Watson (eds.) *The American Indian in Urban Society* (Boston: Little, Brown and Com- pany, 1971).

Olson, James S, and Raymond Wilson, *Native Americans in the Twentieth Century,* (University of Illinois Press; 1984).

Ortiz, Roxanne Dunbar, *Sitting in Judgment on America, The Great Sioux Nation*, (San Francisco : American Indian Treaty Council Information Center, Moon Books, 1977).

Ottley, Roi, *Black Odyssey: the Story of the Negro in America* (London, John Murray, 1949).

------ and William J. Weatherby, *The Negro in New york, an Informal Social History 1626-1940* (Praeger; Highlighting edition, 1967).

Otto, Rudiger "Johann Christian Edelmann's Criticism of the Bible and its Relation to Spinoza," *in Disguised and overt Spinozism around 1700 : Papers Presented at the International Colloquium, Held at Rotterdam, 5-8 October,* (Leiden ; New York : E.J. Brill, 1996).

Owen, Thomas M., *History of Alabama and Dictionary of Alabama Biography,* Vol. 1 (Chicago, 1921).

Paine, Thomas, *Common Sense*, N. F. Adkins, ed. (New York: Liberal Arts Press, 1953).

Parker, Arthur Caswell, *The Constitution of the Five Nations or the Iroquois Book of the Great Law (1916)*. Published as The University of the State of New York's Bulletin 184. (April, 1916).

------, *An Analytical History of the Seneca Indians, Researches and Transactions of the New York State Archeological Association.* (New York: Kraus Reprint Co., 1970).

Parkhill, Forbes, *The Last of the Indian Wars* (Collier Books;Stated edition, 1961).

Parlow, Anita, *Cry Sacred Ground Big Mountain U S A,* (Christic Institute Press 1988).

Pearce, Roy Harvey, *The Savages of America:A Study of the Indian and the Idea of Civilization.* (Baltimore: Johns Hopkins Press, 1965).

Parton, James, *Life of Andrew Jackson* (Boston: Ticknor and Fields, 1866, 1887), Vol. I.

Perdue, Theda & Michael D. Green, *The Cherokee Removal: A Brief History with Documents*, (Bedford/St. Martin's, 2005).

Poatgieter, Hermina, *Indian Legacy: Native American Influences on World Life and Culture* (Julian Messner, 1982).

Poore, Benjamin Perley, *The political register and congressional directory: a statistical record of the Federal Officials...1776-1878.* (Boston: Houghton, Osgood and Company, 1878).

Powell, George, "A Pirate's Paradise," in The *Gentleman's Magazine,* Vol. CCLXXVI, N.S. 52, Jan-June 1894.

Pretty, Francis, «We took the Silver and Left the Man,» in Frank MacShane, *Impressions of Latin America,* (New York, Morrow, 1963).

Price, Daniel, *Saul's Prohibition Staide. Or The apprehension, and Exami-*

nation of Savle. And the Indictement of all that perfecute Christ, with a reproofe of thofe that traduce the Honourable Plantation of (London 1609).

Prucha, Francis Paul (editor), *Documents of United States Indian Policy*, (University of Nebraska Press, 1996).

----------, *American Indian Treaties: The History of a Political Anomaly*, (University of California Press 1997).

Purchas, Samuel, *Hakluytus posthumus, or, Purchas his Pilgrimes: contayning a history of the world in sea voyages and lande travells by Englishmen and thers.1625* (Glasgow, J. MacLehose and Sons, 1905-07).

Quarles, Benjamin, *The Negro in the American Revolution,* (The University of North Carolina Press (October 30, 1996).

Quitt, Martin H, "The English Cleric and the Virginia Adventurer," in Don Higginbotham, ed., *George Washington Reconsidered,* (Charlottesville: University Press of Virginia, 2001).

Raisanen, Heikki, "Marcion" In *A Companion to Second-Century Christian "Heretics"* ed. Antti Marjanen and Petri Luomanen (Leiden; Boston: Brill, 2008).

Ramsay, David, *History of the American Revolution* (Lexington. Kentucky: Downing and Phillips, 1815).

Rantoul, Robert, quoted in Rush Welter, *The Mind of America, 1820-1860* (New York: Columbia University Press, 1975).

Raymonds, E., *Jacob's Pillar: Stone of Destiny* (Artisan Publisher, 2009).

Reid, John and John H. Eaton, *The Life of Andrew Jackson, Major General, in the Service of the United States, Comprising a History of the War in the South, from the Commencement of the Creek Campaign, to the Termination of Hostilities before New Orleans* (Philadelphia, 1818; reprint, edited by Frank L. Owsley, Jr., University, 1974).

Rich, E. E., *History of the Hudson Bay Company, 1670-1870, with a Foreward by Wiston Churchill,* (London: Hudson's Bay Record Society, 1958-59).

Richardson, James D., A *Compilation of the Messages and Papers of the Presidents, 1789-1897: By James D. Richardson* (V.10) (New York: Bureau of National Literature, ©1897).

Rivera, Luis N, *A Violent Evangelism: The Political and Religious Conquest of the Americas* (Westminster John Knox Press; 1st edition, 1992).

Robbins, Chandler, *A Sermon Preached at Plymouth* (Boston, 1794).

Rogin, Michael Paul, *Fathers and Children: Andrew Jackson and the Subjugation of the American Indian,* (New York: Knopf, 1975).

Rolfe, John, *A true relation of the State of Virginia lefte by Sir Thomas Dale, knight, in May last 1616, in The Virginia His- torical Register and Literary Advertiser,* I (July, 1848).

Rosenberger, Francis Coleman, Columbia Historical Society, *Records of the Columbia Historical Society of Washington, D.C., 1973-1974,* (Washington, D.C.: Columbia Historical Society; Charlottesville, Va.: Distributed by the University Press of Virginia, ©1976).

Royce, Charles C. et al, *Indian land Cessions in the United States*, compiled by Charles C. Royce, with an introduction by Cyrus Thomas, in 2 *Eighteenth annual report of the Bureau of American Ethnology to the Secretary of the Smithsonian Institution,* (1899).

------- "The Cherokee Nation Of Indians: A Narrative of their Official Relations with the Colonial And Federal Governments," *Fifth Annual Report Of the Bureau of Ethnology to the Secretary of the Smithsonian Institution* (Washington D. C., Government Printing Office, 1887).

Salaman, Redcliffe N., *The History and Social Influence of the Potato,* (Cambridge University Press, 1985).

Satz, Ronald N., *American Indian Policy in the Jacksonian Era,*(Lincoln, University of Nebraska Press [1974, ©1975).

Schaaf, Gregory., *Wampum Belts & Peace Trees: George Morgan, Native Americans, and Revolutionary Diplomacy,* (Fulcrum Inc.,US 1990).

Schultz, George A., *An Indian Canaan, Isaac McCoy and the Vision of an Indian State,* (University of Oclahoma Press, © 1972).

Seaver, James E., *A Narrative of the Life of Mary Jemison,* (Syracuse, N.Y.: Syracuse University Press, 1990).

Shirley, William, *Thomas Harriot, a Biography,* (Oxford University Press, 1983).

Shortt, Adam and Arthur G Doughty (ed.) *Documents relating to the constitutional history of Canada, 1759-1791* (Ottawa, Nabu Press, 1970).

Skinner, Quentin, *Hobbes and Republican Liberty,* (Cambridge University Press, 2008).

Slotkin, Richard and James K Folsom, *Increase Mather, Puritan Mythology, in So Dreadful a Judgment: Puritan Responses to King Philip's War, 1676-1677*, (Conn.: Wesleyan University Press, 1978).

Smith, Adam, *The Wealth of Nations,* (New York, Random House 1937).

Smith, Eve Darian, "Beating the Bounds: Law, Identity and Territory in the New Europe," in *Ethnography in Unstable Places: Everyday Lives in Contexts of Dramatic Political Change,* (Duke University Press, ©2002).

Smith, John, *The generall history of Virginia, Nevv-England, and the Summer Iles: with the names of the adventurers, planters, and governours, from their first beginning, an? 1584. to this present 1625. VVith the proceedings of those severall colonies, and the accidents that befell them in all their iourneyes and discoveries. Also, the maps and descriptions of all those countries, their commodities, people, government, customes, and religion yet knowne. Divided into sixe bookes.* (London 1631).

Sosin, Jack M, *Whitehall and the Wilderness; the Middle West in British Colonial Policy, 1760-1775*, (Lincoln, University of Nebraska Press, 1961).

Sparks, Jared, ed., *The Writings of George Washington; Being his Correspondence, Addresses, Messages, and other Papers, Official and Private, Selected and Published From the Original Manuscripts; With a Life of the Author, Notes and Illustrations,* 12 Vols. (Boston,: Little,

Brown and company, Ann Arbor, Michigan: University of Michigan Library 1855).

Stannard, David, *American Holocaust, The Conquest of the New World* (New York, Oxford University Press, 1992).

Stearn, E Wagner and Allen E. Stearn, *The Effect of Smallpox on the Destiny of the Amerindian*, (Boston, B. Humphries, inc.,1945).

Steele, David N., Curtis C. Thomas, S. Lance Quinn, *The Five Points of Calvinism: Defined, Defended, and Documented,* (P & R Publishing; 2 edition 2004).

Stevens, Laura M., *The Poor Indians: British Missionaries, Native Americans, and Colonial Sensibility (Early American Studies)*, (Philadelphia: University of Pennsylvania, 2004).

Stone, William L., *Life of Joseph Brant-Thayendanegea : Including the Border wars of the American Revolution, and Sketches of the Indian Campaigns of Generals Harmar, St. Clair, and Wayne : And Other Matters Connected with the Indian Relations of the United States and Great Britain, from the Peace of 1783 to the Indian peace of 1795*, (New York : A.V. Blake, 1838, reprint, New York, Kraus, 1969).

Street, Nicholas, *The American States Acting over the Part of the Children of Israel in the Wilderness and thereby Impeding Their Entrance into Canaan's Rest* (New Haven, Conn., Thomas and Samuel Green, 1777).

Strong, Josiah, *Our Country: Its Possible Future and Its Present Crisis* (New York, Baker & Taylor for the American Home Missionary Society, 1885).

Svaldi, David, *Sand Creek and the Rhetoric of Extermination, Case Study in Idian-White Relations.* (University Press Of America, 1989).

Sword, Wiley, *President Washington's Indian War: The Struggle for the Old Northwest, 1790-1795,* (Norman, University of Oklahoma Press, 1985).

Symonds, William, *Virginia. A sermon preached at VVhite-Chappel, in the presence of many, honourable and worshipfull, the aduenturers and*

planters for Virginia. 25. April. 1609: Published for the benefit and vse of the colony, planted, and to bee planted there, and for the aduancement of their Christian purpose. By William Symonds, preahcer at Saint Sauiors in Southwarke (London Printed by I. Windet, for Eleazar Edgar, 1609).

Tabuteau, Emily Zack, *Transfers of Property in Eleventh-Century Norman Law*, (Chapel Hill: University of North Carolina Press, ©1988).

Takaki, Ronald T, *Iron cages: Race and Culture in Nineteenth-Century America,* (New York: Knopf; 1979).

Teed, Paul E., *John Quincy Adams, Yankee Nationalist,* (Nova Science Pub. Inc., 2006).

Tendal, Matthew, *Christianity as Old as the Creation, or the Gospel as a Republication ofReligion of Nature,* (London, 1730).

Thornton, Russell. *American Indian Holocaust and Survival: A Population History Since 1492.* (Norman: University of Oklahoma Press, 1987).

-------, "The Demography of the Trail of Tears Period: A New Estimate of Cherokee Population Losses," *in Cherokee Removal: Before and After* by William L. Anderson (Editor), (University of Georgia Press, 1991).

Thwaites, Reuben Gold and Louise Phelps Kellogg, *Frontier Defense On The Upper Ohio, 1777-1778* (Madison: Wisconsin Historical Society, 1912).

Trennert, Robert A. Jr., *Alternative to Extinction: Federal Indian Policy and the Beginnings of the Reservation System, 1846-51,* (Temple Univ. Press, 1975).

Tuck, Richard, "Hobbes and Democracy," in Annabel Brett et al., eds, *Rethinking the Foundation of Modern Political Thought,* (Cambridge University Press, 2006).

Tully, James, *An Approach to Political Philosophy: Locke in Contexts* (Cambridge University Press, ©1993.).

Turner, Frederic Jackson, *The Frontier in American History,* (New York, Holt, Rinehart and Winston 1920).

Tyler, Lyman, *History of Indian Policy* (Washington, D.C.: United States Department of the Interior, Bureau of Indian Affairs, 1973).

Usher, Charles L., et al.,, *Evaluation of the Food Distribution Program on Indian Reservations* (FDPIR). Washington, D.C.: Food and Nutrition Service. U.S. Department of Agriculture, (1990).

Vega, Garcilaso de la, The Incas: *The Royal Commentaries of the Inca: 1539-1616, trans.* Maria Jolas, (New York, Avon, 1961).

Wade, Richard C., *The Urban Frontier: The Rise of Western Cities, 1790-1830,* (University of Illinois Press, 1996).

-------, *Slavery in the Cities, The South, 1820-1860,* (New York: Oxford University Press, 1964).

Wallace, Paul A. W., *White Roots of Peace: Iroquois Book of Life*, (Clear Light Pub 1994).

Ward, Robert, *An Enquiry into the Foundations and History of the Law of Nations in Europe, from the Time of the Greeks and Romans, to the Age of Grotius.* (Dublin: P. Wogan, P. Byrne, W. Jones and J. Rice, 1795).

Waselkov, Gregory A., Peter H. Wood, M. Thomas Hatley, *Powhatan's Mantle, Indians in the Colonial Southeast,* (University of Nebraska Press, 1961).

Weatherford, Jack, *Indian Givers, How the Indian of the Americas Transformed the World,* (Balantine Books, 1988).

Webb, Walter Prescott, "The Frontier and the 400-year Boom," in *The Turner Thesis: Concerning the Role of the Frontier in American History.* George Rogers Taylor, ed., (Lexington, Mass.: D.C. Heath and Company, 1949).

Weems, Mason L., *The Life of Washington* (Cambridge: Harvard University Press, 1962).

Wecter, Dixon, *The Hero in America* (University of Michigan Press, 1963).

Weiberg, Albert K, *Manifest Destiny: A Study of Nationalist Expansionism*

in American History, (Chicago, Quadrangle Books, 1963).

Werlich, David P., *Peru: A Short History* (Illinois University Press, 1978).

Whitaker, Alexander, *Good News from Virginia sent to the Counsell and Company of Virginia, resident in England, 1613*, (Imprinted by Felix Kyngston for William Welby, 1613).

White, Barrington Raymond, *The English separatist tradition: from the Marian Martyrs to the Pilgrim Fathers,* (Oxford University Press, 1971).

White, Richard, *The Roots of Dependency: Subsistance, Environment, and Social Change among the Choctaws, Pawnees, and Navajos,* (University of Nebraska Press, 1983).

---------, *The Middle Ground, Indians, Empires, and Republics in the Great Lakes Region, 1650-1815,* (Cambridge, New York: Cambridge University Press, 1991).

Whittemore, Robert Clifton, *Makers of the American Mind* (Morrow, 1964).

Wiencek, Henry, *An Imperfect God: George Washington, His Slaves, and the Creation of America,* (New York: Farrar, Straus and Giroux, 2003).

Wilkins, Robert E, *American Indian Sovereignty and the U.S. Supreme Court: The Masking of Justice* (University of Texas Press,1997).

Wilkins, Thurman, *Cherokee Tragedy; The Story of the Ridge Family and the Decimation of a People,* (New York] Macmillan 1970).

Williams, Eric, *Capitalism and Slavery,* (New York, Russell and Russell, 1961).

Williams, Roger, *The Correspondence of Roger Williams,* edited by Glenn W LaFantasie et al., (Published for the Rhode Island Historical Society by Brown University Press/University Press of New England, 1988).

Wolf, Eric R, *Europe and the People Without History,* (Berkeley, University of California Press, 1982).

Wood, Gordon The Creation of the American Republic, 1776-1789 (Chapel Hill: University of North Carolina Press, J969).

Wright, Albert Hazen, *The Sullivan Expedition of 1779, Contemporary Newspaper Comment, Studies in History Numbers 5, 6, 7, and 8, 4 parts* (Ithaca, New.York, A.H. Wright, 1943).

Wright, Muriel H., *Chronicles of Oklahoma, Contributions of the Indian people to Oklahoma,* (Digital Library, Oklahoma State), Volume 14, No. 2. June, 1936.

Ziner, Feenie, *Squanto* (Hammden Conn., Linner Books, 1989).

ENCYCLOPAEDIAS موسوعات

Encyclopaedia Judaica, Jerusalem, Encyclopaedia Judaica; [New York] Macmillan (©1971-72).

The Encyclopedia of Native American Legal Tradition (Greenwood, 1998).

The Encyclopedia of the Haudenosaunee (Iroquois Confederacy), (Westport, Conn.: Greenwood Press, 2000).

The London Encyclopedia, Edited by Ben Weinreb and Christopher Hibbert (Macmillan; 2010).

JOURNALS مجلات أكاديمية محكمة

Abramitzky, Ran and Fabio Braggio, "Migration and Human Capital: Self-Selection of Indentured Servants to the Americas," ***The Journal of Economic History***, Vol. 66, No. 4, (Dec., 2006).

Akash, Munir, "The Serpent's Egg," ***Arab Studies Quarterly***, Vol. 30, No. 3 (Summer 2008).

Alexander, Gregory S., "The Social-Obligation Norm in American Property Law," ***Cornell Law Review***, Vol. 94, no. 4 (May 2009),

Anders, Gary, «The Internal Colonization of Cherokee Native Americans,» ***Development and Change*** 10 (1979).

------ «Theories of Underdevelopment and the American Indian», ***Journal of Economic Issues*** 40 (1980).

Antonio, Truyol y Serra,, "The Discovery of the New World and International Law," ***Toledo Law Review***, No. 43, 1971.

Barnes, Lela, (editor), "Journal of Isaac McCoy, 1828," ***Kansas Historical Quarterly***, (August 1936), Vol. 5, no. 3.

Battan, Jesse F., "«The Word Made Flesh»: Language, Authority, and Sexual Desire in Late Nineteenth-Century America," ***Journal of the History of Sexuality***, Vol. 3, No. 2 (Oct., 1992).

Bercovitch, Scavan, "The Typology of American Mission," ***American Quarterly***, Vol. 30, Summer 1978).

Bross, Kristina, "Dying Saints, Vanishing Savages: «Dying Indian Speeches» in Colonial New England Literature," ***Early American Literature***, Vol. 36, No. 3 (2001).

Brown, J. Larry, (1987). "Hunger in the U.S." ***Scientific American***, 256.

Bushnell, David I., Jr. "The Virginia Frontier in History: 1778," ***The Virginia Magazine of History and Biography***, Vol. 24, No. 2 (Apr., 1916).

Butler, Raymond V., «The Bureau of Indian Affairs: Activities Since 1945,» ***The Annals of the American Academy of Political and Social Science***, 436 (1978).

Carpenter, Kristen, "Iterpretive Sovereignty: A Research Agenda," ***American Indian Law Review***, Vol. 33, No. 1 (2008/2009).

Carter, Clarence Edwin, «Documents Relating to the Mississippi Land Company, 1763-1769,» ***The American Historical Review*** 16, No. 2 (Jan., 1911).

Cave, Alfred A, "Canaanites in a Promised Land: The American Indian and the Providential Theory of Empire," ***American Indian Quarterly***, Vol. 12, No. 4 (Autumn, 1988).

Clinton, Robert N., «Development of Criminal Jurisdiction on Reservations: A Journey through a Jurisdictional Maze,» ***Arizona Law Review***, Vol. 18, No. 3 (1976).

Cohen, Felix S. "Americanizing the White Man." ***The American Scholar***, Vol. 21, No. 2 (Spring 1952).

Coleman, Christopher B., "George Washington and the West," ***Indiana Magazine of History***, Vol. 28, No. 3 (Sep. 1932).

Downes, Randolph C., "George Morgan, Indian Agent Extraordinary, 1776-1779," ***Pennsylvania History***, Vol. 1, No. 4 (October, 1934).

Edson, Obed, "Brodhead Expedition against the Indian of the Upper Allegheny, 1779," ***Magazine of American History***, vol. 3: no. 11, (1879).

Elliot, Charles to Aberdeen, June 15, 1845, Ephraim Douglas Adams (editor), "British Correspondence Concerning Texas," ***Southwestern Historical Quarterly***, XX (October 1916).

Fellman, Michael, " the Earthbound Eagle: Andrew Jackson and the American Pantheon," ***American Studies***, Vol. 12, No. 2 (fall 1971).

Ficsher, Joseph, "The Forgotten Campaign of the American Revolution: The Sullivan-Clinton Expedition Against the Iroquois in 1779," ***Valley Forge Journal***, 4.4 (1989).

Flick, Alexander C., "New Sources on the Sullivan-Clinton Campaign in 1779," ***Quarterly Journal of the New York State Historical Society***, 10. 3 (July 1929).

Galenson, David W., "The Rise and Fall of Indentured Servitude in the Americas: An Economic Analysis," ***The Journal of Economic History***, Vol. 44, No. 1, Mar., 1984.

Gano, John, "A Chaplain in the Revolution," 1806. ***Historical Magazine***, 5. 11, (1861).

Gerwell, Greg, "Colonizing the Universe: Science Fiction Then, Now and the (Imagined) Future," ***Rocky Mountain Review of Language and Literature***, 55:2, (Fall 2001).

Gover, Kevin, «It's Our Shame That's Killing Us,» ***Indian Country Today***, February 2, 2002.

------ Remarks of Kevin Gover, Assistant Secretary-indian Affairs: Address to Tribal Leaders, Friday, September 8th, 2000 on the Occasion of the Ceremony Acknowledging the 175th Anniversary of the Establishment of the Bureau of Indian Affairs (Washington, DC), ***Journal***

of American Indian Education, Volume 39 Number 2, Winter 2000. Special Issue 3.

Greenhalgh, Adam, "'Not a Man but a God' The Apotheosis of Gilbert Stuart's Athenaeum Portrait of George Washington," ***Witerthur Portfolio***, Vol. 41, No.4 (Winter 2007).

Grinnell, George Bird, "Coup and Scalp among the Plains Indians," ***American Anthropologist***, New Series, Vol. 12, No. 2 (Apr. - Jun., 1910).

Ibbotson, Joseph D., Samuel Kirkland, "The Treaty of 1792, and the Indian Barrier State," ***New York History***, Vol. 19, No. 4 (October 1938).

Ilany, Ofri, "From Divine Commandment to Political Act: The Eighteenth-Century Polemic on the Extermination of the Canaanites," ***Journal of the History of Ideas***, Volume 73, Number 3.

Israel, Daniel H., "Drafting Indian Reservation Resource Contracts," ***Natural Resources & Environment***, Vol. 3, No. 1, Drafting Agreements (Winter 1988).

Jacobson, Cardell K., «Internal Colonialism and Native Americans: Indian labor in the United States from 1871 to World War II,» ***Social Science Quarterly*** 65, (1984).

Kavka, Gregory S., "Hobbes's War of All Against All," ***Ethics***, (Published by: The University of Chicago Press), Vol. 93, No. 2.

Kupperman, Karen Ordahl, "Apathy and Death in Early Jamestown," ***The Journal of American History***, Vol. 66, No. 1 1979.

Lemont, Eric, "Overcoming the Politics of Reform: The Story of the Cherokee Nation of Oklahoma Constitutional Convention," ***American Indian Law Review***, Vol. 28, No. 1, 2003/2004.

Little Eagle, A., «Commodity Program Gets Radical Facelift.» ***Indian Country Today***. (July 20, 1994).

McNamara, Gregory Vaughn, "Public Preaching and the Establishment of Virginia, ca. 1609," ***International Journal of Humanities and Social Science***, Vol. 1, No. 6.

Moloney, Pat, "Hobbes, Savagery, and International Anarchy," ***American Political Science Review***, Vol. 105, No. 1, February 2011.

Nakamoto, Sharleen N., "World War II Recollected: Museum and Exhibit Reviews," ***The Public Historian***, Vol. 24, No. 4 (Fall 2002).

Neilson, Francis, "Locke's Essays on Property and Natural Law," ***The American Journal of Economics and Sociology***, Vol. 10, No. 3, 1951.

Porter, Robert B, "Strengthening Tribal Sovereignty Through Peacemaking: How the Anglo-American Legal Tradition Destroys Indigenous Societies, " ***Columbia Human Rights Law Review***. 235 (2O, 1997).

Prucha, Francis Paul, "Andrew Jackson's Indian Policy: A Reassessment," ***The Journal of American History***, Vol. 56, No. 3 (Dec., 1969).

Pulsipher, Jenny Hale, "Massacre at Hurtleberry Hill: Christian Indians and English Authority in Metacom's War," The William and Mary Quarterly, Third Series, Vol. 53, No. 3. ***Indians and Others in Early America*** (Jul., 1996).

Rose, Carol M, Property as Storytelling: Perspectives from Game Theory, Narrative Theory, Feminist Theory", ***Yale Journal of Law and the Humanities***, Vol.2, No. 1.

Schaaf, Gregory, "From the Great Law of Peace to the Constitution of the United States: A Revision of America's Democratic Roots," ***American Indian Law Review***, Vol. 14, No. 2 (1988/1989).

Scott, Winfield, "Removal Order No. 34," May 24, 1838, ***Journal of Cherokee Studies*** 3 (Summer 1978).

Singer, Joseph William, "Democratic Estates: Property Law in a Free and Democratic Society," ***Cornell Law Review***, Vol. 94:1009, (2009).

Smith, Abbot Emerson, "The Indentured Servant and Land Speculation in Seventeenth Century Maryland," ***The American Historical Review***, Vol. 40, No. 3

Smith, David E., "Millennarian Scholarship in America," ***American Quarterly***, 17 (1965).

Starna, William A., and José António Brandão, "From the Mohawk-Mahican War to the Beaver Wars: Questioning the Pattern," ***Ethnohistory*** 51, no. 4 (Fall 2004).

Stephane, Beaulac,. 2003. "Emer de Vattel and the Externalization of Sovereignty." ***Journal of the History of International Law***. 2003, Vol. 5.

Stevens, Paul, "«Leviticus Thinking» and the Rhetoric of Early Modern Colonialism," ***Criticism***, Vol. 35, No. 3.

Stone, Rufus B., "Brodhead's Raid on the Seneca," ***Western Pennsylvanis Historical Magazine***, 7. 2 (1924).

Stockes, Brian, «Gover Apologizes for Atrocties of the Past,» ***Indian Country Today***, September 20, 2000.

Sugden, John, "Early Pan-Indianism; Tecumseh's Tour of the Indian Country, 1811-1812," ***American Indian Quarterly***, Vol. 10, No. 4 (Autumn, 1986).

Thomas, Robert K,, "Colonialism: Classic and Internal,"in ***New University Thought***, Vol. 4, No.4 (Winter 1969).

Thompson, Mary V., "And Procure for Themselves a Few Amenities: The Private Life of George Washington Slaves." ***Virginia Cavalcade***, 48. No.4 (Autumn 1999).

Thornton, Russell, "Cherokee Population Losses during the Trail of Tears: A New Perspective and a New Estimate," ***Ethnohistory***, Vol. 31, No. 4, (Autumn, 1984).

Whicker, J. Wesley, "Tecumseh and Pushmataha," ***Indiana Magazine of History***, Vol. 18, No. 4 (December, 1922).

Wellenreuther, Hermann, "White Eyes and the Delawares' Vision of an Indian State," ***Pennsylvania History***, Vol. 68, No. 2 (Spring 2001

OFFICIAL DOCUMENTS وثائق حكومية

American State Papers, (Indian Affeirs). Vol.II., Benjamin Hawkins and Andrew Pickens to Charles Thompson, December 30, 1785,

Congress: Executive Documents, 25th Congress, 2d Session, Vol. v. No. 82.

--------, House Reports, "Regulating the Indian Departments," 23 Congress, 1st session, *House Report 474,* Serial 263.

-------, House Committee of One Hundred, The Indian Problem: Resolution of the Committee of One Hundred Appointed by the Secretary of Interior and Review of the Indian Problem (Washington, DC: H. Doc. 149, Ser. 8392, 68th Cong., 1st Sess., 1925.

-------, Culture Act of 1873, the Desert Land Act of 1877, the Timber and Stone Act of 1878, the Homestead Act of 1862.

-------, Act of Congress, Ch. 120, 16 Stat. 544,566 (1871) now codified as 25 U.S.C. 71.

------, Act of Congres Ch. 341, 24 Stat. 362, 385, now codified at 18 U.S.C. 1, 153; also known as the Seven Major Crimes Act.

-------, Act of Congress, General Allotment Act, Act of Feb. 8, 1887 (24 Stat. 388, ch. 119, 25 USCA 331).

--------, Act of May 29, 1908, 35 Stat. 460; Act of Aug. 15, 1894, 28 Stat. 337-38; Act of May 27, 1902, 32 Stat. 245, 263; Act of Apr. 23, 1904, 33 Stat. 254.

-------,Act of May 29, 1908, 35 Stat. 458; Act of May 29, 1908, 35 Stat. 460; Act of July 1, 1892, 27 Stat. 62.

--------, 33 Stat. 254, art. Ill; art. V:1 - 2 -6. See also the acts of 1907 (34 Stat. 1230) and 1910 (36 Stat. 448).

--------, H.R. Rep. No. 1576, 46th Cong., 2d Sess. 10 (1880).

--------, 11 Congress Records. 783 (Jan. 20, 1881).

--------,H. Doc. 149, Ser. 8392, 68th Cong., 1st Sess., 1925.

--------, Indian Reorganization Act (ch. 576, 48 Stat. 948, now codified at 2 5 U.S.C. 461- 279, also known as the «Wheeler-Howard Act.»

-------, *United States Congressional Serial Set* as House Document 286, 24th Congress, 1st Sessiion.

-------, "Regulating the Indian Departments," 23 Congress, 1st session, *House Report 474,* Serial 263.

-------, The political register and congressional directory: a statistical record of the Federal Officials...1776-1878.

-------, *Statutes at Large of the United States of America,* (Boston, harles C. Little and James Brown, 1846).

Continental Congress, *Index: Papers of the Continental Congress, 1774-1789*, see the :«Transcripts of meetings between the United States and Indian Ambassadors During the American Revolution," (Smithsonian Institute Press, 1978).

------ *Papers of the Continental Congress, 1774-1789,* (Washington : National Archives, National Archives and Records Service, General Services Administration, 1958-1959), Roll 144, Item 134. Archives, 4 ser., vol. 3.

-------- *Papers of the Continental Congress* (PCC), Group 360, M 243, reel 69, 56, 58.

-------- Journal of the Continental Congress, Vols. 2, 25, 181 (1775); 14 (10 May, 1779).

George Washington Bicentennial Commission, 1932, *The History of the George Washington Bicentennial Celebration, vol. 5, Activities of the Commission and Complete-Final Report of the United States George-Washington Bicentennial Commission* (Washington, DC: U.S. George Washington Bicentennial Commission, 1932), Vol. 5.

Illinois State Historical Library, Collection of the *Illinois State Historical Library.*

Institute For Government Research, *The Problems of Indian Administration* (1927).

Library of Congress, *Andrew Jackson Papers.*

-------, *Letters of George Morgan.*

-------, Thomas Jefferson Library Collection Viscount Henry St. John Bolingbroke, *The Philosophical Works of the Late Right Honorable*

Henry St. John, Lord Viscount Bolingbroke, (London [s. n.] 1754).

Preservation Virginia (Richmond, VA.), Historic Jamestown.

State Historical Society of Iowa, The Annals of Iowa.

United States Federal Census Burea, Census Records.

U.S. House of Representatives, Committee of One Hundred, The Indian Problem: Resolution of the Committee of One Hundred Appointed by the Secretary of Interior and Review of the Indian Problem (Washington, DC: H. Doc. 149, Ser. 8392, 68th Cong., 1st Sess., 1925.

United States. Office of Indian Affairs / Annual report of the commissioner of Indian affairs, for the years 1846-1850, *Annual report of the commissioner of Indian affairs for 1848,* (Washington, Wendell and Van Benthuysen).

------, Fifth Annual Report of the Indian Rights Assoc. 5-6 (1887).

-------, National Congress of the American Indian (NCAI). Briefing Paper (Washington D. C. NCAI, April 1991).

المؤلف

قبل تقاعده عام ٢٠١٣، عمل أستاذاً للإنسانيات واللغات الحديثة ومديراً للبرنامج العربي في جامعة سفك Suffolk ببوسطن، وقبلها في جامعة بوسطن، وجامعة ولاية كونتكت في Storrs.

وهو سوري بالمولد وفلسطيني بالإختيار،

لمنير العَكَش ٢٢ كتاباً ألفه أو ترجمه أو حرره. مِن أول هذه الكتب «عن الشعر والجنس والثورة» مع الشاعر الراحل نزار قباني (بيروت ١٩٧١)، وآخرها كتاب «أميركا والإبادات الجنسية: ٤٠٠ سنة من الحروب على الفقراء والمستضعفين في الأرض، والطبعة الثالثة من كتاب «The Open Veins of Jerusalem» (نيويورك/ منشورات جامعة سيراكوس). من كتبه باللغة العربية «أسئلة الشعر» (بيروت ١٩٧٩)، و«حق التضحية بالآخر» (بيروت ٢٠٠٢)، و«فكرة أميركا» (الدار البيضاء ٢٠٠٣)، و«تلمود العم سام» (بيروت ٢٠٠٤)، و«أميركا والإبادات الثقافية». ومن كتبه بالإنكليزية: Post Gibran مع الشاعر خالد مطاوع، وCulture and Hegemony مع الصديق الراحل نصير عاروي، وCulture, Creativity and Exil، إضافة إلى أربع مجموعات شعرية مترجمة إلى الإنكليزية للشاعر محمود درويش.

في مايو/أيار ١٩٨٣ ، قدم له ماريّو زاكاري نائب رئيس البرلمان الأوروبي وسام أوروبا لجهوده في حوار الحضارات.

ومنير العَكش مؤسس ورئيس تحرير «جسور» التي تصدر بالإنكليزية على شكل كتاب بالتعاون مع جامعة سيراكوس بنيويورك، كما إنه يشارك في عدد من مراكز الأبحاث العربية في الولايات المتحدة.

للإتصال: jusoor@aol.com makash@suffolk.edu

فهرس الأعلام

أ

ب

ت

ج

ص

ع

غ

ف

ك

و

ي

فهرس الأماكن

ي